حدائق الحقائق

في شرح نهج البلاغة

الجزء الثاني

للعلامة قطب الدين الكيذري البيهقي

من أعلام القرن السادس

تحقيق

الشيخ عزيز الله العطاردي





في شرح نهج البلاغة

الجزء الثاني

للعلامة قطب الدين الكيذري البيهقي

من أعلام القرن السادس

تحقيق

الشيخ عزيز الله العطاردي

مؤسسة نهج البلاغة — نشر عطارد

حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة المجلد الثاني

للشيخ أبي محمدبن الحسين بن الحسن البيهقي (قطب الدين الكيذري)

تحقيق و تصحيح: الشيخ عزيزالله العطاردي

المطبعة : اعتماد ـ قم

الطبعة الاولى: ذوالحجّة: ١٤١٦ ق ـ ارديبهشت ١٣٧٥ ش

الكمية : ١٠٠٠ عدد

طهران: شارع كريم خان ـ شارع نجات اللّهى ـ شارع افشين ـ الرقم ٨

الهاتف: ٨٩٥٦٧٠ ـ ٨٩٩٨٦٢ ـ ٠٢١ ـ ص . ب: ٦٣٥-١١٣٦٥

قم: شارع حجّت ـ الهاتف: ٧٤٢٥٩٤-٠٢٥١

١٥٨ ـــ ومن خطبة له عليه السلام

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، وَيَعْفُو[1] بِحِلْمٍ. اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَاتَأْخُذُ وَتُعْطِي، وَعَلَى مَاتُعَافِي وَتَبْتَلِي، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلأُ مَاخَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَاأَرَدْتَ، حَمْداً لاَيُحْجَبُ عَنْكَ، وَلاَيَقْصُرُ دُونَكَ، حَمْداً لاَيَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلاَ يَفْنِي مَدَدُهُ، فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لاَتَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأَحْصَيْتَ الْأَعْمَارَ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ، وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ؛ أَعْظَمُ. فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ[2] خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ

---

١ ـــ في ن وف : ويغفر بحلم .

٢ ـــ في ب : عرشك وذرأت خلقك .

الْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وَعَقْلُهُ مَهْوُراً، وَسَمْعُهُ وَالِهاً وَفِكْرُهُ حَائِراً.

منها: يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَهُ يَرْجُو ٱللهَ! كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالُه لاَيَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؛ فَكُلُّ مَنْ[١] رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، إِلَّا رَجَاءَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا خَوْفَ ٱللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ: يَرْجُوا ٱللهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَالاَيُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ ٱللهِ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بعبادِهِ[٢]؟! أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً، أَوْ تَكُونَ لاَتَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً، وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَالاَيُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِماراً، وَوَعْداً، وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَثُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ[٣]، آثَرَهَا عَلَى ٱللهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا.

وَلَقَدْ كَانَ[٤] فِي رَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا؛ إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وَفُطِمَ مِنْ رَضَاعِهَا[٥]، وَزُوِيَ عَنْ[٦] زَخَارِفِهَا، وإِنْ شِئْتُ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِذْ يَقُولُ[٧]: (رَبِّ إِنِّي لِمَا

١ــ في حاشية ش: وكل رجاء الارجاء الله.
٢ــ في ض وب: يضع لعباده وفي ح: يضع به لعباده.
٣ــ في ن وب: موقعها في قلبه.
٤ــ في ب: وقد كان.
٥ــ في ض وح وب: فطم عن رضاعها.
٦ــ في كـ: وقبض عن زخارفها.
٧ــ في ض وح: حيث يقول

أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) وَٱللهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ، وَإِن شِئْتُ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا؟! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا، وَإِنْ شِئْتُ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ، (وَيأكلُ الجَشِبَ[١]) وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ[٢] الْأَطْهَرِ، صلى الله عليه وآله؛ فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى ٱللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ: قَضَمَ[٣] الدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَرَ شَيْئاً فَحَقَرَهُ، وَصَغَّرَ

١ــ ساقطة من م ون وب ول وش.

٢ــ في ش: الاطهر الاطيب.

٣ــ في م وك: قصم الدنيا.

شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ ٱللهُ [1] وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ ٱللهُ لَكَفَي بِهِ شِقَاقاً للهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ ٱللهِ، وَلَقَدْ كَانَ، صلى الله عليه وآله وسلم، يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فُلاَنَةُ ـ لإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي؛ فَإِنِّي إِذَا انَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا [2] عَنْ عَيْنِهِ؛ لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلاَ يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، وَلاَ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذٰلِكَ مَنْ أَبْغَضَ [3] شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَايَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا؛ إذ جَاعَ مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَأَكْرَمَ الله [4] مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟! فَإِنْ قَالَ: «أَهَانَهُ» فَقَدْ كَذَبَ (وَأَتَي بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ [5]) وَإِنْ قَالَ: «أَكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أَنَّ

١ــ في ض وح وب : ما ابغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله .

٢ــ في ش : من عينه .

٣ــ في ب : وكذا من ابغض الله شيئا ابغض من ينظر اليه وفي ل : ولذلك من ابغض شيئا .

٤ــ في ض وح وب وش : اكرم الله .

٥ــ ساقطة من ش ول ون وف وفي م فقد كذب العظيم وفي ح : فقد كذب والله العظيم فالافك العظيم وفي

ٱللهُ[1] قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، وَٱقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ، وَإِلَّا فَلاَ يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ؛ فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَماً لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ: خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، وَوَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ[2]، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ، وَٱللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: ٱغْرُبْ[3] عَنِّي «فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى».

ب: فقد كذب واتى بالافك العظيم.

١ــ في ب: ان الله اهان.

٢ــ في ف ون: حتى مضى واجاب.

٣ــ في ح وم وب ول: اعزب عني.

الشرح

قوله عليه السلام: امره قضاء وحكمة الى آخره.

ع ـ لسنا نعلم كنه عظمتك.

قال الوبري أي لانعلم كنه ملكك ومنتهى سلطانك، بل نعلمك حيا قيوما لا تأخذك سنة ولانوم.

ع ـ قد يتعجب بعض الناس من[1] أنه كيف يكون موجود لاكيفية له ولا نظير له، ولا كمية له، ولهذا في الوجود شواهد مثل (الغضب والمحبة)، فمن طلب كيفيتهما لم يعرفها إلا بآثارهما، سوى كيفياتهما، لأن ليس للغضب والمحبة شكل ولون ولا كمية لهما ولا كيفية والخيال هو الذي يطلب الكيفية والكمية بواسطة الحواس، والمعقول المحض منزه عن أن يكون متخيلا.

ليعلم كيف أقمت عرشك: العرش السرير والسقف وقوام الشيء: قيل: والعرش والكرسي الفلك الأقصى والفلك الثوابت، وقال بعض العارفين: العرش مثال مجلس الملك الذي يحضر هناك وزيره، وحول هذه الحجرة رواق له أبواب، وعلى كل باب نائب من نواب الوزير.

فالأبواب هي البروج ونواب الوزير الثوابت ووراء الباب نقباؤهم الكواكب المتحيرة، وبين أيدي النقباء، خدم و غلمان، فالخدم والغلمان

---

١ ـ في ض: الناس انه.

ينتظرون ما يرد عليهم من الأوامر والنواهي بوسائط الوزير والنواب والنقباء فيقربون أقوما و يطردون أقواما (١) .

فانظر في دار الدنيا حتى تعاين سقوفا بلا عمد، مثل السموات وفرشا مثل الأرض، وخزائن مثل الجبال، وأواني مثل أنواع النبات، وسراجا مثل القمر، ومشعلة مثل الشمس، وقناديل مثل النجوم، ولكن مثلك مثل نملة لها في قصر الملك قرية ومسكن، فلا يحيط علمها إلا بذخائر قوتها، ومسكنها؛ ولم يحط علمه، بجلال الملك وكماله، و غلمانه، وخدمه و وزرائه .

قال الله تعالى: وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون (٢) .

الحي: الدائم الذي لايفنى، ولا يزول، والقيوم، القائم الدائم الذي لايزول؛ وهو فيعول عن أبي عبيد أي هو القائم على العباد بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، أقمت: بالشيء: إذا وليته .

كيف مددت على مور الماء ارضك: المور، الموج، والمور: الطريق؛ وقد حبس الله تعالى في الأرض تحت الصخور الصم مياها ينفجر منها بالتدريج فانها لو لم يكن محبوسة تحت الصخور لسالت وجرت دفعة، وأهلكت الزرع والضرع (٣) لذلك قال عليه السلام: كيف مددت على مور الماء أي موجة انتهت عقولنا دونه .

العقل يدرك معنى القليل والكثير، وأنهما وصفان اضافيان للعدد؛ وله طريق الى أن يدرك القليل الذي لاأقل منه في الأعداد، وليس له طريق الى

١ــ في ض: مقربون اقواما ويطردون اقواما .

٢ــ الانبياء: ٣٢ .

٣ــ لزرع: طرح البذر، وقيل: الزرع نبات كل شيء يحرث والزرع الانبات يقال: زرع الله اي أنبت والضرع لكل ذات ظلف وخف او للشاة والبقر وفي اللسان ضرع الشاة والناقة مدر لبنها والضرع للبهائم كالثدي للمرأة .

إدراك الكثير[1] المطلق الذي لا أكثر منه فنسبة الكثير المطلق في الادراك إلى العلم الأزلي كنسبة القليل المطلق، فلا فرق في علم الله تعالى بين القليل المطلق، والكثير المطلق.

والعقل لايمكنه أن يدرك كيفية إحاطة علم الأزل بذلك بل إدراكها موقوف على المذوق وعلى نور بصر البصيرة. ويختص بهما العارفون ونسبة العقل الى الذوق كنسبة الشعاع إلى الشمس وانتهاء العقول دون ما ذكره أميرالمؤمنين، يضاهي انتهاء الوهم، عند إدراك المدركات العقلية ولذلك قال.

رجع عقله ميهوراً: أي مغلوبا.

وسمعه والها وفكره حائرا فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله إلا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق إلا خوف الله فانه معلول.

الدخل: العيب والريبة، يقال دخل فلان، فهو مدخول أي في عقله دخل، ونحلة مدخول أي جوفها عفن.

قال بعض المحققين: الخوف والرجاء جناحان بهما يطير المرء الى سرادق النجاة، وقيل ان الخوف مثل السوط، والرجاء مثل الزمام، ويتولد من الرجاء المحبة، ولا مقام وراء المحبة كما قال يحبهم ويحبونه[2]، وقال: الذين آمنوا أشد حبا لله[3]، وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بربه، أوحى الله تعالى إلى يعقوب وقال كنت تخاف الذنب وتخاف عصيان أولادك فقاسيت ما قاسيت، ولو رجوتني وتوكلت على حفظي وكلائي لكان الامر بخلاف ذلك ولكن قد جرى القلم.

١ــ في ض: ادراك الكبير المطلق.

٢ــ المائدة: ٥٤.

٣ــ البقرة: ١٥٤.

فرق بين الرجاء والغرور. فان من ألقى البذر النقي في الأرض الطيبة منتظرا رحمة الله، فهو الراجي فله الرجاء، ومن ألقى البذر الفاسد في السباخ[١] وينتظر نباته فهو صاحب الغرور، ومن ألقى البذر النقي في الارض الطيبة وما سقاهما منتظرا لصيب[٢] من السماء فهو المتمني والمتشهي، وقال النبي صلى الله عليه وآله ليس الدين بالتمني ولا بالتشهي، والاعراض عن سقي الزرع مع التمكن، وهو العمل الصالح من باب القنوط لا من باب الرجاء.

قال الله تعالى: فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفرلنا[٣].

والخوف: حالة من حالات القلب وله سبب وثمرة، فسببه التوحيد والمعرفة، والاطلاع على الخطر، وثمرته تنغيص نيل الشهوات عنده كما أن من وقع في مخالب الليث لايخطر بباله ما يشتهيه من الأموال والنساء وثمرته في الظاهر الاجتناب عن المعاصي فمن منعه الخوف عن الحرام، فهو ورع ومن منعه الخوف عن الشهوات فهو عفيف.

من منعه الخوف من الشبهات وعن الرخص المؤدية الى الحرام فهو المتقي، ومن منعه الخوف عمالا يعنيه وعما سوا منجياته، فهو الصديق فأعلى درجات الخائفين، الصدق، ثم التقوى، ثم العفة ثم الورع فهذه علامات الرجاء والخوف.

الضمار: ما لا يرجي من الدين والوعد: وكل ما لا يكن منه على ثقة قال الراعي:

١ــ السباخ: جمع سبخة وهي الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر.

٢ــ في حديث الاستسقاء: اللهم اسقنا غيثا صيبا أي منهمرا متدفقا، اصله من صاب يصوب اذا نزل.

٣ــ الاعراف: ١٩٦.

حمدن مزارة فاصبن منه * عطأ لم يكن عدة ضمارا

والاسوة: القدوة.

كان ادامه الجوع: أي لا يأكل الخبز حتى يشتد جوعه وحينئذ لايشتهي الادام فان الادام مطلوب عند الجوع المتوسط لا الغالب.

وريحانه ما تنبت الارض للبهائم: هي البقول الماكولة فتأس بنبيك: أي الزم سنته وعادته وتقربه.

اهضم أهل الدنيا كشحا: يقال كشح مهضم[١] ومزمار مهضم لأنه فيما يقال اكسار يضم بعضها إلى بعض قال الشاعر:

بركت على جنب الرداع كانما * بركت على قصب أجش مهضم[٢]

خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما.

كانت عائشة تقول في تأبين[٣] المصطفى صلى الله عليه وآله يا من لم ينم على الحصير، ولم يلبس الحرير، ولم يشبع قط من خبر الشعير.

عند الصباح يحمد القوم السرّى.

هذا مثل للعرب وأول من قاله خالد بن الوليد حين أمره (صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار[٤]) ابوبكر بأن يسير من اليمامة إلى العراق مع جيشه، فقال له رافع[٥] الطائي تلك مفازة سلكتها في الجاهلية، وهي

١ ــ الكشح : الباطن والكاشح : العدو الذي يضمر عداوته ويطوي عليها كشحة اي باطنه والهضم التحريك انضمام الجنبين، والمزمار: الآلة التي يزمر بها وفي الحديث لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار والهضيم التي يزمر بها.

٢ ــ الشعر لعنترة كما في تاج العروس (هضم).

٣ــ ابنه : مدحه واثنى عليه، والتابين : الثناء على المرء بعد موته.

٤ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٥ــ رافع بن عميرة ويقال : رافع بن ابي رافع الطائي، يكنى ابا الحسن وهو كان دليل خالد بن الوليد لما سار من العراق الى الشام فسلك به البر فقطعه في خمسة ايام، وهو الذي كلمه الذئب وكان لصا في الجاهلية فدعاه الذئب الى اللحوق برسول الله صلى الله عليه وآله مات سنة ٢٣.

خمس للابل[١]، فاشترى خالد مائة شارف[٢] فعطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ثم كعم أفواهها وحمل من الماء ما قدر على حمله وسلك المفازة[٣].

فلما خاف هلاكه وهلاك جنده من العطش في الليلة الرابعة، نحر الابل واستئزف ما في بطونها من الماء وسقي الجند فقال له رافع: إن سرى تلك الليلة ربما يوصلنا الى الماء فأطاعه خالد وأذرع[٤] الليل وسرى فلما انفلق الصبح قال رافع انظروا هل ترون من بعيد سدرا عظاما، فنظروا فرأوا السدر فكبر رافع وكبر خالد ووصلوا الى الماء، فقال خالد:

لله درا رافع أنى اهتدى * فوز من قراقر الى سوى[٥]
خمسا إذا ساربه الجيش بكي * ما سارها من قبله إنس يرى
عند الصباح يحمد القوم السرى * وينجلي عنهم غيابات الكرى

يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة وقد عبر الشاعر عن معناه حيث قال:

كأنك لم تبعث من الدهر ليلة * اذا أنت أدركت التي كنت تطلب

والسرى والأسرى سير الليل خاصة؛ وهما لازمان وتعديتهما بالياء، قال الله تعالى أسرى بعبده، وقال فأسر بأهلك.

ج ـ أمر الله قضاء: أي كل ما يأمر به شرعا؛ فهو ايجاب وإلزام[٦]

١ــ اي خمس مراحل.

٢ــ الشارف: الناقة الجيسمة.

٣ــ المفازة: البرية القفر والجمع المفاوز سميت بذلك لانها مهلكة من فوز اذا مات وقيل: سميت تفاؤلا من الفوز: النجاة.

٤ــ وفي صفة صلى الله عليه وآله كان زريع المشى: اي سريع المشى واسع الخطو واذرع الليل: اسرع في المشى.

٥ــ قراقر بضم اوله وبعد الالف قاف اخرى مكسورة وراء وهو واد لكلب بالسماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند قصد الشام والسوى بضم اوله والقصر اسم ماء لبهراء من ناحية السماوة وعليه مر خالد بن الوليد ومعه دليله رافع الطائي.

٦ــ في ض: والزام يتضمن مصلحة يطابق الحكمة.

وإنما حمده تعالى على ما أخذ وابتلى لأنه تعالى اذا علم أنّ صلاح العبد في دينه الفقر أو المرض وإن ترك ذلك مفسدة في دينه ففعله نعمة إذ المصالح الدينية من أعظم النعم حمدا .

يبلغ ما أردت: مراده تعالى من المكلف أن يعبده ليستحق بعبادته الثواب .

حمدا لايحجب عنك : بأن يكون صادرا عن يقين وإخلاص وإنما يحجب الحمد وغيره من الله تعالى إذا صدر عن رياء أو فقد إيمان (وايقان[١]) .

لايقصر دونك : أي لايحبس .

(وما في الذي نرى : استفهامية وفي ما تغيب : موصولة[٢].)

لسنا نعلم كنه عظمتك : أي معلوماتك ومقدوراتك ، وما غاب عنا من عجائب صنعك ، وقد روي أن الأرضين السبع والسموات السبع وما فيهن بالاضافة إلى العرش كحلقة ملقاة في مفازة عظيمة .

الحسير: التعب والواله : المتحير والجائر: العادل .

تدعي بزعمه أنه يرجو الله أي يزعم أنه راج لله وخائف منه ، ولا يظهر لذلك علامة اذ لايطلب رضاه تعالى ، بل ينقطع إلى الدنيا وأن رجا غيره تعالى أو خافه بالغ في ذلك .

عنى بالكبير الثواب وبالصغير عرض الدنيا .

والزخرف : الزينة وروي قبض والشفيف : الرقيق ستشف ما وراه .

وشذب الشجر: قطع ما تفرق من أغصانه وجذع مشذب مقشر وتشذب مطاوعته .

---

١ ــ ساقط من ض .

٢ ــ ساقط من ض .

وسفيف الخوص نسيجه والخوص ورق النخل جمع خوصة .

ولفته عن رأيه صرفه .

والقضم: الأكل بأطراف الأسنان وروي قصم الدنيا أي كسرها وكسر شهواتها .

والخميص: الضامر البطن وكذا الأهضم لقلة الأكل .

والمدرعة: القميص اعزب : أي ابعد، والمؤمن اذا ورد عرصة القيامة سالما آمنا حمد تعبه وكلفته في الدنيا كما أن سائر الليل يحمد سيره اذا أصبح وقد بلغ المنزل.

١٥٩ ــ ومن خطبة له عليه السلام

إبْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ[١]، وَالبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي: أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ: أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ[٢] مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلاَفِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ يَبتغِ[٣] غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً تَتَحَقَّقُ شِقْوَتَهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، وَيَكُنْ[٤] مَآبُهُ إلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ؛ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً، رَهَّبَ فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَٱنْقِطَاعَهَا وَزَوَالَهَا وَٱنْتِقَالَهَا، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ[٥] فِيهَا لِقِلَّةِ مَايَصْحَبُكُمْ

١ ــ في ب ون : بعثه بالنور.
٢ ــ في م : وثمارها متبدلة في الهامش مهدلة .
٣ ــ في نسخة فمن يتبع .
٤ ــ في ب : ويكون مآبه .
٥ ــ في م وحاشية ف : يعجبكم منها .

مِنْهَا. أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سُخْطِ آللهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ آللهِ[١]! فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَآللهِ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ[٢] بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالِهَا، فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ[٣]، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَآنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ، فَبُدِّلُوا[٤] بِقُرْبِ الْأَوْلاَدِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا، لاَيَتَفَاخَرُونَ، وَلاَ يَتَنَاسَلُونَ، وَلاَ يَتَزَاوَرُونَ، وَلاَ يَتَحَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا عِبَادَآللهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ[٥]؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

١ــ في م : من رضوان فغضوا .

٢ــ في ض وح وب : لما ايقنتم .

٣ــ في م وف ون ول : زالت اسماعهم وأبصارهم .

٤ــ في م : فتبدلوا بقرب الاولاد .

٥ــ في ش : الناطق بعقله .

الشرح

قوله عليه السلام: بعثه بالنور المضي إلى آخره.

ج ــ المنهاج البادي: أي الطريق الواضح الظاهر عني به الاسلام أو القرآن؛ وأكده بذكر الكتاب بعده.

وأسرة الرجل: رهطه معتدلة: أي مستقيمة والاعتدال المطلق، والاستقامة العامة لايوجد الا في المتحلين بحلية العصمة.

متهدلة: أي متدلية أي خيراتهم للخلائـق مرسلة.

وطيبة: إسم للمدينة، وكانت قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله إياها موضع الحميات فأذهب الله منها ذلك بدعائه.

البدع المدخولة: أي المعينة.

الأحكام المفصولة: أي الشرايع المقطوعة المتروكة؛ من ملة إبراهيم.

والعذاب الوبيل: الثقيل الشديد ومرتع وبيل أي وخيم لايستمر عاقبته.

السبيل القاصد: القريب الهين السير لا تعب فيه ولا بطأ.

المنجاة: بمعنى النجاة[1] أو موضع النجاة أي تقوى الله نجاة، وطاعته موضع نجاة والدنيا أقرب دار من سخط الله، من قول النبي صلى الله عليه وآله

١ ــ في ض هنا زيادة وهي: اوصيكم بتقوى الله وطاعته فانه النجاة غدا والمنجاة ابدا اي تقوى الله وطاعته سبب النجاة في الآخرة بل هي الوصيلة والوسيلة الى النجاة على الاطلاق دنيا وآخرة واولى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ومن يتق الله يكفر عنه سيأته ويعظم له اجرا.

حب الدنيا رأس كل خطيئة.

فغضوا عنكم غمومها: أي كفوها وادفعوها.

والأوصال: الأعضاء والتحاور: المناظرة وبالجيم المجاورة.

والجدد: الأرض الصلبة يسهل فيها المشيء.

وقصد: أي مستقيم.

(ع: أظهر به الشرائع المجهولة.

أي أظهر بالنبي صلى الله عليه وآله ما لو يكن للعقل فيه مجال، وكان مجهولا من طريق العقل.

والمنجاة أبدا: أي التقوى منجاة في الدنيا والآخرة[1])

فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها (لا شك أن زينة الحيوة الدنيا غدارة خلابة[2] ولكن لايصحب الانسان منها) إلّا ما قدمه لنفسه «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا[3]» وأيضا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يصحب الانسان منها إلا قليل، وهو مأكولة وملبوسة، ويجب أن يكون إشتغاله بأسباب المعاد، ولايشتغل باسباب المعاش، إلا لطلب أسباب المعاد.

السبيل قصد: أي بين الاسراف والتقتير[4]، والقصد العدل.

* * *

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٢ ــ الخلابة: الخداعة وكان من الخلابة وهي الخداع بالقول اللطيف.

٣ ــ آل عمران: ٣٠.

٤ ــ الاقتار: التضيق على الانسان في الرزق، يقال: اقتر الله رزقه: أي ضيقة وقلله.

١٦٠ ـ ومن كلامٍ له عليه السلام

لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال:

يَاأَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ! وَلَكَ بَعْدُ(١) ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ ٱسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهٰذَا الْمَقامِ ـ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالأَشَدُّونَ بِرَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآله، نَوْطاً ـ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمُ ٱللهُ وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ * وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلاَ غَرْوَ وَٱللهِ فَيَالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ ٱللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِن يَنْبُوعِهِ. وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً. فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى

١ ــ في ر: ورُوِيَ ولكن بعد.

(فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ؛ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ).

الشرح

قوله عليه السلام: إنك لقلق الوضين الى آخره.

ع ــ الوضين: الهودج بمنزلة البطان للقتب، والتصدير للرحل والجمع وضن قال أبو عبيدة وضين بمعنى موضون، مثل قتيل بمعنى مقتول، فلان قلق الوضين اذا كان مترددا غير متمكن كان ذلك السائل من أقارب ليلى بنت مسعود بن[1] خالد وليلى كانت امرأة أميرالمؤمنين ولها من أميرالمؤمنين عبدالله وابوبكر ولذلك قال عليه لسلام:

لك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة.

السداد: بالفتح الاستقامة والصواب، وكذلك السدد مقصود منه.

والنوط: التعليق والأثرة: والاثارة البقية.

فدع عنك نهبا صيح في حجراته * ولكن حديث ما حديث الرواحل

وهو لامرء القيس[2] والنهب: الغارة، وصيح: في أي سيق.

والحجرة: الناحية: وقصة البيت أن إمرء القيس هرب من ملك العرب فاستجار رجلا من طي فاغير على ماله؛ وخرج جاره على رواحله في طلب

١ــ مسعود بن خالد النشهلي او الدارمي ولم نجد له ترجمة وقال في البحار ج ٤٢ ص٩٨ نكح علي عليه السلام ليلى بنت مسعود النشهلي قالت: مازلت احب ان يكون بيني وبينه سبب منذ رأيته فاقام مقاما من رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ــ امرؤ القيس بن حجر الكندي هو حامل لواء الشعر في الجاهلية كان من فحول الشعراء وله المعلقة المشهورة وينتهي نسبة الى قحطان ولد بديار بني اسد، واجاد وصف النساء والظباء وكان كثير التشبيب بالنساء في شعره فكان ابوه يكرهه لذلك وله اخبار كثيرة.

الابل وذهب فكان أسفه على الثاني أكثر[1].

الاود: العوج والميل حدجوا: أي خلطوا ولتتوا.

قال الامام الوبري أثرة: من الاثيار أي كانوا مختارين؛ اختارهم الخلق للامامة؛ وسمي عقد الامامة بالاختيار اثرة، لاتباع بعضهم رأي بعض.

وقوله شحت عليها نفوس قوم.

أي اختاروا الامامة واحبوها، ولما رأوا إصلاحه وسخت عنها نفوس الآخرين؛ أي أعرضوا عن الانتصاف للامامة لما لم يروا إصلاحه في ذلك الوقت.

ج ــ استأثر فلان بالشيء: استبد به؛ والاسم الأثرة (وقصة البيت أن هذا الشاعر جاور حيا من أحياء العرب فغزاهم عدوهم ورجالهم غيب فساقوا إبل القبيلة، وبعض جمالات الشاعر، فلما انصرف رجال الحي قالوا للشاعر: أعطنا جمالاتك الباقية لنركبها ونسترد الجمالات التي ساقوها، فذهبوا بالباقية واهلكوها فلما رجعوا قالوا تطبيبا لقلب الشاعر نحن نفعل كذا وكذا.

فقال الشاعر لرئيسهم ذلك البيت أي عد عن ذكر الجمال التي ساقتها الأعداء وصاحت في نواحيها؛ ولكن الشان حديث التي ركبتموها وخرجتم بها في أثرهم فما حالها، وحديثها[2]).

هلم: أي هات، ويكون لازما بمعنى تعال.

قال الأصمعي أصله لم من لمّ الله شعثه أي جمعه؛ وها للتنبيه كأنه أراد لم نفسك الينا أي أقرب وحذف ألفها لكثرة الاستعمال.

---

١ ــ في ض زيادة وهي: اراد علي عليه السلام ان المتقدمين علي في مقامي والمتغلبين على سلطاني مع سابقتي وقرابتي وعلو مكاني انما استمرا ذلك لهم لاختلاف الناس عليّ وتأخرهم عني وميلهم الى غيري مع انه انساني جميع ذلك ما عراني من امر معاوية ومنازعته اياي مع انه المائل عن الطريق.

٢ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

لاغرو: أي لاعجب وفارت القدر: جاشت ومنه الفوارة.

ووبيت الأرض: فهي موبؤة: إذا كثر مرضها ووبئ الشراب فهو وبئ اذا صار سبب الأمراض أي[1] خلطوا بيني وبينهم أمرا يكثر فساده.

* * *

١ ــ في ض: اذا صار سبب الامراض وان لم يكن الاخرى اي ان يقع الخصلة وهي استمرار المحن وعدم انجلائها فلا تهلكن نفسك حسرة واسفا على ذلك فان الله عليم باحوالهم وهو يجازيهم على سوء فعالهم.

١٦١ ــ ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ للهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِعِ الْمِهَادِ، وَمُسِيلِ الْوِهَادِ، وَمُخْصِبِ النِّجَادِ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلاَ لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ، حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ[١] مِنْ شَبَهِهَا، لاَتُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ لاَيُقَالُ لَهُ: «مَتَى؟» وَلاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى، الظَّاهِرُ لاَيُقَالُ «مِمَّا»، وَالْبَاطِنُ لاَيُقَالُ «فِيما»، لاَشَبَحٌ فَيَتَقَضَّى، وَلاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى. لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ، لاَيَخْفى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، وَلاَ كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلاَ ازْدِلاَفُ رَبْوَةٍ[٢]، وَلاَ انْبِسَاطُ خَطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ، وَلاَ غَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، فِي الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ[٣]، وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ

---

١ ــ في ف ور : ابانة لها .

٢ ــ في ك ور : رتوة .

٣ ــ في ف وم ون ول وش : في الكرور وتقليب الازمنة .

غَايَةٍ وَمُدَّةٍ، وَكُلِّ إحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الأَقْدَارِ، وَنِهَايَاتِ الأَقْطَارِ، وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ، وَتَمَكُّنِ الأَمَاكِنِ: فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ، لَمْ يَخْلِقُ الأَشْيَاءَ، مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، وَلاَ مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ(١)؛ بَلْ خَلَقَ مَاخَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ، فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، وَلاَ لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ. عِلْمُهُ بِالأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرَضِينَ(٢) السُّفْلَى.

منها: أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الأَسْتَارِ؛ بُدِئْتَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً: لاَتُحِيرُ دُعَاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا، فَمَنْ هَدَاكَ لاِجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟ هَيْهَاتَ! إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ؛ وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

---

١ ــ في ب: ولا اوائل ابدية.

٢ ــ في ب الارض السفلى.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله خالق العباد إلى آخره.

ع ــ أصل الخلق؛ التقدر قال زهير:

ولانت تفري ما خلقت * وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

والله تعالى خالق لأنه قدر الأشياء كلها ثم أمضاها؛ وهو الخالق في ابتدائه الخلق والخلائق في تتميمه إياه إلى آخر الدهر بعلم وحكمة وصلاح.

والخالق: المقدر بعلم كامل؛ ولا يقال للانسان الخالق لأن العاملية الحقيقية لله تعالى لا للعباد؛ لذلك قال تعالى: هل من خالق غير الله[1].

الوهدة: المكان المطمئن؛ والجمع وهدو وهاد[1].

وهو تعالى أول: لأنه لم يزل قبل كل شيء فاحدث الأشياء بعد أن لم يكن.

حد الأشياء عند خلقه إبانة لها من شبهها.

يعني ميز بين الأشياء بالفصول الذاتية والخاصية ليبين النوع من النوع وبالعوارض ليبين الصنف بعضه من بعض.

لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والأدوات.

---

١ ــ في ض هنا اضافة وهي: اي يجرى السيول في الغدر والغيطان والاودية وتنبت العشب في التلال واعالى الامكنة والنجد اجمع نجد ويجمع على نجود وهو ما ارتفع من الارض ليس لاوليته ابتداء ولا لازليته انقضاء لانه الواجب الذات بالذات المتعالى عن عوارض التغيير والواجب مطلقا المتعالى عن مسارقة الزمان لا يتصور له اول ولا آخر.

أي لا يقدر الأوهام بالحدود المكانية والزمانية .

لايقال له متى : لأن الأوقات محدثة، فلا يصحب إلا الحوادث، واذا كان الله قديما فلا تعلق بينه وبين الاوقات، ولا يجوز أن يقال : متى كان الله لأنه لفظ لوقت معين فلا مدخل له في صفات الله تعالى .

كذلك حتى : لفظ لوقت مستقبل الظاهر، لايقال : مما لأنه ظهر من كذا إذا كان ذلك[١] ظرفا لما ظهر إما ظرف مكان أو ظرف زمان أو صدر من جهة فاعل تعالى الله عن جميع ذلك علوا كبيرا .

والباطن لايقال فيما : لأنه إنما يخفى الشيء في غيره فيكون باطنا فيه إما بالمجاورة[٢] ثم يظهر منه، فكما لايقال ظهر من كذا لايقال بطن في كذا لأن أحدهما يتبع الآخر في الجواز والامتناع .

لاشبح فينقضي : أي ليس بجسم فينتهي قواه، وقد تقرر في الأصول أنه ما من جسم إلا وينتهي قواه ويفنى .

ولا إزدلاف ربوة، الربوة : المكان المرتفع[٣] وروي رتوا بالتاء أي خطوة .

من صفات الأقدار: أي من المقادير.

والتأثيل، التأصيل يقال مجد موثل وأثيل (قال امرئ القيس[٤])

---

١ ــ في ض : اذا كان ذلك الشيء ظرفا .

٢ ــ في ض : اما بالمجاورة او الحلول .

٣ ــ في ض هنا زيادة وهي : الربو النفس العالي و بالتاء الخطوة تفيا ينقلب بعقبة تنو به وروى تعقبه اي تاتي بعده .

٤ ــ بين الهلالين ساقط في ض و بعده زيادة على سائر النسخ وهي : لم يخل الأشياء من اصول ازلية ولا من اوايل ابدية هذا بيان صحيح ورد صريح على اصحاب الهيولي والعناصر من الملاحدة وعلى المتقفين لآثارهم اللافظين سقاطة الفاظهم الداخلين في غمار جهالاتهم وغيابة عما ياتهم من مثبتي الذات ازلا متميزات و بصفات اجناسها متصفات

←

ولكنما أسعى لمجد موثل ٭ وقد يدرك المجد الموثل امثالي

لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية: في العدم اذ بعض الشيء لا يخالف بعضه في صفة ذاته وأن كانت الفروع محدثة، فلابد من محدث لها فان كان محدثها، هو الله تعالى فاضافتها اليه تعالى أولى من اضافتها إلى الأصول لأن تعلق الفعل بفاعله أحق بمن تعلقه بغيره وإن كان محدثها هي الأصول.

فان كانت مختارة فهي الفاعل، وإن كانت موجبة فالفروع مع الأصول قديمة لأن الموجب لاينفك عن الموجب.

لاتحير دعاء: أي لاتجيب إن من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات، فهو عن صفات خالقه أعجز، في الاعتراف بالعجز عن إدراك هذه المعاني تفاوت عظيم، ولعل النفس الانسانية اذا استغرقها العجز عن إدراك كمال العجز، فقد صارت مدركة للعجز من طريق المعرفة لامن طريق المقدمات.

قيل العجز عن درك الادراك ادراك، وقيل من عرف الله كلّ لسانه، والله تعالى محيط بالعقل، وفوق العقل، فكيف يتصور أن يحيط العقل به، وبصفاته وإحاطة الجزء بالكل في غاية البعد، و من قصر فهمه عن إدراك هذا العجز فهو لقلة استعداده لادراك عجزه وليس لقصوره مستند الا غروره وعجبه.

ج ــ سطح الأرض: أي بسطها، والمهاد: الفراش وعني به الأرض هنا

ياعيانها ثابتات وفي ثبوتها واتصافها بصفاتها عن المؤثر فاتيات وعن تعلق اقتدار القادر القديم بحقائقها نفيا واثباتا وتحقيقا وابطالا ممتنعات حتى عدوا في زمرة اولئك الاوائل المتقدمين بتلك الأعاليل والأضاليل والجهايل استاصل الله شاقة الزنادقة المتفقهين وأخبث جرائيم الضالين المضلين

وقت في اعضاد المنحرفين المماذقين العابثين غنت الذين اجمعين وقد استقصيت في ابطال شبههم و بالغت في تلخيص الادلة في رسالتي الموسومة بالبراهين الجلية في ابطال الذوات الازلية فمن احاط بذلك علما فاز بالقدح المعلى حقا.

لسهولتها تحت الناس.

الأوهام: الظنون ويكون الوهم بمعنى الشك ويكون ظنا لايكون مظنونه عليه.

وشخوص لحظة: أي ارتفاعها وشخص بصره شخوصا إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف

والازدلاف: التقدم.

يتفيأ: أي يتقلب تعقبه: أي تنوبه وروي يعقبه أي تأتي بعده.

والقطر: الجانب وتأثل مالا: أي عقده للانتفاع به.

لم يخلق الأشياء من أصول أزلية.

اشارة إلى بطلان القول بالهيولى، وإنما قال:

بدئت من صلالة من طين:

لأن أصل الناس من التراب، وهو آدم عليه السلام ولأن النطفة التي خلق منها كل انسان اصلها من التراب لأن غذاه الذي هو الحبوب منها.

* * *

١٦٢ ــ ومن خطبة له عليه السلام

لما اجتمع الناس عليه وشكوا مما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال:ـ

إنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدْ آسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، ووَٱللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى[١] أمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ، إنَّكَ لَتَعْلَمُ مَانَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلاَ خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبْلِغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رسول الله كَمَا صَحِبْنَا، وَمَا آبْنُ ابي قُحافَةَ وَلاَ ابْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ[٢] الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إلَى رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وَشِيجَةَ[٣] رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ، فَالله ٱللهَ فِي نَفْسِكَ فَإنَّكَ، وَٱللهِ، مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ. فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ ٱللهِ عِنْدَ ٱللهِ إمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإنَّ السُّنَنَ[٤] لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ،

---

١ ــ في ب: على شيء لا تعرفه.
٢ ــ في ح ول: بعمل الخير.
٣ ــ في حاشية ش: وشيجة قرابة.
٤ ــ في م: وان السنن لكثيرة.

وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ. وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً، وَإِنِّي سَمِعْتُ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ، يُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى: ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا، وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللهَ أَنْ لاَتَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُلْبِسُ أُمُورَها عَلَيْهَا، وَيُثَبِّتُ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرَجُونَ فِيهَا، مَرْجاً، فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ، وَتَقَضِّي الْعُمُرِ!!

فقال له عثمان رضي الله عنه: كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام:

مَاكَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

الشرح

قوله استسفروني: أي جعلوني سفيرا ورسولا.

ما أعرف شيئا تجهله: أي شاهدت ما شاهدته، من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وعدل، ومعايشه مع الأمة، وانه كان يقسم بالسوية[1] ويقوم

١ ــ في ض: فلا استحقاق ولم يرد عليه السلام بذلك التسوية في العلوم لتحقق انه مبرأ من المين.

المسلمين بلا استحقاق ولم يرد عليه السلام بذلك التسوية في العلوم لتحقق انه كان مبدأ من الميز والمين. وقد يطلق اللفظ ويراد به المخصوص بقرينة الحال والقال.

بالحق في الرعية غير كلف بأقاربه ولا يفضل إياهم على غيرهم من المسلمين، وقد يطلق اللفظ ويراد به المخصوص بقرينة الحال والقال.

الوشيجة: عرق الشجرة.

يمرجون: أي يخلطون سيقة: أي مسوقة.

قوله عليه السلام في خلقه الطاوس.

ع ـ الطوس: القمر وطاس يطوس طوسا حسن وجهه، والطاوس في كلام أهل الشام الجميل من الرجال وسمي هذا الطائر طاووسا لحسنه.

والعبالة: الضخامة أراد مثل النعام والطيور الكثيفة ودفيف الطائر: مره فويق الارض والمطل: المشرف قال الشاعر:

أنا البازي المطل على تمير[1]

القلع: الشراع[2] الداري مهموز الذي يطرأ عليك[3] من مكان، والبعير الذي بحلقه وصدره خراج، والداري: الدافع عن نفسه الشيء الداري بتشديد الياء منسوب الى دارين فرضة[4] بالبحرين وفيها سوق يحمل اليها المسك والثياب المصبوغة من بلاد الهند أراد شراع داري.

* * *

١ ـ الشعر لجرير كما في تاج العروس (طلل) وتمامه:

انا البازي المطل على نمير ... اتحت من السماء لها انصبابا

٢ ـ شراع السفينة بالكسر: ما يرفع فوقها من ثوب لتدخل فيه الريح فتجريها.

٣ ـ طرأ: ورد وأقبل يقال طرأ يطرأ مهموزا اذا جاء مفاجأة.

٤ ـ دارين: فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند والنسبة إليها دراي.

١٦٣ ــ ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ، فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَاذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الأَطْيَارِ، الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِيَ أَعْلاَمِهَا، مِنْ ذَوَاتِ[1] أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، وَمُرَفْرِفَةٍ، بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِجِ وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ، كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي[2] الْهَوَاءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً، وَنَسَقَهَا عَلَى ٱخْتِلاَفِهَا فِي الأَصَابِيغِ، بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ، لَوْنٍ لاَيَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَاغُمِسَ فِيهِ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ

---

١ ــ في ض وح وب : من ذات اجنحة.

٢ ــ في ف ون وم : في السماء.

طُوِّقَ بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ، إِذَا دَرَجَ إِلَى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ، كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ، يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمُلاَقَحَةٍ (أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ للضِّرَابِ[1]) أُحِيلُكَ مِنْ ذلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ، لاَ كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ؛ وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَنْسِجُها مَدَامِعُهُ[2]، فَتَقِفُ فِي ضِفَّتَيْ جُفُونِهِ، وَإِنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لاَ مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِس لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهِ مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَد؛ فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ قُلْتَ: جَنًى جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ؛ وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلاَبِسِ، فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ مُونِقِ[3] عَصْبِ الْيَمَنِ؛ وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِي، يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ[4] ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَال

١ــ ساقطة من ف ون وش وفي ب : المغتلمة في الضراب .

٢ــ في ض وم ون وح : تسفحها مدامعه وفي ك : و بخط الرضى : تنسجها وفي ل : تنشجها .

٣ــ في ض وح : كمونق .

٤ــ في م : يتصفخ .

سِرْبَالِهِ، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ.

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً (بِصَوْتٍ[١]) يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ. وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ؛ لأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلاَسِيَّةِ، وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ، وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالإِبْرِيقِ؛ وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَال، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ[٢] بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ[٣] وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ موقَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الأُقْحوَانِ، أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلاَهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلاَ شُمُوسُ قَيْظٍ، وَقَدْ يَتَحَسَّرُ[٤] مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ ٱنْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الأَغْصَانِ ثُمَّ يَتَلاَحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ؛ لاَ يُخَالِفُ سَالِفٌ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلاَ يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ. وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً، وكيف

١ــ ساقط من ب.

٢ــ في ف وم ع متقنع

٣ــ في ف لكثرة ما به

٤ــ في ك وح : قد ينحسر

تَصِلُ(١) إلَى صِفَةِ هٰذا عَمَائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ وَأَقلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَلْسِنَةُ أَنْ تَصِفَهُ؟! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ، عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً؛ وَأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تأْدِيَةِ نَعْتِهِ. وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إلَى مَافَوْقَهَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيلَةِ(٢) ؛ وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لاَيَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إلا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

منها في صفة الجنة:

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفَتْ(٣) نَفْسُكَ مِنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا؛ وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ، فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ

١ــ في ض وب وح ول وش : فكيف تصل .
٢ــ في ش : والا فيلة
٣ــ في ض وب : لغرقت وفي ب :لغرقت من بدائع .

الْكَرَامَةُ تَتَمَادَي بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ آسْتِعْجَالاً بِهَا، جَعَلَنَا آللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

الشرح

العنج: ضرب من رياضة البعير يجذب الراكب خطامة فيرده على رجليه، وقد عنجت البعير أعنجه: بالضم والاسم منه العنج بالتحريك، وفي المثل عود تعلم العنج.

والنوتي: الملاح وزاف البعير يزيف: أي تبختر في مشيته: وكذلك الحمام عند الحمامة اذا جرّ الذنابي ودفع مقدمه ومؤخره واستدار عليها وناقة زيافة أي مختالة قال الشاعر:

زيافة مثل الفتيق المكدم.

وأفضى الرجل إلى المرأة: باشرها والأرّ: الجماع.

مطاعمة الغراب: سفاده على وجه يشبه المطاعمة كما ذكر في كتاب الحيوان.

المداري: شيء كالمسلة[١] تصلح به الماشطة قرون النساء.

الفلذة: القطعة من الكبد واللحم والمال، الجمع فلذ.

وأحمش الساقين: دقيقهما.

١ ـــ المسلة بكسر الميم ابرة عظيمة.

وأخلس النبات: اختلط رطبه ويابسه وأخلس رأسه أي خالط سواده البياض ومن ذلك الخلاسية[١].

والوسمة بكسر السين العظلم، الذي تختضب به.

والبصيص: البريق، وأربت السحابة أي دامت، وربَّ الصنيعة أي أصلحها وأتمها.

ودمج الشيء دموجا: اذا أدخل في الشيء واستحكم فيه، وأدمجت الشيء لفقته في ثوب والشيء المدمج المدرج مع ملابسة.

والوأي الوعد.

يضطرب شبح مما اولج فيه الروح: أي له حركات إرادية نفسانية.

عزفت نفسي عن الشي عزوفا أي زهدت فيه، وانصرفت عنه، وعزفت نفسك زهدت.

الكباسة: بالكسر العذق[٢] وهو من التمر بمزلة العنقود من العنب.

العسلج والعسلوج، بالضم مالان واخضر من قضبان الشجر والكرم أول ما ينبت.

ج ــ خلفا: مصدر من غير لفظ الفعل المتقدم او نصب على التميز أراد بالعقول: العقلاء.

نعقت: صاحت، والأخدود شق في الأرض مستطيل.

الفجاج: الطرق الواسعة بين الجبلين.

ورفرف الطائر: حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه.

والعبالة: الغلظة والخفوف النهوض.

والتنضيد: مبالغة النضد وهو وضع المتاع بعضه على بعض.

---

١ ــ صبي خلاسي: اذا كان بين ابيض واسود.

٢ ــ العذق بالفتح: النخلة.

والقصب: أنابيب من جوهر وثياب كتان دقاقا أيضا.

ودرج: أي مشى واشرجت العيبة:(١) اذا دخلت بين أشراجها.

وتسفحها: تصبها وبخط الرضي تنسجها، وروي تنشجها، والنشج الشرب دون الري.

الدمع المنبجس والمتبجس الذي يجيء قليلا قليلا والدارة: في الأصل الهالة(٢) واستعمالها هنا مجاز.

والعقبان: الذهب ضاهيته: شبهته.

والعصب: نوع من الثياب واللجين: الفضة.

والنطاق: شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها، ثم ترسل الاعلىٰ على الأسفل إلى الركبة والأسفل ينجر على الارض، ونطقت أي شدت عليها ذلك.

المدري: القرن والمكلل الذي أدبر عليه بما يرفعه من الاكليل وروضة مكللة أي حفت بالنور.

ويتصفح ذنبه: أي ينظر اليه زقا: صوت معولا: باكيا مع حزن.

الديك الخلاسي: الذي بين الأهلي والهندي، ويقال ذلك لكثير من الحيوانات قاله أبوعثمان(٣) الجاحظ.

ونجمت: اي طلعت وصيصية الديك: الشوكة التي في رجله والقنزعة: الشعر حوالي الرأس.

١ـ الشرجة: مسيل الماء من الحرة الى السهل، والعيبة زبيل من ادم محركة ينقل فيه الزرع المحصود الى الجرن في لغة همدان.

٢ـ الهالة: دارة القمر كالطفاوة لدارة الشمس.

٣ـ ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ الليثي البصرى اللغوي النحوي كان من غلمان النظام: طال عمره واصابه الفالج في آخر عمره، وله كتب وآثار منها البيان والتبيين والرسائل والحيوان، مات سنة ٢٥٥ وكان موته لوقوع مجلدات من الكتب عليه.

والوسمة: بكسر السين النبت الذي يصبغ به يقال له بالفارسية نيل وتسكنها لغة ولا يضم الواو[١].

والمتلفع: المتلحف وروي متقنع بمعجر، وهي ما تشد المرأة على رأسها.

الأسحم: الأسود ومستدق القلم بكسر الدال القلم الدقيق وهو إضافة الصفة إلى الموصوف وبفتحها حيث يدق من القلم، وهو سنانه.

والاقحوان: البابونج ووزنه افعلان والجمع اقاح وابيض يقق شديد البياض خالصة، وبعض النحويين يجعل يقق غير متصرف لوزن الفعل والصفة.

يأتلق: يلمع يربها أي بجمعها والقيظ شدة الحر.

وينحسر من ريشه ينكشف لسقوطه روي يتحسر، وجرى الطير تحسيرا سقط ريشها، وتحسر وبر البعير سقط.

وتتري: ينون ولا ينون مثل علق، فمن لم يصرفها في المعرفة جعل ألفها للتأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر، يقال تواترت الكتب أي جاء بعضها في اثر بعض، ومن نونها جعلها ألف الالحاق.

وتنحت: يتساقط والعسجد: الذهب والعمايق: الأشياء البعيدة القعر.

والقريحة: الخاطر والذهن وبهر: أي غلب وجلاه: بالتخفيف أي صقله وبالتشديد للتكثير، والأظهر أنه من جلوت العروس الى زوجها ولزوجها.

والهمج: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها.

وتصفيق الشراب: تحويله من أناء إلى أناء للتصفية.

---

١ ــ في ض: وهو الظلم.

١ ــ في ض: في مواضع كثيرة.

وروقت الشراب: صفيته وهجم عليه فاجأه، المؤنقة المعجبة، وزهقت نفسه: هلكت.

* * *

١٦٤ ــ ومن كلامٍ له عليه السلام

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لاَ فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ(١)، وَلاَ عَنِ ٱللهِ يَعْقِلُونَ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ: يَكُونَ كَسْرُهَا وِزْراً؛ وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً!!

ومنه: ٱفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ: فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ؛ عَلَى أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ ٱللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ(٢) رُكاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ(٣) لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَّةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ، وَلاَ حِدَابُ أَرْضٍ، يُذَعْذِعُهُمُ ٱللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ؛ وَآيْمُ ٱللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ(٤)، كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

---

١ ــ في ع : لا يتفقهون في الدين .

٢ ــ في ح : ثم يجمعهم ركاما .

٣ ــ في ض وح وب : ثم يفتح الله لهم .

٤ ــ في حاشية ن : بعد التمكن .

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا[١] عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لٰكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ!! وَلَعَمْرِي[٢] لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ!! وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الإعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ

الشرح

قوله عليه السلام: ليتأسّ صغيركم بكبيركم.

ع: ولا عن الله يعقلون:

أي لايعقلون معنى أمره ونهيه، وذلك لأن الغرض المقصود من العقل تمييز الحق من الباطل، فمن لم يميز بينهما فهو كمن لايعقل، وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ليس العاقل من عقل ديناره ودرهمه، إنما العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، ولذلك سمى الله الكفار والجهال صما وبكما وعميا. ونفى عنهم العقل في وصفه لهم بأنهم لايعقلون في كثير من المواضع[٣].

كقيض بيض في أداح: قيل: هذا تشبيه بتقويم الجاهل، فان الجاهل الجاني عن الحق المعاند أو المتعنت الذي لايرجى له ارعواء مثله كالبيض

١ــ في ب: ايها الناس لم تخاذلوا.

٢ــ في ش: فلعمري.

٣ــ في ض: في مواضع كثيرة.

في أذاحـــي اذا سلمت من الكسر والفساد أخرجت حيوانا مضرا مفسدا وإن كسرت إتقاء لما يعقب من الشركان كسرها إثما فكذلك إذا قـوّم الجاهل، واعيد الى العلم.

أخلاق العقلاء في الاهتداء والاستقامة لم يكن كذلك ولم يجز عليه اختيارا فلا وجه إلا أن ينفى عن الأرض بالقتل والاهلاك ، ولايخلو ذلك عن الا ثم والتعدي، والظلم، فيصعب في مثل ذلك مراعاة الحدود، وإن ترك على حاله أدّى ذلك الى فساد عظيم إما من جهته أو ذريته أو من حوله ومن أتباعه.

قد نبه الله تعالى على ذلك حيث قال: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله[١] ـ ورد الآية في قطاع الطريق، نبهت على حكم الجناة الذين كانوا دونهم على حسب جناياتهم.

القزع: قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة، قال الشاعر:

كان رعاله قزع الجهام[٢].

والرضّ: الدق الجريش[٣] والحداب: جمع الحدب وهو ما ارتفع من الأرض قال الله تعالى: «وهم من كل حدب ينسلون»[٤].

وزعزعت الشيء فتزعزع: أي فرقته فتفرق.

وأيم الله ليذوبن ما في أيديهم بعد العلو التمكين كما تذوب الألية على النار.

---

١ ــ المائدة : ٢٣.

٢ ــ في تاج العروس (قزع) قال ذو الرمة يصف ماء في فلاة :

ترى عصب القطا هملا عليه ... كأن رعاله قزع الجهام

٣ ــ الجرش : صوت يحصل من اكل الشيء الخشن ، والدق : بمعنى الدقيق وهو الطحين.

٤ ــ الانبياء : ٩٦.

هذا إخبار عن انقراض دولة بني مروان[١] وفناء رجالهم وأموالهم كما حكي أنه لما صفا الأمر لعبد الله أبي العباس السفاح[٢] الملقب بابن الحارثية مضى إليه سديف بن ميمون[٣] الشاعر وكان من موالي بني عباس، فلما سلم عليه بالخلافة وسمع الجواب قال سديف: قلت كثيرا اللهم قد استحصد زرع الباطل واستوثق طريده فأتيح[٤] له يد الحق تهشم سوقه[٥] وتستأصل شأفته وعروقه، والآن استجاب وله الحمد، وهو أرحم الراحمين.

ثم نظر ووجد بني أمية جلوسا بين يدي السفاح وأبو الغمر عمرو بن هشام بن عبدالملك معه على السرير فاستأذن في الانشاء فاذن له فانشأ قصيدة سنية منها:

ولقد سأءني وساء سؤالي * قربهم من منابر وكراسي

---

١ ــ بنو مروان اولاد مروان بن الحكم الذين اخذوا الخلافة بعد يزيد بن معاوية، واولهم مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان مروان اول من أخذها بالسيف كرها بغير رضا من عصبة من الناس وكان أول من بايعه أهل الأ ردن وتمت بيعته

هلك مروان في سنة ٦٥ وبويع لابنه عبد الملك ثم ولى ابناءه واحدا بعد واحد، وكان آخرهم مروان بن محمد بن مروان بويع له في سنة ١٢٧، وقتل ببوصير من قرى الفيوم بمصر، وكان مدة خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر، وبقتله انقضت دولة بني امية.

٢ ــ ابو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالسفاح أول خلفاء بني العباس بويع له بالخلافة في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢ وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ومات بالانبار في مدينته التي بناها في شهر ذي الحجة سنة ١٣٦.

٣ ــ سديف بن اسماعيل بن ميمون كان شاعرا مفلقا، اديبا بارعا خطيبا مصقعا وكان مطبوع الشعر، وزعم المدائني انه مولى بني العباس وشاعرهم، ولما تناهت ايام بني امية وافضت الخلافة إلى بني العباس اتصل الخبر بسديف وذهب إلى السفاح وهنأه بالخلافة وصار عنده مقربا.

٤ ــ اتاحه: هيأه وقدره يقال: اتاح الله له الشر: أي قدره.

٥ ــ تهشم الشيء: تكسر من يبسه والهشم: الكسر، والسوق بفتح السين والواو طول الساق.

فاذكروا مصرع الحسين وزيـد * وقتيل بجانب المهراس(١)
والقتيل الذي بحرّان أضحى * ثاويا رهن غربة وتناس
ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحزّ المواس
انزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والا تعاس.

فعملت كلمته في السفاح جدا فقال الحاضرون من بني أمية: إنه أعرابي(٢) جلف ما يدري ما يخرج من فيه،فقال السفاح: انصرفوا واحضروا غدا بأهلكم آجمعين حتى يجيزكم أميرالمؤمنين فاجتمعوا اليوم الثاني، وقدامهم أبو الغمر عمرو بن هشام وكان رئيسهم فدخلوا وكان فيهم رجل كلبيّ من أخوالهم منعه حاجب السفاح عن الدخول.

فصاح الرجل وقال: يا أبا الغمر قد منعت من الدخول فانصرف أبو الغمر ليدخله معه، فقال الحاجب للكلابي: لا تدخل يا مسكين فلم يقبل ودخل، فلما استقرّ بـهم المجلس، وجلس أبوالغمر مع السفاح على السرير قام سديف فانشأ قصيدة أوّلها:

عمنا العدل فاستنار مضيا * اذا رأينا الخليفة المهديا

فلما انتهى إلى قوله:

لايغرنك ما ترى من رجال * إن بين الضلوع داء دويا
فخذ السيف واترك السوط حتى * لايرى فوق ظهرها أمويا

فاغتاظ السفاح وقال أبو الغمر: اسكت يابن الزانية فازداد حنق

١ ـــ المهراس بكسر اوله وسكون ثانيه وآخره سين مهملة موضعان احدهما موضع باليمامة والثاني ماء بجبل احد وروى ان النبي صلى الله عليه وآله عطش يوم احد فجاء علي عليه السلام وفي درقته ماء من المهراس فعافه وغسل به الدم عن وجهه والمقصود من قتيل المهراس حمزة بن عبد المطلب الشهيد في وقعة احد عند ماء المهراس المذكور.

٢ ـــ في ض: اعرابي حلف.

السفاح فقال سديف: تمنيت بطن الشن[١] الذريس، فنظر السفاح الى رجال خراسان وهم وقوف بالأعمدة بين يديه فقال لهم بالفارسية دهيد[٢] فضربوهم بها حتى قتلوهم.

فلما انتهت النوبة الى الكلبي الفضولي، قال لست منهم فقيل كذبت تشبهت بهم فقتل أيضا وأخذت أرجلهم، وجرت وأبوالغمر مع السفاح على السرير، فالتفت السفاح الى أبي الغمر وقال: ما أحسبك تستلذ العيش بعدهم، فقال: نعم، فأومأ بأن يضرب ولحق بالقوم ففعل ذلك وجر برجله أيضا وأمر بالانطاع فبسطت عليهم، ودعا بالطعام وجلس على الأنطاع وأكل وكان فيهم من يأنّ ومن القوم من تحرك رجليه وهو يأكل فوقهم.

ثم أمر بصلبهم في البستان[٣]، فلما كان بعد يوم أو يومين صارنتن جيفهم يؤذي من في المجلس، فقيل له: يا أميرالمؤمنين لو أمرت بدفنهم أو تحويلهم لكان خيرا، فقال: هذه الرائحة أزكىٰ في خياشيمي من المسك الاذفر[٤] الآن سكن به غليلي[٥] وأطفأ نايرة المروانية حتى لم يبق منهم إلا شرذمة بناحية المغرب بكورة قرطبة[٦] ونواحي الاندلس، وقتل مروان بن محمد وجز رأسه ووضع بين يدي السفاح في طشت فجاءت هرة وأقلعت عن فمه لسانه وأكلته.

---

١ ـ الشنة: القربة الخلق الصغيرة.

٢ ـ دهيد: كلمة فارسية يعني اضربوهم واقتلوهم.

٣ ـ البستان: فارسية ومعناها الحديقة والروضة.

٤ ـ مسك اذفر: أي طيب الريح والذفر بالتحريك: يقع على الطيب والكريه.

٥ ـ الغليل: العطشان عطشا شديدا.

٦ ـ قرطبة بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء والباء الموحدة كلمة رومية وهي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها وكانت سريرا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني امية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع وبينها وبين البحر خمسة أيام.

تعجب الناس من ذلك: فقالوا هذا لسان كانت الأوامر والنواهي في مشارق الأرض ومغاربها صادرة عن هذا اللسان والآن هذا اللسان في فم هرة تمضغه فاعتبروا يا أولي الأبصار وهذا معنى قول أميرالمؤمنين كما تذوب الألية على النار.

قتل مروان بن محمد في نواحي مصر ومعه خمس مائة ألف فارس وراجل رجل كوفي كان يبيع الخبز على رأسه فعرف ذلك الخباز مروان بن محمد في ليل داج وهو يعبر جيوشه فأخذ لحيته وجزّ رأسه وحمله الى علي بن عبدالله بن العباس، ثم إلى أبي العباس السفاح.

قوله تهتم متاه بني إسرائيل:

بنواسرائيل تحيروا في تيههم أربعين سنة، لأنهم قالوا لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون، قال: فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون[1].

ليضعفن لكم التيه من بعدى أضعافا.

أراد به ملك بني أمية فان مدة ملكهم كانت مائة وعشرين سنة (وتلك المدة اضعاف الأربعين لأن ضعف الأربعين هو ثمانون واضعافه مائة وعشرون).

إن اتبعتم الداعي لكم: عني به نفسه ومن يقوم مقامه.

العسف والاعتساف والتعسف: الأخذ على غير الطريق.

وفدحه أمر: أي غاله وبهظه.

ج_ ليتأسّ صغيركم: أي ليقتد من ترى صغر منزلته في العلم والعمل بمن له مثابة عالية فيها دنيا وليرحم كل من له جاه و منزلة في الدنيا بالأموال

---

١ ــ المائدة: ٢٦.

والقوة كل من دونه.

والقيض: ما تفلق[1] من قشر البيض الأعلى.

الأدحى: النعامة الموضع الذي تفرخ فيه أفعول من دحرت أي بسطت لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش والتقديرهم كقيض أو أنتم كذلك.

وحضن الطائر بيضته يحضنه: أي ضمه إلى نفسه تحت جناحيه.

الوزر: الاثم والثقل المتراكم: المتراكب المجتمع والقارة: الاكمه السنن: الطريقة.

ورصصت الشيء؛ ألصقت بعضه ببعض، ومنه مرصوص.

واستثار الشيء؛ أزعجه وأنهضه، والمستثار الموضع والمصدر والتيه: التحير.

قال الخليل[2]: التضعيف: أن يزاد على اصل الشيء فيجعل المثلين أو أكثر، وكذلك الاضعاف والمضاعفة.

سيجمعهم: الضمير للذين اجتمعوا مع أبي مسلم في هلاك بني أمية من مستثارهم: أي أوطانهم التي أزعجهم بنو أمية إليها.

كسيل الجنتين: هو سيل العرم المذكور في القرآن وقال تعالى: جنتان عن يمين وشمال، وقصة ذلك مستقصى في التفاسير.

* * *

١ـ الفلق: الشق.

٢ـ الخليل بن احمد الفراهيدي البصري أبو عبد الرحمان صاحب العربية والعروض قال السيرافي: كان الغاية في استخراج مسائل النحو وهو اول من استخرج العروض وحصر اشعار العرب وعمل كتاب العين المعروف في اللغة وكان من الزهاد والمنقطعين الى الله توفي سنة ١٧٥.

١٦٥ ـ ومن خطبة له عليه السلام

في أول خلافته

إنَّ ٱللهسبحانه[١] أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا؛ الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ! أَدُّوهَا إِلَى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ (وَأَحَلَّ حَلاَلاً غَيْرَ مَدْخُولٍ)[٢] وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا؛ وَشَدَّ بِالإِخْلاَصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلاَ يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ، بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ[٣] أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا!! فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. ٱتَّقُوا ٱللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤولُونَ حَتَّى عَنِ البقاع[٤] وَالْبَهَائِمِ، وَأَطِيعُوا[٥] ٱللهَ وَلاَ

١ ـ في ب : ان الله تعالى انزل وفي ح : ان الله سبحانه وتعالى انزل .

٢ ـ ساقطة من ن وف ول وش .

٣ ـ في ك : فان الباس امامكم .

٤ ـ في ع : مسؤولون عن البقاع .

٥ ـ في ش : اطيعوا الله .

تَغْضُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا.

ج: أي ميلوا واعرضوا عن طريق الشر تعدلوا.

الفرائض: أي الزموا الفرائض[١].

إن الناس أمامكم: أي ماتوا أمامكم، وهم كالمنتظرين لكم وروي فان البأس، والبأس العذاب والشدة.

ع ــ فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم.

التصرف في البقاع من طريق الرياء والسمعة حرام، كما ذكره النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع وفي البهائم على خلاف ما جوّزه الشرع حرام، لايلام الأنعام والبهائم أعواض[٢] كما ذكر في الكتب الأصولية لذلك قال مسؤولون عن البهائم.

* * *

١ ــ في ض: الزموا الفرائض وادوا الفرائض حذف الفعل لان ما بعده يفسره.

٢ ــ في ض: اعراض.

١٦٦ ـ ومن كلامٍ له عليه السلام

بعد ما بويع بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابه: لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان؟ فقال عليه السلام

يَا إِخْوَتَاهُ؛ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَاتَعْلَمُونَ، وَلٰكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ؟ وَهَاهُمْ هٰؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُبْدَانُكُمْ، وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ، يَسُومُونَكُمْ مَاشَاءُوا، وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ؟ وَإِنَّ هٰذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّةً، إِنَّ النَّاسَ مِنْ هٰذَا الأَمْرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى هٰذَا وَلاَ هٰذَا.[1] فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمِحَةً، فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مُنَّةً وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً، وَسَأُمْسِكُ الأَمْرَ مَا ٱسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ.

---

١ ــ في ض وب : لا ترى هذا او لاذاك وفي ل وش : لا هذا ولا هذا.

الشرح

قوله عليه السلام: إني لست أجهل ما تعلمون الى آخره.

ع ــ ثارت: أي ظهرت وخرجت، وأراد بالعبدان: انصارهم وخلطاءهم من الأعراب الذين كانوا في حدود المدينة[١].

إن هذا الأمر أمر جاهلية.

قال أبو حاتم الرازي[٢] في كتاب الزينة: الجاهلية جاهليتان، جاهلية كفر وهي التي كان عليها أهل الجاهلية قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، لجهلهم بأمر الاسلام، وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله فهذه هي الجاهلية الجهلاء، والجاهلية الأخرى وهي التي عليها أصحاب الأهواء والضلالات ممن هو في جملة المسلمين لايستوجبون اسم الكفر بسبب إقرارهم برسول الله وقبولهم الشريعة ويستوجبون اسم الجهل لأنهم ضلوا عن حقائق السنن.

---

١ ــ في ض: هذا على رواية من روى اعرابكم والمشهور اغراركم جمع الغر وهو الغمر الجاهل المغفل والخلال الوسط يسومونكم يكلفونكم.

٢ ــ محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي أبو حاتم الرازي الحافظ الكبير، أحد الأئمة، رُوِيَ عن محمد بن عبد الله الأنصاري وعثمان بن الهيثم وعفان ابن مسلم وغيرهم، ورُوِيَ عنه أبو داؤد والنسائي وابن ماجة

قال الخطيب: كان احد الأئمة الحفاظ الاثبات مشهورا بالعلم مذكورا بالفضل قال ابن ابي حاتم: سمعت أبي يقول: اول سنة خرجت في طلب الحديث اقمت سنين احسب ومشيت على قدمي زيادة على الف فرسخ مات في شعبان سنة ٢٧٧.

قال الله تعالى: تبرجن تبرج الجاهلية الاولى، فلما جعلها أولى دل على أن هناك جاهلية أخرى وقيل الجاهلية الاخرى التي اخبر عنها أميرالمؤمنين هي جاهلية ضلال لا جاهلية كفر والجاهلية نعت للخصلة والغفلة التي اجتمعت عليها امة من الناس كما قالوا المجوسية واليهودية، والنصرانية والفرق بين الجاهلية والجهل أن الجاهلية يكون بأمة من الناس يقال لهم اهل الجاهلية والجهل تنفرد به الجاهل عنى بالجاهلية الذين لايعرفون امام زمانهم وما اختص هو به من العلم وإن كانوا مقرين بساير السنن.

قال الجوهري المادة: الزيادة المتصلة عنى به أن لهؤلاء أقارب يعينونهم، ويذهبون مذاهبهم فرقة يرى ما يرون يعني من عقوبة. قتلة عثمان وفرقة يرى ما لا ترون، من تصويب قتلة عثمان وهم الخوارج، وفرقة يرى لاهذا ولا هذا أي لايذم قتله عثمان ولايمدحهم، فاصبروا حتى تتفق الناس على أمر واحد.

آخر الدواء الكيّ[١]: مثل والعرب تعالج بالكي وكذا الترك، والكي، وإن كان علاجا فهو داء ولكن لا داء بعده، والأصل في المثل قولهم آخر الدواء الكي لأنه إنما يقدم المعالج، بعد أن لاينفع كل دواء قاله لقمان بن عاد، وكان سايرا وأصابه عطش فاستسقى امرأة فقالت: تبتغي اللبن أو الماء.

فقال أيهما كان، فقالت؛ الماء أمامك واللبن خلفك فرأى صبيا يبكي ويستسقى، ولايسقى ورأى شابا معها، فقال: من هذا؟ فقالت المرأة: هو أخي[٢] فنظر لقمان إلى فتل[٣] الشعر في أطناب الخيمة فعلم أن زوجها

١ ــ كوى فلانا: احرق جلده بحديدة ونحوها والكية موضع الكي.
٢ ــ في ض: فقالت المرأة: هواخي فقال: رب اخ لا تلده امك.
٣ ــ فتل الشعرلواه.

أعسر[١]، فعرضت المرأة عليه الطعام فأبى لقمان، ومضى فرأى رجلا يسوق إبله[٢]، فقال له لقمان: يا هاتى. فقال لبيك يا لقمان، فقال: يا ذا النجاد الحلكة، والزوجة المستركة عش رويدا ابلكه لست من ليس لكه، فقال: هاتى نوّر نوّر.

فقال لقمان عليّ التنوير وعليك التغيير اني مررت بها تغازل رجلا زعمت أنه لها أخ ولو كان أخاها لخلي عنها وكفاها الكلام، فقال كيف علمت أن المنزل منزلي فقال عرفت عقائق هذا النور في البناء وهذه الحلبة في الفنا وسقب هذه البار وأثر يديك في الاطناب.

قال: فما الرأي، قال، أن تقلب البطن ظهراً والظهر بطنا حتى يستبين لك الأمر أمراً قال أفلا أعالجها بكية توردها المنية، فقال لقمان: آخر الدواء الكي.

(ج ــ شوكة الانسان: شدته، والعبدان: جمع العبد، والخلال: الوسط. يسومونكم: يكلفونكم[٣]).

مسمحة: بكسر الميم من أسمحت قرونته أي ذلت نفسه، وتابعت وبفتحها من أسمحت أي ساهلت.

فآهدأوا :أي اسكنوا، ويضعضع: أي يضعف.

والمنة: القوة، وروي آخر الدواء الكي وهذا أصح.

* * *

١ــ في ض: فقال: ثكلت الاعيسه (كذا) امه لوعلم العلم لطال عمره فعرضت المرأة.

٢ــ في ض: ومضى فراى رجلا يسوق ابله ويقول:

روحــــى الى الحــــي فــــان نــــفسي ... امــيــلــة فــيــهــم بــخير عــرس

حــيــانــة المــقــلــة ذات انــس ... لا يــشــتــهــى الــيــوم لــه بــامــس

٣ــ بين الهلالين ساقط في ض.

١٦٧ ـ ومن خطبة له عليه السلام

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

إنَّ ٱللّٰه تعالى بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ؛ لاَيَهْلِكُ عَنْهُ إلَّا هَالِكٌ، وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهلِكَاتُ، إلَّا مَا حَفِظَ[١] ٱللّٰه مِنْهَا، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ ٱللّٰه عِصْمَةً لأَمْرِكُمْ[٢] فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلاَ مُسْتَكْرَه[٣] بِهَا. وَٱللّٰه لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ[٤] ٱللّٰه عَنْكُمْ سُلْطَانَ الإِسْلاَمِ، ثُمَّ لاَ يَنْقُلُهُ إِلَيْكم أبداً حَتّىٰ يأْرِزَ الامرُ الىٰ غَيْرِكُمْ.

إنَّ هٰؤُلاَءِ قَدْ تَمَالأُوا عَلَى سَخْطَةِ إمَارَتِي، وَسَأَصْبِرُ مَالَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ إنَّ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ، ٱنْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا ٱللّٰه عَلَيْهِ، فَأَرَادُوا[٥] رَدَّ الأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا

١ ـ في ش : الا ما عصم الله .
٢ ـ في ش : عصمة لربكم .
٣ ـ في حاشية ن : غير متلومين ولا مستكرهين .
٤ ـ في ب : لينقلن عنكم .
٥ ـ في حاشية ن : وارادوا .

الْعَمَلُ بِكِتَابِ ٱللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ، وَالنَّعْشِ لِسُنَّتِهِ.

١٦٨ ـ ومن كلامٍ له عليه السلام

كلّم به بعض العرب، وقد أرسله قوم من أهل البصرة لمّا قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم فبيّن له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ. ثمّ قال له: بايع. فقال: إنّي رسول قوم ولا أحدث حدثاً دونهم حتّى أرجع إليهم. كذا في أكثر النسخ لكن في آخر بعضها بعد قول الرجل «فبايعته عليه السلام». والرجل يعرف بكليب الجرميّ.

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ ٱلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ[1] عَنِ الْكَلاَءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَالْمَجَادِبِ، مَا كُنْتَ صَانِعاً؟ قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء. فقال عليه السلام:

فَامْدُدْ إذاً يَدَكَ! فقال الرجل: فو الله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليّ، فبايعته عليه السلام.

---

١ ــ في ش: فاخبرتهم.

الشرح

قوله عليه السلام: ان الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وأمر قائم.

ع ـ قائم: أي دائم لايهلك عنه إلا هالك[١]:

قال الامام الوبري: معناه من استحق العقاب واستوجب العذاب، فانه يدخل النار بعد ورود الآيات، وقيام الحجج والبينات، فهو الذي كان يهلك في معلوم الله وإن ازدادت الحجج والبراهين والألطاف كما كان يهلك، فان لم يبعث الرسول، فلا خير فيه على كل حال، وهو الذي أبان عنه تبارك وتعالى في سورة والصافات، «فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين، إلا من هو صال الجحيم[٢]».

معناه أنكم لا تضلون، ولا تفتنون أحدا عن الدين إلا من كان هالكا في معلوم الله تعالى: سواء دعوتموه أو تركتموه على حاله.

قوله وإن المبتدعات المشتبهات هن المهلكات.

البدع ابتداء إحداث شيء لم يكن له ذكر، ولا حدث به سنة، يقال: أبدع الشر[٣] إذا أحدثه، من غير مثال تقدم فيه: ومنه: بديع السموات والأرض أي مبتدعهما وقوله: ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم[٤] أي لم

---

١ ـ في ض: الا لك أي محكوم عليه بالهلاك ممن استحق العقاب.

٢ ـ الصافات: ١٦٢.

٣ ـ في ض: ابدع الشيء اذا احدثه من غير مثال تقدم فيه.

٤ ـ الحديد: ٢٧ وفي ض اي لم تجر لها سنة من الله.

تجد بها سنة من الله، بل ابتدعوها من عند أنفسهم، والبدعة فعلة، بوزن الركبة والجلسة، وهي الجهة التي منها يبدع الشيء كما أن الركبة الجهة التي منها يركب.

فمن ابتدع في الدين أمرا من غير مثال فقد ضاد الله عزوجل وناواه المهلكات أخلاق وعادات بها يهلك الانسان كما قال النبي صلى الله عليه وآله: أما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع وإعجاب المرأ بنفسه.

السلطان: الحجة والقهر وسلطان كل شيء حدته يارز الأمر: أي يضم ويجتمع بعضه إلى بعض.

قال ابن السكيت: تمالوا على الأمر: أي اجتمعوا وتعاونوا. ومنه قول أميرالمؤمنين علي عليه السلام والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله.

فيالة الرأي: ضعفه ورجل فيل الرأي وفال أي ضعيف الرأي أراد أن أصروا على الخطأ والضلالة، ولم يرد به وهي الرأي، وضعفه عندهم، فان الجاهل في جهالته قد يرمي على الحق، وان كان مذهبه وعقيدته في نفسه أوهى وأوهن من نسج العنكبوت.

أقاءها الله: أي جعلها فيأله والفئي الخراج (والغنيمة).

الكلاء المرعى، والمجادب: مواضع القحط[1].

* * *

١ ـ ساقط في ض.

١٦٩ ــ ومَن خطبة له عليه السلام

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرىً لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً[1] مِنْ مَلاَئِكَتِكَ، لاَيَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ؛ وَرَبَّ هٰذِهِ الْأَرْضِ الّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لاَ يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لاَيُرَى؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً وَلِلْخَلْقِ اعْتِماداً ـ إنْ أَظهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ، وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ؛ وَإنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ، وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ؟! الْعَارُ وَرَاءَكُمْ، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

١ ــ في ع : سبطا من الملائكة .

الشرح

قوله عليه السلام: أللهم رب السقف المرفوع الى سبط من ملائكتك.

ع ـ أراد بالسبط هنا الفرقة[1] لاولد الولد.

الشمس: في الأصل الارتفاع يقال شمس ارتفع والشموس الهضبة المرتفعة قال الشاعر[2].

كأن الشموس بها بيت * يطوف حواليه أو عالها

وسميت الشمس شمسا لارتفاعها وإنما أنثوها بسبب وضعها الأصلي وهي الهضبة المرتفعة.

والقمر لايقال له قمر حتى يمتلي ويقابل الشمس وسمي قمرا لأن نوره لايزال يزيد وينقص بمنزلة القامر الذي يزيد ماله مرة وينقص مرة.

والنجوم: هي السيارات مثل زحل والمشتري والمريخ، والزهرة وعطارد؛ والشمس والقمر.

والكواكب: هي الثوابت: كالشعرين والنسرين والسماكين، والجناحين والقلبين، ويقال للسيارة كواكب بالاستعارة والتوسع، والكوكب، نور مجتمع، وكوكب الشيء معظمه، والثابت أعظم من السيارات.

والشهادة: الحضور وسمي المقتول في سبيل الله شهيداً لأنه حضر وجاد

---

١ ــ في ض: اراد بالسيط هنا الفرقة او الامة.

٢ ــ في ض: كان الشموس بها بيته * لطيف حواليه او عانها.

بروحه؛ فصار ذلك شهادة ذلك شهادة عليه في نفسه أنه صدق البأس[١] وكان شاهدا حاضرا لاكمن ولي الدبر، وغاب أو لأن الملائكة تشهد له بالجنة أو لأنه حضر دار الثواب كما قال الله تعالى: يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله[٢].

والفتنة: الاثم قال أبو عبيدة: في قوله تعالى: الا في الفتنة سقطوا[٣] أي في الاثم والفتنة احراق والفتنة في أصل اللغة أن تصرف صاحبك عن الحق إلى الباطل. قال تعالى: وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك[٤].

والذمار: ماوراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ويتذمر له[٥] ويغضب وكذلك الحقيقة لأنه يحق على صاحبها الدفع عنها والجمع الحقائق، واكثر ما يطلق الحقيقة على النساء، ويقال فلان.

ذو حفاظ، وذو محافظة: إذا كانت له انفة.

العار وراءكم: أي إن فررتم أُدرككم العار وإن أقدمتم وصلتم إلى الجنة.

ج ــ المغيض: الموضع الذي يغيض فيه الماء أي ينضب[٦] ويقل: وجعل السماء أو الفلك مغيضا لليل والنهار، مجازا أي ينقص الله الليل مرة والنهار أخرى، وان زاد في الآخرة وذلك بحسب جريان الشمس.

والسبط: الأمة، والمدرج: المدخل والهامة: لايقال إلا للخوف من

١ ــ اليأس: الخوف ولا يكون الا مع الشدة.

٢ ــ آل عمران: ١٧٠.

٣ ــ التوبة: ٤٩.

٤ ــ النساء: ١٦٣.

٥ ــ في الحديث خرج يتذمر: اي يعاتب نفسه ويلومها.

٦ ــ في ش: ينض و يقال نضيب لثاته دما: أي قطرت ونض الماء من العين اذا نبع.

أحناش الأرض.

والانعام: يقع على الابل والبقر والغنم والغاير: من الغيرة.

ش ـ الجو المكفوف: كأنه أراد الهواء المحدود (الذي ينتهي حده إلى السماء)، والجو ما بين السماء والأرض كأنه كف أي منع من تجاوز حديه.

قال أبو عمرو[1]: الجو ما اتسع من الأودية وكل مستدير فهو كفة بالكسر كأنه أراد الهواء الذي هو على هيئة المستدير لأن داخل الفلك الكرى الشكل أو اراد بالجو الفلك العريض الواسع وبالمكفوف كان عليه كفة من المجرة والنيرات.

فيكون الكفة من كفة الثوب أو كفف الوشم وهي داراته وأراد بالمكفوف الفلك المحكم في الخلق الشديد المبرئ عن الخلل والفطور، من قولهم عيبة مكفوفة أي مشرجة مشدودة.

* * *

١ ـ يعني به ابا عمرو الزاهد الأ بيوردي غلام ثعلب الاديب اللغوي المعروف.

١٧٠ ـ ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لاَتُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً.

منها: وَقَالَ قَائِلٌ[١]: إِنَّكَ عَلَى هٰذَا الأَمْرِ يَا ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ[٢] لَحَرِيصٌ! فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَٱللهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ! وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلإِ الْحَاضِرِينَ بُهِتَ[٣] لاَيَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ[٤] عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي؛ثُمَّ قَالُوا: أَلاَ إِنَّ[٥] فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

---

١ ـ في ض: وقد قال لي قائل وفي ح وب ول: وقد قال قائل.

٢ ـ في ش: يابن ابي طالب على هذا الامر.

٣ ـ في ض وح وش: في الملأ الحاضرين هب كانه بهت لا يدري وفي ب: كانه لا يدري ما يجيبني وفي ن: لا يدري مما يجيبني به وفي ل: هب لا يدري.

٤ ـ في ب: اللهم استعينك على قريش.

٥ ـ في ب: الا ان الحق ان تاخذه.

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رسول‌الله، صلى الله عليه وآله، كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا؛ مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ: فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ‌اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا: فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً، وَطَائِفَةً غَدْراً! فَوَاللهِ لَوْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ رَجُلاً وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلاَ جُرْمٍ جَرَّهُ؛ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ؛ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ[1] وَلاَ يَدٍ. دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

---

١ ــ في ض وب: بلسان ولا بيد.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء.

ع ـ العرب تسمي كل ما علا وارتفع سماء وكل ما سفل أرضا يعني أنه تعالى لايرى بآلة وليس بجسم، فيحتاج إلى آلة بل يدرك كل مدرك لكونه حياً لا آفة به[١] والسواتر والحجب إنما تعترض دون الاجسام فلذلك قال لايحجب عنه سماء سماء. وقيل أراد أن علمه تعالى ليس بمتغير زماني فيصرفه معلوم، ولا قدرته على وجه، يشغله مقدور عن مقدور[٢] ثم قال:

ألآ إن في الحق أن تاخذه وفي الحق أن تتركه.

قال الامام الوبري: أي انهم غلطوا في هذا القول لأن الحقوق لايقاس بعضها على بعض في الأعضاء والايفاء لأن منها ما يجب ايفاؤه ومنها مالا يجب، ومنها ما يندب الى استيفائه ومنها ما يندب الى تركه فالامامة ليست من النوع الذي يحسن تركه وإعفاؤه (وإنما هو[٣] على من يستحقه ويصلح له، وليس بحق له دون حق البشر[٤] وحقوق المسلمين والحق اذا كان على الانسان فحكمه مجانب للحق اذا كان له، فحق المال اذا كان له، على غيره واحتاج اليه ليس له تركه واعفاؤه) بل يجب استيفاؤه.

فحق الامامة اذا كان عليه أن ينتصب لها ويدعيها وإذا عقدت له حرم

---

١ ـ في ض :حياً لاافل به.

٢ ـ في ض : ولا يشغله مقدور ثم.

٣ ـ في ص : وانما هو حق.

٤ ـ في ض : وليس له دون حق الشرع.

عليه ردها فكيف يجوز أن يتركها مع مضاعفة اللزوم، والوجوب عليه من هذه الوجوه[١] وغيرها، هذا إذا كان في عصره من تكون مستحقا لها من أضرابه غير أن الصلاح تعين في واحد فالوجوب[٢]، وأما إذا انفرد بالاستحقاق دون سائر أهل زمانه فالوجوب فيه أظهر على وجه التعين والتضييق، فلذلك كان هذا القول منهم فاسدا.

قال غيره الامامة تبع النبوة فليس للنبي أن يسقط حق نبوته، فكذلك الامام، وقيل الامامة حقوق مشتركة بعضها للرعايا على الامام وبعضها للامام على الرعية فليس للامام أن يسقط تلك الحقوق[٣].

قوله عليه السلام: فخرجوا يجرون حرمة رسول الله.

يعني زوجته عائشة وكذلك حبيس رسول الله؛ والضمير في حبسا لطلحة والزبير.

فقدموا على عاملي.

قيل هو عثمان بن حنيف[٤] الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه

---

١ ــ في ض: من هذه الوجوب.

٢ ــ في ض: فالوجوب يتعين عليه.

٣ ــ في ض هنا زيادة وهي: اقول ان كلامه صلوات الله عليه كلام متين وبيانه بيان مبين وله ظاهر واضح انيق وباطن غامض عميق وفيه تلويح بل تصريح بفرض طاعته وجوب امامته لما اجتمع فيه من شرائط الاستحقاق على الاطلاق وعرى عنه غيره من اهل الافاق

انهم يحرصون على ذلك مع بعدهم عن استحقاقه وعرائهم عن حلل شرائطه وانه المختص بذلك دونهم وله فرط القربة به ساهم وانه الطالب بحقه الذي جعله الله ورسوله له بحكم استحقاقه واستيهاله لذلك وهم يحولونه بين ذلك و بينه

يمنعونه سلطانه ويخاصمونه وينازعونه ويقطعون رحمه ويصغرون عظم منزلته ثم يقولون تحرصا وانكارا الحق ان ناخذه نحن وتتركه انت بهتا صراحا وجرأة على الله تعالى وعليه مجازاة العباد وهو لهم بالمرصاد.

٤ ــ عثمان بن حنيف الانصاري الاوسي يكنى ابا عمرو شهد احدا والمشاهد كلها واستعمله عمر بن الخطاب على مساحة سواد العراق، فمسحه عامره وغامره، واستعمله علي بن ابي طالب عليه السلام على البصرة

وآله أخذه أصحاب الجمل بعد محاربة جرت بينهما[١] وخلوا سبيله، فلما ورد على أميرالمؤمنين عليه السلام قال له: فارقتنا شيخا ورجعت الينا غلاما، وفي الصحاح قتل فلان صبراً: اذا حبس على القتل حتى تقتل.

قوله عليه السلام لحل لي قتل ذلك الجيش كله:

دليل على صحة قول من يقول إن الجماعة تقتل بالواحدة، مثل العدة التي دخلوا بها عليهم؛ قيل إن أهل البصرة افترقوا[٢]، ونصفهم أعانوا عثمان بن حنيف، قالوا هؤلاء يطلبون الأمارة بعدما بايعوا عليا، ونصفهم بايعوا طلحة والزبير وقالوا هما يطلبون قتلة عثمان بن عفان واقتتلوا (بياض يومهم هذا فلما غربت الشمس انصرفوا وقتل عسكر طلحة والزبير من عسكر عثمان[٣]) بن حنيف أعداد ما كان معهما من الجيوش حين دخلا البصرة.

* * *

فبقى عليها الى قدمها طلحة والزبير مع عائشة في وقعة الجمل، فاخرجوه منها، ثم قدم علي اليها فكانت وقعة الجمل، فلما ظفر بهم علي، سكن عثمان بن حنيف الكوفة، روى عنه ابن اخيه ابو امامة وابنه عبد الرحمن.

١ــ في ض: بينهما بالمربد ونتفوا لحيته وخلوا سبيله.

٢ــ في ش: وبعضهم اعانوا.

٣ــ بين الهلالين ساقط في ض.

١٧١ ــ ومن خطبة له عليه السلام

أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحقَّ النَّاسِ بهذا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ؛ وَأَعْلَمُهُمْ[1] بِأَمْرِ ٱللهِ فِيهِ؛ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَي قُوتِلَ. وَلَعَمْرِي لِئَنْ كَانَتِ الإِمَامَةُ لاَتَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى[2] ذٰلِكَ سَبِيلٌ؛ وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا؛ ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ.

أَلاَ وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلاً ٱدَّعَى مَالَيْسَ لَهُ؛ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ[3] بِتَقْوَى ٱللهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِنْدَ ٱللهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلاَ يَحْمِلُ هٰذَا[4] الْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ، وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ[5] الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ

---

١ ــ في ش : واعملهم .

٢ ــ ي ن وف : مالى الى ذلك .

٣ ــ في ش : اوصيكم بتقوى الله .

٤ ــ في ر : ولا يحملن هذا العلم .

٥ ــ في ض وح وب : والصبر بمواقع الحق .

بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلاَ تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا؛ فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً[(١)].

أَلاَ وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ؛ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلاَ مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلاَ الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، أَلاَ وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ، وَلاَ تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا وَلاَ يَخِتَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ[(٢)] الأَمَةِ عَلَى مَازُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا، وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلاَ وَإِنَّهُ لاَيَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلاَ وَإِنَّهُ لاَيَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ امْرِ دُنْيَاكُمْ، أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

---

١ ـــ في حاشية ش : عبرا .

٢ ـــ في م وب وكـ ور : الحنين بالحاء المهملة .

الشرح

قوله عليه السلام: لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس فما الى ذلك سبيل ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار.

استدل عليه السلام على القوم بالطريقة التي كانوا يعتقدونها في ثبوت الامامة من الاختيار، وذلك لايدل على أن طريق ثبوت الامام هو لاغير. وقد نبه عليه السلام في صدر هذا الكلام على معظم شرائط الامامة من الشجاعة، والعلم، حيث قال.

ان أحق الناس هذا الأمر أقواهم عليه واعلمهم بأمر الله فيه.

ولا يلتبس على عاقل منصف أن هاتين الخصلتين مما برز به أميرالمؤمنين عليه السلام، على سائر الصحابة وفاقهم باجمعهم وإن كان في سائر خصال الكمال بهذه[1] المثابة.

والخنين بالخاء المعجمة: البكاء بالأنف وروي بالحاء غير المعجمة المظنة موضع الظن والتهمة.

* * *

١ ــ المثابة: مجتمع الناس.

١٧٢ ــ ومن خطبة له عليه السلام

في طلحة بن عبيد الله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلاَ أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَى مَا[١] وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ، وَٱللهِ مَا ٱسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، إلاَّ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ[٢] مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلتَبس[٣] الأَمْرُ، وَيَقَعَ الشَّكُّ! وَوَٱللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ: لَئِنْ كَانَ ٱبْنُ عَفَّانَ ظَالِماً، كَمَا كَانَ يَزْعُمُ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، أَوْ يُنَابِذَ[٤] نَاصِرِيهِ، وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهِنِهِينَ عَنْهُ، وَالْمُعْذِرِينَ فِيهِ، وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاَثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

١ ــ في ب وض : ما قد وعدني.

٢ ــ في ش : احرص منه عليه.

٣ ــ في ح وحاشية ش : ليلبس الامر.

٤ ــ في ض وح ول وش : وان ينابذ وفي ب : او ان ينابذ.

١٧٣ ــ وَمنْ خطبة لَهُ عليه السلام

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ(١) غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ وَالْمَأْخُوذَ(٢) مِنْهُمْ، مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ ٱللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ؟ كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعَى وَبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ(٣)!! إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى، لاَ تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا: إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا؛ وَٱللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَلا وَإِنِّي مُفْضِيهِ(٤) إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ(٥) ذٰلِكَ مِنْهُ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَٱصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ؛ مَاأَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو؛ وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ؛ وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَٱللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا أَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

---

١ ــ في ح : ايها الناس غير المغفول .

٢ ــ في ض وب : والتاركون الماخوذ منهم .

٣ ــ في هامش ن : وشرب روى .

٤ ــ في هامش ن ور : انى مفض .

٥ ــ في م ون : ممن نؤمن .

الشرح

أجلبه أعانه يوازر[١] : اي يعاون .

ونهنهت : البيع : إذا صحت به لتكفه .

المعذر: من يأتي بالعذر وروي بالتشديد وأصله معتذر، فادغم التافي الذال والمتعذر[٢] المقصر.

ويركد: أي يسكن .

التاركون : أي تركوا ما يجب عليهم أخذه .

والدوى : الممرض والوبي : الذي يأتي بالوباء وهو مرض عام .

أن تكفروا فيّ : أي[٣] في تضييع حقي الثابت عليكم برسول الله صلى الله عليه وآله .

وأفرغه : أي صبه ، وأفضيت : إليه بسرى : أفشيت[٤] .

* * *

١ ــ في ض : اجلب جمع واحلب بالحاء : اعان .

٢ ــ في ض : المعذر : المقصر .

٣ ــ في ض : اخاف ان يكفروا بي برسول الله صلى الله عليه وآله اي في قولي وروايتي عنه مالم تحيطوا به علما او في ما يتعلق بي و بحقوقي الواجبة عليكم وكشفي القناع عن بيان الرسول صلى الله عليه وآله ذلك ثم انكاركم والاعراض عن قبوله .

٤ ــ في ض : افضى اليه بسر افشاه

١٧٤ ـــ وَمن خطبة لهُ عليه السلام

ٱنْتَفِعُوا بِبَيَانِ ٱللهِ، وَٱتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱللهِ، وَٱقْبَلُوا نَصِيحَةَ ٱللهِ. فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَأَخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا؛ لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ؛ فَإِنَّ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كَانَ يَقُولُ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ[1] وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ». وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَامِنْ طَاعَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ؛ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ ٱللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزَعاً، وَإِنَّهَا لَاتَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى.

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَايُمْسِي وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا، وَمُسْتَزِيداً لَهَا فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ هُوَالنَّاصِحُ الَّذِي لَايَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَايُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي

١ ـــ في ف ون ول وش: حجبت بالمكارة.

لاَيَكْذِبُ[1]، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرآنَ أَحَدٌ إلاّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٌ فِي هُدَى، وَنُقْصَانٌ مِنْ عَمَى. وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلاَ لأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرآنِ مِنْ غِنَى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَٱسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ، فَإنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ؛ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلاَلُ. فَاسْأَلُوا ٱللهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلاَ تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إنَّهُ مَاتَوَجَّهَ الْعِبَادُ إلَى ٱللهِ بِمِثْلِهِ، وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ[2]، وَقَائِلٌ وَمُصَدَّقٌ، وَأَنَهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَ عَلَيْهِ؛ فَإنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلاَ إنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ، فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَٱسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَٱسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَٱتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَٱسْتَغِشُّوا[3] فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ، الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ ٱلنِّهَايَةَ وَٱلإسْتِقَامَةَ الإسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ، إنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إلَى نِهَايَتِكُمْ، وَإنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بَعَلِمِكُمْ، وَإنَّ لِلْإسْلاَمِ غَايَةً فَانْتَهُوا إلَى غَايَتِهِ، وَٱخْرُجُوا إلَى ٱللهِ بِمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أنَا شاهِدٌ[4] لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

١ــ في ش : ولا يكذب من باب التفعيل .

٢ــ في ف ون وش : شافع مشفع وفي ف ون : ماحل مصدق وفي ش : قائل مصدق .

٣ــ في ر ول وش : واغتشوا وفي ر: وروى استغشوها .

٤ــ في ن وب : انا شهيدلكم .

أَلاَ وَإنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ، وَإنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ ٱللهِ وَحُجَّتِهِ؛ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: (إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَنْ لاَتَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا ٱللهُ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لاَتَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلاَتَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلاَ تُخَالِفُوا عَنْهَا؛ فَإنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ ٱللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الأَخْلاَقِ وَتَصْرِيفَهَا، وَٱجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً، وَلْيَخْتَزِنَ[١] الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، وَٱللهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ[٢] لِسَانَهُ، وَإنَّ لِسَانَ الْمؤمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ؛ لأَنَّ الْمُؤمِنَ إذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلاَمٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ: فَإنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وَإنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ، وَإنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ: لاَيَدْرِي مَاذَا لَهُ؛ وَمَاذَا عَلَيْهِ!!

وَقَدْ[٣] قَالَ رَسُولُ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَسْتَقِيمُ إيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى ٱللهَ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ؛ فَلْيَفْعَلْ.

---

١ ــ في ن وب وح وض ول: ليخزن.

٢ ــ في ض وب: يخزن لسانه.

٣ ــ في ض وح وب: لقد قال.

وَٱعْلَمُوا، عِبَادَ ٱللهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا ٱسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ، وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لاَيُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِ الْحَلاَلُ مَا أَحَلَّ ٱللهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ ٱللهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتْ[١] الأَمْثَالُ لَكُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَى الأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلاَ يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلاَ يَعْمَى عَنْهُ إِلَّا أَعْمَى[٢] !! وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِالْبَلاَءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِير[٣] مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ رَجُلاَنِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعهُ مِنَ ٱللهِ[٤] بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلاَ ضِيَاءُ حُجَّةٍ، وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ ٱللهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ وَالْمُتَنَاسُونَ[٥] . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كَانَ يَقُولُ: «يَا ٱبْنَ آدَمَ ٱعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ» .

(أَلاَ وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلاَثَةٌ: فَظُلْمٌ لاَيُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لاَيُتْرَكُ،

---

١ ــ في ح وض وب : وضربت لكم الامثال .
٢ ــ في ب : ولا يعمى عن ذلك الا .
٣ ــ في ض وش وحاشية م : اتاه النقص .
٤ ــ في ش : من الله سبحانه برهان .
٥ ــ في ض وب وح : الناسون او المتناسون .

وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لاَيُطْلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَيُغْفَرُ فَالشِّرْكُ باللهِ، قَالَ آللهُ: (إنَّ آللهَ لاَيَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ) وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَر فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لاَ يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهُمْ بَعْضاً[1]) الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ! لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى، وَلاَ ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ. فَايَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ آللهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ آللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً: مِمَّنْ مَضى وَلاَ مِمَّنْ بَقِيَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَآشْتَغَلَ بِطَاعَةِ[2] رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ!

---

١ ــ فيما بين الهلالين تقديم وتاخير في النسخ.

٢ ــ في ش: واشتغل بطاعته.

الشرح

قوله عليه السلام: إنتفعوا ببيان الله إلى آخره.

إن الجنة حفت[١] بالمكاره: أي سترت فلا يكشف الا بتحمل المشاق والمكاره.

ما من طاعة الله شيء إلا ويأتي في كره وما من معصية الله شيء إلا ويأتي في شهوة.

الطاعة قهر الهوى ونصرة العقل، فلذلك يكون في كره من القوى الشهوانية والغضبية والمعصية قهر العقل ونصرة القوى البدنية، فلذلك يأتي في شهوة[٢].

إن هذه النفس أبعد شيء منزعا، وأنها لا تزال إلى معصية في هوى.

يعني إن في باطن الانسان ما يجري مجرى الكلب وهو الغضب وما يجري مجرى الخنزير وهو الشره، والحرص[٣] وما يجري مجرى الشيطان، وهذا الشيطان يوسس دائما، ويهيج هذا الخنزير والكلب، فاذا دحرت[٤] الشيطان وقهرت القوة الغضبية والشهوانية، واطعت داعي العقل وحصل لك

---

١ ــ في ض: ان الله اعذر اليكم بالجلية أي ببيان الطريقة الواضحة لتبتغوا هذه أي محابة من الأعمال وروى لتبغوا اي تطلبوا أو تجتنبوه هذه أي مكارهها.

٢ ــ في ض: قمع هوى نفسه: قهره وكسر سورته.

٣ ــ شره إلى الطعام: اشتد ميله اليه وهو شره.

٤ ــ الدحر: الدفع بعنف على سبيل الاهانة والاذلال.

من الأخلاق العلم والحكمة والصلاح، والعفة وحسن الخلق وتلك الأخلاق هي الباقيات الصالحات.

فالانسان واقع بين أمرين أمر الشهوة وأمر العقل، فبمقتضى الشهوة والغضب يحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والنكاح، والتغالب وسائر اللذات العاجلة، وبقوة العقل يحرّص على اكتساب العلوم والأفعال الجميلة وإلى هذين الأمرين أشار الله تعالى بقوله: «إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا[١]» ومن حيلة الانسان أن يتحرى[٢] ما فيه اللذة.

واللذات على قسمين محسوسة كالمبصرات والمسموعات والمذوقات وغيرها ومعقولة، والمحسوسة في الانسان غالية، لذلك قال تعالى: «كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة» ويحتاج[٣] أن يقاد في ابتداء أمره إلى مصالحة، بضرب من القهر، كما قال النبي عليه السلام: يا عجبا لقوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل، ونفي الأمور الشهوانية والغضبية عن الانسان أمر بعيد لأن تلك القوى مخلوقة مع بدن الانسان والشرع ما أمر بنفيها بل بتأديبها وكونها منقادة للشرع والعقل، ومدح الله قوما بكظم الغيظ وقال: والكاظمين الغيظ، وما مدح من ليس له غيظ وغضب.

الظنون: السيء[٤] الظن واعلم أن الله تعالى خلق الحيوانات العجم للدنيا وخلق الملائكة لملأ الأعلى، وخلق الانسان للدارين والانسان واسطة بين وضيع ورفيع فالمؤمن غير معجب بل هو سيئ الظن بنفسه، وهو ينظر الى

---

١ ـ الانسان: ٣.

٢ ـ التحرى: القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول.

٣ ـ في ض: ويحتاج الانسان.

٤ ـ في ض: الظنون الرجل السيء الظن.

الرفيع الذي فوقه.

فلا يزال زاريا على نفسه ومستزيدا لها: اقتداء بأبي البشر آدم حيث قال: ربنا ظلمنا أنفسنا.

قوضوا من الدنيا: يقال قوّضت البيت اذا نزعت أعواده وأطنابه أي فارقوا الدنيا على وجه لايلتفتون اليها كما لا يلتفت المسافر الى المنزل.

ومحل به الى السلطان: سعي به.

واتهموا عليه آراءكم: أي لا تفسروه بآرائكم، فان النبي صلى الله عليه وآله قال: من فسر القرآن برأيه فليتبوأ[١] مقعده من النار.

العمل العمل ثم النهاية النهاية[٢]: هذا حث على إقامة حدود الله ومحافظة الأعمال الشرعية أن يوقف عند حدودها فلا يزاد على مقدارها في العدد والصفة، وفي العقليات أن يجري على ما تقضيه الأداء من غير زيادة ونقصان.

إن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم.

قيل معناه ما قال تعالى: «إن إلى ربك الرجعىٰ» والنهاية الغاية، وقيل غاية الانسان أن يصير من الأبدال وهم الذين يبدّلون أخلاقهم وأفعالهم الذميمة أخلاقا وأفعالا حميدة، تستبدل بالجهل العلم، وبالشح الجود، وبالشره العفة، وبالظلم العدالة، وبالطيش[٣] التؤدة وهذا معنىٰ قول الله تعالى «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات[٤]».

فالانسان إذا صار منْ الأبدال فقد ارتقى درجة الأحباب المعنيين لقوله

---

١ ــ بوأه الله منزل: أي اسكنه اياه.

٢ ــ في ض: النهاية النهاية: أي الزموا العمل ثم اطلبوا النهاية فيما امرتم ودللتم عليه.

٣ ــ الطيش: الخفة والتؤدة: التأني.

٤ ــ الفرقان: ٧٠.

تعالى: «يحبهم ويحبونه[١]» وتتبع ذلك قوله تعالى: «فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين[٢]»، وقول النبي صلى الله عليه وآله عن الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وصار من الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم فحينئذ انتهوا الى نهاياتهم.

إن للاسلام غاية فانتهوا إلى غايته: مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وآله في شعب الايمان: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها اماطة[٣] الأذى عن الطريق[٤] دالا بالمنجيات والاعراض عن المهلكات.

والحجيج: المتكلم بالحجة والحج الغلبة بالحجة قال ابن العباس: القدر: هو تقدير الله الأشياء أول مرة ثم قضاها ففصلها، ولذلك قال رسول الله النبي صلى الله عليه وآله: أفرّ من قضاء الله إلى قدره، أي أفر من الشيء قبل أن يقع فيصير قضاء فصلا أي ما قدر، ولم يفصل، فان الله تعالى يزيله عني وهو قادر على ذلك.

قال جعفر الصادق عليه السلام: إن الله إذا أراد شيئا قدّره وإذا قدره قضاه، وإذا قضاه أمضاه، فالقضاء هو التفصيل، والقطع ومنه قضى بينهم القاضي، أي فصل الحكم، ويقال: قضيت الأمر، أي فرغت منه وأمضيته، وقوله: فاقض ما أنت قاض أي إصنع ما أنت صانع، وقوله: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه أي أمر، ويقال للميت قضى نحبه: أي فرغ من الدنيا وفصل منها قال الحارث بن حلزة:

بأيديهم رماح صدورهن القضاء.

أي الموت والقضاء الماضي تورّد: أي حدث المقضي به قليلا مرتبا

١ـ المائدة: ٥٤.

٢ـ السجدة: ١٧.

٣ـ اماط: تنحى وابتعد.

٤ـ في ض: عن الطريق والاشتغال بالمنجيات.

متسقا قال الجوهري: توردت الخيل البلدة أي دخلها قليلا قليلا.

وتهزيع الأخلاق: التهزيع: التكسير والاسراع وأراد بالاخلاق الفضايل دون الرذايل.

لسان المؤمن من وراء قلبه: أي لا يتكلم إلا بما يقتضيه قلبه، ويظهره قلبه أولا بالأفعال ثم يتبعه لسانه.

وقلب المنافق وراء لسانه: يعني المنافق يتكلم مالا يعتقد ولا يرضي ويخالف قلبه فيه لسانه، فلسان المؤمن يتبع قلبه في الموالاة[1] ولسان المنافق لايتبع قلبه وفسر عليه السلام ذلك بأن المؤمن يتفكر ثم يتكلم والمنافق يتكلم ثم يتفكر ويجب أن يكون التفكر أولا.

سليم اللسان من أعراضهم: إشارة إلى أن مظالم الغيبة أمثال مظالم الأموال ومظالم الدّماء فان الغيبة جناية على قلب المؤمن، وصفاته وأخلاقه فيتأذى به قلبه والقتل جناية على بدنه.

ما احدث الناس: أي ما ابتدعوه من غير دلالة ولا رواية.

والتضريس: التجربة والاحكام وقال أبو عمر: المضرس الذي جرّب الأمور.

المثل: كلام يعارض به الانسان صاحبه فيبلغ به ما يحاول[2] من حاجته بلا تصريح ويفهم عنه صاحبه مراده، مثل قول النبي النبي صلى الله عليه وآله: لا ترفع عصاك عن أهلك لم يرد به ضرب وإنما أراد به الموعظة.

من لم ينفعه الله في البلاء: أي النعمة كما في قوله تعالى: «وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم[3]» على ما فسره أبو عبيد.

قوله حتى يعرف ما أنكرو ينكر ما عرف: هذا نقصان لان معرفة ما أنكر

---

١ ــ في ض: الموالاة والمعاداة.

٢ ــ المحاولة: طلب الشيء بحيلة.

٣ــ الاعراف: ١٤١.

إنما تكون كمالا اذا انضمت إلى ما عرفه من قبل، فأما إذا أنكر ما عرفه من قبل وذلك نقصان كما قال النبي صلى الله عليه وآله: من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان، ومن استوى يوماه فهو مغبون.

قالا الامام الوبري: ظلم العباد بعضهم بعضا لأن الله تعالى يقيم العدل بين الظالم والمظلوم باستيفاء العوض، وقال غيره يكافيه الله في دار الدنيا زجر الظالمين ثم يعاقبه على ذلك يوم القيامة، كما فعل بفرعون ونمرود وقارون وغيرهم، وقال تعالى: «لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر[1]».

عند بعض الهنات: أي القبايح، يقال في فلان هنات أي خصلات شر، (لايقال ذلك في الخير والمدح والهن الشيء في الأصل).

لم يعط أحدا بفرقة خيرا: من قول النبي صلى الله عليه وآله: الجماعة رحمة والفرقة عذاب.

فكان من نفسه في شغل: أي يعالج بالآداب الشرعية أمراض الجسد والغضب والشره والكبر وحب المال وغير ذلك من المهلكات.

ج: قمع: قهر، الظنون: بمعنى الظان كالشكور والشاكر، ويكون بمعنى المظنون أي المتهم والظنون الرجل السيىء الخلق.

والنزع: الاشتياق واللاواء: الشدة.

العمل العمل والنهاية النهاية: أي الزموا العمل واقصدوا النهاية التي هي الموت، واعملوا له والغاية التي وراء هذا هو الجنة.

وعني بالعلم: الامام القائم مقام النبي صلى الله عليه وآله وهو ولم يرد به الشريعة لأن ذلك مستفاد من قوله.

١ـ السجدة: ٢١.

وان للاسلام غاية: فينبغي ان تكون لهذا فائدة زائدة.

وتهزيع الأخلاق: تغييرها عن محاسنها إلى مساويها وهزعت الشيء كسرته، والتهزع الاضطراب والسرعة.

والمؤمن يستحل العام ما استحل عاما أول: لانه لايحكم بحرمة الشيء وحله الا بدليل قاطع إما إجماع أو نص كتاب أو خبر متواتر به أواقول لمن يوثق بصدقه وما علم بأحد هذه الطرق، فلا مجال للشك فيه، لاكمن يتبع الظن والامارات فيحكم على الشيء اليوم بخلاف ما حكم عليه أمس.

ليس لنا متابعة الظن في الشرعيات إلا في مواضع مخصوصة ورد الاذن بذلك فيها على ماهو مذكور في مظانه.

والقرآن جلاء القلوب: لانه يصقل به عنه[1] صدأ الشك والحزن.

وهن: أي شيء، ولا يقال في الخير وأصله هنو.

وطوبى: فعلى من الطيب أي طاب له العيش على سبيل الدعاء، وقيل: هو من أسماء الجنة، وقيل: شجرة يظلل الجنان كلها.

* * *

١ ــ في الحديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، هو ان يركبها الرين بمباشرة المعاصي والاثام فيذهب بجلائها، والصدأ هنا الرين.

١٧٥ ــ ومن كلامٍ له عليه السلام

في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنْ اَخْتَارُوا رَجُلَيْنِ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ، وَلاَ يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ، وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ، فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرَ هَوَاهُمَا، وَالإِعْوِجَاجُ رَأْيَهُمَا، وَقَدْ سَبَقَ اَسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا! وَالثِّقَةُ[1] فِي أَيْدِينَا لأَنْفُسِنَا، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لاَيُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ.

---

١ ــ في ر: وروى والبقية في ايدينا.

الشرح

قوله عليه السلام: فاجمع رأي ملئكم إلى آخره.

ج ـ الملأ: أشراف القوم، الجعجاع: الموضع الضيق الخشن والجعجعة الحبس، وجعجع بهم: أناخ بهم.

أن يجعجها عند القرآن: الجعجعة التضييق على الغريم في المطالبة وكتب عبيدالله بن زياد إلى عمر بن سعد[1] في واقعة كربلاء إذا أتاك كتابي هذا فجعجع بالحسين عليه السلام أي ضيق عليه واحبسه.

فتاها عنه: فتاه في الارض أي ذهب متحيرا عني عمرو بن العاص وأبا موسى الاشعري، وعني بمعكوس الحكم أنهما ذهبا ليحكما بين علي عليه السلام ومعاوية فغدر عمر وأباموسى وقال تخلع أنت عليا وبايعت

---

١ ـ عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري أبوحفص المدني سكن الكوفة وروى عن أبيه وأبي سعيد الخدري وعنه ابنه ابراهيم وأبو اسحاق السبيعي وقتادة والزهري وغيرهم وهو الذي أمر بقتل الحسين واول من رمى إلى خيامه عليه السلام وأخاف قلوب أهل البيت سلام الله عليهم.

قال العجلي: وكان يروى عن أبيه أحاديث وروى الناس عنه وهو تابعي ثقة؟! وهو الذي قتل الحسين وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين كيف يكون من قتل الحسين ثقة، قال عمرو بن علي سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثنا اسماعيل وقال: حدثنا العيزار عن عمر بن سعد، فقال له موسى رجل من بني ضيعة يا أبا سعيد هذا قاتل الحسين فسكت، فقال له قائل عن قاتل الحسين تحدثنا.

نقل الحميدي عن سالم قال: قال عمر بن سعد للحسين: ان قوما من السفهاء يزعمون اني اقتلك، فقال الحسين: ليسوا سفهاء، ثم قال: والله انك لا تأكل بر العراق بعدي إلا قليلا، فلما غلب المختار على الكوفة قتل عمر بن سعد وابنه حفصا.

عبدالرحمن بن عوف[1] وكان عبدالرحمن غائبا ونزل، وصعد عمرو بن العاص المنبر، وقال خلعت عليا وبايعت معاوية فعكسا الحكم لانهما عينا ليحكما بين علي ومعاوية بموجب الكتاب والسنة لابموجب أهوائهما.

* * *

١ ـ عبد الرحمان بن عوف القرشي الزهري يكنى أبا محمد كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل ان يدخل رسول الله دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة المدينة وشهد بدرا واحدا والمشاهد كلها.

هو الذي عينه عمر بن الخطاب وجعله من اعضاء الشورى لانتخاب الخليفة، ولما اجتمعوا للشورى سألهم ان يخرج نفسه منها على أن يختار منهم رجلا ففعلوا ذلك فاقام ثلاثة أيام وخلا بعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال: لنا الله عليك ان وليت هذا الأمر ان تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر.

فقال: اسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت، فخلا بعثمان فقال له مثل ما قال لعلي، فقال عثمان الكم ان اسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر، فصفق على يده فخرج عثمان والناس يهنونه فصار عثمان خليفة بمساعدة عبد الرحمان بن عوف وانتصاره له.

قال المسعودي: ابتنى عبد الرحمان بن عوف داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة وبلغ بعد وفاته ربع ثمن ماله أربع وثمانين ألفا، مات سنة ٣١.

١٧٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

لاَيَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلاَيُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلاَ يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلاَ يُصِفُهُ لِسَانٌ لاَيَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلاَ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلاَ سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلاَ دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلاَ مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَهَ إِلَّا ٱللهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ وَلاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلاَئِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالاَتِهِ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَلاَ تَنْفسُ(١) بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَٱيْمُ ٱللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ ٱجْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ ٱللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِعَبِيدِ. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ ـ حِينَ

---

١ ـ في رول: ولا تنفس من باب التفعيل.

تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ- فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ؛ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لأَخْشَى[١] عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ! وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ، عَفَا ٱللهُ عَمَّا سَلَفَ.

١ ــ في ب : واني لا اخشى.

الشرح

قوله لايشغله شأن: أي ليس بجسم ذي آلة فلا يجوز الاشتغال عليه، ويشتغل الفاعل إذا صار محلا فيصير كله، أو بعضه مشغولا بفعل فلا يتأتى منه غيره في ذلك الوقت، فاما القادر إذا لم يكن مخلا الفعل من الأفعال فحاله في إيجاد الأفعال كحالة قبلها فكما لم يكن مشغولا حين لم يفعل فليس بمشغوله إذا فعل.

ولا يغيره زمان: التغيير عبارة عن زيادة في شيء أو نقصان منه والزيادة إما بزيادة الأجزاء أو بحول الأعراض، وهما لايجوزان إلا على الأجسام وكذلك النقصان، وتتغير الشيء بتغير الزمان كالنبات يبدو في فصل الربيع، وتجف في فصل الخريف والشتاء، والجسم أو العرض يعني بضده أويكون واجب القدم في الحالة الثانية؛ والله تعالى خالق الزمان منزه عن الجسمية والعرضية، وحلول الحوادث في ذاته؛ فلا يغيره الزمان؛ ولو كان جسما لغيره الزمان كسائر الاجسام.

ولا يصفه لسان قال بعض العارفين: العبارات والكلمات محدودة متناهية وعظمة الله غير محدودة، وقال الوبري: الواصفون لايبلغون تفاصيل أفعال الله لانهم لايعرفون عددها فذكر الله تعالى والمراد أفعاله كأنه قال لايصف مبلغ أفعاله لسان، وقال ويحتمل مبلغ ما يقدر عليه وما يعلمه، ويحتمل أن يكون المراد، لايصفه لسان كما يصف الأمور الضرورية.

قال بعض العارفين: ينزهه تعالى كل عارف، عن كمال يمكن إدراكه للخلق، كما ينزهه كل عامي عن النقصان[١].

سوافي الريح: السفي التراب وسفت الريح التراب تسفية وسفيا إذا اذرته. الهواء في كلام العرب الخلاء، والكبيس الممتلي. بالهوا ضدّ الكبيس عندهم، ويقال لما ليس بجرم كثيف الهواء فكأنه لاشيء فيه، قال الله تعالى: وأفئدتهم هواء[٢]، أي خالية لا تعي شيئاً، ولاعقول فيها وقيل: الهواء في اللغة السعة ويقال لما بين السماء والأرض هواء لا تساعه.

هذه الكلمات لأميرالمؤمنين عليه السلام مأخوذة من قوله تعالى: فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين[٣]. ولايعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء[٤]. فكل شيء حاضر له، خلافا لمن يقول من الجاهلين الضالين إن الله عالم بالكليات دون الجزئيات، بل وسع كل شيء علما وأحاط بكل شيء علما، وليس العلم الأزلي موقوفا على وجود شيء (بل وجود كل شيء[٥]) موقوف على ذلك العلم المشفوع بالاختيار والحكمة والمشية والقدرة.

فاذا كان الزمان جزءاً من الموجودات، فكيف يجوز أن يقال يلزم من تغير بعض الموجودات تغير علمه، وإنما كان يصح ذلك أن لو كان علمه متوقفا على وجود الموجودات، مثل البشر فاذا لم يكن علمه كذلك لم يلزم من تغير الجزئيات تغير العلم المحيط بها تعالى عما يقول الظالمون الجاهلون علوا كبيرا.

---

١ ــ في ض: وعندي ان المراد بقوله يصفه لسان اي لا يعبر عند كما يعبر عن الامور المدركة المحاط بها لاستحالة الادراك عليه وامتناع الاحاطة به والتصور لماهيته.

٢ ــ ابراهيم: ٤٣.

٣ ــ الاعراف: ٧.

٤ ــ يونس: ٦١.

٥ ــ ساقط في ض.

اعتام الرجل: إذا أخذ العيمة وهي خيار المال.

قوله ما كان قوم قط في غض نعمة فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها.

جعل سبب زوال النعمة الذنوب لأن مرجع الذنوب الى استيلاء القوة الشهوانية والغضبية، ومن استولى عليه هاتان القوتان، فهو لايقدر على إمساك النعمة فيزل عنه بسبب عجزه عن إمساكها، ويكون زوال نعمته في الدنيا مكافأة لذنوبه.

وقد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها غير محمودين.

قال الوبري: كانت تلك الأمور صغائر هي مكفرة بشرط الاجتناب عن الكبائر ويجب الاستغفار لصاحبها، وقال غيره هي كبائر موبقة معنا.

قوله لو أشاء أن أقول لقلت: لايقتضي أنه شاء قال: لأن قول القائل لو أردت أن أسافر لركبت الفرس يقتضي أن ركوب فرسه يقتضي أرادته السفر، ولا يقتضي أنه أراد وركب، وحصل منه الارادة والركوب ولكن يقتضي تعلق كل واحد منهما بالآخر ومصداق ذلك قوله: ولو شاء ربك لآمن من في الأرض[1]، ولا تقتضي هذه الآية انه تعالى شاء وآمنوا فكذا هاهنا، والكلام في الشرحين[2] طويل.

ج ـ العقائل: الكرائم[3] وأشراط الهدى: علاماته.

والمخلد: المايل، ولا ينفسنَّ، بكذا أي لا تفتن[4]، ونافس في الشيء رغب فيه وروي لاينفس أي لايفرج، والياء في موضع عن أو يكون التشديد

---

١ ـ يونس: ٩٩.

٢ ـ يعني بالشرحين معارج نهج البلاغة للبيهقي ومنهاج البراعة للراوندي.

٣ ـ في حديث الزكاة واتق كرائم اموالهم: اي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقها وواحدتها: كريمة.

٤ ـ في ض: لا ينفس لكذا اي لا يضر.

للتكثير على الوجه الأول .

عيش غض : أي طري ناضر واجترح : اكتسب .

والنقم : العقوبات وفزع إليه : أي هرب والتجا .

والوله : التحير والشارد : النافر.

والجهد : بالفتح المشقة : وبالضم الطاقة .

* * *

١٧٧ ـ ومَن كلامٍ له عليه السلام

وقد ساله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أميرالمؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لاأرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال:

لاَتُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ[1] الْعِيَانِ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلاَمِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مَبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ بلارَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ بلابِهِمَّةٍ[2]، صَانِعٌ لاَبِجَارِحَةٍ[3]، لَطِيفٌ لاَيُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لاَيُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لاَيُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لاَيُوصَفُ بِالرِّقَّةِ. تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام لذعلب:

الذّعلب والذعلبة: الناقة السريعة، ومنه سمي الرجل.

لا تراه العيون بمشاهدة العيان.

ع: أي بالمقابلة أو المجازاة، والأصل في ذلك أن الكيفية مما يتقاضاه

---

١ ـ في ن: لا تراه العيون.

٢ ـ في ض وب: متكلم لا بروية وفي ح: ومريد لابهمة.

٣ ـ في م ول: بلا جارحة وفي ر: ورُوِيَ صانع بلا جارحة.

الخيال بواسطة الحاسّة المبصرة، ثم يطلب الخيال من كل شيء يصيب الحاسة المبصرة من طريق الكيفية، وما يدركه الانسان بحاسة السمع. فليس للخيال أن يطلب منه الكيفية وكذلك المذوقات والمشمومات. فلذلك ما يعرف بالعقل ويدرك بالبصر الذي بعد الموت مما وعده الله تعالى ليس للخيال أن يطلب منه الكيفية فان الكيفية والكمية من قبيل الأعراض، والله تعالى منزه عن العرضية والجوهرية والجسمية.

قوله قريب من الأشياء غير ملامس:

تأثير الفاعل في الفعل لايحتاج إلى الملامسة خصوصا ممن يفعل بلا آلة، نظيره أن الروح الانسانية متصرفة ومحركة ولا يقال إنها أقرب إلى عضو بل تصرفها في جميع الأعضاء على نسبة واحدة.

متكلم لا بروية: أي هو غني عن التفكر، والبحث واقتناص[1] المجهول بالمعلوم.

مؤيد بلا همة: الهمة مايهم الانسان من قبل الحاجة، والله تعالى منزه عن ذلك.

بصير لايوصف بالحاسة: الباصرة كما في الشاهد.

رحيم لايوصف بالرقة: الرحمة من الله تعالى إنعام وإحسان وتفضل ومن الخلائق رقة وتعطف.

* * *

١ ـــ اقتنص الطير أو الضبي: اصطاده وفي حديث للامام علي عليه السلام: قنصت باحبلها: أي اصطادت.

١٧٨ ــ ومن كلامٍ له عليه السلام

في ذم أصحابه

أَحْمَدُ ٱللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ٱبْتِلاَئِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرقَةُ الَّتِي إذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإنَّ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ[١]! وَإنِ ٱجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إمَام طَعَنْتُمْ[٢]، وَانْ أُجِئْتُمْ إلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ. لاَ أَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْظُرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ، وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ: الْمَوْتَ أَو الذُّلَّ لَكُمْ! فَوَٱللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـوَلَيأتِيَنِّي ـ لِيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ قَالٍ[٣]، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ. لله أَنْتُمْ!! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاَ[٤] مَحْمِيَةٌ تَشْحَذُكُمْ؟ أَوْ لَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ، فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلاَ عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإسْلاَمِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إلَى الْمَعُونَةَ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟ إنَّهُ لاَيَخْرُجُ إلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً

---

١ ــ في م وك ور : ان حوربتم جرتم .

٢ ــ في حاشية م : على امام طغيتم .

٣ ــ في ب : وانا لكم قال .

٤ ــ في م وض وح : ولا حمية .

فَتَرْضَوْنَهُ، وَلاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ. قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَاأَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ، لَوْ كَانَ الأَعْمَى يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ.

الشرح

قوله عليه السلام: أحمد الله على ما قضى وعلى ابتلائي بكم.

قال الوبري: الله تعالى كما يستحق الحمد بما يحدثه لعباده من السراء فانه يستحق الحمد بما يحدثه من الضراء وفي التكليف إذا كلف سهلا يسيرا فهو مشكور، وإذا كلف ما فيه بعض مشقة فهو مشكور أيضا، وكان أميرالمؤمنين مبتلي برعيته كما كان يعقوب مبتلي بفراق ابنه وأيوب مبتلي بمرضه وموسى بأمته الجاهلة.

وخار الرجل يخور خؤورة: ضعف وانكسر.

وحميت عن كذا حمية بالتشديد ومحمية: إذا أنفت منه.

والتريكة: البيضة التي تتركها النعامة[١] والروضة التي يخلفها[٢] الناس فلا يرعونها، والمرأة التي لم تتزوج بها أحد، وما تركه الميت من التراث وأصلها من الترك، وهي بمعنى المتروكة كأنه قال: أنتم خليفة الاسلام وما بقي منه.

---

١ ــ النعامة طائر يقال فيه انه مركب من خلقه الطير وخلقه الجمل اخذ عن الجمل العنق والوظيف والمنسم، ومن الطير الجناح والمنقار والريش ويقال لذكرها الظليم وللنعامة ريش جيل يستعمل للزينة.

٢ ــ في ش: يعلقها الناس.

والطائفة من الشيء القطعة منه، قال ابن عباس في قوله تعالى: وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، الواحد فما فوقه، وشكايات أميرالمؤمنين من رعاياه يتبع شكاية موسى من امته لأن موسى أول من دعا بني اسرائيل إلى الكتاب المنزل والأمر والنهي، فشق ذلك عليهم وأميرالمؤمين أول من قاتل (أهل البغي، والخوارج فشق ذلك على رعاياه وعسكره لأنهم ما تعودوا قبل ذلك قتال[1]) أهل القبلة.

ابن النابغة عمرو بن العاص نسبه إلى أمه ولها قصة[2].

ج ــ خرتم: بكسر الخاء أي ضعفتم وبالضم من الخوارة أي صحتم وروي بالجيم أي أعرضتم، وعدلتم.

نكصتم: أي رجعتم والنكوص الاحجام[3].

والطغام: الاوغاد[4] والأرذال من الناس، يوصف به الواحد والجمع.

* * *

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

٢ ــ النابغة ام عمرو بن العاص قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة: ذكر الزمخشري في ربيع الابرار: كانت النابغة ام عمرو بن العاص امة لرجل من عنزة فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان بمكة فكانت بغيا ثم اعتقها فوقع عليها أبو لهب وأمية بن خلف وهشام بن المغيرة وأبوسفيان والعاص بن وائل في طهر واحد.

فولدت عمروا فادعاه كلهم فحكمت امه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل وذلك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا. قالوا: وكان اشبه بابي سفيان وفي ذلك يقول أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص:

أبوك أبوسفيان لا شك قد بدت ... لنا فيك منه بينات الشمائل

روى أبوعبيدة معمر بن المثنى في كتاب الانساب ان عمرا اختصم فيه يوم ولادته رجلان أبوسفيان بن حرب والعاص بن وائل فقيل لنحكم امه فقالت امه من العاص بن وائل، فقال أبوسفيان: اما لاني لا اشك اني وضعته في رحم امه فابت الا العاص ــ راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢٨١.

٣ ــ احجم: تاخر.

٤ ــ الاوغاد جمع الوغد: الضعيف العقل.

١٧٩ ــ ومن كلامٍ له عليه السلام

وقد أرسل رجلا من أصحابه يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة قد هموا باللحاق بالخوارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام، فلما عاد إليه الرجل قال له: آمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا؟؟ فقال الرجل: بل ظعنوا يا أميرالمؤمنين. فقال:

بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ، أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ[١]! لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ ٱسْتَفَلَّهُمْ[٢]، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَٱرْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلاَلِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ.

---

١ ــ في ش: على هامهم.

٢ ــ في ح وب وض: قد استفلهم وفي ر: ورُويَ استفزهم.

١٨٠ ــ ومن خطبة له عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أميرالمؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأن جبينه ثفنة بعير. فقال عليه السلام:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً. وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ. وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً: لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مُوروثاً هَالِكاً[1]، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ

١ ــ في ض وب: فيكون مورثا هالكا.

لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلاَمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ.

فَمِنْ(١) شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلاَ عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائعاتٍ مُذْعِناتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلاَ مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْلاَ إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ لَهُ بِالطَّوَاعِيَةِ(٢) لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَلاَ مَسْكَناً لِمَلاَئِكَتِهِ، وَلاَ مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاَماً يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الأَقْطارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سَجَفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلاَ اسْتَطَاعَتْ(٣) جَلاَبِيبُ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمٰوَاتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لاَيَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ، وَلاَ لَيْلٍ سَاجٍ فِي بِقَاعِ الأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ، وَلاَ فِي يَفَاعِ(٤) السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الأَنْوَاءِ وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ(٥) مِنْ انْثَى فِي بَطْنِهَا.

الْحَمْدُ للهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لاَيُدْرَكُ بِوَهْمٍ، وَلاَ يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، وَلاَ

١ــ في ب : ومن شواهد .

٢ــ في م ون : بالطوعية وفي ش : واذعانهن بالطواعية .

٣ــ في حاشية ن ولا اسطاعت .

٤ــ في م وف ون : بقاع .

٥ــ في ض وح : وما تحمل الانثى .

يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلاَ يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، وَلاَ يُنْظَرُ[١] بِعَيْنٍ، وَلاَ يُحَدُّ بِأَيْنٍ، وَلاَ يُوصَفُ بِالأَزْوَاجِ، وَلاَ يَخْلُقُ بِعِلاَجٍ، وَلاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلاَ يُقَاسُ بِالنَّاسِ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً، بِلاَ جَوَارِحَ وَلاَ أَدَوَاتٍ، وَلاَ نُطْقٍ وَلاَ لَهَوَاتٍ، بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ[٢] وَالأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ! فَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلاَمٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ[٣] سَبِيلاً لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا ٱسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، وَٱسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيْنَ الْعَمَالِقَةِ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ؟ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ.

---

١ ــ في ف ون وم غ ولا يبصر بعين.

٢ ــ في ش : ذو الهيئة.

٣ ــ في ض وب : او الى دفع الموت.

وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سَنَنَ الْجَبَّارِينَ[١]؟ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ، وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟!

منها: قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا: مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

ثم قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ؛ وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا؛ وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا!! لله أَنْتُم، أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟!

أَلَا إِنَّهُ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ[٢] التَّرْحَالَ عِبَادُ اللهِ الْأَخْيَارُ؛ وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَايَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لَايَفْنَى، مَاضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ

١ — في م ون وف : سير الجبارين.

٢ — في ب : وازمعوا الترحال.

سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ[١] أَنْ لاَيَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنَقَ؟! قَدْ ـوَٱللهِـ لَقُوا ٱللهَ فَوفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ، أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمِ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا[٢] عَلَى المنية، وَأُبْرِدَ بِرءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ؟!

قال: ثم ضرب بيده على لحيته (الشريفة الكريمة[٣]) فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام:

أَوْه عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تلوا الْقُرْآنَ[٤] فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثم نادى باعلى صوته:

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ!! أَلاَ وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ.

قال نوف: وعقد للحسين ـعليه السلام ـ في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد رحمه الله في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله، فتراجعت العساكر فكنا كأغنام فقدت راعيهاتختطفها الذئاب من كل مكان.

١ـــ في ح وش: سفكت دمائهم بصفين.
٢ـــ في ك: تعاهدوا.
٣ـــ ساقطة من ف وم ون وش.
٥ـــ في ض وح وب: قرأوا القرآن.

الشرح

قوله عليه السلام أمنوا فقطنوا.

أي سكنوا ونزلوا وظعنوا: أي سافروا.

بعدا: هلاكا وأشرعت الرمح: قبله سددته.

استفلهم: عدهم قليلا ارتكاسهم: أي رجوعهم.

نوف البكالي: نسب إلى البكالة[١] لانه كان يبيعها، والبكالة: البكيلة وقيل هو البكيلي وبكيل حيّ من همدان ومنه قول الكميت[٢].

لقد شركت فيه بكيل وأرحب.

جعدة بن هبيرة[٣] المخزومي ابن اخت أميرالموامنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

١ ــ نوف البكالي حاجب امير المؤمنين عليه السلام ومن خواصه واصحابه، وهو الذي حدث عن علي عليه السلام روايات منها انه قال بت ليلة عند امير المؤمنين فكان يصلي لله كله ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر الى السماء ويتلوا القرآن قال فمر بي بعدهدأ من الليل فقال يانوف ار اقدام رامق قلت بل رامق ارمقك ببصري ياامير المؤمنين الى آخر الحديث.

٢ ــ في ض زيادة وهي: النوف في الاصل الارتفاع وناف الشيء أي طال وارتفع والبكالة والبكيلة الدقيق يخلط بالسويق ثم بلت بماء او سمن او زيت وقيل السويق التمر يبلان باللبن وقيل الاقط المطحون يبل بالماء واصل البكل الخلط قيل نسب الى البكالة لانه كان يبيعها الخ.

٣ ــ جعدة بن هبيرة المخزومي ابن ام هاني اخت امير المؤمنين عليه السلام: عامل امير المؤمنين في خراسان وهو الذي افتتح نيسابور في المرة الثانية وله حروب كثيرة في بلاد خراسان وفيه يقول الشاعر:

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور.

الخنوع: الخضوع والذل.

لم يولد فيكون في العز مشاركا.

لابد للمولود من والد فاذا قد شاركه الوالد في العز والقدرة والمملكة، لأن التقدم يربي على المشاركة في العز واذا جاز أن يتقدم عليه غيره فلأن يجوز أن يشاركه غيره أولى.

ولم يلد فيكون موروثا هالكا.

(لأنمن جاز عليه[1] الموت في الفناء فيجوز حينئذ أن يرثه الولد، ويبقى بعده فيكون الوالد موروثا[2]) هالكا أبطل عليه السلام بالكلام الأول الشركة وبالثاني الفناء وقيل: من يولد فانما يولد، لأن نوعه يبقى بالتوالد. وما يبقى نوعه بالتوالد، لا بالأعيان فله جنس وفصل وشريك، فلذلك، قال: يكون في العز مشاركا، مثاله أن الانسان يتوالد لانه إن لم يتوالد لم يبق نوع الانسان، فيكون مع الانسان انواع مشتركة داخلة تحت جنس.

وقوله لم يلد فيكون موروثا هالكا، كل من يتولد منه، فانما يتولد لان المولدلايبقى ولو كان باقيا لما تولد مثله، ويبقى هو دائما ولهذا نظائر في النباتات والحيوانات، ولم يتقدمه وقت ولا زمان: لان الوقت حادث، وهو تعالى قديم، ومقارنة الحادث للقديم، محال فضلا عن تقدمه.

ولم يتعاوره زيادة ولانقصان: كما لغيره من الاحياء.

دعاهن فاجبن طائعات: من قوله تعالى: فقال لها وللأرض أئتياطوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين[3]، قال بعض العلماء: السماوات والارضون وجدت، ولم يكن قبل وجودها قبل ولا بعد، حتى يقال لِمَ لم يوجد قبل ذلك، فان القبلية

---

١ ــ في ض: لان من جاز عليه، الولد جاز عليه الموت والفناء.

٢ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

٣ ــ آل عمران: ٨٣.

والبعدية عارضتان، من عوارض الزمان لايوجد الا بعد وجود الاجسام، فكما لا يجوز أن يكون قبل وجود الاجسام فوق ولا تحت لانها عارضتان من عوارض المكان فكذلك لا يجوز أن يكون قبل وجود الاجسام قبل ولا بعد لان ذلك موقوف الوجود على وجود الزمان والزمان موقوف الوجود على الحركة والحركة موقوفة الوجود، على وجود الاجسام.

ولو لا اقرارهن بالربوبية: أي لو امتنع عليه خلق من خلقه، واستصعب على مراده فلم يقدر على إمضاء أمره[١] فيه لما قدر أن يتصرف فيه على أي وجه كان بأن يجعله موضعا للعرش، ولا للملائكة فأراد بقوله.

لو لاإذعانهن: أي قبولهن لما يحدث الله فيهن من أنواع أفعاله، فاذا قدر على تصريف الخلق في وجه، قدر على تصريفه في جميع الوجوه لأن القادر على شيء يحدثه على وجه قادر على أن يحدثه على أي وجه يصح أن يكون عليه بالفاعل، وقالت الفلاسفة: السماء حيوان مطيع لله تعالى.

جعل نجومها أعلاما يستدل بها الحيوان:

بين أن فائدة علم النجوم إنما هي الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر.

لم يمنع ضوءهاادلهمام سجف الليل المظلم.

قال الامام الوبري: إنما لم يصح من الظلمة أن يمانع نور الكواكب لأن الله تعالى قادر على أن يزيد في قدر أنوارها على قدر أجزاء الظلمة وإنما يكون الشيء مانعا لكثرة أجزائه ففي أي جانب حصلت الكثرة صار الجانب الآخر مغلوبا.

السفع: آثار الدار والاثافي والجلجلة: صوت الرعد والجلجل السحاب الذي في صوت الرعد.

---

١ ــ في ض: على امضاء امره لما قدر.

بعلاج: أي مزاولة.

بل إن كنت صادقا أيها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل.

قال الوبري: هذا تنبيه على الدلالة على وحدانية الله تعالى لأنه اذا قدر أن يتصرف في جنس واحد فيخالف بين أشكاله وهياته حتى يكون بعض الأجسام مرئيا مدركا بالمماسة وبعضها يتعذر فيه الادراك حتى نزل منزل ما ليس بمدرك في نفسه، دل ذلك على أنه لايكون مشبها للاشياء وقال بعض الحكماء: من عجز عن وصف الملائكة، ومعرفة حقائقهم فهو عن معرفة كنه عظمة الله أعجز.

العمالقة: أولاد عملاق لوة بن سام بن نوح، وأخوه جديس، ولكن إسم العمالقة وقع على أولاد عاد وثمود وأولاد جديس وأولاد صحار وأولاد وبار فهؤلاء العرب العمالقة الذين انقرضوا عن آخرهم، وكان منزل (عاد اليمن، ومنزل ثمود) ما بين الحجاز الى الشام، ومنزل طسم نحو عمان والبحرين، ومنزل جديس اليمامة. ومنزل صحار، تهامة والحجاز، ومنزل جاسم في حد سفوان [١] ومنزل وبار رمل عالج [٢].

فرعون اسم حيوان مائي والفراعنة ألقاب ملوك القبط منهم سنان بن الاشدّ بن علوان بن العبيد بن عوج بن عمليق والرّيان بن الوليد بن لقب بن باران بن عمرو بن عمليق وهو فرعون يوسف عليه السلام، والوليد بن مصعب ابن أبي أهون بن العلوان بن فاران بن عمرو بن عمليق وهو فرعون موسى

١ ــ سفوان بفتح اوله وثانيه وآخره نون ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة و به ماء كثير السافي وهو التراب وسفوان ايضا واد من ناحية بدر.

٢ ــ عالج باللام المكسورة والجيم رملة بالبادية مسماة هذا الاسم قال السكوني عالج رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيء وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة لا ماء بها وهو مسيرة اربع ليال وفيه برك اذا سالت الاودية امتلأت وذهب بعضهم إلى ان رمل عالج هو متصل بوبار، قال اعرابي:

فيا راشقات العين من رمل عالج ... متى منكم سرب الى الماء وارد

عليه السلام.

والنماردة: ألقاب ملوك السريانيين واحدهم نمرود منهم نمرود بن كنعان بن حام (بن نوح، وهو صاحب ابراهيم عليه السلام، ونمرود بن كوس بن كنعان بن حام: وهو) صاحب النسور، ونمرود بن ماشي بن نوح، ونمرود بن ساروع بن لدغو، ونمرود بن كنعان بن المصاص بن نفطان بن عنيز بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وأصحاب الرّس قيل: إنهم كانوا سبعة آلاف رجل مع المواشي والبهائم، والانعام فوصلوا إلى مفازة هواؤها سجسج[١] وفضاؤها أبلج[٢] ولم يكن فيها ماء فحفروا حفرة فنبع منها الماء فشرب منه فكان ماء عذبا وكان في حوالي الحفرة رملة مرد[٣] فدبر زعيمهم واستخرج الجصّ والجلود[٤] وحفروا بواسطة الجلود بئرا ففارت البئر، وجرى الماء من شفا البئر واستسقى من هذا البئر سبعة آلاف رجل مع المواشي والحيوانات وامداد النز[٥] متواترة.

فبنى زعيمهم على أكمة في تلك الوادي من الطابق والصاروج قصرا مشيدا وتحصن به وهو أول من تحصن بالقلاع، والحصون والقصور فأرسل الله إليهم حيقوق النبي المذكور في دعاء الاستفتاح، وقيل حنظلة ابن صفوان: وأصحاب الرس كانوا يعبدون هذا البئر ويسجدون على شفير هذا البئر تعظيما للبئر، قطعوا في البلاد واكثروا في الفساد، فعصوا الرسول وزجروه وقتلوه فباتوا

١ ـــ هواء سجسج: أي معتدل بين الحر والبرد.
٢ ـــ الابلج: الأبيض الحسن الواسع الوجه.
٣ ـــ رملة مرد، أي لا تنبت فيها شيء، وهي الأرض الخالية من النبات.
٤ ـــ الجلود: الأرض الصلبة.
٥ ـــ النز: ما يتحلب من الأرض من الماء.

ليلة. فلما أصبحوا صار ماؤهم غورا والبئر معطلة لاماء فيها إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: «وبئر معطلة(١)»، وماتت مواشيهم بياض يومهم وأرسل الله جبريل حتى صاح وأهلكم بصيحة واحدة فماتوا بقضهم وقضيضهم(٢) وقيل إنهم كانوا قبل نوح عليه السلام وقيل بعده ـ والله أعلم(٣).

أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوف وعسكروا العساكر ومدّنوا المدائن.

عنى الفيشدادية(٤) من ملوك الفرس والكيانية بلغة الفرس الجبابرة والأشكانية والأكاسرة، ومن ملوك اليمن السابعة والاذواء ومن ملوك اليمن اللخميون، ثم المالكية ابنا ملك بن فهم، ثم البطالسة ملوك الروم ويونان، ولقب كل واحد منهم بطلميوس.

١ـ الحج: ٤٥.

٢ـ قولهم: جاؤا بقضهم وقضيضه: إذا جاؤا مجتمعين ينقض آخرهم على أولهم.

٣ـ روى الشيخ الصدوق في علل الشرايع الباب ٣٨ حديثا مفصلا بطريقة عن الحسين بن علي أبي طالب عليهما السلام قال اتى علي بن ابي طالب قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف بني تميم يقال له: عمرو فقال له ياأمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم، ومن كان ملكهم وهل بعث الله عز وجل اليهم رسولا ام لا.

فقال علي عليه السلام: لقد سألت من حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به احد بعدي، وكان من قصتهم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها روشاب، كانت انبتت لنوح بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك بعد سليمان بن داود عليهما السلام.

كانت لهم اثنا عشر قرية على شاطيء نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر اغزر ولا أعذب منه، والحديث طويل ذكرنا منه موضع الحاجة وفي تفسير علي بن ابراهيم القمي الرس: نهر بآذربيجان.

٤ـ الفيشدادية طبقة من ملوك ايران قبل الاسلام أولهم كيومرث وآخرهم نوذر حفيد منوجهر بن فريدون والكيانية ايضا طبقة من ملوك ايران أولهم كيقباد وآخرهم بهمن بن اسفنديار كما جاء في شاهنامة المنظومة المشهورة للحكيم أبي القاسم الفردوسي الطوسي.

عسيب الذنب: منبته من الجلد والعظم.

وجران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره.

الخليفة: من يتولي امضاء الأمر عن الآخر، وسمي خليفة لأنه يخلف الذاهب أي يجيء بعده وفي الصحاح الخليفة: السلطان الأعظم والجمع الخلائف ككريمة وكرائم، ويجمع على خلفاء على تقدير حذف الهاء كظريف وظرفاء، وروي أن سلمان الفارسي[١] قال لعمر بن الخطاب الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضي بكتاب الله عز وجل.

أين عمار: أراد عمار بن ياسر وأبن التيهان وهو أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وذو الشهادتين خزيمة[٢] بن ثابت صاحب رسول الله الذي كانت شهادته مثل الشهادتين، عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

١ ــ سلمان الفارسي أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير مولى رسول الله صلى الله عليه وآله اصله من فارس من رامهرمز وقيل انه من جي وهي مدينة اصفهان وكان ببلاد فارس مجوسيا سادن النار، ثم رحل من بلده إلى الشام وسكنها مدة يطلب الدين الحنيف، ثم رحل إلى الموصل وأقام بها.

ثم رحل إلى الحجاز مع ركب من الاعراب فباعوه من رجل من اليهود في وادي القرى، ثم اشتراه رجل وحمله إلى المدينة ،فسمع نزول النبي صلى الله عليه وآله وجاء إليه وأسلم، فصار من خواص الرسول، حتى قال: سلمان منا أهل البيت وله الفضائل المشهورة والمناقب المعروفة وسكن سلمان العراق ومات بالمدائن وقبره مشهور يزار.

٢ ــ خزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي ذو الشهادتين جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين وكان هو وعمير بن عدي يكسران اصنام بني خطمة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد كلها وكانت راية بني خطمة بيده يوم الفتح.

شهد مع علي عليه السلام الجمل وصفين ولم يقاتل بهما، فلما قتل عمار بن ياسر بصفين قال خذيمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتل عمارا الفئة الباغية ثم سل سيفه وقاتل حتى قتل؛ وكانت وقعة صفين سنة سبع وثلاثين.

أبرد: أي أرسل مع البريد.

ج‍ـ بكال حيّ من همدان من اليمن، ويقال لهم بكيل أيضا وهذا اكثر[١] وانشد بيت الكميت، ومن شدّد الكاف فقد أخطأ، قال ثعلب البكالي بكسر الباء، وجعدة بن اخت أميرالمؤمنين، وقد زوجه على ابنه وكان ابنه شجاعا فارسا وفيه يقول الشاعر:

لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم * ولا خراسان حتى ينفخ الصور

والليف الخشن الغليظ، يكون بين جرائد النخل على رأس الجذع.

وثفنة البعير: ما يقع على الأرض من أعضائه اذا استناخ، وغلظ كالركبتين، ومنه سمي علي بن الحسين عليهما السلام بذي الثفنات لأن السجود كان قد أثر في مساجده السبعة.

المصائر: جمع مصير، بمعنى المصدر، إنما جمع مع أن المصدر يقع على القليل والكثير لاختلاف وجوهه لأن الخلائف يرجعون إليه تعالى في أحوال شتى، عاجلا وآجلا، إختيار واضطرارا في جلب منفعة أو دفع مضرة قال تعالى: وتظنون بالله الظنونا.

نحمده على عظيم إحسانه يعني أصول نعمه التي هي الحيوة، والقدرة والشهوة وغيرها مما لايدخل تحت القدر من أجناس المقدورات.

ونير برهانه: يعني ما نصبه من الدلائل القاهرة على وحدانيته وما أبدع من خلقنا وتراكيبنا، وعقولنا وغيرها من عجائب العالم.

ونوامي فضله وامتنانه: يعني أرزاقه الدارة الهنيئة عاجلا وما وعد به: من عوايد فضله، وزائد نعمه آجلا ثم ذكر أن العبد إذا حمد الله فقد ظفر بأربعة أشياء قضى حق الله تعالى وأدى شكر نعمه الماضية، وتقرب من

١ ــ في ض: أكثر ما نسب اليها.

استحقاق ثواب الله فاستحق المزيد من نعمائه .

والاذعان: الانقياد، والرجاء،والأمل: يقرب معناهما إلا أن في الرجاء تاخيرا لايكون في التأميل، ولذلك خص الرجاء بالثواب الذي يكون في الآخرة والأمل بالنعم الدنياوية .

وتمجيد الله: أن ينسب تعالى الى المجد وهو الكرم، وفلان شريف ماجد: أي له آباء متقدمون في الشرف والتمجيد في عرف الشرع قول لاحول ولا قوة إلا بالله خاصة .

لم يولد: لأن كل مولود محدث وجسم، وهو تعالى قديم لا أول لوجوده، وليس بجسم .

ولم يلد: لأنه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحب، فيتوالد وإنما قدم قوله: لم يولد لأنه يدل على قدمه إذ لو كان مولودا لكان حادثا وقوله: لم يلد يدل على نفي حاجته لأن الانسان يشتهي الولد بحاجته، وقدم الوصف الثبوتي على الوصف العدمي .

أما في سورة الأخلاص فانما قدم لم يلد لأنها نزلت رداً على الذين اثبتوا لله تعالى ولدا كاليهود والنصارى والصابئة حيث قالوا عزير بن الله، والمسيح بن الله والملائكة بنات الله .

والمبرم: المحكم والموطد: المثبت بغير عمد ترونها أي ليس لها عمدا ولها عمد لا ترونها وهي قدرة الله تعالى .

والسند: المعتمد والمتكأ .

وتلكا عن الأمر: تباطأ عنه؛ متلكيات، متأخرات .

فاجبن طايعات: ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة، ولا جواب وإنما خير الله تعالى عن اختراعه السموات والأرض وإنشائه من غيرتعذر، ولا كلفة ومشقة بل كما يقال للمأمور المطيع: افعل فيفعل، بلا توقف، وذلك مثل قوله

تعالى، إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون[1] وإنما قال طائعين، تغليبا لمن فيها من العقلاء، وإقرار السموات بالربوبية دلالتها بما فيها من الآيات الباهرة على الصانع الحكيم، وهي من الصامة الناطقة وأمر تعالى الملائكة باصعاد الأعمال الصالحة إلى السموات لأن المواضع العالية الرفيعة يليق بالامور العلية الشريفة، هو شرف العلويات من حيث أنها أعظم في باب الدلالات.

والفج: الطريق في الجبل والقطر: الناحية والادلهمام: الظلمة.
والسجف: الستر والحندس: الظلمة وكذا الغسق.
والساجي: الساكن والداجي، المظلم والتطاطؤ: التطامن[2].
والسفعة: سواد يشرب حمرة والوان الجبال في الاغلب كذلك والسفعة في الوجه السواد واليفاع ما ارتفع من الارض وتلاشي: ركب من لا شيء.
وتجلجلت قواعد البيت: تضعضعت والعواصف: الرياح الشديدة.

والأنواء: جمع النوء وهو سقوط النجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع وقته من المشرق ويقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما عدا الجبهة فان لها أربعة عشر يوما.

قال أبو عبيد: ولم يسمع في النواء انه السقوط إلا في هذا الموضع وكانت العرب يضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها في سلطانه: وقال الاصمعي إلى الطالع منها؛ فنقول مطرنا بنوء كذا.
والانهطال: الانصباب، وحجرات القدس: منازل الملائك.
والارجحنان: الميل وارجحن الشيء: اهتز.

---

١ ــ مريم: ٢٥.
٢ ــ تطا من: انخفض.

متولهة: أي متحيرة استوفى طعمته: كناية عن الموت.

العمالقة: قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وهم أمم تفرقوا في البلاد.

فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عات فرعون، والعتاة الفراعنة، وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاءو[١] مكر.

الرسّ اسم بئر لبقية من ثمود قوم صالح، وقيل الرس قرية بفلج اليمامة أهلها هؤلاء.

قال الصادق عليه السلام: أصحاب الرس كان نساؤهم ساحقات، وقيل أصحاب الرسّ هم أصحاب النبي حنظلةبن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء، وهو أعظم ما يكون من الطير لطول عنقها: وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فيح وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابته الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا.

والمدينة: من مدّن بالمكان أي اقام به وقيل هي مفعلة من الدين وهو الملك، فعلى هذا يهمز جمعها.

قوله فهو مغترب اذا اغترب الاسلام الى قوله خليفة من خلائف الأنبياء.

اشارة الى حال المهدي عليه السلام، وغيبته، لما يدعو إلى ذلك من الخوف وداعي الحكمة.

والبعير: إذا أناخ وألصق الأرض بصدره وضرب بأصل ذنبه فلا يكون تصرف به ومجيء وذهاب.

ولم تستوسقوا: أي لم تجتمعوا.

وأزمع الترحال: صمم عليه عزمه، قال الكسائي يقال ازمعت الامر ولا

---

١ ـــ في ض: اي دهاء ونكر.

يقال أزمعت عليه، وقال الخليل: ازمعت عليه، وقال الفراء أزمعته وأزمعت عليه بمعنى .

يسيغون: يتجرعون تعاهدوا على المنية: أي على ما يؤدي اليها من جهاد العدو.

أبرد برؤوسهم :أي بعث بها على يد البريد .

اوّه: كلمة توجع ويتكلم بها عند الشكاية، وربما قلبوا الواو ألفا وربما شددوا الواو ومدّدوا والألف لتطويل الصوت بالشكاية .

الجهاد الجهاد: أي اقصدوه.

* * *

١٨١ ــ ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ للهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَٱسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ رُسُلَهُ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا[١]، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا وَحَلاَلَهَا وَحَرَامَهَا[٢]، وَمَا أَعَدَّ ٱللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ.

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، جَعَلَ[٣] لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً.

منها: في ذكر القرآن: فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ ٱللهِ عَلَى خَلْقِهِ: أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ[٤]، وَٱرْتَهَنَ[٥]

---

١ ــ في م: لهم عن امثالها.

٢ ــ في ب هنا تقديم وتأخير.

٣ ــ في ض وب: وجعل.

٤ ــ في ض وب وش: اخذ عليه ميثاقهم وفي ك: اخذ على المكلفين ميثاقه.

٥ ــ في م: وارتهن عليهم نفوسهم وفي ض وب وش وارتهن عليه انفسهم.

عَلَيْهُمْ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ[١]، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ، فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ، إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسُخْطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَٱفْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا ٱللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ؛ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ: إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ[٢] بِذلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً، لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ ٱللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا ٱشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ[٣] عِنْدَهُ، فِي دَارٍ ٱصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ: ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ. فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الآجَالَ، فَإِنَّ

---

١ ــ في ش : واكرم به دينه .

٢ ــ في ض وب : قد وكل بكم حفظه .

٣ ــ ف ب وض : منزلة الكرامة .

النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا. أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تَحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ؟! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ؟؟!!

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ! كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ، حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟! فَاللهَ اللهَ، مَعْشَرَ الْعِبَادِ، وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ!! وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا: أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ. وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ (١) وَتجودوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: (إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) وَقَالَ تَعَالَى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً

١ ــ في ض : فجودوا بها وفي ب : ما تجدوا بها .

حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ؟)، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا[1] أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً؛ فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللهِ فِي دَارِهِ رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ؛ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ[2] أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً (ذَلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَٱللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَٱللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ. وَهُوَ حَسْبُنَا[3] وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

١ـ في ب: واراد ان يبلوكم.

٢ـ في م: اسماعهم عن ان تسمع.

٣ـ في ب: وهو حسبي.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله المعروف من غير رؤية إلى آخره.

المنصبة: التعب.

ليكشفوا لهم من غطائها: أي لينبههم على معائب الدنيا ووخامة عواقبها.

وليضربوا لهم أمثالها: أي يدلوهم عن صفاتها بضرب المثل اللايق اشباهها بها، وبيان[١] اشتباهها، كما قال تعالى: إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء، إلى قوله فجعلناهم حصيدا كأن لم تغن بالأمس[٢]، وأمثال ذلك.

ليهجموا عليهم بمعتبر: أي ليأتوهم[٣] من التذكير والتخويف والارشاد بما فيه الاعتبار.

استحمد: أي فعل ما يحمد عليه[٤].

جعل لكل شيء قدرا: أي جعله مقدرا بفرض صحيح القرآن.

آمر وزاجر: أي فيه أمر وزجر، كما يقال ليله قائم ونهاره صائم.

وصامت ناطق: أي مع سكوته ينطق بالحكمة.

أخذ على المكلفين ميثاقه: بما نصب لهم من المعجزات الدالة على

---

١ ــ في ض: لبيان اشباهها.

٢ ــ يونس: ٢٤.

٣ ــ في ش: ليثبتوهم من التذكير.

٤ ــ في ض: ما يحمد عليه أي حمدة متقربا الى نفسه موجها للحمد إلى ذاته حمدا مثل الحمد لله الذي وجه التكليف إلى خلقه واسند الامر به اليهم منه تعالى.

نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله الذي جاء بالقرآن المبين لما فيه من الأحكام بأوضح البيان، ولزم المكلفين بالانقياد له لقيام الأدلة على صحته كما يلزم الرّهن لقبض المرتهن.

علما: أي علامة، والآية المحكمة: مالا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا، فمتى سمعها من عرف طريقة الخطاب، وعلم القرائن أمكنه أن يستدلّ في الحال على ما يدل عليه، والمتشابه ما يحتاج عند سماعه إلى فكر مبتدأ، ليحمل[١] على الوجه المطابق للمحكم أو لدليل العقل.

لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم.

ما سخطه هو ما نهى عنه، ومارضي به، وهو ما أمر به، فكل من أتى بما نهاه الله عنه، فانه لايرضا به، وكل من أتى بما أمره به وجوبا، فانه لايسخط عليه، ويكون ذلك محمولا على ماكان مستمرا في سائر الأديان من أصول العبادات ومخصوصا بذلك دون ما يتغير ويختلف حسب اختلاف الأوقات والمكلفين ليغير المصالح.

في دار اصطنعها لنفسه.

ش ــ أي لخلص أوليائه، كما روي أن الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وآله: مرضت فلم تعدني يغني مرض بعض أوليائي المخلصين.

ونورها بهجته: أي بهجة العرش أو بهجة الله أي حسن ما أبدعه ثم[٢] خلقه بيديه بلا واسطة.

يوشك: أي يقرب، يرهقهم: يغاشهم ويرهقهم يغشيهم، وروي بهما

١ ــ في ض: ليتحمل.

٢ ــ في ض: حسن بما ابدعه تم خلقه.

جميعا أي يرهقهم الأجل شدة وكلفة.

سأل إليه الرجعة من كان قبلكم: اشارة إلى ما حكى الله من قوله: رب ارجعون لعلي أعمل صالحا[١] ـ الآية، وقوله: يا ليتنا نردّ[٢].

والرمضاء: الرملة الحارة، والطابق: الآجر الكبير فارسي معرب.

ضجيع حجر: من[٣] قوله تعالى: قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة، وقيل انها حجارة الكبريت، ومالك هو خازن نار جهنم.

والغضب: منه تعالى إرادة الانتقام، والخطم: الكسر، واليفن: الشيخ الكبير.

ولهزه القتير: أي خالطه الشيب ورجل ملهوز أي اشمط[٤] ولهزه بالرمح: طعنه في صدره، والقتير رؤوس المسامير في الدروع شبه الشيب[٥] به.

التحمت: أي التفت وانضمت والتصقت.

ونشبت الجوامع: أي علقت الأغلال، والجامعة الغلّ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

قبل أن تغلق رهائنها: أي قبل أن لم يقدروا على تخليص رقابكم وكان من أفاعيل الجاهلية أن الراهن اذا لم ترد ما عليه في الوقت الموقت ملك المرتهن الرهن، وسئل ابراهيم النخعي[٦] عن غلق الرهن، فقال: إن يقول إن

---

١ ــ المؤمنون: ١٠٠.

٢ ــ البقرة: ٢٤.

٣ ــ في ض: قيل هو من قوله تعالى.

٤ ــ الشمط: الشيب، والشمطات: الشعرات البيض.

٥ ــ في ض: شبه الشيب برؤسها.

٦ ــ هكذا بدون ذكر الاب، وفي كتب الرجال ابراهيم النخعي اسم رجلين من المحدثين، احدهما ابراهيم بن سويد الكوفي النخعي الاعور، روى عن الأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس وعبد الرحمان بن يزيد وروى عنه

←

لم أفتكه إلى غد فهو لك ، فقد أبطل الله رسم الجاهلية فيه ونحوه .

والقلّ : القلة ، وحسيس النار: صوتها .

واللغوب: التعب، ساد العظماء بجوده لأن السيادة يكون بكفاية المهمات والسيد هاهنا من يرجع إليه الناس في كفاية المهمات، والجواد عند العرب من يتفضل على من لا يستحقه، ويعطي من (لايسأل و[١]) لايخاف الفقر ويهب كثيرا بلا مقدار[٢] .

والرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، ضجيع حجر: عبارة عن العذاب الجسداني .

وقرين الشيطان: عبارة عن العذاب الروحاني[٣] ورجل ملهوز ثم هو اشمط ثم أشيب .

* * *

→

الحسن بن عبد الله وزيد ابن الحارث وثقه النسائي والعجلي وابن حبان .

الثاني ابراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ، روى عن خاليه الأسود وعبد الرحمن وشريح القاضي وجماعة ، وروى عنه الأعمش ومنصور وابن عون وغيرهم ، كان مفتى أهل الكوفة وكان رجلا صالحا فقيها ، مات وهو مختف عن الحجاج .

١ ـ بين الهلالين ساقط في ش ، وفي ض : ولا يسأله .

٢ ـ في ض : ويهب كثيرا بلا تقدير ومنه مطر جود اي كثير بلا مقدار.

٣ ـ في ض : من العذاب الروحاني ومالك هو خازن نار جهنم .

١٨٢ ـ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

قال للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بحيث يسمعه:
«لاحكم إلا لله»، وكان من الخوارج

أُسْكُتْ! قَبَّحَكَ ٱللهُ يَا أَثْرَمُ، فَوَٱللهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شُخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ ٱلْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ ٱلْمَاعِزِ.

الشرح

(قوله عليه السلام: قبحك الله يا أثرم.

ع ـ الثرم بالتحريك سقوط الثنية، نعر الباطل: يقال نعر العرق ينعر بالفتح منها نعرا أي فار منه الدم ونعر فلان في الفتنة أي نهض فيها وفلان نعار في الفتن أي سعاء فيها[١]).

ج ـ قبحه الله بالتخفيف أي أبعده عن الخير، الأثرم: الذي سقط سنه وليس ذلك بعيب، ولعل المخاطب كان كذلك أو كان يلقب به.

والضئيل: النحيف، ونعر الباطل: أي صاح أهله، ونجمت: أي طلعت.

* * *

---

١ ـ ساقط في ض.

١٨٣ ــ ومن خطبة لهُ عليه السلام

روي أن صاحباً لأميرالمؤمنين عليه السلام ـ يقال له: همام ـ كان رجلا عابدا، فقال له: يا أميرالمؤمنين، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم! فتثاقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال: يا هَمَّامُ ٱتَّقِ ٱللهَ وَأَحْسِنْ (فَإِنَّ ٱللهَ مَعَ الَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ ـ حِينَ خَلَقَهُمْ ـ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لاَتَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلاَتَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ[١]، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الإِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلاَ الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ الله لَهُمْ[٢] لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ

---

١ ــ في ب: معيشتهم.

٢ ــ في ض: كتب الله عليهم وفي ب: كتب عليهم.

شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ، عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ: قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ[١] لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ: يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً[٢]، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطَّلِبُونَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا: وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ: لاَيَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ

١ــ في ش : تالون لاجزاء القرآن .

٢ــ وفي ر : ويرتلونها .

مُشْفِقُونَ، إذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ، خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ! فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي؛ وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي. اللَّهُم لاَتُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَالاَ يَعلَمُونَ.

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنَى، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَحَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدىً، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ، يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ لِمَا فَرِحاً: حَذِراًحَذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إنِ آسْتَصْعَبَتْ[1] عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ، قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَيَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيْتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ. وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ، فِي الزَّلاَزِلِ

١ ــ في ب: ان استصعب.

وَقُورٌ، وَفي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وفي الرَّخَاءِ شَكُورٌ، لاَيَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلاَيَأْثَمُ فيمنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لاَيُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلاَ يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلاَ يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَالَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ[1].

قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام:

أَمَاوَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ! ثُمَّ قَالَ: أَهٰكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟ فقال له قائل: فما بالك يا أمير المومنين فقال: وَيْحَكَ! إنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لاَيَعْدُوهُ، وَسَبَباً لاَيَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا؛ فَإنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!!

---

١ ــ في ب: بمكر وخدعة.

الشرح

الخطبة الهمامية واضحة المبنى لايحة المعنى، وإن كانت ثنيتها[١] صعبة المرتقى لمن رام ان يتطلعها تقدم التقوى والله تعالى المأمول أن يوفقنا لاقتفاء من اتصف بتلك الصفات، وسبق الأقران في تلك الحلبات[٢] من الأئمة الهداة إنه ولي الاجابة وسامع الدعوات.

الهمام: البعيد الهمة وكان السائل كاسمه عزم عليه: أي أقسم عليه.

غضوا أبصارهم: أي أغمضوها عن محرمات الشرع فلم يطمحوا[٣] بأبصارهم نحوها.

نزلت أنفسهم منهم في البلاء: كالذي نزلت في الرخاء: لأنهم كسروا سورة الشهوة البهيمية، وطيبوا عن أنفسهم نفسا، ووقفوا أشباحهم وأرواحهم على مرضاة الله، وحبسوها في سبيله، فلا مطمح لهم إلى ما فيه نصيب أنفسهم، بل جلّ عنايتهم مصروفة إلى تحصيل ما خلقوا لأجله، من اعداد زاد المعاد، والاقبال بكل الوجوه على عبادة رب العباد، والتفاتهم إلى الأبدان يكون طريق التبع كالتفات سالك البادية للحج الحقيقي إلى رعي الحمل،

---

١ ــ الثنية في الجبل كالعقبة فيه، وقيل هو الطريق العالي فيه وقيل اعلى المسيل في رأسه.

٢ ــ الحلبات جمع حلبة: الدفعة من الخيل في الرهان خاصة الخيل تجمع للسباق يقال: هو يركض في كل حلبة من حلبات الجد اي في كل سباق للمجد.

٣ ــ طمح بصرى اليه: اي امتد وعلا.

وعلموا أن ما أصابهم من الكدّ في الطريق وإن كان عظيما فانه كلا شيء في جنب ما يصلون به اليه من لقاء المحبوب ونيل المطلوب فالمحن عندهم كالمنح والبلية كالنعم.

وقوله كالذي: نظير قوله تعالى: وخضتم كالذي خاضوا وبيت الحماسة:

عسى الأيام أن يرجعن يوما كالذي كانوا.

أي نزلت في البلاء كالنزول الذي نزلت في الرخاء أي كانت في كلتا الحالين سواء ودأبهم كدأب الذي نزلت في الرخاء.

فهم والجنة كمن قد رآها: أي حصل لهم من العلوم اليقينية ما يجري امجرى الضرورية[1] قال عليه السلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، وروي والجنة بالنصب فيكون الواو بمعنى مع ويكون خبر المبتدأ الكاف في كمن قد رآها.

تجارة مربحة: انتصابه على المصدر من معنى الكلام السابق لأن مضمون قوله:

صبروا أياما قصيرة أعقبهم راحة طويلة: يدل على أنهم اتجروا بذلك أو يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره ما بعده أي يسّر لهم ربهم تجارة أوعلى المدح والتخصيص أي أغنى تجارة أو أخصّ تجارة، وجعلها بدلا من راحة على ما زعم صاحب المنهاج ليس بالقوى لأن التجارة المربحة ليست بنفس الراحة وانما صبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة أرادتهم الدنيا ولم يردوها.

وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها: من مكاشفات أميرالمؤمنين علي صلوات

---

١ ــ في ض: كما قال عليه السلام.

الله عليه ما رواه الصادق عن آبائه عنه عليه السلام أنه قال إني كنت بفدك في بعض حيطانها وقد صارت لفاطمة عليها السلام اذا انا بأمرأة قد هجمت عليّ وفي يدي مسحاة وأنا أعمل بها فلما نظرت اليها طار قلبي مما تداخلني من جمالها فشبهتها ببثينة بنت عامر[١] الجحمي، وكانت من أجمل نساء قريش.

فقالت لي: يابن أبي طالب هل لك أن تزوجني فأغنيك عن هذا المسحات وادلك على خزائن الأرض ويكون لك الملك ما بقيت، فقلت لها: من أنت حتى أخطبك من أهلك؟ فقال: أنا الدنيا، فقلت لها: ارجعي فاطلبي زوجا غيري فلست من شأني وأقبلت على مسحاتي وأنشات أقول:

لقد خاب من غرته دنيا دنية * وما هي إن غرت قرونا بطائل
اتتنا على زيّ العزيز بثنية * وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها غرّي سواي فانني * عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فان محمدا * رهين بقفر بين تلك الجنادل
وهبها اتتنا بالكنوز ودرّها * وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعا للفناء مصيرها * ويطلب من خزانها بالطوائل
فغرّي سواي إنني غير راغب * لما فيك من عز وملك ونائل
وقد قنعت نفسي بما قد رزقته * فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
فاني أخاف الله يوم لقائه * وأخشى عتابا دائما غير زائل

(قال عليه السلام:

دنيا تخادعني * كأني لست أعرف حالها
مدت إليّ يمينها * فرددتها وشمالها

---

١ ــ في تاج العروس وبثينة العذرية كجهنية صاحبة جميل الشاعر معروفة وقد ذكرها في أشعاره: وكانا في زمن الصحابة، وهي زوجة نبيئة بن الأسود العذري.

ورأيتها محتاجة * فوهبت جملتها لها[١])

فهذا معني قوله عليه السلام أرادتهم الدنيا ولم يريدوها وإذا تدبرت الخلال المذكورة في هذه وجدت أميرالمؤمنين عليه‌السلام هو الموصوف بها كلها (وقد أوردت هذه الأبيات وأمثالها في أنوار العقول من أشعار وصي الرسول[٢]) وما أسرها اياهم فلأن أرواح الأولياء قدسية ومقامها في العالم الجسداني على خلاف مقتضى طبيعتها، فهي غريبة في هذا العالم وصغوها[٣] بالكلية أي عالما فهي أسيره هنا من حيث الغربة وعدم الملامة فدائما يستعدّ ويتهيأ للسفر الحقيقي ويزيل المثبطات[٤] ويرفعها من البين فذلك فداؤها ـ والله أعلم.

يرتلون أجزاء القرآن: سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن[٥] الترتيل فقال: حفظ الوقوف واداء الحروف، وهذا يشتمل على جميع ما تعتبره القراء، والترتيل في اللغة التمهل والتبين.

وتطلعت نفوسهم إليها: أي كادت تطلع شموس نفوسهم من أفق عوالم أبدانهم فتصعد إلى العالم العلوي شوقا إلى ما وعدوا به في تلك الآيات من اخائر الذخائر وعظائم الكرائم وانتصاب، نصب أعينهم: على الظرف أي في موضع يقابل أعينهم ويجوز فيه الرفع.

فهم حانون على أوساطهم: أي منعطفون للركوع، مفترشون لجباههم: في السجود والحنى قد جاء متعديا ولازما وتعديته (أكثر فيكون تقديره حانون

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٢ ــ ساقط في ض.

٣ ــ صغى اليه: مال بسمعه اليه.

٤ ــ التشبيط: التعويق والشغل عن المراد.

٥ ــ ترتيل القراءة: التاني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات.

ظهورهم على أوساطهم .

أما النهار: انتصابه على الظرفية وتعلقه[١]) بما بعده من الصفات كحلماء وغيره، وحلماء خبر مبتداء محذوف أي هم حلماء في النهار ويجوز فيه الرفع على تقدير أما النهار فهم حلماء فيه، فيكون مبتدأ والجملة بعده خبره وفيها ضمير مقدر يعود اليه .

قد براهم الخوف : أي أنضاهم[٢] وانحفهم، خولطوا : أي خالط عقولهم جنون .

والتحرج : التأثم استصعبت نفسه أي صارت صعبة نافرة عن مشاق التكليف .

والسئول : الحاجة، منزورا أكله : أي قليلا فان البطنة، وكثرة الأكل كما قيل تذهب بالفطنة ويقسي القلب .

لايحيف : أي لايجور ولا يظلم، لاينابز بالألقاب : أي لا يدعو غيره بالألقاب الكريهة .

فصعق همام : أي غشي عليه ومات (وصاحب المعارج ما نبس في هذه الخطبة بحرف وصاحب المنهاج ما أتى بطائل والله الموفق[٣]) .

* * *

---

١ ـــ بين الهلالين ساقط في ب .

٢ ـــ في الحديث ان المؤمن لينضى شيطانه : أي يهزله والنضو: الدابة التي اهزلتها الاسفار.

٣ ـــ ساقط في ض .

١٨٤ ــ ومن خطبة لهُ عليه السلام

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ[١] تَمَاماً، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ: خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا وَضَرَبَتْ[٢] لِمُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا: مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ؛ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ؛ وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ: يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ، وَيَمْشُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ. وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُو الْبَلاَءِ؛ وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ

---

١ ــ في ف ون : لمننه.

٢ ــ في ب : وضربت بمحاربته.

بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ؛ وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَقَارَضُونَ[١] الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ: إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلاَقَهُمْ: يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيُوَهِّمُونَ، قَدْ هيبوا الطَّرِيقَ[٢]، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ؛ فَهُمَّ لُمَّةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ النِّيرَانِ (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ).

---

١ ــ في ش: يتفارضون.

٢ ــ في ض وح وب: هونوا الطريق.

الشرح

قوله عليه السلام نحمده على ما وفق له من الطاعة الى آخره.

له يتعلق بالطاعة[١]. وما موصولة أو مصدرية.

تماما لمنة وروي لمننه[٢] وخاض كل غمرة: أي سرع كل شدة.

وتلون الأدنون له: أيَ تغير الأقربا عليه وتالب عليه الأقصون: أي تجمع على مخاصمته ومحاربته الأبعدون.

وخلع آعنة الخيل وضرب بطن الراحلة: أبلغ عبارة عن المبالغة في إعدائها[٣] واسراعها وقد يختلف الألفاظ فيه، وهو مثل يضرب في السرعة، فتارة يقال ضرب فلان لكذا آباط إبله وتارة أكباد إبله وتارة كما قاله عليه السلام هاهنا ولجميع عبارة عن اتعاب المطايا في السير.

وساحة الدار: وباحتها عرصتها ومتسعها واسحق المزار بعده: ويفتنون: أي يتنوعون في الأفعال والأقوال فيخالف بعضها بعضا وشر دواء أي فاسد الجوف من داء والأنثى دوية، ومن شدد هاهنا فلازدواج نقية.

والصفحة: ظاهر الجسد اي ظواهرهم طاهرة وباطنهم خبيثة.

يمشون الخفاء أي يمشون لأجل الفساد، وتهييج نائرة الفتنة، مستخفين فيكون الخفافي موضع الحال من باب قولهم أرسلها العراك، أو يكون ظرفا أي

---

١ ــ في ض: له قيل يتعلق.

٢ ــ في ض وروي بمننه.

٣ ــ اعدى عليه: ظلمه.

يمشون بالشر في الأماكن الشر[١] لايطلع عليها أو يكون مصدر بمعنى الفاعل فيكون صفة مصدر محذوف أي يمشون المشي الخافي. وجعله مصدرا أو مفعولا به على ما ذكر صاحب المنهاج غير مرضي عندي.

ويدبون الضراء: وهو ما يوازي من الشجر وهذا مثل يضرب لمن يسعى بالفساد، ويدب بالشر والنميمة ويختل صاحبه، أي هو في تهييج الشر خايفا يمشي تحت الشجر بحيث لايرى، وهو لفظ بليغ مستعمل جدا قال بشر:

عطفنا لهم عطف الفروس من الملا ✽ بشهباء لايمشي الضراء رقيبها[٢]

قال الامام مسعود الصوابي:

وأنى يضر العلي حاسد ✽ يدب الضراء ويمشي الخمر

وقال أيضا:

ما لابن خباز يدب ضراوة ✽ لي والسكوت عن الجواب جوابه

وقلت أنا في مدح بعض أجلة السادة ببهيق.

عدوك في فنائك ليس يدري ✽ لدهشته يمينا عن شمال
يراه سموه عزك إذراه ✽ فصار لذلك أنحف من خلال
يدب لك الضراء بذي قواه ✽ ويدأب كل يوم في احتيال
وهل موذي علا فوق الثريا ✽ نحيت ثرى دبيب من نمال

ولي قصيدة في مدح إمام الدنيا أقضى قضاة الشرق والغرب ركن الدنيا والدين غياث الاسلام والمسلمين، ذي الفضائل الجمة والمعالي الدثرة[٣] أبي الفضل ابراهيم المغيثي متع الله الاسلام والمسلمين بطول بقائه وأفاض

١ــ في ض: في الاماكن التي لا تطلع عليها.
٢ــ إيمكن ان يكون هو بشر بن مروان الشاعر البيت في تاج العروس.
٣ــ الدثر: المال الكثير، الدثر: الخصب والنبات الكثير.

عليه سجال[١] نعمائه قلت فيها تعريضا بانسان:

يدب لك الضراء بلا اقتدار * وأقدر منه غث غثيث
فما هواء اذ يعادي الصيد إلا * كرام حتفه عنه بحيث[٢])

الداء العيا: ما يعي الأطباء، يعجزهم من الدواء.

يتقارضون الثناء: أي يمدح بعضهم بعضا، ليمدحه هو أيضا على طريق المبادلة والقرض.

والالحاف: الاستقصاء وان عذلوا كشفوا: أي إن صدر من هؤلاء المنافقين فعل له ظاهرحسن يشبه العدل أظهروا ذلك للناس ليخدعوهم، فيغتروا بهم ويظنوا بهم خيرا.

يتوصلون إلى الطمع باليأس: أي يتزهدون وتتقشفون ويظهرون من أنفسهم أنهم من الدنيا وزخارفها معرضون، ويتلبسون بلباس اليأس حتى ينخدع بتلبسهم أغمار[٣] الناس أعاذنا الله من الدخول في غمارهم، والتلوث بعرّهم وعوارهم[٤].

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في بعض من كان في ذلك الميدان سابق الأقران ترك الدنيا للدنيا.

وينفقوا به أعلاقهم: العلق الشئ النفيس قال ذلك على طريق التهكم[٥] كما قال تعالى: ذق انك أنت العزيز الكريم[٦]، أي ليجعلوا سلع

---

١ ــ السجال: الاحسان الى كل احد برا كان او فاجرا، المسجل: المال المبذول.

٢ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٣ ــ غمار الناس: جمعهم المتكلف.

٤ ــ العوار: العيب.

٥ ــ التهكم: الاستهزاء والاستخفاف.

٦ ــ الدخان: ٤٩.

نفاقهم النفيسة عندهم نافقه فيما بين الناس، وأصل التمويه من الماء لأن أصل ماء ماه[١] فكان التمويه أن يجعل لظاهر الشيء ماء وطراوة وإن كان باطنه بخلافه ولا طائل تحته.

هيبوا الطريق: جعلوه مهيبة مخوفة وروي هيئوا أي أعدوا لانفسهم الطريق الى مرامهم.

واضلعوا المضيق: من الضلع وهو الاعوجاج أو الضلع وهو الجبيل المنفرد أي جعلوا مضيق الطريق وعرا[٢] او ذا اعوجاج أو مائلا عن الاستقام من ضلع يضلع ضلعا أي مال وجنف[٣].

واللمة: الجماعة من الثلاثة إلى العشرة.

وحمة الحرّ بالتشديد: سورته ومعظمه وحمة الفراق ما قدر وقضي، والحمة السواد والرماد، أيضا والحمة بالتخفيف سم العقرب.

* * *

١ــ في ض: بدلالة ان جمعه امواه تصغير مويه لكان ان يجعل.

٢ــ جبل وعر: اي غليظ يصعب الصعود اليه.

٣ــ الجنف: الميل والجور، جنف واجتف: اذا مال وجار، وقيل الجانف: يختص بالوصية والمجنف المائل عن الحق.

١٨٥ ــ ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ[١] قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلاَصٍ وَإِذْعَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلاَمُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صلى الله عليه وآله وسلم.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً. عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ. وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ، وَاسْتَنْجِحُوهُ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ[٢]، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ، إِنْسٍ وَجَانٍّ، لاَ يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ، وَلاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ[٣]، وَلاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ،

١ ــ في ر: وروى من آيات قدرته.

٢ ــ في ر: واستمنحوه.

٣ ــ في ب: ولا ينقصه.

وَلاَيَسْتَنْقِصِيهِ[١] نَائِلٌ، وَلاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلاَتَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلاَ يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلاَ يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَى، وَعَلاَ فَدَنَا، وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ، لَمْ يَذْرَإِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ[٢]، وَلاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكِلاَلٍ.

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ ٱللهِ، بِتَقْوَى ٱللهِ؛ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا؛ تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ. وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ الأَقْطَارُ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ؛ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً[٣] رَقْرَقاً، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً، فَلاَ شَفِيعٌ يَشْفَعُ[٤]، وَلاَ حَمِيمٌ يَدْفَعُ، وَلاَ مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ[٥].

١ــ في م : ولا يستنقصه نائل.

٢ــ في ر : روى ولم يدر الخلق باحتيال.

٣ــ في ر : روى سرابا رقراقا.

٤ــ في ب : شفيع ولا حميم.

٥ــ في ش : ولا معذرة تدفع.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العيون من عجائب قدرته وردع خطرات هماهم النفوس من عرفان كنه صفته الى آخره صلوات الله على قائله.

المقلة: شحمة العين واستعارتها من البصر للبصيرة من ألطف الأستعارات.

والردع: الزجر، الهمهمة: ترديد الصوت في الصدر وأرادها هنا ترديد الفكر.

والأعلام: الجبال والعلامات والمناهج: الطرق الواضحة.

طامسة: أي مطموسة ممحوة فصدع بالحق: أي أظهره وأخرجه من الغلاف.

والقصد: العدل هملا: أي مهملا بلا راع، استفتحوه: اسألوه الفتح والنصر، قال في ان تستفتحوا أي استنصروا واستنجحوه اطلبوا منا النجاح والظفر.

الحباء: العطأ لا يثلمه العطاء: أي لايبدي خللا في ملكه.

ولا يستقصيه نائل: أي أنه وان أعطي كل ما يسأل وفوق ذلك بكثير فانه لايبلغ أقصى ما في خزائن كرمه، لأنه قادر من الاحسان والانعام وغير ذلك على ما لانهاية له.

ولا يلويه: أي لا يلفته ولا يصرفه ولا يحجزه هبة عن سلب لأنه الحكيم

القادر على ما يشاء، منح[1] من يشاء ويمنح من يشاء حسب ما يقتضيه المصلحة.

ولا تولهه: أي لا تحير ولا تجنه: أي لا تستره وحقيقته لايكون جنينا في البطون؛ منتقلا عن الظهور أي الأصلاب.

ولا يقطعه الظهور عن البطون: بأن تبقى في الأصلاب، فلا ينتقل إلى الارحام، أي ليس من قبيل من تضمه الأصلاب والأرحام، أو يكون البطون بمعنى الخفاء والظهور بمعنى الجلاء، أي هو مع جلائه خفي ومع خفائه جلي، لايمنع أحد الأمرين، كما قال تعالى: هو الظاهر والباطن وكما فسره بقوله.

وظهر فبطن وبطن فعلن: وذلك لأن ظهوره إنما هو بالدلائل والآثار وخفاؤه عن الاحساس والتوهم، وكذا القول في القرب والبعد لأنه قريب من كل شيء بالعلم والاحاطة، بعيد من أن يدرك ويحاط به..

ودان ولم يدن: أي قهر الموجودات بكمال قدرته، ولم يقدر أحد على قهره وسلب مملكته ويجازي كلا بحسب عمله ولا يقدر أحد على مجازاته.

لم يدرأ الخلق باحتيال: أي لم يخلقهم بحيلة وكلفة، ومشقة، بل بفراط اقتدار، كما قال كن فيكون.

ولا استعان بهم لكلال: أي هو ممن يستحيل عليه التعب والاعياء فلا يمكن أن يقال إنما خلقهم ليعملوا لأجله، فيتخلص هو بعملهم عن كلفة العمل، فانها أي التقوى، والزمام والقوام: أي خشية الله زمام كل خير، وطاعته وقوامه، كما ورد في الخبر رأس الحكمة مخافة الله، وذلك لأن الخوف هو الداعي إلى النظر المنتج لجميع علوم الدين، ثم الخوف من المثيب والمعاقب هو الداعي إلى القيام بالواجبات والاجتناب من المقبحات.

---

١ ــ في ض: يمنع من يشاء.

قوله بكم إلى أكنان الدعة: أي تقربكم إلى مواطن الراحة، وتحلكم في فراديس، تكنكم وتظلكم عن حر نار العصيان، والاحتراق بغضب الرحمن والمعقل: الملجأ تشخص فيه الأبصار أي تحار فلا ترى.

والأقطار: الجوانب والصروم: والصرمة: جماعة من الابل نحو الثلاثين.

والعشار: جمع العشراء وهي الناقة التي أتت عليها من يوم ارسل فيها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لايزال ذلك اسمها حتى يضع ما في بطنها وبعد ما تضع أيضا وهو أعز أموال العرب وهذا مقتبس من قوله تعالى: واذا العشار عطلت.

تزهق: أي يهلك، والمهجة: هنا الروح وتبكم كل لهجة: أي تخرس كل لسان.

والشم الشوامخ: الجبال العالية، والصم الرواسخ: الصلاب الثابت والصلد: الحجر الأملس.

والسراب: الال[١] الذي يسري في المفاوز وقت المهاجرة[٢] كماء يجري وليس به.

وماء رقراق: له لمعان وتلالؤ وهو مأخوذ من قوله تعالى: وسيرت الجبال فكانت سرابا، وحذف ألف رقراق للازدواج أو للتخفيف أو هو لغة.

القاع: الأرض الخالية والسملق: المستوي من الأرض، والحميم: القريب.

* * *

١ ــ الّ يئل بالكسر: برق قاله ابن دريد واليل الحربة: لمعانها.

٢ ــ الهاجرة: اشتداد الحر نصف النهار.

١٨٦ ـ ومن خطبة له عليه السلام

بَعَثَهُ حِينَ لاَعَلَمٌ قَائِمٌ، وَلاَ مَنارٌ سَاطِعٌ، وَلاَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ: أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ، بِتَقْوى ٱللهِ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَصْفِقُهَا[١] الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ، وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَى مُتُونَ الْأَمْوَاجِ[٢]، تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ !!

عِبَادَ ٱللهِ: ٱلآنَ فَاعْمَلُوا، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ!

١ ـ في ض وح وب : تقصفها .
٢ ـ في ض وح وب : بطون الامواج .

الشرح

قوله عليه السلام: بعثه حين لاعلم قائم.

إنما لم يقل لاعلم، فحسب بل وصفه بقوله: قائم ايذانا بأن الناس ما داموا مكلفين مرتفعي العصمة، لابد أن يكون فيهم علم منصوب؛ وإمام منصوص معصوم، من قبل الله تعالى ليكون تصرفه فيما بينهم لطفا لهم إن أمكنوه وإن لم يمكنوه كان العلم موجودا، لكن لم يكن قائما متصرفا، فيكون المكلفون قد أتوا من قبل نفوسهم في فوات لطفهم.

الشخوص: الذهاب والظاعن: المسافر.

والقاطن: المقيم أي الارتحال معقود بنواصي من عزم فيها على الاقامة.

ووبق يوبق ويبق أي هلك، والفاعل وبق ومنه قوله تعالى: وجعلنا بينهم موبقا.

والحفز: الدفع يقال حفزه أي دفعه من خلفه قال الراجز:

تريح بعد النفوس المحفوز[١].

أي النفس الشديد المتتابع الذي كأنه يحفز أي يدفع.

فما نجا منهما فالى مهلك.

ع ـ أي لا يأمن الهلاك ما دام في البحر والهلاك له بالمرصاد، كذلك من كان في الدنيا، وإن نجا من المرض والمخلوف فالموت والفناء له

١ ـ التصحيح من تاج العروس (حفز).

بالمرصاد .

ج ــ عنى بالغريق : الكافر وبالناجي الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم[١] .

والأعضاء لدنة : أي لينة فيها الحياة لم ترجع بعد جماداً .

وعنى بفسحه والمنقلب وعرض المجال : بقية عمر المرء التي لاقيمة لها .

وإرهاق الفوق : المرهق الذي أدرك ليقتل قال الشاعر :

ومرهق سال أمتاعا بأصدته * لم يستعن وحوامي الموت يغشاه[٢]

كذا في الصحاح ، أي قبل ان يفوت العمر الذي هو رأس المال في إعداد زاد المعاد ، يغشيان الموت وطريانه .

فحققوا عليكم نزوله ولا ينتظروا قدومه : أي احسبو الموت كأنه قد حضر ، ولا تعدوه في عداد المنتظر ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وموتوا قبل أن تماتوا ، وعدوا أنفسكم من أصحاب القبور تخلصوا من حباله[٣] .

* * *

---

١ ــ التوبة : ١٠٢ .

٢ ــ البيت في تاج العروس (رهق) و بعده .

فرجت عنه بصرعين لارملة * او بائس جاء معناه كمعناه

٣ ــ في ض : من حبالة الغرور .

١٨٧/١ ـ ومن خطبة له عليه السلام

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وآله وسلم، أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَام، نَجدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ، مَلأٌ يَهْبِطُ وَمَلأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً؟! فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزِلَّةِ الْبَاطِلِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

الشرح

قوله عليه السلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله.

المستحفظون: الذين هم كانوا حفظ الشريعة والسنة: وقد شاهدوها وعلموا بها أي حصل لهم العلم إما باخبار النبي صلى الله عليه وآله إياهم أو المشاهدتهم لأقوالي وأفعالي بمشاهدتهم.

أني لم ارد على الله وعلى رسوله ساعة قط.

قولا ولا فعلا، وظاهر الكلام دليل قاطع على عصمة أميرالمؤمنين وأنه لم يرتكب قطعا إثما صغيرا ولا كبيرا لأنه استشهد على ذلك بعلم علماء الصحابة، وما علم أحد رد عليه هذا القول، مع إطلاقه على أن الامة مجمعة سوى المارقين إن عليا ما كذب قط واذا لم يكذب، فكل ما قاله صدق وهذا مما قاله وهو دليل العصمة.

ولقد واسيته: وروي آسيته وهما بمعنى في المواطن التي ينكص فيها الأبطال.

مواطنه المشهورة، ومقاماته المذكورة أشهر من أن يشار اليها ببيان وأعظم من أن يوصف بلسان.

منها: مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، حين هم المشركون بقتله عليه السلام، سار النبي إلى الشعب مرة في حياة أبي طالب

عليه السلام، وإلى الغار اخرى بعد وفاته ووقايته إياه بنفسه في كلتا الحالتين، حتى أنزل الله تعالى في حقه: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية على ما تظاهر به النقل، وله عليه السلام في ذلك أشعار[١].

منها: ثباته يوم أحد، حين انهزم الأصحاب كلهم، ولا يبقى في المعركة إلا هو، ثم لحقه واحد وإثنان وقد قيل له اذا نفرد[٢] قتل محمد وقال علي لم يقتل، ولئن قتل أو مات فان رب محمد حي لايموت، وجعل يقاتل القوم ويقتلهم، حتى كشف فرقة منهم عن مواقفهم فاذا هو بالنبي صلى الله عليه وآله جريحا مغشيا عليه، وقال جبرئيل للنبي إن هذه لهي المواساة فقال كيف لايواسي وعلي مني وانا منه، وصاح جبرئيل لافتى إلا على ولاسيف إلا ذوالفقار، وقد نظمه بعض الشعراء قال:

جبرئيل نادى في الوغا * والنقع ليس بمنجلي
لاسيف إلا ذوالفقار * ولا فتى الا علي

منها: يوم الخندق حين عبر الخندق وقتل عمرو بن عبدود، حتى قال النبي صلى الله عليه وآله لضربة علي يوم الخندق خير من عبادة المتعبدين بعده الى آخر الدهر.

منها يوم حنين[٣] حين انهزم اكثر المسلمين وقتل علي ذي الخمار ولو ذهبنا نعد مقاماته لطال به الكتاب وخرجنا من الغرض المقصود.

---

١ ــ في ض: في ذلك اشعار اوردتها في انوار العقول.

٢ ــ كذا في النسخ.

٣ ــ حنين تصغير الحنان وهو الرحمة وهو اليوم الذي ذكره عز وجل في كتابه الكريم، وهو قريب من مكة وقيل هو واد قبل الطائف قال الواقدي بينه و بين مكة ثلاث ليال: وغزوة حنين من الغزوات المعروفة وكانت في هذا الموضع.

ونجدة: مفعول له أي واسيته لشجاعة أعطانيها الله.

فضجت الدار والأفنية: أي لضجيج حاضرتها من الملائكة.

والهينمة: الصوت الخفي يعني تسبيح الملائكة وتهليلهم، وصلواتهم على النبي صلى الله عليه وآله.

حق واريناه في ضريحه: أي دفناه في قبره.

فمن ذا أحق به مني حيا وميتا: تصريح بمذهب الامامية.

* * *

١٨٨ ـ ومن خطبة له عليه السلام

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلاَفَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلاَطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَأُوصِيكُمْ[1] بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طِلْبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ، فَانَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلاَحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلاَءُ غِشَاءِ أَبْصَارِكُمْ[2]، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ، فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُدِكُمْ[3]، وَشَفِيعاً لِدَرْكِ طِلْبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ،

---

١ ـ في ش : فاني اوصيكم .

٢ ـ في ش ور : عشاء ابصاركم .

٣ ـ في ض وح وب : لحين ورود كم .

وَنَفَساً لِكُرَبِ مَوَاطِنِكُمْ؛ فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا.

فَاتَّقُوا ٱللهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَٱمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ، فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَٱخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الإِسْلاَمَ دِينُ ٱللهِ الَّذِي ٱصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَٱصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزِّهِ[1]، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ[2]، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلاَلَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ[3]، ثُمَّ جَعَلَهُ لاَ ٱنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلاَ فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلاَ ٱنْهِدَامَ لأَسَاسِهِ، وَلاَ زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلاَ ٱنْقِلاَعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلاَ ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلاَ عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلاَ جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلاَ ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلاَ وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلاَ سَوَادَ لِوَضَحِهِ، وَلاَ عِوَجَ

١ــ في ض وح وب : بعزته .
٢ــ في ب : لرفعه .
٣ــ في ب : لمواتحه .

لانْتِصابِهِ، وَلاَ عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلاَوَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلاَ انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلاَ مَرَارَةَ لِحَلاَوَتِهِ. فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا أُسُسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا، وَأَعْلاَمٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا: جَعَلَ اللهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ وَثِيقُ الأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعْوِزُ الْمَثَارِ[1]؛ فَشَرِّفُوهُ، وَاتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ[2].

ثُمَّ إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً، صلى الله عليه وآله وسلم، بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاطِّلاَعُ؛ وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلاَمِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللهُ بَلاَغاً لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لأَعْوَانِهِ، وَشَرَفاً لأَنْصَارِهِ.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لاَتُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجاً لاَيَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَبَحْراً لاَيُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجاً لاَ يُضِلُّ نَهْجُهُ،

---

١ ــ في م : معوز المثال وفي ر : معوز المثال ومعون المثال.

٢ ــ في ب : مواضيعه.

وَشُعَاعاً لاَيُظْلِمُ ضَوْءُه، وَفُرْقَاناً لاَيُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وبُنْيَاناً[١] لاَتُهْدَمُ أرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لاَتُخْشَى أسْقَامُهُ، وَعِزّاً لاَتُهْزَمُ أنْصارُهُ، وَحَقّاً لاَتُخْذَلُ أعْوَانُهُ. فَهُوَ مَعْدِنُ الإيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ، وَأثَافِيُّ الإسْلاَمِ وَبُنْيَانُهُ، وَأوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ. وَبَحْرٌ لاَيَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ[٢]، وَعُيُونٌ لاَيُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَمَنَاهِلُ لاَيُغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لاَيَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأعْلاَمٌ لاَيَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ لاَيَجُوزُ[٣] عَنْهَا الْقَاصِدُونَ؛ جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجاً[٤] لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ، وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى.

١ــ في م وح وض وب : تبيانا لا تهدم.

٢ــ في ب : المنتزفون.

٣ــ في ن وف : وامام وفي ل : وآكام لا يجوز عنه.

٤ــ في ر : الفلج والفلح بالجيم والحاء كلاهما روي.

الشرح

قوله عليه السلام: يعلم عجيج الوحوش في الفلوات إلى آخره.

العج: رفع الصوت وقد عج عجيجا، والنون: الحوت والجمع أنوان ونينان وما غامر وغمر أي كثير.

ودخيل الرجل: ما يختصّ به وقيل سرّه.

والشعار: ما ولي الجسد من الثياب تحت الدثار، ونفس الله كربته أي فرجها وأنت في نفس من أمري أي سعة.

والمتالف: المهالك، المكتنفة: المحيطة، والأوار: حرارة النار.

واحلولت: صارت حلوة، والتراكم: التراكب وأسهل: صار سهلا.

وأنصب: صار ذا نصب وتعب، وهطل: أي سال.

والرذاذ: المطر الضعيف، وهو فوق القطقط، يقال: ارذت السماء وأرض مرذة، حكاها الكسائي وقال أبوعبيد: أرض مرذ عليها ولا يقال مرذوذة ولا مرذة.

والتحدب، الشفقة والعطف.

وأمتن عليكم بنعمته: أي أنعم بها عليكم أو عدّدها اياكم لتذكروها وتشكروه عليها.

فعبدوا أنفسكم: أي ذللوها لعبادته، والعبادة نهاية ما يقدر المرء عليه من الخضوع والتذلل للمعبود.

وأخرجوا إليه من حق طاعته: أي أدّوا طاعته التي هي حق واجب عليكم أو أخرجوا إلى يوم القيامة الذي هو يوم لقاء الله وأنتم مطيعون له.

إن هذا الاسلام دين الله: كما قال تعالى: «إن الدين عند الله الاسلام» والاسلام الانقياد والتسليم، والدين الطاعة.

واصطنعه على عينه: استعارة مجازة إنه شرّف هذا الدين، وخصصه بأنواع من التخصيص، وأضافه إلى نفسه، فعل الملك إذا كان عنايته مصروفة إلى أمر من الأمور، فانه لا يأمر أن يؤتي بذلك الأمر بمرئى ومسمع منه حتى يعاين ظاهره وباطنه، ولا تحلّ بشيء من شرائطه لفرط عنايته.

وأصفاه[١] خيرة خلقه: أي أخلصه واختاره لمحمد[٢] وعترته.

والدعامة: العماد، والعادة: المخالفة والمعاداة.

وأتاق الاناء: ملأه والماتح، المستقي، يقال متح الماء أي نزعه وربما يكنى بالماتح عن الدّلو.

والعفا: الدروس، ولاجذّ روي بالدال والذال، وهما بمعني القطع.

والضنك: الضيق، والوعوثة: لين وسهولة في الأرض يشق المشي عليها، ومكان وعث أي سهل كثير الدهس[٣] تغيب فيه الأقدام ومنه وعثاء السفر.

والعصل: اعوجاج شديد يقال للرجل المعوج الساق أعصل وشجرة عصلة عوجا، وعود أعصل أعوج وقيل أصل العصلة التوأني عسيب الذنب حتى يبدو وبعض باطنه الذي لاشعر عليه.

وساخت قوائمه في الأرض، أي دخلت فيها وغابت مثل ناخت.

والسنخ: الأصل أي أثبت وأرسخ في الحق أصول تلك الدعائم.

---

١ ــ في ض: واصطفاه خيرة خلقه.

٢ ــ اختاره: بمحمد وعترته.

٣ ــ الدهس: ما سهل ولان من الأرض.

وغرزت: أي كثرت. وشبت: أي وقدت، والسفار: المسافرون، وذروة كل شيء: أعلاه.

وأعوزه الشيء: إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

والمثار: من ثار الغبار أي سطع.

حين دنا من الاخرة الانقطاع وأقبل من الآخرة الاطلاع.

مأخوذ من قول النبي عليه السلام: بعثت والساعة كهاتين وأشار بسبابته ووسطاه.

قامت بأهلها على ساق: أي على شدة والضمير للدنيا قال الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق.

والشرط: بالتحريك العلامة وأشراط الساعة علامتها أضافها إلى الدنيا لأنها يكون فيها وإن كانت للآخرة.

بلاغا لرسالته: الضمير للنبي صلى الله عليه وآله.

وبحبوحة الدار: وسطها، واثافي الاسلام: مستعار في أثافي القدر، وتقدير اثفيه اثفولة[1]، يقال بقيت من بين فلان اثفيه خشنا أي بقي منهم عدد كثير، والأثافي كناية عن مقدمات الشيء يقال لسليمان وهوازن[2] ابنا منصور بن عكرمة وغطفان[3] ومحارب[4] أثافي العرب.

والغائط: المطمئن من الأرض الواسع، والجمع غوط وغيطان.

---

١ ـ في ض: اثفولة: افعولة.

٢ ـ هوازن قبيلة من قيس وهو هوازن بن سعد بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان قال الأزهري: لا ادري هم اشتقاقه والنسب اليه هوازنى.

٣ ـ غطفان محركة حي من قيس وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان انشد الجوهري:

لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها الى لامت ذو أحسابها عمرا

٤ ـ بنو محارب قبائل منهم محارب بن خصفة بن قيس عيلان ومحارب بن فهر، ومحارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن عبد القيس.

ونضب الماء: غار في الأرض وأنضبته أنا بغيضها أي بنقضها .

والمحاجّ جمع المحجة: وهي جادة الطريق والامام الذي يؤتم به ويقتدى بأقواله وأفعاله وهو القدوة والمثال والمأموم قال لبيد:

ولكل قوم سنة وإمامها .

قيل: هو من الأمّ وهو القصد، فالامام هو المقصد .

وانتحل: أي ادّعى أي من ادعى ذلك فيه، وإن لم يكن محقا، فيقال إنه من أهل القرآن فيعذر.

والفلج: الظفر، وحاج: أي غالب بالحجة، وتوسم: تفرس والاستلام لبس اللامة وهي الدرع .

* * *

١٨٩ ـ ومن خطبة له عليه السلام

كان يوصي به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً، أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قَالُوا: لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ.) وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ، وَشَبَّهَهَا رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟! وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لاَتَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَمَالٍ. يَقُولُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ: (رِجَالٌ لاَتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ). وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَصِباً بِالصَّلاَةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ لِقَوْلِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصَّلاَةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا) فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ، وَيُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَمَنْ

أَعْطَاهَا، طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَأَنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً[١] وَوِقَايَةً. فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفَهُ؛ فَانَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَاهُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ؛ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمٰوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، وَالأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَى وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لاَمْتَنَعْنَ، وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الإِنْسَانُ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

إِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لاَيَخْفَى عَلَيْهِ مَاالْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

---

١ ــ في حاشية ن : من النار حجابا .

الشرح

قوله عليه السلام: تعاهدوا أمر الصلاة إلى آخره.

التعهد بالشيء المتحفظ به، وتجديد العهد به. يقال تعهدت ضيعتي وتعاهدتها، وقيل التعهد للضيعة أفصح، والتعاهد إنما يكن بين اثنين.

والمحافظة: المراقبة والتيقظ وقله الغفلة، وقال النبي صلى الله عليه وآله: من صلى الصلوات الخمس حيث كان، وأين كان، له بكل يوم حافظ عليها كأجر ألف شيهد أو يكون من الحفاظ أي ينبغي أن يكون له حمية وانفة من تركها.

إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا.

أي فرضا مكتوبا عليهم موقتا معينا يؤدونها بأوقاتها، وسئل الصادق[١] عليه السلام ما بال الزاني لانسميه كافرا وتارك الصلاة نسميه كافرا، فقال: لأن الزاني ومن أشبهه، إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة، لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لايتركها إلا استخفافا بها.

قال النبي صلى الله عليه وآله: عليكم بالصلوة فانها عمود دينكم وخدمة ربكم، وأن الصلوة أو ما يحاسب العبد عليها يوم القيامة، فان قبلت قبل ما سواها، وإن ردت رد ما سواها، وليس مني من استخف بصلاته لايرد على الحوض، وقال: لايزال الشيطان ذعرا[٢] فزعا من المؤمن، ما حافظ على

١ ــ في ض: وسئل عليه السلام.

٢ ــ الذعر: الفزع.

الصلاة الخمس، فاذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه في العظائم.

سئل الصادق عليه السلام: عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم؟ فقال: ما أعلم شيئا بعد المعروفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم قال: وأوصاني بالصلاة.

الحت: حتك الورق من الغصن. والمني من الثوب ونحوه كذا في الصحاح وتحات الشيء أي تناثر.

والربقة: الحبل، والحمة: الحفيرة التي فيها الحميم وهو الماء الحار.

والدرن: الوسخ، والنصب: التعب، والصلاة: في اللغة الدعاء، قال تعالى: وصل عليهم، أي ادع لهم، ومنه صلاة الجنايز، والصلاة الرحمة قال كثير[١].

صلى على عزة الرحمن وابنتها * ليلى وصلى على جاراتها الأخر

قال النبي صلى الله عليه وآله لعبدالله بن أبي وفي حين[٢] أتاه بصدقة: اللهم صلى على آل أبي أوفى أي بارك، قال ابو عبيد: هو الذي يصلي عليكم وملائكته أي يبارك قال بعض المفسرين: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومنا الدعاء. وقيل الصلاة من قولهم: صليت العود تصلية اذا لينته بالنار، حتى يسهل تقويمه ويزول إعوجاجه قال الشاعر:

فما صلى عصاك كمستديم

فبالصلاة لين قلب المؤمن ويزول إعوجاج أخلاقه.

والزكاة: النماء والزيادة، يقال زكا الزرع وطال، وقرية زكية إذا كثر خيرها، والزكاة الطهارة قال تعالى: قد أفلح من زكاها أي طهرها.

---

١ ــ كثير بالتصغير مع التشديد صاحب عزة وهو ابوه صخر كثير بن عبد الرحمان الشاعر.

٢ ــ عبد الله بن ابي بن خلف القرشي الجمحي اسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل.

والقربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى من نسيكة[١] أو صدقة، والقربان واحد قرابين الملك أي خلصائها.

حجازا: أي مانعا وحجابا، والحجر المنع.

يرجو بها ما هو أفضل منها: يعني يرجو عوضا أفضل منها في دار الدنيا.

والمراد بالأمانة: هاهنا قال تعالى: إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال، وفي كتاب الغريبين الأمانة: الطاعة والعبادة، قال قوم: الأمانة التي حملها الانسان هي كونه مستصلحا للدارين، وذلك أن الله تعالى أوجد خلقا لايصلح إلا للدنيا وهو الحيوان الأعجم، وخلقا لايصلح إلا للدار الأخرة وهو الملك، وخلقا يصلح للدارين وهو الانسان.

فالانسان واسطة بين جوهرين وضيع وهو الحيوانات العجم، ورفيع وهو الملك، فجمع فيه قوى العالمين، وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمنازعة وغير ذلك من أخلاق الحيوانات (وكالملائكة في العقل والعلم وعبادة الله، والصدق، والوفا؛ ونحو ذلك من الأخلاق[٢]) الشريفة.

وجه الحكمة في ذلك أنه لما رشحه[٣] لعبادته؛ وخلافته في الأرض كما لم يصلح لذلك البهائم ولو كان كالملك معرى عن الأمور الشهوانية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة لذلك قال للملائكة: «إني أعلم مالا تعلمون[٤]» ولم يجمع الله هاتين القوتين في السماء والأرض والجبال فانهن أبين أن يحملنها، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا[٥]؛ بسبب ما فيه من القوى الشهوانية التي ذكرناها، قال بعض المفسرين:

---

١ ــ النسيكة: الذبيحة.

٢ ــ بين الملالين ساقط في ض.

٣ ــ الترشيح التربية والتهيئة للشيء.

٤ ــ البقرة: ٣٠.

٥ ــ الاحزاب: ٧٢.

الحمل هنا الخيانة والترك ـ والله اعلم .

ج ـ معنى أداء الأمانة من الأجرام المذكورة انقياده لأمر الله تعالى بحسب ما يتأتى منها، ويليق بها إذ هي لم يمتنع على مشيته وإرادته ايجادا وتكوينا على هيأة مختلفة وأشكال منتزعة[١] والانسان مع أنه حيوان عاقل صالح للتكليف لم يأت بما يليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه، ووجه ثان في الآية التي، هذا الكلام إشارة إليها، وهو أنه أراد انا عرضنا أمانة التكليف على هذه الاجرام، أي على أهاليها من الملائكة وغيرهم بأن عرفناهم، أن في تضييعها الاثم العظيم .

فأبوا أن يحملوا تركها وعقابها، والمآثم فيها وخافوا من ذلك قال الزجاج[٢]: كل من خان الأمانة، فقد حملها، ومن أداها لم يحملها كمن أثم، فقد احتمل الأثم، قال تعالى: وليحملنَّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم، ووجه ثالث وهو أن معنى عرضنا الأمانة عليها، عارضناها وقابلناها بها، فأبين أن يحملنها، أي ضعفت هذه الاجرام عن حمل تلك الأمانة، ليكون الأمانة ارجح واثقل وزنا منها .

ثم إن الانسان تقلد هذه الأمانة مع عظم موقعها، فلم يحفظها بل حملها وضيعها لظلمه على نفسه، وجهله بمبلغ الثواب والعقاب، ووجه رابع، وهو أنه على وجه التقدير، وجيء بلفظ الواقع، لأن الواقع أبلغ من المقدر أي لو كانت هذه الأجرام عاقلة، ثم عرضت عليها وظايف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها، وشدتها وقوتها، ولا متنعت من حملها خوفا

---

١ ـ في ض : واشكال متنوعة .

٢ ـ ابو اسحاق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج النحوي الاديب، اخذ عن المبرد وثعلب واخذ عنه الزجاجي وابو علي الفارسي، كان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالادب فنسب اليه : له مؤلفات في الادب منها معاني القرآن والامالي : توفي سنة ٣١١ .

من القصور عن أداء حقها، وحملها الانسان مع ضعف جسمه ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله.

ثم إن مخاطبة الجماد والاخبار عنها نظر الى قرينة الحال، طريقة مشهورة للعرب مستحسنة في تعارفهم قال:

امتلأ الحوض وقال قطن، وفي المثل لو قيل للشحم أين تذهب لقال استوى العوج خبرا أي علما.

* * *

١٩٠ ــ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

وَٱللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلٰكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ[1] كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَٱللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

١٩١ ــ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ: لاَتَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ. فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرةٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ!!

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ ٱللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ، خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ في الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ.

---

١ ــ في ب : ولكل فجرة كفرة.

الشرح

قوله عليه السلام: والله ما معاوية بأدهى مني: الدهى النكر وجودة الرأي.

كل فجرة كفرة: يعني لمن يعتقدها ولا يبالي بها.

قوله عليه السلام: إن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل.

يعني من تناول منها شبع، بأدنى شيء، ومن أعرض عنها، طال جوعه وقيل: مدة شبعها، قصيرة، لأن الجوع الطويل يتبعها، وهذه صفة الدنيا والأول صفة الهدى.

خارت أرضهم: أي انخفضت، والخور كالفور المنخفض من الأرض.

خوارة: ضعيفة رخوة، وخسف المكان خسوفا: ذهب في الأرض وخسف الله به خسفا أي ذهبه به.

والسكة المحماة: الحديدة الحارة.

ج ـ الصحيح إن خارت من خار الثور أي صاح، أي لما عقر قدار ناقة صالح، ورضي بذلك ثمود خسف الله بهم الأرض فصاحت الأرض بانخسافهم فيها صيحة، مثل ما يكون لهذه الحديدة عند شق الأرض اللينة والتيه: المفازة.

* * *

١٩٢ ـ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره.

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَارَسُولَ ٱللهِ عَنِّي وَعَنِ ٱبْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ، يَارَسُولَ ٱللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إلاَّ أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ؛ مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وُسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ، إنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدْ ٱسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّالَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إلَى أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ، وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ (بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا[١]) فَأَحْفِهَا السُّؤالَ، وَٱسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ لاَقَالٍ وَلاَ سَئِمٍ، فَإنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ، وَإنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللهُ الصَّابِرِينَ.

الشرح

قوله عليه السلام: السريعة اللحاق بك .

معناه أن فاطمة ماتت بعد رسول‌الله صلى الله عليه وآله بأربعة أشهر، وقيل ستة أشهر.

الفادح الثقيل والرهينة: بمعنى الرهن وليست التاء للتأنيث فان الفعيل هذا يستوي فيه المذكر والمؤنث .

فاحفها السؤال : الحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في أمره ويقال حفيت بالكسر وأحفي في السؤال وبالغ فيها .

* * *

١٩٣ ــ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ، إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟ للهِ آبَاؤُكُمْ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ[1]، وَلاَ تُخَلِّفُوا[2] كُلاًّ فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ[3].

---

١ ــ في م ول وش : يكن لكم قرضا .

٢ ــ في م : ولا تتركوا .

الشرح

الدنيا دار مجاز أي هي مسلك لامقصد.

واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها أبدانكم.

أي لايكن همكم مقصورا على الدنيا بل ليكن مصيركم الى إعداد زاد المعاد.

لله آباؤكم: العرب اذا أرادوا تعظيم المخاطب وتفضيله قالوا لله أنت كأنهم يثبتون له لفرط كماله زيادة اختصاص بالله تعالى (كما يقال بيت الله وناقة الله، وإن كان الكل لله، وقيل اللام لام العاقبة أي ليكن مصيرك الى الله تعالى[١]) والى ثوابه.

فقدموا بعضا يكن لكم: يعني ما قال النبي صلى الله عليه وآله ليس لك من مالك إلا ماأكلت فأفنيت أو تصدقت به فأبقيت، وإنما قال قدموا بعضا لأن حرمان الورثة لايجوز.

ولا تخلفوا كلا: لأن ترك الصدقات والزكوات والوصايا أيضا لايجوز.

* * *

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

١٩٤ ـ ومن كلام لهُ عليه السلام

كان كثيرا ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا، رَحِمَكُمُ ٱللهُ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لاَبُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَائِبَةٌ[1]، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَمُضْلِعَاتُ[2] الْمَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم، بخلاف هذه الرواية.

---

١ ـ في ن وم وكـ ور: دانية.

٢ ـ في ض: ومعضلات.

الشرح

تجهزوا: أي تهيأوا، والعرجة: الاقامة.

والكؤود: الشاقة المصعد، والملحظ: مؤخر العين.

دائبة: أي مجدة وروي دانية أي قريبة.

ونشبت: أي علقت، ودهمتكم: فاجأكم: وأمر مفظع: عظيم شديد جاوز المقدار شدة.

والمضلع: المثقل علائق الدنيا: أسبابها التي يتعلق القلب بها، وتعلق بهواها.

والاستظهار: الاستعانة.

* * *

١٩٥ ــ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا [عليه] من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُهَا يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً، أَلاَ تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ وَأَيُّ قَسْمٍ ٱسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟

وَٱللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ، وَلاَ فِي الْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ، وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ ٱللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا ٱسْتَنَّ النَّبِيُّ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ. فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلاَ وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ(١)، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا، وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلاَ وُلِّيتُهُ هَوَى(٢) مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا

١ ــ في ش: واخواني المسلمين.

٢ ــ في ر: روى بهوى مني.

وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ آللهِ صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَدْ فُرِغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ آللهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا، وَآللهِ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَى. أَخَذَ آللهُ بِقُلُوبِنا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام: رَحِمَ آللهُ آمْرِئً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

الشرح

نقمت على الرجل: عتبت عليه، ونقمت بالكسر لغة فيه، ونقمت الأمر ونقمته كرهته.

وارجأتما كثيرا: أي أخرتما كثيرا من حقوقي.

والاربة: الحاجة يقال أرب الرجل أي احتاج.

افضت إلي: أي انتهت إلي ورجعت نحوي.

واستسنّ الشيء: اتخذه سنة والأسوة: القدوة.

ولا وليته هوى مني: أي ما سلطت هواي على ذلك الأمر وروي ولاوليته أي ما توليته لهوى مني بل وجدنا ما جاءبه الرسول مفروغا عنه تاما كاملا.

والله تعالى يفرغ من الشيء فراغ ترك لافراغ شغل؛ قال تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان[1]، قاله المبرد أي سنعمد والفراغ في اللغة على وجهين.

---

١ ــ الرحمن: ٣١.

أحدهما: القصد للشيء والأخر الفراغ من شغل، والله تعالى لايشغله شان عن شأن والفارغ من الأمر هو الذي أتمه.

والعتبى: إسم من الاعتاب يقال: أعتبني فلان اذا عاد الى مسرتي راجعا عن الاساءة، ويقال أعتبناهم بالسيف أي أرضيناهم **بالقتل أي لا أرجع عن الحق الذي أنا فيه طلبا لرضاكما.**

* * *

١٩٦ـ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إنّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللّٰهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام: إني اكره لكم أن تكونوا سبابين .

نبه على تحريم السب واللعن كما قال النبي صلى الله عليه وآله ما بعثت سبابا ولا لعانا وقال عليه السلام: أللهم إني بشر فاذا دعوت على إنسان فاجعل دعائي له لا عليه واهده الى الصراط المستقيم .

واحقن دماءنا : أي امنعها من السفك .

اصلح ذات بيننا : أي ما بيننا من الأحوال حتى يكون أحوال الفة ومحبة واتفاق، ولما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم: اسقني ذا اناءك اي في إنائك من الشراب ؛ وقيل ذات البين حقيقة الوصل .

وارعوى: أي رجع وكف ، ولهج به : أي حرص .

* * *

١٩٧ ـ وقال عليه السلام

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب.

اَمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا الْغُلاَمَ لاَيَهُدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ (يعني الحسن والحسين عليهما السلام) عَلَى الْمَوْتِ؛ لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ.

قال الرضي أبوالحسن: قوله عليه السلام «املكوا عني هذا الغلام» من أعلى الكلام وأفصحه.

الشرح

املكوا عني هذا الغلام: أي أمسكوه لأجلي.

لا تهدني: أي يكسرني ونصب الدال أحسن وهو مجزوم على جواب الأمر والرفع للاتباع.

أنفس: أضن وابخل والحسنان الحسن والحسين عليهما السلام غلب اسم الاكبر.

لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله:

ع ــ هذا دليل على أنه لم يخبره النبي صلى الله عليه وآله باوقات قتلهما ولم يعرف ذلك تفصيلا.

* * *

١٩٨ ــ وقال عليه السلام

لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى ما أُحِبُّ حَتَّى نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ، وَقَدْ، وَاللهِ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ.

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ.

١٩٩ ــ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ـ وهو من أصحابه ـ يعوده، فلما رآى سعة داره قال:

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا؟ أَنْتَ إِلَيْهَا[1] فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟! وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ: تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ

١ ــ في ح وب : اما انت اليها وفي ض : وانت اليها وفي ر: روي اما انت اليها.

مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ.

فقال له العلاء. يا أميرالمؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد. قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال: عليّ به، فلما جاء قال:

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ، أَتَرَى ٱللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى ٱللهِ مِنْ ذٰلِكَ!

قال: يا أميرالمؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك! قال:

وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ ٱللهَ فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: نهكتكم الحرب: يقال نهكته الحمى اذا أخذته وجهدته وأضنته، ونقصت لحمه والحرب والسلم مؤنثتان حملا على المحاربة والمسالمة.

العباء الكساء ويقال عليّ: يريد أي أصعد به عليّ أي على المكان الذي أنا فيه هذا أصله ثم يقال: عليّ به وإن جيء به في انحدار.

يا عديّ نفسه: صغره تحقيرا لفعله الذي تركه أولى من تكلف ما لا يعنيه.

لقد استهام بك الخبيث يقال: هام على وجهه إذا ذهب من العشق أو غيره، وعني بالخبيث الشيطان أي جعلك هائما، والباء للتعدية والهيام كالجنون من العشق وغيره.

أترى الله: أي اتظنه وطعام جشب: أي غليظ خشن وقيل هو الذي لاأدم معه، والجشوبة مصدره.

ويحك: يقال للترحم، ويتبيغ الدم بصاحبه ويتوغ به أي هاج به فقتله وقيل أصل يتبيغ تبغى فقلب مثل جذب وجبذ، وفي الحديث إذا اتبغ الدم بصاحبه فليحتجم، وإنما نهاه أميرالمؤمنين عن ذلك لأنه أخل، بآداب العزلة، ووجد في نفسه رغبة في اظهار طاعته، وطلب بالطاعة منزلة في الدنيا، وامتنع من الطعام.

ما عرف أن زاد الطريق من الطريق، وزاد العبادة[١] والمواظبة على العلم والعمل من غير صحة البدن لايصح ولا يكون سلامة البدن إلا بالطعام والشراب، قال تعالى: «كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» ومن تناول الطعام على نية سلامة بدنه حتى يقوى بدنه على العلم والعمل كان أكله وشربه من قبيل العبادة، وقد أخطأ الرجل وهو عاصم بن زياد حين قاس شخصه وحاله بشخص أميرالمؤمنين وحاله، ولم يعرف تباين المقصدين ونظر إلى الظاهر.

* * *

١ ـــ في ض: وزاد العبادة من العبادة.

٢٠٠ ــ ومن كلامٍ لهُ عليه السلام

وقدسأله سائل عن أحاديث البدع ،وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام

إنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَاماً وَخَاصاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهماً، وَقَدْ(١) كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.

وإنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالإسْلاَمِ، لاَيَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، مُتَعَمِّداً؛ فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ: رَآهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ،ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وآلِهِ السَّلاَمُ. فَتَقَرَّبُوا إِلَى

---

١ ــ في ض وب : ولقد كذب .

أَئِـمَّـةِ الضَّـلاَلَـةِ، وَالدُّعَـاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُـهْتَانِ، فَـوَلَّوْهُـمُ الأَعْـمَالَ، وَجَـعَلُوهُـمْ[١] عَـلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَـلُوا بِـهِـمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّـمَا النَّاسُ مَعَ الْمُـلُوكِ والدُّنْيَا إلاَّ مَـنْ عَـصَـمَ ٱللهُ، فَـهٰذَا أَحَـدُ الأَرْبَـعَـةِ[٢].

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ شَيْـئـاً لَـمْ يَحْفَـظْهُ عَـلَى وَجْـهِـهِ، فَوَهِـمَ فِـيهِ وَلَـمْ يَـتَـعَـمَّـدْ كَـذِباً، فَـهُـوَ فِـي يَـدَيْـهِ يَـرْوِيـهِ[٣] وَيَـعْـمَـلُ بِـهِ، وَيَـقُـولُ: أَنَا سَـمِـعْـتُـهُ مِـنْ رَسُولِ ٱللهِ صَـلَّـى ٱللهُ عَـلَـيْـهِ وآلِـهِ وَسَلَّـمَ، فَلَـوْ عَـلِـمَ الْـمُـسْـلِـمُونَ أَنَّـهُ وَهِـمَ فِـيهِ لَـمْ يَقْبَلُوه[٤] مِـنْـهُ، وَلَـوْ عَـلِـمَ هُـوَ أَنَّـهُ كَـذَلِكَ لَـرَفَـضَـهُ!

وَرَجُـلٌ ثَالِـثٌ: سَـمِـعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَـلَّـى ٱللهُ عَـلَـيْـهِ وآلِـهِ شَـيْـئـاً يَأْمُرُ بِـهِ ثُـمَّ نَـهَى[٥] عَـنْـهُ وَهُـوَ لاَيَـعْـلَـمُ، أَوْسَـمِـعَـهُ يَـنْـهَى عَـنْ شَـيْءٍ، ثُـمَّ أَمَـرَ بِـهِ وَهُـوَ لاَيَـعْـلَـمُ: فَـحَـفِـظَ الْـمَـنْسُوخَ، وَلَـمْ يَـحْـفَـظِ النَّاسِخَ، فَلَـوْ يَـعْـلَـمُ[٦] أَنَّـهُ مَـنْـسُـوخٌ لَـرَفَـضَـهُ، وَلَـوْ عَـلِـمَ الْـمُـسْـلِـمُونَ إِذْ سَـمِـعُـوهُ مِـنْـهُ أَنَّـهُ مَـنْـسُـوخٌ لَـرَفَـضُـوهُ.

وَآخَـرُ رَابِعٌ: لَـمْ يَـكْـذِبْ عَـلَى ٱللهِ، وَلاَ عَـلَى رَسُـولِـهِ، مُـبْـغِـضٌ لِـلْـكَـذِبِ خَـوْفـاً للهِ[٧]؛ وَتَـعْـظِـيماً لِـرَسُـولِ ٱللهِ صَـلَّـى ٱللهُ عَـلَـيْـه وَآلِـهِ وَلَـمْ يَـهِـمْ، بَـلْ حَـفِـظَ مَا سَـمِـعَ عَـلَى وَجْـهِـهِ، فَـجَاءَ بِـهِ عَـلَى

١ــ في ض وح وب : وجعلوهم حكاماً على .
٢ــ في ب : فهو احد الاربعة .
٣ــ في ض وح وب : في يديه ويرويه .
٤ــ في ض وب ول : لم يقبلوا منه .
٥ــ في ض وح : ثم انه نهى عنه .
٦ــ في ض وح وب : فلوعلم انه .
٧ــ في ض وح وب : خوفا من الله .

سَمْعِهِ[١] : لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ؛ فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْه وَآلِهِ، الْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلاَمٌ خَاصٌّ، وَكَلاَمٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ[٢] ، وَلاَ مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْه وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْه وَآلِهِ، كَانَ[٣] يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِيءُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَتَّى يَسْمَعُوا وَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إلاَّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ، فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي ٱخْتِلاَفِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

١ـ في ض وح وب وش : على سمعه.

٢ـ في ش : ما عنى به سبحانه.

٣ـ في ض وح وب : من كان يسأله.

الشرح

قوله عليه السلام: إن في أيدي الناس حقا وباطلا إلى آخره.

ج: الحق إذا استعمل في الفعل فمعناه الصواب وإذا استعمل في الاعتقاد كان علما، وفي المال والدين بمعنى الملك، والاستحقاق والباطل في الأصل يستعمل بمعنى المعدوم، ثم يستعمل في الفعل القبيح الواقع ممن أمكنه التحرز منه، تشبيها بما يكون معدوما، ويستعمل فيما لم يقع الموضع الصحيح، في سقوط القضاءعنه، وفي التمليك به.

والصدق: خبر مخبره على ما تناوله، إذا كان له مخبر، والكذب خبر ليس مخبره على ما تناوله إذا كان له مخبر.

والناسخ: هو الدليل الشرعي الذي يدل على زوال مثل الحكم الذي ثبت بدليل آخر شرعي مع تراخيه عنه، وهذا الدليل الآخر هو المنسوخ ويستعمل كل واحد منهما في الدليل والحكم جميعا، ويستعمل الناسخ في الناصب للدليل أيضا يقال نسخ الله كذا بكذا ويستعمل في المعتقد، يقال ينسخ القرآن بالسنة.

والعموم: على العكس من الخصوص، وهو شمول اللفظ للأشياء كثيرة يقال عمت البلوى بكذا أي لحقت كثيرا من الخلق والعام اللفظ الواحد الدال على شيئين، فصاعدا من جهة واحدة، واللفظ الواحد يجوز أن يكون عاما خاصا بالنسبة إلى جهتين مختلفتين، كقولنا ضربت الغلمان، فهو عام من

حيث أنه تناول أكثر من واحد وخاص من حيث أنه لم يرد به جميع الغلمان بل أريد بعضهم .

والمحكم : من القول ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا .

والمتشابه : ما يحتمل وجهين أو أكثر.

والحفظ : ترتيب ما تسمعه من الكلام أو تفهمه عن خط وإشارة على حد تمكنك أداؤه بالعبارة الصحيحة .

والوهم : أن تظن ظنا مظنونة على خلاف ما ظننته .

فليتبوّأ : ظاهره أمر ومعناه خبر، وتبوأت منزلا أي نزلته .

والتعمد : نقيض الخطاء وقيل في سبب ورود هذا الخبر أن رجلا سرق رداء النبي صلى الله عليه وآله وخرج إلى قوم وقال ، هذا رداء محمد صلى الله عليه وآله أعطاني لتمكنوني من تلك المرأة فاستنكروا ذلك فبعثوا من يسأل رسول الله عن تلك الحالة ، فقام الرجل الكاذب ليشرب ماء فلدغته حية فمات .

فلما سمع ذاك النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام : خذ السيف فان وجدته وقد كفنت[1] ، فأحرقه فجاء وأمر باحراقه الخبر ، وإن ورد في سبب معين فعموم لفظه يتناول كل من كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا .

والتصنع : تكلف حسن السمت[2] .

والتأثم : التحرّز من الاثم وكذا التحرّج .

ولقفت الشيء : تناولته بسرعة ، ووهم : أي غلط .

---

١ ــ كذا ؛ وفي ض : وقد كفيت .

٢ ــ يقال : فلان حسن السمت : أي حسن القصد .

والأمر: قول القائل لمن دونه في الرتبة إفعل مريدا منه ذلك الفعل.

والنهي: قول القائل لمن دونه في الرتبة لا تفعل إذا كان كارها منه ذلك الفعل.

والخبر: هو الكلام الموضوع لأن تعرف به غيرك ما تناوله وهذا أولى من أن يقال: هو ما يحتمل الصدق والكذب، لأن الصدق يحدّ بأنه خبر مخبره على ما تناوله، وفي ذلك تجديد كل واحد منهما بالآخر.

قوله وقد كان يكون: الكلام له وجهان، فكلام خاص وكلام عام للخاص من الكلام المتشابه مفهوم سوى مفهوم العام كما للعاقل مفهوم من الكلام سوى مفهوم الصبي، فان الصبي يفهم من قول القائل فلان فوق فلان، وبغداد في يد الخليفة أن الجالس فوق غيره بالمكان، وإن مدينة السلام شيء مقبوض هو في يد الخليفة، والعاقل المجرب يعرف ويفهم سوى ذلك، وكذا الفقيه يفهم من لفظه صورة المسألة كذا أي حقيقتها وترتيبها والعاميّ يفهم من الصورة الهيئة الجسمية ولذلك نظائر وأشار أميرالمؤمنين إلى ذلك حيث قال كلام خاص وكلام عام.

فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة: هذا مبدأ الاختلاف في الأمة.

حتى إن كانوا: ان هي المخففة من الثقيلة لدخول اللام على خبرها وهو ليحبون.

وطرأ عليه: أي إطلع عليه[1].

* * *

١ ــ في ض: طرأ عليه: أي اطلع.

٢٠١ ـ ومن خطبة لهُ عليه السلام

وَكَانَ[١] مِنَ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ؛ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمٰوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ، وَأَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ، وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا. فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا، وَجَعَلَهَا لِلأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا[٢] أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوْضِعِهَا[٣]. فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً!

---

١ ـ في ش : فكان من اقتدار.

٢ ـ في ر : وروي ارز فيها.

٣ ـ في ض وح وب : تزول عن مواضعها.

فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لاَيَجْرِي، وَقَائِمٍ لاَيَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ[١]. وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعَبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى).

الشرح

قوله عليه السلام: وكان من إقتدار جبروته إلى آخره.

الأخضر: الماء والعرب تصفه بالخضرة.

وتعجرت الدم وغيره فاثعنجر: أي صببته، فانصب.

يقال قمقم الله غضبه: أي جمعه والقمقام البحر سمي بذلك لاجتماعه.

جبل جلاميدها: أي خلق صخورها.

والنشر: المرتفع من الأرض، وأنهدّ: أي أقام وأنهض.

وأساخ: أي ثبت ورسخ: والأنصاب جمع النصب وهو الشيء المنصوب.

وأشهقه: جعله شاهقا عاليا، والقلال: جمع قلة الجبل أي أعلاه.

وأرز الشيء يأرز اروزا: أي ثبت وأرز أيضا أي اجتمع وانقبض وارزها كان أصله أرزبها فحذف الباء وأوصل الفعل وروي أرزَّها وروي ارزها وارز فيها ورزّها فيها ويقال رزه أي طعنه وارتز السهم في القرطاس أي ثبت فيه.

والبحر اللجي: العميق الكثير الماء منسوب الىٰ اللج وهو معظم البحر.

والكركرة: الكرّ بشدة[٢]، وتصريف الرياح: السحاب إذا جمعته بعد

---

١ ــ في ع: الرياح القواصف.

٢ ــ في ض: الكر شدة.

تفرق قال الشاعر:

باتت تكركره الجنوب وأصله تكرره من التكرير.

والغمام الذوارف: أي المسرعة من قولهم ناقة ذروف وذراف وذرافة أي سريعة قال الراجز: يذرفها الاغراء أي ذرف وذرف الجرح بالكسر إذا انتقض بعد البرء.

ج ــ الغمام الذوارف: أي السحاب السائل[1] مطرها، يقال ذرفت عينه: أي سال منها الدمع وذرف الدمع: سال.

* * *

١ ــ في ض: السحاب السائلة مطرها.

٢٠٢ــ ومن خطبة لهُ عليه السلام

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةَ[١] فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ[٢] الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَالآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام مقالتنا العادلة: أي ذات العدل[٣] وتامر وقيل العادلة المستقيمة، والحق أنه أسند العدل إلى القول تأكيدا ومبالغة على وتيرة قولهم: جدّ جده ونحو ذلك.

والنكوص: التأخر وارتفاع بعد على الغاية والمضاف اليه مقدر والتقدير بعد ذلك، والكلام فيه وفي نظائره مستقصى في كتابنا الموسوم بالدرر في النحو.

* * *

١ ــ في ش: والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة.

٢ ــ في ب: باكبر الشاهدين.

٣ ــ كذا وفي ض: كلابن وتامر؟!.

٢٠٣ ـ ومن خطبة لهُ عليه السلام

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ الْبَاطِنِ[١] بِجَلاَلِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلاَ اكْتِسَابٍ، وَلاَ ازْدِيَادٍ، وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الأُمُورِ بِلاَ رَوِيَّةٍ وَلاَ ضَمِيرٍ، الَّذِي لاَتَغْشَاهُ الظُّلَمُ، وَلاَيَسْتَضِيءُ بِالأَنْوَارِ، وَلاَيَرْهَقُهُ لَيْلٌ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْه نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالأَبْصَارِ، وَلاَ عِلْمُهُ بِالأَخْبَارِ[٢].

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الاِصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلاَلَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

---

١ ـ في ض وح وب : والباطن.

٢ ـ في م : بالاختبار.

الشرح

الروية: غير مهموزة إلا أنها مشتقة من روأت في الأمر مهموزا أي نظرت فيه.

لايرهقه: أي لايغشاه وروي لايرهقه أي لايعجله أولا يأتيه ليل مكروه والنهار غير مكروه لضيائه فلذلك أضاف إليه جرى بخلاف الليل بالابصار.

وبالأخبار: روي بفتح الهمزة فيهما، فيكونان جمعي البصر والخبر وبكسرهما على المصدر، وروي بالاختيار.

ساور: أي واثب، سرح الضلال: فرقها وبددها.

* * *

٢٠٤ ـ ومن خطبة لهُ عليه السلام

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ، وَحَكَمٌ فَصَلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ ٱللهُ ٱلْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ، جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لم يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.

أَلاَ وَإِنَّ ٱللهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ ٱللهِ: يَقُولُ عَلَى الأَلْسِنَةِ، وَيُثَبِّتُ[1] الأَفْئِدَةَ، فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ، وَيَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ، لاَتَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ، وَلاَ تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ، عَلَى ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلاَقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فكانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ، وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ، فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ،

---

١ ـ في ض وح : ويثبت به الافئدة .

وَقَلِيلِ مُقَامِهِ، فِي مَنْزِلِهِ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ، فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلاَمَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ، وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ. فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ[١]، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

الشرح

قوله عليه السلام: وأشهد أنه عدل إلى آخره.

كلما نسخ الله الخلق فرقتين: نسخت الريح الآثار غيرتهما ونسخت الشمس الظل أزالته، ونسخت الكتاب اتخذت منه نسخة، أي كلما أوجد الله تعالى قرنا من أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات، فافترقوا فرقتين، كان هو عليه السلام في خيرهما فكأنه نزل الاخلاف من الأسلاف منزلة النسخة المتخذة من أصل الكتاب.

ثم الافتراق[٢] إن كان لأمر يرجع إلى أفعال المكلفين واختيارهم، فتقدير الكلام كلما أوجدهم وأخرجهم من الأرحام مقدرا افتراقهم، فيكون من باب قولهم خرج زيد اليوم، ومعه صقر صايدا به عدا أي مقدرا به الصيد غدا وإن كان الافتراق بما يرجع إلى غيرهم من شرف الأبوة والبيوتات الصالحة ثم من العنايات الأزلية والمواهب الالهية، فالحال على ظاهرها وما يليه من الكلام أليق هذا الوجه الأخير.

---

١ ــ في ب : على طريق.

٢ ــ في ض : ثم ان الافتراق.

(أعنى قوله لم يسهم فيه عاهر: وهو من قول النبي صلى الله عليه وآله لم يزل ينقلني الله تعالى من أخلاف الطاهرين إلى أرحام المطهرات[1]) .

وقوله عليه السلام: لما خلق الله آدم اودع نوري في جبينه، فما زال ينقله من الآباء الأخاير والأمهات الطواهر حتى انتهى إلى عبدالمطلب .

قوله عليه السلام: ولدت من نكاح لاسفاح وأسهم أي اقترع والعاهر الزاني .

فليقبل امرؤ كرامة بقبولها : أي بالوجه الذي يجب أن يقبلها وشرطها .

والقارعة : الداهية والبلية ، التي تقرع من تنزل به .

لمتحول : أي حيث يتحول إليه من دار الآخرة .

والقلب السليم : الذي سلم من الخيانة ، والدغل : أن يغلق أبوابه يعني بالموت .

والحوبة : الأثم .

* * *

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش .

٢٠٥ ــ وَمِنْ دُعائهِ عَلَيْه السَّلامُ

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً، وَلاَ مَضْرُوباً[١] عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ وَلاَ مَأْخُوذاً بِأسوأ عَمَلِي، وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِي، وَلاَ مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي، وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ إيمَانِي، وَلاَ مُلْتَبِساً[٢] عَقْلِي، وَلاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ الأُمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةَ عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلاَ أَتَّقِيَ إلَّا مَا وَقَيْتَنِي.

اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُبِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالأَمْرُ لَكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي.

اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُبِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَتَنَ[٣] عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعَ[٤] بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

---

١ ــ في ب: ولا مضربا.

٢ ــ في ب: ولا متلبسا.

٣ ــ في ب: او نفتن.

٤ ــ في ر: روى في الاصل تتابع.

الشرح

ويقال : ضرب على عرقه بسوء كناية عن التهجين .

الدابر: الأصل في كتاب الغريبين قوله تعالى : «إن دابر هؤلاء، أي أصلهم و آخرهم ، وقيل دابر الرجل عقبه . وقطع دابرهم أي أستأصلهم .

ومضطهد : أي مقهور مضطر.

اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي .

هذا نظير قوله عليه السلام في موضع آخر اني لأشوق إلى الموت من الظمآن إلى العذب البارد ، وفيه اشارة إلى أن الموت أحب إليه من الخلال التي عدها والتتابع : التهافت في الشر ولا يكون إلا في الجاج ونحوه .

* * *

٢٠٦ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لاَ يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلاَّجَرَى عَلَيْهِ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ. وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ؛ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَاد أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْه مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ- سُبْحَانَهُ- مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ. وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ- سُبْحَانَهُ- مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا ٱللهُ- سُبْحَانَهُ- لِكُلٍّ

عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نظاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إلَّا بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ يَصْلُحُ الْوُلاَةُ إلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى[1] إلَيْهَا حَقَّهَا؛ عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذٰلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ، وَإذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ؛ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ[2] الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ!! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَادِ، فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذٰلكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإنِ اشْتَدَّ عَلى رِضَا اللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ [لَهُ] وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ امْرُءٌ ـ وَإنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ[3] اللهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلاَ امْرُءٌ ـ وَإنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ ـ بِدُونِ أَنْ

---

١ ــ في ض وف وح غ ادى الوالي اليها حقها.

٢ ــ في حاشية ن: وكثرت الادغال.

٣ ــ في ح: ما حمله من حقه.

يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له، فقال عليه السلام:

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ ٱللهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لِعِظَمِ ذَلِكَ ـ كُلُّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتْ[1] نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا ٱزْدَاد حَقُّ ٱللهِ عَلَيْهِ عِظَماً، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ ٱلْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلْإِطْرَاءَ، وَٱسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ ٱللهِ ـ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ[2] ٱنْحِطَاطاً للهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَرُبَّمَا ٱسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَءِ، فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى ٱللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ[3] فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لاَبُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلاَ تَتَحَفَّظُوا[4] مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلاَ تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلاَ تَظُنُّوا بِيَ ٱسْتِثْقَالاً فِي

١ــ في ض وح وب ول وش: لمن عظمت.
٢ــ في م: لكرهته.
٣ــ في ع وض: واليكم من البقية.
٤ــ في ح: ولا تتحفظوا بها يتحفظ.

حَقٍّ[١] قِيلَ لِي ، وَلاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا اثقل عليه ، فَلاَ تَكُفُّوا[٢] عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِىءَ ، وَلاَ آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ ٱللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي ؛ فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ : يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى .

الشرح

قوله عليه السلام : فقد جعل الله لي عليكم حقا إلى قوله لا يستوجب بعضها إلا ببعض .

مثاله ان حق الزوج لا يثبت على الزوجة إلا بأداء المهر والنفقة ، وحق الزوجة لا يثبت على الزوج إلا بالطاعة وترك النشوز، فيوجب أداء المهر والنفقة طاعة الزوجة ويوجب الطاعة وترك النشوز النفقة والسكنى وغيرهما .

الدّخل : الفساد ، والتبعة ما يتبع الانسان من الاثم والوبال والغضب .

وليس أحد ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة : الانسان معلول من جهة القوى البدنية فكأنه ممراض لا يستغني أبدا عن الدواء والعلاج وأمراضه مثل الجهل والشره والعجَلَة والظلم وأمر باماطته[٣] كما أمر بحلق العانة وقصّ الشارب والظفر من طريق الظاهر، فمن لم يمط تلك النجاسات عن نفسه ،

١ــ في ش لحق قيل لي .

٢ــ في ف : ولا تكفوا اناني .

٣ــ اماطة : نحاه وابعده .

لم يجد سبيلا إلى وصول نعيم الآخرة بل إلى طيب الحيوة الدنياوية.

ذلك أن من تطهر تجلى عن قلبه الغشاوة، فيعلم الحق حقا والباطل باطلا، فلا يشغله إلا ما يغنيه ومتى ثبتت نجاسته صار قلبه مسكن الشياطين كما قال تعالى: «قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم».

ولا امرء وإن صغرته النفوس.

أي لا يستغني الكبير عن المعين ولا يكون الصغير وإن كان حقيرا بحيث لا يعتبر إعانته فان الاعانة مفيدة، وإن كانت من حقير صغير مهين.

لم يعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد عليه حق الله عظيما.

للشكر مقام محمود، لا يصل إليه أكثر الناس لذلك قال تعالى: «وقليل من عبادي الشكور» وحقيقة ما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام إنك تعرف أن جميع النعم من عند الله، والمنعم الحقيقي، هو، ولا ترى النعمة إلا من الله وإذا اعتبرت بأسباب النعم والوسائط التي تصل النعمة بسببها إليك لم يحصل منك الشكر الحقيقي، بل يكون الشكر مشتركا، فلا يعتقد أن المنعم عليك توقيع الملك، أو القلم أو الدواة والقرطاس.

بل المنعم هو الملك الذي أفاض عليك سجال الخلع وإن كانت تلك الخلع لا يصل إليك إلا بتلك الوسائط فهذا معنى قوله.

أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه.

بل ما سواه عنده بمثابة القلم والدواة والقرطاس، بالنسبة إلى الملك.

قوله عليه السلام أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر.

سبب العجب والكبر الجهل المحض، وعلاجهما المعرفة والعلم، ومن طلبت معرفته وتمّ علمه، فلا مجال للكبر والعجب عنده، وإذا خلع الملك على عبده من غير سابقة له فمن حقه أن يتعجب من لطف الملك الذي

خصصه لا من نفسه فلو قلت إن الله وفقني لطاعته بسبب محبتي إياه فتفكّر في أن محبته في قلبك منه لا منك ، وإن قلت محبته مني لأني عرفته فتفكر في أنه هو الذي عرفك وإن قلت عرفته بعقلي تفكر في أن العقل منه أو منك .

العارف لا يغتر بمدح الخلق وثنائهم ، لأن رضى الناس غاية لا تدرك ومدائحهم لا تتم ولا تستقيم ، فما من إنسان مدحه قوم ، إلا وذمه قوم ، والعاقل لا يغتر بما ليس فيه سعادة الدارين ، ومن كان محمودا عند الله لا يضر مذمة الخلق ، ومن أخلص لله زين الله قلوب الناس بمحبته ، ورضي الله عنه ومن طلب محمدة الناس وأقبل على الطاعات خوفا من مذمة الناس كشف الله استار نفاقه وأخزاه وابتلاه بمذمة الناس ، وفاته رضى الله لذلك .

قال أميرالمؤمنين عليه السلام فلا تثنوا علي بجميل ثناء لا خراجي نفسى إلى الله وإليكم إلى آخره .

البادرة : الحدة والبديهة .

الحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف .

يعني وصف الحق سهل ومجال نعته قولا ، واسع على كل أحد لكن القيام بواجبه والانصاف فيه فعلا من أصعب الأمور ، وأشدها ، وأضيقها محالا على الأكثرين .

التكافوء : التساوي ، فريضة : بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هي فريضة وبالنصب على المدح أو الحال .

والأذلال : جمع ذلّ هو ما وطيء من الطريق وذلل .

واجحف به : أي ذهب به ، والجحاف : الموت لأنه يذهب بكل شيء .

اقتحمته العيون : ازدرته وذلك أن من يعظم موقفه في النفوس تغضي عنه العيون ، ومن يصغر في النفوس يملاء منه العيون .

والاطراء: المدح، والانحطاط: التواضع.

استحلى الثناء: وجده حلوا واستحله وجده حلالا.

الجبابرة: جمع الجبار، وهو الذي يقتل على الغضب.

والحفيظة: الغضب والحمية.

ولا تتحفظوا مني: لا تغضبوا من جانبي، وبوادر الغضب ما يصدر من المرء من الخطأ والسقطات عنده.

(وعني بالمصانعة: الرشوة ونحوها، وفي المثل من صانع بالمال لم تحتشم من طلب الحاجة[١]).

قوله عليه السلام: فاني لست في نفسي بفوق أن أخطىء.

قاله على سبيل التذلّل والانقطاع إلى الله تعالى، ثم إن خطأ الأنبياء والأوصياء لا يكون من قبيل خطاء غيرهم، فانهم كانوا يعدون من أنفسهم الاقتصاد على بعض المندوبات، دون بعض خطاء، ونحو ذلك ولا يصح أن يصدر منهم شيء من المقبحات العقلية والنقلية، ولا أن يتركوا الواجبات لما ثبت من وجود عصمتهم ونزاهتهم، وبراءة ساحتهم وطهارتهم، وحيثما كانت الرتبة أعلى كان المؤاخذة أدق.

قوله فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى: أي أبدل قومنا والمتعلقين بنا من العرب أو أراد الضلالة عن الشرايع، ومعالم الدين: كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، أي معالم الايمان.

* * *

١ ـ بن الهلالين ساقط في ض.

٢٠٧ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

اللّهُمَّ إنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ (وَمَنْ اعانَهُم[١])، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنائِي[٢]، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ[٣] وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلاَ ذَابٌّ، وَلاَ مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفَارِ.

قال الرضي: وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة إلا أني كررته ههنا لاختلاف الروايتين.

---

١ ـ ساقطة من م وف ون ول وش.

٢ ـ في ش: وكفئوا انائي.

٣ ـ في ر: و بخط الرضي كان بالتاء وروي بالنون وفي ن: ان ناخذه.

الشرح

قوله عليه السلام: اللهم إني استعديك على قريش إلى آخره الاستعداء طلب العدوى وهي المعونة.

واكفأت الاناء: أى كببته وقلبته وكفاته كذلك وهذا الفصل تحريض منه عليه عليه السلام بان القوم اغتصبوا حقه ونازعوه فيما أولاه الله وأزالوا عمود الدين عن مستقره وعن قبة الاسلام، بزوا[1] اجلالها جرأة على الله تعالى، والله موفي كل عامل جزاءُ وكثيرا ما تجد هذا المعنى في كلامه عليه السلام ولاغر وللمصدور أن ينفث وحز الشفار أي قطع السكاكين العظام.

* * *

١ ــ بزه ثيابه وابتزّهُ: إذا سلبه إياها.

٢٠٨ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ[1] مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وَطَائِفَةٌ[2] عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا ٱللهَ صَادِقِينَ.

٢٠٩ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً! أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ ٱلْكَوَاكِبِ، أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ[3] بَنِي

---

١ ــ في ض وح وب : خزان بيت مال المسلمين وكذا في حاشية ش.

٢ ــ في ب : وطائفة منهم عضوا.

٣ ــ في حاشية ن وف اعنان وفي ح : اعيار وفي ل : اغيار بني جمح.

جُمَحَ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ، فَوُقِصُوا دُونَهُ.

الشرح

عضوا على أسيافهم.

في الصحاح يقال عضه وعض به وعض عليه، وهذا استعارة عن الصبر على القتل والقتال، وروي في غير نهج البلاغة وطايفة عضوا بأسيافهم.

يقال قوله، عليه السلام لقد اصبح أبو محمد.

هو طلحة قتله مروان بن الحكم وكلاهما في عسكر واحد، والوتر الذّحل[1] وطلحة والزبير كانا من بني عبد مناف من قبل الام دون الأب فان آباء الزبير من بني عبدالعزى بن قصي بن كلاب، وأبا طلحة من بني سعد بن تيم بن مرة، وكان في زمن أميرالمؤمنين عليه السلام من بني جمح، عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف، وعبدالرحمن بن صفوان، وقيل كان مروان منهم أخذ اسيرا يوم الجمل فاستشفع بالحسن الى أبيه عليهما السلام.

وأعيان القوم: أشرافهم وروي أعنان جمع عنن مستعار من عنن السماء وهي صفحتها وما اعترض من أقطارها.

أتلعوا أعناقهم: أي مدوها ورفعوها.

فوقصوا: أي كسرت أعناقهم.

* * *

١ ــ الذحل: طلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل او جرح.

٢١٠ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهَ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابَ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ: بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ.

الشرح

قوله عليه السلام: قد أحيىٰ عقله.

ش ــ العقل قيل هو العلوم التي يتمكن بها المتكلف من اكتساب العلوم الداخلة، تحت التكليف، وقيل: إنه قوة في القلب يقتضي التميز والعلوم الضرورية التي يتمكن بها من اكتساب العلوم إذا كملت شروطها.

قيل هي علوم ضرورية مخصوصة من جملتها العلم بأحوال النفس والمدركات والمحسنات والمقبحات، وقيل: هي العلوم التي تمنع المكتسب من الزوال وحصر بعضهم علوم العقل عشرة:

أولها: علم المرء بنفسه.

ثانيها: علمه بكثير من أحواله نحو كونه مريدا وكارها ومفكرا ومشتهيا

ونافرا .

ثالثها : علمه بالمشاهدات الجلية عند زوال اللبس .

رابعها : علمه بانتفاء ما لا يشاهده من المشاهدات .

خامسها : أنه لو كان لشاهده مع ارتفاع الموانع وزوال اللبس .

سادسها : علمه باستحالة خلوّ الشيء عن الأقسام الدائرة بين النفي والاثبات كالوجود والعدم والحدوث والقدم .

سابعها : علمه بمقاصد المخاطبين إذا كان الخطاب جليا .

ثامنها : علمه بالأمور الجلية الواردة عليه في حال كمال عقله مع قرب العهد ، وذكره لها .

تاسعها : علمه بالتجربيات كانكسار الزجاج بالحديد ، واحتراق القطن بالنار .

عاشرها : علمه بوجوب الواجبات العقلية وحسن المحسنات وقبح المقبحات فيها .

قال بعض الحذّاق : المشهور أن العقل الذي هو مناط التكليف هو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات لأن العقل لو لم يكن من قبل العلوم ، لصحّ انفكاك أحدهما عن الآخر، لكنه محال لاستحالة أن يوجد عاقل لا يعلم شيئا البتة ، أو عالم بجميع الأشياء ، ولا يكون عاقلا ، ثم ليس هو علما بالمحسوسات لحصوله في البهائم والمجانين ، فهو اذن علم بالأمور الكلية وليس ذلك من العلوم النظرية لأنها مشروطة بالعقل .

فلو كان العقل عبارة عنه لزم أشراط الشيء بنفسه وهو محال فهو إذن عبارة عن علوم كلها بديهية وهو المطلوب ، فقيل عليه لو قلت إن التغاير منفى الانفكاك [1] ، فالجوهر والعرض متلازمان ، وكذا العلة والمعلول ، سلمناه لكن

١ ـــ في ض : فقيل عليه لم قلت ان التغاير يقتضي جواز الانفكاك فان الجوهر .

العقل قد ينفك عن العلم، كما في حق النائم واليقظان الذي لا يكون مستحضر الشيء من وجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وعند هذا ظهر أن العقل غريزة تلزمها هذه العلوم البديهية عند سلامة الحواس.

قوله حتى دق جليله ولطف غليظه: أي اشتغل بعمارة العالم الروحاني وأعرض عن عمارة العالم الجسماني، فذلك النفس البهيمي، وسكن سورتها وضعف منها ما كان قويا غليظا، ولطف ما كان كثيفا، وأضاء نور العقل وأشعل ناره حتى ظهر له برق مضيىء كثير، فدله على سواء المنهج وأرشده إلى الطريق الجدد.

* * *

٢١١ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قاله بعد تلاوته : (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)

يَا لَهُ مَرَاماً[١] مَا أبْعَدَهُ، وَزَوْراً مَا أغْفَلَهُ، وَخَطَراً مَا أفْظَعَه، لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أيَّ مُدَّكَرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ!! أفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أجْسَاداً خَوَتْ، وَحرَكَاتٍ سَكَنَتْ، وَلأنْ يَكُونُوا عِبَراً أحَقُّ مِنْ أنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً، وَلأنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أحْجَى مِنْ أنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ!! لَقَدْ نَظَرُوا إلَيْهِمْ بِأبْصَارِ الْعُشْوَةِ، وَضَرَبوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ[٢] جَهَالَةٍ، وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ[٣] الْخَالِيَةِ؛ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الأرْضِ ضُلاَّلاً، وَذَهَبْتُمْ فِي أعْقَابِهِمْ جُهَّالاً، تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ، وَتَسْتَثْبِتُونَ[٤] في أجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا، وَإنَّمَا الأيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

---

١ ــ في ن وف : يامراما .

٢ ــ في م وف : في غمرة ولو.

٣ ــ في ش : والرسوم الخالية .

٤ ــ في ح : تستنبتون وفي ع : يستنبتون .

اولئك سَلَفُ[١] غَايَتِكُمْ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً، سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لاَ يَنْمُونَ[٢]، وَضِمَاراً لاَ يُوجَدُونَ، لاَ يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الأَهْوَالِ، وَلاَ يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الأَحْوَالِ، وَلاَ يَحْفِلُونَ[٣] بِالرَّوَاجِفِ، وَلاَ يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ، غُيَّباً لاَ يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُوداً لاَ يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَآلاَفاً فَافْتَرَقُوا، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِم وَلاَ بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ صَمَماً، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِحَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ، جِيرَانٌ لاَ يَتَآنَسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لاَ يَتَزَاوَرُونَ[٤]، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلاَّءُ، لاَ يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً، وَلاَ لِنَهَارٍ مَسَاءً، أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً، شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكِلْتَا[٥] الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ، فَأَتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ[٦] وَالرَّجَاءِ، فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ

١ــ في ض وب وح وش : اولئكم .
٢ــ في ر لا يتمنون .
٣ــ ولا يحلفون .
٤ــ في ل ور : احياء ولا يتزاورون .
٥ــ في ش : فكلا الغايتين .
٦ــ في م وف : القوت والرجاء .

بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا، وَلَئِنْ عَمِيَتْ (١) آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ؛ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا، وَلاَ مِنْ ضِيقٍ (٢) مُتَّسَعاً! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعدَ يَقَظَتِهَا، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلىً سَمَّجَهَا، وَسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلاَ أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ؛ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ مِنْ كُلِّ فَظَاعَةٍ (٣) صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلِي، وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ، كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ

١ــ في ش : ولئن درست .

٢ــ في م ون وف : ومن ضيق .

٣ــ في ف ون وح وض : في كل فضاعة .

نَزَلَتْ بِهِ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ؟! فَبَيْنَمَا[١] هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ الدُّنْيا إِلَيْهِ[٢] فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِىءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَثٌّ لاَ يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ، فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِىءْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلاَ حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلاَ ٱعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ، حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ: فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَبَيْنَمَا[٣] هُوَ كَذٰلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ؛ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ: مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ، وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ[٤] أَهْلِ الدُّنْيَا.

١ـ في ش: فبيناهو.
٢ـ في ش: وتضحك اليه.
٣ـ في ش: فبينا.
٤ـ في ع: قلوب اهل الدنيا.

الشرح

قوله عليه السلام: يامراما ما أبعده إلى آخره.

وروي يا له مراما: الضمير لما كانوا يرومونه من الافتخار بالأموات ولذلك فسره بمراما واللام للتعجب، كقولهم يا للمأ ويا للدواهي وكقوله: يا لعطائنا ويا لرياح، والجار والمجرور في محل النصب على المنادى.

ومراما: نصب على التمييز، والتفسير لهذا الضمير، وروي يا مراما[1] منادى.

والخطر: الاشراف على الهلاك وامر فظيع، مفظع: أي شديد.

استخلوا منهم أي مدكر: أي وجدوا موضع التذكير خاليا من الفائدة لما افتخروا بها.

تناوشهم: تناولهم، أي تناولوا ذكرهم على وجه يبعد الانتفاع به.

أفبمصارع آبائهم يفخرون: استفهام توبيخ وتقريع، وروي مدكر بفتح الكاف للمصدر أو الموضع وبكسرها، فيكون فاعلا، ومصارع آبائهم قبورهم.

نعوت: أي خلت، فالجناب: الفناء.

وأحجى: أجدر، والعشوة: أن تركب أمرا على غير بيان، والعشوة سواد الليل.

---

١ ـــ في ض: فيكون مراما منادى.

والغمرة: الشدة وضربوا منهم في غمرة، من للتبيين بين أن الغمرة المذكورة كانت من الموتى والضرب هنا السير.

وتستثبتون في أجسادهم: أي يطلبون ان يكونوا في أجسادهم ثابتين مفاخرة بهم، وروي يستنبتون أي صاروا ترابا وأنتم تزرعون وتطلبون النبات في ذلك التراب.

الأيام بواك ونوايح عليكم: يعني بلسان الحال.

وللفرّاط: المتقدمون: والحلبة: خيل يجمع للسباق.

والسوقة: الرعية وأهل السوق.

البرزخ: الحاجز بين الشيئين، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث.

والفجوة: الفرجة بين الشيئين.

لا ينمون: أي لا يزيدون ويروى لا ينمون لا يتحركون، والنميمة الحركة والنفس، ومنه أسكت الله نامته، وقيل هو من النميمة وهو القت[1].

والضمار: ما لا يرجى وكلّ ما لا يكون الانسان منه على ثقة.

لا يحفل: أي لا يبالي، والرواجف: الزلازل، ورجفت الأرض اضطربت، اضطرابا شديدا.

ع ـ الرواجف: الجيوش: والقاصفة: الريح التي يقصف أي يسير.

لا يأذنون لها: أي لا يسمعون إليها أي لا يعلمون بهذا البلايا.

صمت ديارهم: أي خربت فلا يسمع لها صوت، كما سموا رجبا الأصم، لأنه كان لا يسمع فيه قعقعة السلاح، وصوت المستغيث: ويقال صمّ صدا أي هلك.

---

١ ـ القت: النمام والقتات: الذي يتسمع الناس وهم لا يعلمون.

في إرتجال الصفة : أي في تبديل الامارة والعلامة .

ج ـ ارتجال الصفة دخول الصفة عليهم من غير تدبير، من ارتجال الخطبة والشعر، وهو ابتداؤه من غير تهيئة[1] ، وارتجل الفرس أي أخلط جنسا من المشي بجنس منه .

وأحياء لا يتزاورون : سماهم أحباء لأنهم لو مكنوا من الارادة لما أرادوا الآ نفع جيرانهم والأليق إنه إنما سماهم أحباء لتحابهم في الدنيا .

بليت : اخلقت ، والجديدان : الليل والنهار.

والمباءة : المنزل ، وعبر بالغايتين : طريقي الخوف والرجاء والثواب والعقاب .

عميت : انمحت ، والهدم : الثوب البالي .

وتكادني الشيء وتكـأدني:أي شق عليّ وأثقلني .

وتهكمت الربوع الصموت : أي تهدمت المقابر الخالية ، يقال تهكمت البئر إذا تهدمت وقيل معناه اشتدت ، يقال : تهكم عليه اشتد غضبه .

استكت : أي صمت وضاقت : قال الشاعر :

وتلك التي تستك منه المسامع .

وخسوف العين : ذهابها في الرأس ، والذلاقة : فصاحة اللسان ، وحدّته في الكلام .

والشحاحة : البخل مع حرص ، يضحك إلى الدنيا : أي يميل إليها .

والكثب : القرب ، والنجيّ : الذي يسارّ به .

وآنس : نصب على الحال من الضمير في فيه أي في حال كونه أشد استيناسا ، وما مصدرية أي آنس كونه بصحته ثم آنس أوقاته ثم آنس في

---

١ ـ في ض : من غير رؤية .

أوقاته بالصحة، يسلك به مسلك نهاره صائم، فزع: أي التجاء.

القارّ: البارد، ثوّر الشر: هيجه وأظهره.

الممرض: الذي يجتهد في إزالة المرض ويخدم المريض ويداويه، تعايا، أي عجز.

قوله عليه السلام بتسكين الحار بالقارّ وتحريك البارد بالحارّ فلم يطفىء ببارد إلا ثور حرارة.

ع ــ انظر إلى مجامع علوم الطب في هذه الكلمات وتفصيل ذلك أن هيجان الحرارة، إما من تعب شديد، أو طعام حارّ خريف[1] مثل الثوم والخردل، وإما من كثرة اللبث في الشمس، وإما من عفونات في البدن، فتلهبت فيها الحرارة. وإما من انسداد مجاري البدن واحتباس الحرارة فيها، وإما من سخافة البدن وتخلخله، واما من مقاربة أجسام حارة.

إما من أدوية وأشربة حارة، واما من شرب النبيذ الصرف، واما من كثرة الحركة والسهر، وإما من غضب شديد، وإما من الصوم الدائم وإما من كثرة الجماع وإسهال البطن، وهيجان البرد: وإما من كثرة الراحة واما من الأطعمة مثل الجبن واللبن، وإما من برد الهواء واما من مقاربة أجساد باردة، مثل الثلج وإما من افراط في الجماع، والتعب في السهر، والفكر وإسهال البطن، بحيث يؤدي إلى انطفاء الحرارة الغريزية.

هيجان اليبس إما من تعب شديد وإما من قلة الطعام، وإما من أغذية وأدوية يابسة، أو مقاربة أجسام يابسة وإما من كثرة الاستحمام بمياه مالحة وكبريتية، وإما من طول السهر والهم وإما من الهرم ونفاد مواد الرطوبة وهيجان الرطوبة اما من طول الدعة والأطعمة والأشربة الرطبة أو مقابلة الأجسام الرطبة أو كثرة الاستحمام بمياه عذبة، واما من كثرة النوم بعد الطعام.

---

١ ــ الخريف: الطري الحديث.

في جميع هذه العلل إذا كانت القوة باقية، وكانت عناية الطبيب مصروفة إلى حفظ قوة المريض، فالمريض تقبل العلاج فان القوة للعليل كالزاد والمرض، كالطريق وإن سقطت القوة قبل منتهى المرض كان الأمر كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء.

بيان آخر وهو أن القوة النامية التي للانسان إما أن يكون في سورتها وقوتها، وهي أن يكون زائدة في البدن غير مفتقرة على اخلاف ما تحلل بل تزيد في حجم البدن أيضا بكثرة ما يغذوه، فهذه القوة النامية يكون بالحال المذكورة عند أكثر الأطباء إلى نحو ثلاثين سنة شمسية، واما يقف فيفتقر[1] على أن يخلف على البدن مثل ما تحلل فقط من غير زيادة، وذلك إلى تمام خمس وثلاثين سنة، وإما أن ينقص ويأخذ في الضعف فيكون الذي يستفيده البدن منها أقل مما تحلل، وذلك إلى نحو ستين سنة.

فالحالة الأولى سن الفتيان، والثانية سنّ المتناهين، والثالثة سن الكهول، ثم بعد الستين يتبين النقصان في القوة النامية، فيكثر تحلل الرطوبات، ويقل الخلف من الغذاء ويسمى هذا السن سن الشيوخ، ولا يزال يتمادى الأمر بالبدن، ويتسلط اليبس حتى يصير من عدم الرطوبة بحيث لا يصلح لحلول الحياة، فيموت الانسان ولا يقبل العلاج.

فهذا معنى قول أميرالمؤمنين حتى فتر معلله وذهل ممرضه إلى آخر الفصل.

وما ذكر من غمرات الموت وسكراته، فقد سئل واحد من الصحابة في سكرة موته من حاله، فقال: كأني أتنفس من خرت[2] ابرة وكأنما يقطع

١ ـــ في ض: فيقتصر.

٢ ـــ خرت ابرة: أي ثقبها.

أعضائي وأجزائي بالمقراض ففي كل جزء من أجزائي وعضو من أعضائي ألم لا يمكن وصفه قال ذلك ومضى لسبيله.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في سكرات موته: اللهم أعني على سكرات الموت، وفي التورية أن مثل الموت كشجرة مشوكة أدرجت في بدن ابن آدم، فتعلقت كل شوكة منها بعرق وعصب، ثم جذّبها رجل شديد الجذب، فقطع منها ما قطع وأبقى منها ما بقي، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله للموت الف نزعة أشد من ألف ضربة بالسيف.

* * *

٢١٢ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قاله عند تلاوته: (رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ)

إنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاَءً للقُلُوبِ[١]، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ لِلهِ ـ عَزَّتْ آلاَؤُهُ ـ في الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الأسماع والابصار[٢] وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ ٱللهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ[٣]، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ، وَإنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْهُ: يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ ٱللهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ

١ ـ في ب: جلاء القلوب.

٢ ـ في ض وب: في الابصار والاسماع.

٣ ـ في حاشية ن: في القلوب.

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا[١]، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ[٢] فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا[٣] عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الإِسْتِقْلاَلِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجاً، وَتَجَاوَبُوا[٤] نَحِيباً، يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ؛ لَرَأَيْتَ أعْلاَمَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجًى قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقَامٍ[٥] اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ، لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلاَ يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ، فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

١ــ في م غ عند عذابها.
٢ــ في ف بعقلك.
٣ــ في ب: ففرطوا عنها.
٤ــ في ك: وروى وتجاوبوا نجيا.
٥ــ في ن وف وم وض وح: في مقعد اطلع الله.

الشرح

قوله عليه السلام : إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب الى آخره .

العشوة : الربع الأول من الليل ، وقيل هي سواد الليل ، والعشوة أن تركب أمرا على غير بيان يقال : أوطأتني عشوة أي أمرا ملتبسا كل ذلك ماخوذ من العشاء ، والعشية .

والبرهة : قطعة من الدهر ، وناجاهم الله أي ألهمهم وأخطرهم ببالهم .

وكلمهم في ذات عقولهم : إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله في أمتي محدثون .

يذكرون بأيام الله : من قوله تعالى : وذكرهم بأيام الله[١] ، قال ابن عباس وابي بن[٢] كعب ومجاهد[٣] وقتادة[٤] وقال

١ ـ ابراهيم : ١٤ .

٢ ـ ابي بن كعب بن قيس الانصاري الخزرجي ابو المنذر شهد العقبة وبدر روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن خبات قال الواقدي : اول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وآله مقدمة المدينة ابي بن كعب مات في سنة ٢٢ .

٣ ـ مجاهد بن جبر ابو الحجاج المكي المخزومي المقري روى عن علي بن ابي طالب عليه السلام وسعد بن ابي وقاص وابي سعيد الخدري والعبادلة وغيرهم ، وروى عنه عكرمة وابن عون وابو اسحاق السبيعي وغيرهم قال مجاهد : عرضت القرآن علي ابن عباس ثلاثين مرة مات سنة مائة .

٤ ـ قتادة بن دعامة ابو الخطاب السدوسي البصري ولداكمه ، روى عن انس بن مالك وعبد الله بن سرجس

مقاتل[1] بوقائع الله في الأمم الماضية : وقيل : بما كان في أيام الله من النعمة والمحنة ، فأخبر بذكر الأيام عنه لأنه كانت معلومة عندهم : وقيل أيام الله الايام المعلومات : وقيل أيام الله ، قوله : في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون .

المراد بالأيام في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام ، الوقائع التي كانت في الأمم الماضية لقوله .

ويخوفون مقامه : بمنزلة الأدلة في الفلوات .

ومقام الله الموقف الذي يقف الخلائق فيه للحساب ، وهو من قوله تعالى : أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت[2] ، أي حافظ عليهم : كمن قام على غيره فهو مطلع على أحواله : أو أراد مقام عذابه .

والقصد : العدل وسمت الطريق ؛ وواسطة الأمور .

قوله فشاهدوا ماوراء ذلك كقوله عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا .

واعلم أن السعادة ضربان ،ضرب دائم لا يبيد ، ولا يحول ، وهو النعم الأخروية ، وضرب يبيد ويحول ، وهو النعم الدنيوية والنعم الدنيوية متى لم توصلنا إلى تلك السعادة ، فهي كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء ، وغرور

وابي الطفيل وغيرهم وروى عنه ايوب السختياني وجرير بن حازم وشعبة وغيرهم ، قال ابن سيرين قتادة احفظ الناس وقال مطر الوراق مازال قتادة متعلما حتى مات سنة ١١٧ .

١ ــ مقاتل بن سليمان بن بشير أبو الحسن الخراساني البلخي صاحب التفسير، روى عن نافع مولى ابن عمر وابي اسحاق السبيعي والضحاك وغيرهم ، وعنه بقية بن الوليد وسعد بن الصلت والمحاربي وغيرهم ، قال العباس بن مصعب المروزي مقاتل بن سليمان اصله من بلخ قدم مرو ، وكان حافظا للتفسير لا يضبط الاسناد وكان يقص في الجامع وهو مطعون عند كثير من ارباب الجرح والتعديل مات سنة ١٥٠ .

٢ ــ الرعد : ٣٣ .

وفتنة، وعذاب كما قال الشاعر:

انما الدنيا كرؤيا افرغت * من رآها ساعة ثم انقضت

والسبب في قصور الانسان عن تصور ما بعد الموت أن الانسان لا يمكنه أن يعرف حقيقة الشيء إلا بكد شديد، ومطلب عسير، وربما لا يتصور شيئا حتى يدركه بنفسه واذا لم يدركه، وصف له يجري مجرى صبي يوصف له لذة الجماع، فلا يمكنه أن يتصور حقيقته، حتى يبلغ فيباشره بنفسه، ومن تصور من الأنبياء والأولياء حقيقة الدار الآخرة وطالعها ببصر البصيرة شغله الفرح والتلذذ بها عن كل ما دونها، لذلك.

قال أميرالمؤمنين: فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس.

وقد جعل الله لكل شيء كما لا يشتاق إليه طبعا، وقد هداه الى التخصيص تسخيرا كما نبه بقوله تعالى: أعطى كل شيء خلقه ثم هدى[1]، وجعل لكل قوة من القوى لذة تختص بها لا يشاركها فيها غيره، فلذة العين في النظر إلى ما يستحسنه، ولذة السمع في الاستماع الى ما تستطيبه، ولذة اللمس في مس ما يستلذه وكذا حاسة الشم والذوق.

لذة الوهم في صورة ما يأمله ولذة الخيال في تخيل ما يستحسن تصوره ولذة الفكر في أمر مجهول يتعرفه؛ وكل واحد من هذه القوى والأجزاء اذا عرض لها آفة تعوقه عن شهوته؛ وعن إدراك لذته فيكون كالمريض الذي لا يشتهي الماء وإن كان به ظمأ وإذا تناوله لم يجد لذته، فمن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرارة الماء الزلال واللذات الأخروية لذات لا تدرك إلا بالعقل المحض، وعقول اكثر الناس معوقة عن إدراك حقائق اللذات الأخروية.

---

١ ــ طه: ٥٠.

فلا يشعربها كالخدر لآفة عرضت له فلا يحس السبب المؤلم وأقوام عقولهم كعقول الصبيان لا يحسون بالآلام واللذات في الدار الآخرة، قال الله تعالى: وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب[١]، ومن اغتر بالحيوة الدنيا فهو في غفلة صبي لأنه اشتغل باللهو واللعب، وأمور القيامة كلها أسرار، وقول الكفار: متى هذه الوعد إن كنتم صادقين[٢] وسئل عن شيء يستحيل الجواب على موجبه.

فان أمر الساعة إذا كان كلمح البصر أو هو أقرب، وكان متى سؤالاً عن الزمان، فاستحال جواب السائل عنه، وهو مثل قول الملائكة اذا قال بيّن لي كيف أذوق المبصر أو أشمه، فان أجبنا له على سبيل الملامسة بشيء أخطأنا فيه بالضرورة، لذلك قال الله تعالى: وعنده علم الساعة[٣].

قال بعض العارفين: القيامة من داخل حجب السموات والأرض ومنزلها من تلك الحجب منزلة الجنين من رحم أمه، وكذلك لا يقوم إلا اذا زلزلت الأرض زلزالها، وانشقت السماء وانتثرت الكواكب، وتبدل الارض غير الارض والسموات، ومن كان خارج الحجب فالقيامة سر عنده، ومن رفع الحجاب صار سر القيامة عنده علانية، ورسول الله صلى الله عليه وآله إنما اطلع على سر القيامة بعد ما قطع الحجب ليلة المعراج.

الى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله: يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها[٤] أي، إن كان سر القيامة علانية لك ليلة المعراج، فما الذي بقي عندك وكل عاقل وفقه الله للمجاهدة والرياضة، فانه يصل من عالم علم اليقين، الى عين اليقين كما أن كل طفل رضيع اذا بقي

---

١ ــ العنكبوت: ٦٤.
٢ ــ النمل: ٧١.
٣ ــ الزخرف: ٧٥.
٤ ــ الاعراف: ١٨٧.

مع تربية صالحة فانه يصل الى مقام التميز إذا كان وقته ، واذا لم يصل إلى هذا المقام كان من الذين ، قال الله فيهم : فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا .

مثلت الشيء : صورت مثاله بالكناية ونحوها ، المقاوم المقامات .

وأصل دواوين : دوان بدلالة قولهم دواوين ، لكنهم هربوا من التضعيف استثقالا له الى أن أبدلوا من الواو الأولى ياء ،فلو تكلفوا ما تركوه من قلب الواو ياء وإدغام الأول فيه لعاد مثل ما هربوا منه ، وهو التضعيف لحصول يائين ، الأ ترى أن الكلمة بعد الادغام يصير على ديان وهو من دونت الكلمة أي ضبطتها وقيدتها ، فالديوان موضع ضبط حسابات الناس ، وإنما احتمل التضعيف في الجمع لدخول ألف الجمع بين الواوين فيه وروي فقصروا عنها بالتخفيف اي عجزوا .

ونشج الباكي ينشج نشجا : اذا غص بالبكاء في خلقه من غير انتحاب[١] وكذلك نشج الجب[٢] والزق والقدر، إذا غلا ما فيها حتى يسمع له صوت .

تجاوبوا : بالجيم أي تجاوزوا وروي تحاوبوا بالحاء بمعنى تحوبوا أي توجعوا وتحزنوا .

التنسيم : وجدان النسيم ، وهو الريح الطيبة .

يد قارعة أي تقرع باب رحمة الله ، والمندح : المكان الواسع ، الندح السعة كنى بالمنادح عن العطايا والجوائز والرحمة الواسعة جمع مندوحة .

والحسيب : المحاسب .

قوله فان غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك : من قول الله تعالى : لا

١ ــ التحب الموت وفي القرآن العزيز : ومنهم من قضى نحبه .

٢ ــ الجب: البئر العميقة .

يضركم من ضل اذا اهتديتم[١]، والعجب أن صاحب المنهاج قال إن جواب لو مثلتم حذف لتفخيم الشأن والتقدير لنفعل هذا التمثيل والتصوير وكأنه لم يقرأ الخطبة بتمامها : فذهل عن قوله عليه السلام لرأيت أعلام هدى .

* * *

١ــ المائدة : ١٠٥ .

٢١٣ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

قاله عند تلاوته (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم)

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الإنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ[١] الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ، فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ[٢] عَلَى دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ بِمُصَابِكَ[٣]، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟ وَكَيْفَ لاَ يُوقِظُكَ[٤] خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ، فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى

---

١ ــ في ش : لحر الشمس .

٢ ــ في حاشية م : فما اصبرك .

٣ ــ في م وش وحاشية ن : مصائبك وفي ل : على مصائبك .

٤ ــ في ف : وكيف يوقظك .

الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ، وَكُنْ للهِ مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً، وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ: يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ (١) بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ(٢)، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ!! فَمَا ظَنُّكَ به لَوْ أَطَعْتَهُ، وَآيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِيَيْنِ(٣) فِي الْقُدْرَةِ؛ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الأَخْلاَقِ، وَمَسَاوِىءِ الأَعْمَالِ. وَحَقّاً أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ(٤)، وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلاَءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ؛ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ، وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ؛ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلاَغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ، وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا

١ــ في نسخة: ويتغمدك الله.

٢ــ في حاشية م ول وش: ما احلمه.

٣ــ في ض ون وب وم: متوازنين.

٤ــ في ع: وكاشفتك العطات وفي ر: رُوي كاشفتك الغطاء.

داراً، وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلاًّ! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ[١] فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَلاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلاَئِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَى لَهُ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ، وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ، وَأَرْحِلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

الشرح

قوله عليه السلام: أدحض مسؤول حجة إلى آخره.

دحضت حجته بطلت ودحضت رجله ذلقت.

وقوله أدحض: خبر مبتدأ محذوف أي هو أدحض والضمير للمخاطب بالآية قبله في قوله: «ما غرّك بربك[٢]».

وأبرح: من قولهم: لقيت منه برحا بارحا أي شدّة وأذى، وبرح به: أوقعه في البرح.

وجهالة: مفعول له أو مفعول به على معنى جلب إلى نفسه جهالة.

وبلّ من المرض، وأبل إذا برأ.

١ــ في ف: فلم يجر في عدله وفي ب: فلم يجر: في عدله يومئذ وفي ن: فلم يجز بالزاء والراء.

٢ــ الانفطار: ٦.

يمض : يوجع ، وبيات نقمة : أي هجوم عقوباته ليلا .

تورّط : وقع في الورطة وهي الهلاك .

والمدرج : المسلك ، وأكثر ما يستعمل تورط مع في ، وهاهنا نزع الخافض .

وطرف بصره يطرف طرفا : إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر الواحدة من ذلك طرفة ، يقال : أسرع من طرفة عين .

متوازيين أي متساويين ، والازاء الحذاء وروي متوازنين من الوزن .

وكاشفت : أظهرت ، وروي العظات بالرفع والنصب ، على نزع الخافض ، وروي كاشفتك الغطا .

والنقص في قوتك روي بالصاد والضاد ، وتعرف الشيء : طلب عرفانه ، والخاوية : الخالية .

قوله وإن السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم .

للناس حالتان حالة في دار الدنيا ويعبر عنها بالمستودع ، وحالة بعد الموت ويعبر عنها بالمستقر ، قال الله تعالى : «وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع[١]» فالانسان في كدح ما دام في المستودع كما قال تعالى : «يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه[٢]» ، فالشقي من طلب الراحة من حيث لا راحة هناك ، وهو دار الدنيا .

قال الله تعالى : «يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاء لم يجده شيئا[٣]» فانهم طلبوا من الدنيا ما ليس في طبيعتها ، كما قال الشاعر :

أريد من ذمتي ذا ان يبلغني ٭ ما ليس يبلغه في نفسه الدمن

---

١ ــ الانعام : ٩٨ .
٢ ــ الانشقاق : ٦ .
٣ ــ النور : ٣٩ .

فلا جرم صار مستودعهم بالاضافة إليهم مستقرا كما قال تعالى : «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين[١]» والسعيد من عرف أن الصحة والغنيمة في السفر، وما التفت إلى الدنيا ولذاتها وهرب منها إلا مما يتبلغ به مراعيا فيه حكم الشرع ، كما قال أميرالمؤمنين وأخبر الله تعالى عن ذلك حيث ، قال : «وما الحيوة الدنيا في الآخرة إلا متاع[٢]» ، ولم يركن إلى الدنيا إلا من جهل حقائقها ومنافعها .

وقد أخبرالنبي صلى الله عليه وآله عن ذلك حيث قال : ما أنا والدنيا إنما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صايف[٣] فرقعت له شجرة ، فنزل فقال[٤] في ظلها ساعة ، ثم راح وتركها ، وقال عليه السلام : ومن سكن قلبه حب الدنيا بلى بثلاث شغل لا يبلغ مداه وفقر لا يبلغ غناه ، وأمل لا يبلغ منتهاه .

قال الله تعالى : «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب[٥]» .

الراجفة : الزلزلة وحقت بجلائلها القيامة : أي تحقق وجودها بعظايمها .

والمنسك : حيث يذبح فيه النسايك أي الذبايح ، والمنسك المتعبد حذ ما يبقى لك من قوله تعالى : «ما عندكم ينفد وما عند الله باق[٦]» أي خد من الدنيا الفانية الثواب الباقي .

* * *

١ ــ البقرة : ٣٦ .
٢ ــ النحل : ١١٧ .
٣ ــ الصائف : الحار، يقال : صيف صائف : أي شديد الحرارة .
٤ ــ قال يقيل والمقيل والقيلولة : الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم .
٥ ــ الشورى : ٢٠ .
٦ ــ النحل : ٩٦ .

٢١٤ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

وَٱللهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، وَأُجَرَّ فِي الْأَغْلاَلِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟!

وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى ٱسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ[1] الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّما سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ؛ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً؛ فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقاً طَرِيقِي[2]؛ فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُها مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا. فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ؟ أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَلاَ

---

١ ــ في ض وح وب : شعث الشعور غبر الالوان .

٢ ــ في ح وب ول : مفارقا طريقتي .

أَئِنٌّ مِنْ لَظَى ؟!! وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا ، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا ، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ، فَقُلْتُ : أَصِلَةٌ ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ ؟؟؟ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَقَالَ : لاَ ذَا وَلاَ ذَاكَ ، وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ ، فَقُلْتُ : هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ ، أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ؟ أَمُخْتَبِطٌ ، أَمْ ذُوجِنَّةٍ ، أَمْ تَهْجُرُ ؟ وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةِ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ ٱللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا ، مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى ، وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَى نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

الشرح

قوله عليه السلام : لان أبيت على حسك السعدان مسهدا إلى آخره .

السعدان : نبت وهو من أفضل مراعي الابل وفي المثل مرعى ولا كالسعدان والنون زائدة لأنه ليس في الكلام فعلال غير خزعال ، إلا من المضاعف ولهذا النبت شوك ، يقال له : حسك السعدان ويشبه به حلمة الثدي يقال سعدانة الثندوة وله ثلاثة أرئوس على أي وجه وقع على الأرض يكون له رأسان حادّان إلى فوق يقف الواطئ عليه .

العظلم : نبت يصبغ به وقيل هو النيل .

والسهاد : الارق[1] ، ضج : أي جزع وصاح .

١ ــ الارق : السهر ، رجل أرق : إذا سهر لعلة .

والدنف : المريض المهزول .

والميسم : المكواة ، والسجر: الايقاد .

طارق طرقنا بملفوفة : أي أتى ليلا بهدية .

هبلتك الهبول : أي ثكلتك امك ، الثكل فقدان المرأة ولدها ، وقولهم ثكلتك امك دعاء للعرب يراد به الذم وربما لا يراد ، والهبول من النساء الثكول .

قوله أتيتني لتخدعني : كلام خارج عن العجب ، وللأولياء أن يتفوهوا بمثل ذلك ، حتى يقتدي بهم الناس ، قال الله تعالى : «إن تبدوا الصدقات فنعما هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم[1]» ومن أمن غوايل الرياء ، وعرف أنه ان أظهر مقاماته اقتدى به خلق ، فالأولى له أن يظهر ذلك ، ومن لا يأمن الرياء فله أن يخفي ، مثال ذلك من لم يكن عالما بالسباحة وألقى نفسه في البحر: وهاج البحر هلك ، ومن كان عالما بالسباحة نجا ونجّا غيره ويجب أن لا يطلب بهذا الاظهار منزلة المقتدين .

فان طلب الرياسة بمعزل عن الأنبياء والأولياء عليهم السلام لذلك قال أميرالمؤمنين : وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة .

والمختبط : الذي به الخباط : وهو كالجنون وليس به ، وتخبطه أفسده ، والمختبط أيضا الذي يأتيك يطلب معروفك بلا سبب ، والأقليم واحد الأقاليم السبعة ، التي هي جوانب الأرض وقيل هي الأرضون السبع والأرض ، لا يجمع لأن بعضها ليس فوق بعض كالسموات .

والفلك : مدار الكواكب ، وجلب شعير: أي قشرها .

* * *

---

١ ــ البقرة : ٢٧١ .

٢١٥ ـ وَمِنْ دُعاء لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

اللّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلاَ تَبْذُلْ[١] جَاهِي بِالإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

الشرح

قوله عليه السلام: اللهم صن وجهي باليسار.

غاية نعمة الله على عبده أن لا يحوجه عند الاسترزاق إلى مثله من البشر وروي لا تبتذل، وابتذال الثوب وبذله: امتهانه[٢] وفي غير الثوب هو ترك التصوّن.

والاقتار: الفقر، استعطف: طلب الشفقة والعاطفة.

افتتن: وروي أفتن وهو لازم ومتعد.

* * *

١ ـ في حاشية م وك: ولا تبتذل وفي ر: ولا تبتذل.

٢ ـ الامتهان: الابذال في الخدمة.

٢١٦ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

دارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلاَ تَسْلَمُ نُزَّالُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالأَمَانُ[1] مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ ٱللهِ: أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ، مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً، فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالأَحْجَارَ الْمُسْنَدَةَ، وَالْقُبُورَ اللاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ، لاَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ، وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ، وَكَيْفَ

---

١ ــ في ب ول: والامان فيها.

يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى؟ وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الأُمُورُ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ؟ (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) .

الشرح

قوله عليه السلام : دار بالبلاء محفونة .

تارات : أي حالات، المستهدفة : وروي بسكر الدال المنتصبة . وركن مستهدف أي عريض ومن استهدفه أراد أن يتخذه هدفا .

وأصوات هامدة : أي ساكنة ، وهمدت النار : أي طفأت وسكن لهيبها .

والعافية : المندرسة ، وتشييد البناء رفعه واعلاؤه وتجصيصه أيضا .

والملحدة : ذات اللحد ، كأن قد صرتم : أي كأنه والضمير للشأن .

بعثرت : أي بعثت واثيرت .

* * *

٢١٧/٢ـ وَمِنْ دُعاءٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

اللّهُمَّ إنَّكَ آنسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيائِكَ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إلَى الاسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اللّهُمَّ إنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيتُ[1] عَنْ طِلْبَتِي، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلاَ بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ.

اللّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلاَ تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ.

---

١ ــ في حاشية ن وم ول: عمهت.

الشرح

قوله عليه السلام: إنك آنس الآنسين لأوليائك.

الأنس: خلاف الوحشة.

واللهف: الحزن والتحسر، والملهوف: المظلوم يستغيث.

وألفهاهة: العيّ والعمه، التحير والنكر: العجب.

ع ـ لجاؤا إلى الاستجارة: أي الاستعطاف وأصله أن الصايد يأتي ولد الظبية في كناسه[1] فيعرك اذنه فيجوز أي يصيح، فيستعطف بذلك امه كي يصيدها، ومنه صلاة الاستجارة، وهو طلب الخير والرحمة من الله.

* * *

١ ـ كنس الظبي: اذا تغيب واستتر في كناسه وهو الموضع الذي ياوى اليه.

٢١٨ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لله بِلاَدُ[١] فُلاَنٍ، فَلَقَد قَوَّمَ[٢] الْأَوَدَ، وَدَاوَي الْعَمَدَ، وأَقَامَ السُّنَّةَ[٣]، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ[٤]، ذَهَبَ نَقِّي الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ: لاَ يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ، وَلاَ يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي.

الشرح

الأود: العوج، والعمد: داء يصيب الابل في أسنمتها يقال: عمد البعير إذا تفضح داخل سنامه من الركوب وظاهره صحيح، وهو بعير عمد وعمده المرض أي فدحه وروي لله بلاد فلان أي صنيعه الحسن.

أصاب خيرها: أي خير السنة، وسبق شرها: أي شر الفتنة أو شر السنة أي شر ما سميّ سنة من البدعة.

* * *

١ ـ في خاشية م: لله بلاء فلان.

٢ ـ في ض وب: فقد قوم.

٣ ـ في ش: اقام السنة.

٤ ـ في ب: خلف الفتنة واقام السنة.

٢١٩ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في وصف بيعته بالخلافة ، وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَى تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا[1]، حَتَّى انْقَطَعَتِ[2] النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِىءَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ[3].

---

١ ـ في ح وحاشية ن ول وش : يوم وردها .

٢ ـ في م : ورودها انقطعت النعل .

٣ ـ في حاشية م : حسرت عن ساقها الكعاب .

الشرح

تداككتم عليّ : في الغريبين ، تداك الناس عليه أي ازدحموا ، وقيل هو تفاعل من الدك وهو أبلغ من الدق أي تساقطتم ، واندق بعضكم ببعض ، حرصا على ما كان عندي من العدل بينكم مثل تساقط الابل العطاش إذا وردت الماء .

وهدج الظليم : إذا مشي في ارتعاش .

وتحامل عليه : أي مال ، وتحاملت على نفسي أي تكلفت الشيء على مشقة .

وحسرت إليها الكعاب : أي أبرزت المرأة الكاعب نفسها[١] ، وكشفت ميلا إلى تلك البيعة وإلى حضورها .

* * *

١ ــ الكعاب بالفتح : المرأة حين يبدو ثديها للنهود وهي الكاعب ايضا وجمعها : كواعب .

٢٢٠ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ مِفْتَاحُ سَدَاد، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ (وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنجاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ[١]) بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ، فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَع، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالأَقْلامُ جارِيَةٌ، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ عُمْراً نَاكِساً، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوائِلُهُ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ، وَاحْتِدامُ عِلَلِهِ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ، وَغَواشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ[٢]، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ[٣]، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ، فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً، فَأَسْكَتَ

---

١ ـ ساقطة من ف ون.

٢ ـ في ح وب وش: ارهاقه وفي ن: ارهاق بالزاء والراء.

٣ ـ في ك ور: ودحوا طباقه بالحاء.

نَجِيِّكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وَعَفَّي آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُّبِ وَالإِسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، وَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ[1] الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا، أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً، لاَ يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلاَ يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلاَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ، فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا[2] غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلاَ يَرْكُدُ بَلاَؤُهَا.

منها في صفة الزهاد.

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا: عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ، وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

١ــ في ض وح وب : ولا تغرنكم الحياة الدنيا.

٢ــ في ض وح وب : فانها غدارة غرارة.

الشرح

قوله عليه السلام: فان تقوى الله مفتاح سداد.

الرغيبة: ما يرغب فيه، هادئة: ساكنة.

الناكس: المطاطي رأسه والعمر الناكس المتقلب من القوة إلى الضعف.

والموت الخالس: السالب الروح.

والطية: النية، قال الخليل الطية يكون منزلا ويكون منتأى يقول مضى لطيته أي لنيته التي انتواها وبعدت عنا طيته وهو المنزل الذي انتواه.

والواتر: من يطلب بدم أراقه، الغائلة: الشر والداهية.

وأقصد السهم: أي أصاب، فقتل والمعبلة نصل عريض طويل.

والعدوة: الحضر والعدوة تجاوز الحد في البشر.

واحتدمت النار: التهبت واحتدم الدم: اشتدت حمرته، واحتدم صدر فلان غيظا.

والحنادس: الظلم، والازهاق: القتل وروي بالراء وازهقته شيئا أي أغشيته إياه.

ودجوّ أطباقه: أي ظلمة حالاته والطبق الحال، وروي دحوّ أطباقه أي بسط تغطيته.

والجشوبة: غلظ الطعام، والندي والنادي: المجلس.

وقوله: نديكم: أي أهل نديكم الغرة والغفلة، لا يحفلون[1] أي لا يبالون.

نزوع: أي تنزع وتخلع ما ألبسته، لا يركد: أي لا يقف.

قوله في الزهاد عملوا بما يبصرون: أي بما ترونه أصلح لهم وروي يبصرون من بصر بالشيء إذا علمه.

ع ــ قوله كانوا قوما من أهل الدنيا وليسوا من أهلها.

هذا حال من انفك رقبته عن أسر الزمان والمكان، ويكون زهادته طبعا لا تكلف فيه كما قال النبي صلى الله عليه وآله: أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف، ومهما انشرح صدره للايمان بالغيب فاض على باطنه نور لم يشاهد مثله قبل ذلك، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال: يا داود من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني.

* * *

---

١ ــ في ض: لا يحصلون أي لا يبالون.

٢٢١ ــ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

خطبها بذي قار، وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها الواقدي في كتاب الجمل

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَبَلَّغَ رِسَالَةَ[1] رَبِّهِ، فَلَمَّ ٱللهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ ذَوِي[2] الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

٢٢٢ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

كلم به عبد الله بن زمعة، وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا، فقال عليه السلام :ــ

إنَّ هذا المَالَ لَيْسَ لِي ولاَ لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

---

١ ــ في ض وح وب : رسالات ربه.

٢ ــ في ض وح وب : والف به الشمل بين ذوي الارحام وفي ش : والف به بين ذوي الارحام.

٢٢٣ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَلَا إنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإنْسَانِ، فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إذَا امْتَنَعَ، وَلاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إذَا اتَّسَعَ، وَإنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ.

وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ، (مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإدْهَانِ[1]) فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ، لاَ يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

---

١ ـ ساقطة من ب.

الشرح

قوله عليه السلام بعد العداوة الواغرة : الوغر بالتسكين الضغن والتوقد من الغيظ وعداوة ، واغرة : أي متوقدة .

والقادحة في القلوب : أي يقدح نار العداوة فيها .

فجناة أيديهم : يعني ما اكتسبت ايديهم إنه أولى بهم عند الانفاق .

البضعة : القطعة ، تنشبت : أي علقت .

تهدلت : تدلت .

الادهان : المصانعة ، والعارمة : الجاهل القليل الحياء .

والشائب : ذو الشيبة ، والمماذق : الذي لا يخلص الودّ من مذق البئر أي مزجه بالماء .

لا يعول : أي لا يمون[1] .

* * *

---

١ ــ مان يمون يون : احتمل مؤنته وقام بكفايته .

٢٢٤ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

روى ذعلب اليماني عن أحمدبن قتيبة عن عبد اللهبن يزيد عن مالك بن دحية قال : كنا عند أميرالمؤمنين عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِي طِينِهِمْ،[١] وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ[٢] وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلاَفِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَامُّ الرُّوَاءِ، نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ، قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَذَاكِي الْعَمَلِ[٣]، قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ، بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ، مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ، مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ، حَدِيدُ الْجَنَانِ.

---

١ ــ في ر : و بخط الرضي : مبادى اطينهم .

٢ ــ في ش : وحزون تربة .

٣ ــ في م : زاكي العقل .

الشرح

قوله إنما فرق بينهم مبادىء طينتهم: قال بعض الأطباء: سبب تفاوت الناس سبعة أشياء.

أولها: اختلاف الأمزجة وتفاوت الطبيعة واختلاف الخلقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى لما أراد خلق آدم أمر أن يؤخذ قبضة من كل أرض فجاء بنو آدم على قدر طينها الأحمر والأبيض والأسود والسهل والحزن والطيب والخبيث، وقال[1].

فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون.

وقال تعالى: «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء[2]».

الثاني: اختلاف الوالدين في الصلاح والفساد، وذلك أن الانسان قد يرث من أبويه آثارهما عليه من جميل السيرة والخلق أو قبحهما كما يرث مشابهتهما في حليتهما، قال الله تعالى: «وكان أبوهما صالحا[3]».

الثالث: اختلاف محلّ مادّة الانسان كما قال النبي صلى الله عليه وآله: تخيروا لنطفكم، وقال: الناكح غارس فلينظر أين تضع غرسه، وقال:

---

١ ــ في ض: وقال أمير المؤمنين عليه السلام من سبخ الأرض وحزن تربتها وسهلها فهم.

٢ ــ آل عمران: ٦.

٣ ــ الكهف: ٨٢.

إياكم وخضراء الدّمن، قيل: وما خضراء الدمن، قال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

الرابع: اختلاف ما يتفقدّ به من الرضاع ومن طيب الطعم وللرضاع تأثير عجيب، لقول النبي صلى الله عليه وآله: الرضاع يغير الطباع ويقول العرب: لله درّه.

الخامس: اختلاف أحوالهم في تأديبهم، وتعويدهم العادات الحسنة والقبيحة فحق الوالدين أن يؤخذ بالآداب الشرعية واخطار الحق بباله، وتعويده فعل الخير كما قال عليه السلام: مروهم للصلاة بسبع ويجب أن يصان عن مجالسة الأشرار.

السادس: اختلاف من يتخصص به ويأخذ طريقته.

السابع: اختلاف اجتهاده في تزكية نفسه بالعلم والعمل حتى استقلّ بنفسه فهذه أسباب اختلاف الناس.

الطينة: الخلقة وجمعها طين أسند الفعل إلى الطين مجازا وإنما ذلك فعل الله تعالى فسر عليه السلام الاختلاف بما هو من فعل الله تعالى من الصور والهيأت والألوان دون ما يمدح العبد ويذمّ عليه من فعله.

والضريبة: الخليقة، والجليبة: ما يجلبه الانسان من الطبيعة بفعله إلى نفسه.

والجنان: القلب.

* * *

٢٢٥ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وتجهيزه

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدِ ٱنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالأَنْبَاءِ، وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً.

وَلَوْلاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ؛ لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلاَّ لَكَ، وَلٰكِنَّهُ مَالاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، ٱذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَٱجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

الشرح

الشؤون: مجاري الدموع.

ولكان الدماء مماطلا: أي دائم الثبات يدافع بالذهاب ولا يذهب.

والكمد: الحزن المكتوم، والمحالف: الملازم.

واجعلنا من بالك: أي من همم بالك أي قلبك وقيل أي مما تباليه.

* * *

٢٢٦ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لاَ تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلاَ تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلاَ تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ؛ الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ[1] بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ، دَائِمٌ لاَ بِأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ. تَتَلَقَّاهُ الأَذْهَانُ لاَ بِمُشَاعَرَةٍ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لاَ بِمُحَاضَرَةٍ. لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّى لَهَا وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، وَلاَ بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً، بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وَعَظُمَ سُلْطَاناً.

وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ[2] وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ،

---

١ ــ في ر: وروي مستشهدا.

٢ ــ في ف ون: عبده المصطفى وفي م ول: عبده الصفي.

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلْجِ، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالّاً عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلاَمَ الاِهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلاَمِ مَتِينَةً، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

منها: في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوانات:

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ؛ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلٰكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، وَالْأَبْصَارَ[١] مَدْخُولَةٌ! أَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ[٢] كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ؟

أُنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَتْ[٣] عَلَى رِزْقِهَا! تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتَعُدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا؛ تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وُرُودِهَا[٤] لِصَدَرِهَا، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا؛ لاَ يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، وَلاَ يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ، وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا؛

١ـ في ح وض وب: والبصائر مدخولة.
٢ـ في ش: ما خلق الله.
٣ـ في ن وف: وضفت على رزقها.
٤ـ في ض وح غ وردها.

لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً، فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا؛ وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يَعِنْهُ على[1] خَلْقِهَا قَادِرٌ. وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فكرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِكِ[2] مَادَلَّتْكَ الدَّلاَلَةُ إلاَّ عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ آخْتِلاَفِ كُلِّ حَيٍّ!! وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ؛ فِي خَلْقِهِ إلَّا سَوَاءٌ!! وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ فَانْظُرْ إلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتلاَفِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلاَلِ، وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ اللُّغَاتِ، وَالأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ[3]، وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ. زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ؛ وَلاَ لاِخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ! وَلَمْ يَلْجَأُوا إلَى حُجَّةٍ فِيمَا آدَّعَوْا؛ وَلاَ تَحْقِيقٍ لِمَا[4] وعُوا، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ؛ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ، يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي

١ـ في ب ول وش : في خلقها .

٢ـ في ض وح وب ول وش : غاياته .

٣ـ في ب ول : لمن جحد المقدر وأنكر المدبر .

٤ـ في ض وب ول وش : لما اوعوا وفي ح : لما دعوا .

زَرْعِهِمْ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّها، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا [١] ! وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لاَ يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً. فَتَبَارَكَ آللهُ [٢] الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَيُعَفِّرُلَهُ [٣] خَدًّا وَوَجْهاً، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً. فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدٰى وَالْيَبَسِ، قَدَّرَ [٤] أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا: فَهٰذَا غُرَابٌ، وَهٰذَا عُقَابٌ، وَهٰذَا حَمَامٌ، وَهٰذَا نَعَامٌ. دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ، وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وَعَدَّدَ قَسْمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد.

قال قوم: العقل البشري قاصر عن إدراك الوجود الأزلي لأنه لا مثال له في الشاهد فيستدلّ بالشاهد على الغائب.

قال الامام الوبري: لا تدركه الشواهد أي الأحياء الكائنون في الأماكن ثم أورد التعليل لذلك وقال:

ولا تحويه المشاهد: أي إنما لا يصح أن يدرك لأنه لا يجوز عليه

١ــ في ن: منه في شهواتها.
٢ــ في ض وح وف ول وش: فتبارك الذي.
٣ــ في ب: ويعنوله خدا.
٤ــ في ض وح وب: وقدر اقواتها.

الأماكن وإنما الادراك مقصور على هذا فيجب أن يكون المدرك في محلّ أو زمان، وقال بعض العلماء: الانسان لما كان على هيئة العالم وجد فيه كل ما وجد في العالم، فكما أن في العالم أشياء لا يتأتى إصلاحها وحيوانات لا يمكن تأديبها كذا في ذات الانسان قوى لا يتأتى إصلاحها وتهذيبها فكان له مع ذلك القوى قصور[١].

قال تعالى: كلا لما يقض ما أمره، نبه على أن الانسان لا يكاد يخرج من دنياه، وقد قضى وطره[٢] ولهذا قال تعالى في حق العقلاء العارفين الذين استضاؤا بشعلة من نور التوحيد: «يقولون ربنا أتمم لنا نورنا[٣]»، وهذا دليل على أنهم لا يصلون إلى ما يطلبون من المعلومات، وحقائق الأشياء وهم يدينون.

قال جعفربن محمد الصادق عليهما السلام: من ظنّ أنه يصل إلى الحق ببذل المجهود فهو متعن[٤] ومن زعم أنه يصل إليه بغير بذل المجهود فهو متمنّ، وقال تعالى: «ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا[٥]» وقال تعالى: «بل الله يزكى من يشاء[٦]».

فالانسان ما دام في دنياه لا ينفكّ من مشاركة البهائم والسباع لكونه حيوانا محتاجا إلى ما يحتاج السباع إليه، ومن مشاركة الأشجار والنبات، لكونه محتاجا إلى ما يحتاج الأشجار إليه، فالانسان إذا ما لم يقتحم[٧]

---

١ ــ في ض: مع ذلك القوى تصور.

٢ ــ الوطر: الحاجة والبغية وقضى منه وطره: نال بغيته.

٣ ــ التحريم: ٨.

٤ ــ المعن: من يدخل فيما لا يعنيه ويعرض في كل شيء.

٥ ــ النور: ٢١.

٦ ــ النساء: ٤٩.

٧ ــ اقتحم الانسان الأمر العظيم: إذا رمى نفسه فيه من غير روية وتثبت.

العقبة ويفك الرقبة لم يثعر[١] من الحاجات البدنية ولم يأمن شياطين الانس والجن وكيف يأمن وقال تعالى : «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا[٢]» .

وبحدوث خلقه على وجوده : يعني أن ممكن الوجود يحتاج إلى واجب الوجود .

واحد لا بعدد : لا ينظم إليه غيره ، ولا يتجزأ في ذاته ولا في معنى صفاته .

قائم لا بعمد : يعني قيامه تعالى بالأشياء حفظه لها وتدبيره وإحاطته بها .

والمشاعرة : حصول العلم من طريق الحواس والمرأى : المنظر .

لم تحط به الاوهام : بل تجلى لها بها : أي ظهر الله تعالى للعقول لدلالتها عليه ، من حيث أن وجود العلم في القلب لا من جهة صاحبه لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فالعقل يدل عليه تعالى لوقوعه على وجه لا لجنسه فان جنسه الذي هو الاعتقاد مقدور العباد ، ويحتمل أن يقال تجلى بالعقول أي بما أدركته العقول من الأدلة .

وبها امتنع منها : إذ قد دل الله تعالى على أنه لا يشبه المدركات .

واليها حاكمها : لأن العقل هو الحاكم الذي يعدل وعن الحق لا يعدل ، والضمائر: الاذهان والذهن قوة من قول العقل وكثيرا ما يطلق ويراد به العقل وقيل : تجلى للعقول بالعقول كما يتجلى نور الشمس للابصار بالابصار وبها امتنع منها أي لضعف العقول امتنع منها كما يمتنع نور الشمس لضعف الأبصار منها وليس للابصار قوة محاذاة الشمس .

واليها حاكمها : أي وإلى الأذهان حاكم الأذهان ، فان العقول هو

١ـــ اعتر به : اتاه للمعروف من غير ان يسأل ، والمعتر : الفقير.

٢ـــ الانعام ١١٣ .

الحاكم بين المعقولات، والموهومات الصادقة الموهومات المزيفة[١].

قوله تجلّى لها بها وبها امتنع منها: على سبيل التفصيل إن العقل يدرك المعلومات، وليس إلى ادراك أحواله سبيل، ووراء العقل ذوق الشعر، فان العالم باللغة ما لم يكن له ذوق الشعر فهو لا يميز بين الأوتاد والأركان، والفواصل، والكامل والناقص، والمنهوك والعقل يلتذ بمعرفة الله ولكنه التذاذ به من حيث أنه معلوم، كما يلتذ بسائر المعلومات ولكن هذا الالتذاذ اكمل عنده.

فهذا معنى قوله: تجلى لها بها، وهذا العرفان شبيه بالبصر الطاهر، إذا التذ بادراك مشموم طيب من حيث أنه مبصرذو لون كما يلتذ العين بمشاهدة المسك والعود والعنبر وكما يلتذ بمشاهدة الأطعمة اللذيذة، لكن الذوق وراء ذلك، وهو يحصل من الاخلاص العملي[٢] وبه المواظبة على الفكر والذكر فلذلك قال: وبها. امتنع منها، يعني بعدم الذوق للعقل امتنع منها، وقد تعبر عن هذا الذوق بعين اليقين.

لم تحط به الأوهام: أي ذو الأوهام من حيث[٣] أنها أفعاله، وامتنع منها: من حيث أنها لا تدركه، وقيل تجلى بمعنى جلى أي جلى لها[٤] معرفته تعالى وامتنع أن يكون من جملتها أي محدثا مثلها، وإليها حاكمها، يعني أن من أنعم النظر في نفسه علم صحة ما ذكر.

ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً.

---

١ ـــ درهم زيف وزائف: اي رديئة.

٢ـــ في ض: من الاخلاص العملي والمواظبة على الكر والذكر.

٣ـــ في ض: اي ذوو الاوهام والوهم الظن الذي يكون مظنونه على خلاف ما يظنه تجلى لها من حيث انها افعاله.

٤ـــ في ض جلى بها.

قال الوبري : هذا بناء على نفي التجسيم (لان النهاية انما يصح على الأجسام فالجسيمة هي المصححة للسكون في الجهات والجهات انما يكون مع التحير[١]) . يكون مع التحير والكون فيها يستحيل مع ارتفاع التحسين .

الفلج : الظفر والأمراس : الحبال .

قوله عليه السلام : ولو فكروا في عظيم القدرة إلى آخره .

الأبصار المدخولة : الدخل العيب : وداخل الرجل ، فهو مدخول أي في عقله دخل .

قوله أنظروا إلى النملة ، للنملة مع لطافة شخصها وخفة وزنها في الشم ما ليس لشيء وإذا ماتت جرادة أو ما يشبه الجرادة ، وليس بقربها ذرة ولا لها بالذر عهد في ذلك المنزل ، فلا يلبث أن يقبل ذرة قاصدة تلك الجرادة ، وتحاول[٢] نقلها فان تعذر عليها عادت إلى تربتها[٣] وتعود وخلفها كالخيط الأسود الممدود من النمال ويظهر للنملة من جملة ما ذكرنا قوة حاسة الشم ولا يمكن أن يشم الانسان الجايع عشر ذلك .

ثم علو الهمة والجرأة على محاولة نقل ما هو أضعاف جسمه في الوزن وليس شيء من الحيوانات يحمل ما هو أضعاف وزنه سواهما ، وإذا أخرجت النملة حبها من بيتها ليجففها ، ويكون بعد ذلك مطرا ألهمها الله تعالى حتى يردها إلى بيتها ، صيانة لها وللنملة مع صغر جثتها في دماغها الحس المشترك ، والخيال ، والوهم ، والمتخيلة ، والحافظة ، ولها حاسة الشم وحاسة اللمس والقوة النامية ، والمولدة والغاذية والجاذية ، والماسكة ، والهاضمة والدافعة .

---

١ ــ ساقط في الاصل .

٢ ــ في الحديث بك احاول : هو من المفاعلة ، وقيل : المحاولة طلب الشيء بحيلة .

٣ــ في ش : قريتتها .

ذكر بعض المهندسين أنه أحمى بالنار حلقة من الحديد، ورمى بها الأرض لتبرد فاشتملت الحلقة على نملة فأرادت التخلص منها فلقيها وهج[١] النار فرجعت إلى وسط الحلقة. وماتت في مركزها بحيث كانت أبعد من الدائرة، والنملة من ذوات السموم ولا يكاد الحية تسلم من أذى النملة إذا كان بها أدنى عفن، وما لم يكن بها عفن لا يتعرض لها، وللنملة من الجد والتشمير في جمع القوت ما ليس للانسان مثله، ويتعاون النمل على النقل كالناس ولا يتخذ القرية إلا في نشز[٢] من الأرض كيلا يغرقها السيل.

روي أن سليمان النبي عليه السلام كان قاعدا على شط بحر ينظر فيه فان النظر في الماء عبادة وعجائب البحر كثيرة، فاذا بنملة تجيء وفي فيها حبة فلما وصلت إلى الماء اخرج ضفدع رأسه من الماء وفتح افاه وثبت النملة إلى فيها وغمس الضفدع في الماء، فلما كان بعد ساعة فاذا الضفدع أخرج الرأس وفتح الفم وخرجت النملة إلى البرّ ولم يكن معها تلك الحبة فسألها سليمان عن الحالة.

فقالت: إن الله ألهمني أن في قعر هذا الماء حجرا مجوّفا فيه دودة عمياء لا يمكنها طلب رزقها وأن الله سخر الماء حتى لا يدخل في جوف ذلك الحجر وألهمني الله موضع رزقه في هذا البرّ فأحمله إلى هاهنا، وقد ألهم تعالى هذا الضفدع ليجيئ إلى هذا المكان ليحملني إلى قعر هذا البحر فأبلغ الحبة إلى تلك الدودة، فقال سليمان: فقد سمعت منها تسبيحا ألهمها[٣] به.

فقالت: نعم سمعتها تقول يامن لا ينساني تحت هذه اللجة جوف هذه

١ـ وهجت النار: اتقدت.

٢ـ النشز: المكان المرتفع.

٣ـ في ض: الهما الله بها.

الصخرة برزقك ، لا تنس عبادك المؤمنين بفضلك .

صبت على رزقها : أي نحلت .

ج ــ صبت على رزقها : قيل هو على العكس أي صبّ رزقها عليها وظاهر اللفظ حسن أي انصبت على الرزق .

والصفا : الحجر الاملس ، والجامس : الجامد الصلب .

والشراسيف : أطراف الضلع التي يشرف على البطن جمع شرسوف .

وقلة الجبل : أعلاه والجمع قلال .

تفرق اللغات : قال الأطباء : اختلاف اللغات بسبب إختلاف الأمزجة واختلاف الأمزجة بسبب اختلاف الأهوية والأمكنة قال الله تعالى : «واختلاف السنتكم وألوانكم[١]» .

قوله عليه السلام : الويل لمن أنكر المقدر وجحد المدبر: لا فساد في العقائد أكثر من فساد التعطيل وهم الذين يقولون إن الانسان خلق سدى والانسان كما حكى عنهم أميرالمؤمنين كالنبات البريّ يبدو من غير زارع ويهلك من غير حاسد وقد نبه الله على ذلك وأبطل عقائد المعطلين حيث قال «او لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون[٢]» .

فحوى هذه الآية أنهم لو تدبروا أنفسهم وعرفوها لعرفوا الله تعالى والمبدأ والمعاد ، ولما انكروا البعث الذي هو لقاء ربهم ، وقوله تعالى : «نسوا الله فأنساهم أنفسهم[٣]» يعني أنهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله تعالى فلما جهلوه دلّ جهلهم إياه على جهلهم إياه[٤] .

قوله وإن شئـت قلت في الجرادة .

---

١ ــ الروم : ٢٢ .

٢ ــ الروم : ٨ .

٣ ــ الحشر : ١٩ .

٤ ــ في ض : جهلهم اياه على جهلهم اياها .

إذا تأملت خلقة الجرادة وجدتها أضعف أمثالها وإذا توجهت عساكرها نحو بلدة لم يستطع أحد دفعها ألا ترى ملكا من الملوك لو جمع خيله ورجله، ليحمي بلاده من الجراد ما قدر على ذلك، أفليس من الدلائل على عظمة الخالق وقدرته إنه يبعث أضعف خلقه على أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه.

ثم إن الجراد ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشى السهل والجبل، وان طار ستر نور الشمس لكثرته.

يقرض: أي يقطع، والنزوات: الوثبات.

أهطل ديمها، أسال أمطارها.

دعا كل طائر باسمه: قيل معناه كتب في اللوح المحفوظ، كل لغة تواضع عليها العباد في المستقبل، وذكر الأسامي التي يتواضعون عليها، وذكر لكل اسم مسماة وذكر الطائر وأراد جميع الأجناس، والأنواع كما قال تعالى: «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين[1]»، فتأمل جسم الطائر وخلقه فانه حين قدر أن يكون طيارا في الجوّ خفف جسمه وأدمج خلقه.

فاقتصر به من القوائم على إثنين ومن الأصابع الخمس على أربع ومن منفذين[2] للذيل والبول على واحد ثم خلقه ذا جؤجؤ[3] محدب ليسهل عليه خرق الهواء كما يجعل صدر السفينة بهذه الهيئة ليشق الماء وخلق في جناحيه وذنبه ريشات طوالا متانا لينهض به إلى الطيران وكسى جسمه كله الريش ليتداخل الهواء فينقله فلما كان طعامه الحبّ واللحم يبلعهما بلعا بلا مضغ.

نقص من خلقه الأسنان وخلق له منقارا صلبا وأعانه بفضل حرارة في

١ ــ يس: ١٢.

٢ ــ الذيل: مدفوع الانسان والذبلة: البعرة.

٣ ــ الجؤجؤ: الصدر وقيل عظامه.

الجوف يستغني بها عن التقدم في مضغه ثم خلقه تعالى يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل على الطيران فلو كانت الفراخ في جوفه لا ثقلته وعاقته عن الطيران ، ثم يقعد الطائر على البيض فيحضنه ويلقط الطعم بعد أن يستقر في حوصلته فيغذوا به فراخه .

هذا من فعله يشهد على أنه معطوف من جهة الله تعالى على فراخه لعله لا يعرفها الطائر وهي دوام النسل وبقاؤه ، وفكر في حوصلة الطائر فان مسلك الطعم إلى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعم إلا قليلا ، فلو كان هذا الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى تصير الأولى إلى القانصة[1] لطال ذلك عليه .

فخلق تعالى له الحوصلة كالمخلاة المعلقة أمامه يعني فيها ما ادرك من الطعم بسرعة ، ثم ينفذ إلى القانصة على مهل[2] ، ولو كان اختلاف الألوان ، والأشكال في الطيور من قبل امتزاج الأخلاط واختلاف مقاديرها كما قاله جهال الطبيعيين ،لما كان في طائر واحد هذه العجائب .

فانظر في الوشى[3] الذي تراه في الطواويس والدراج والتدرج على استواء ومقابلة . على نحو ما يخط بالأقلام ، كيف يأتي بها الامتزاج المهمل على شكل واحد ، لا يختلف ، ثم انظر إلى الريش منها كنسج الثوب ، وفي وسط الريش عمود غليظ متين ، أجوف نسج عليه ذلك ، ليمسكه بصلابته ، وهو القصبة التي يكون في وسط الريشة ، وهو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر، فلا يعوقه على الطيران ، ومع ذلك .

أحصى تعالى وتقدس عدد الريش منها والنفس : يعني أنه تعالى عالم بجميع المعلومات مجملها ومفصلها كلها وجزئها خلافا لما يهدى به الجهلاء

---

١ ـــ القانصة من القنص وهو الصيد وقوانص الطير، حواصلها .

٢ ـــ المهل : بالتحريك التؤدة والتباطؤ.

٣ ـــ وشي الثوب : حسنه بالألوان ونقشه .

من الفلاسفة.

أرسى قوائمها على الندى واليبس: تفكر في الطائر الذي هو طويل الساقين فانه يرعى في ضحضاح[1] من الماء ويتأمل ما يذبّ في الماء وينساب فيخطوا ذلك الطائر خطوا رفيقا حتى يتناوله، ولو كان قصير الساقين لثار[2] الماء وزعر منه الصيد، وكان عنقه طويلا ليتمكن من تناول الأطعمة وانظر إلى العصافير كيف يطلب طعامها في بياض نهارها ولا يتيسر لها دفعه، وينالها بالطلب والحركة، فسبحان من خلق العصفور على هذه الهيئة وقربه وبعده، فلم يجعله مما لا يقدر عليه الصياد عند الحاجة إليه، ولم يجعله مع ضعفه وصغر جثته مما ينال بالهوينا[3].

انظر إلى الخفافيش فان معاشها من حيوانات تنشر في الجو، من البعوض، والفراش[4] وأشباه ذلك، من الجراد واليعاسيب[5] وهذه الحيوانات بالليل مبثوثة[6] بالجو فانظر كيف وجه الرزق إلى التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب، وذكر أن الدخل[7] قد عشش في بعض الأشجار فأقبلت نحوه حية لتبتلعه.

فبينا هو ينقلب ويضطرب في طلب حيلة للنجاة منها اذ وجد حسكة[8]

---

١ ـ الضحضاح: مارق الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين.

٢ ـ ثار الماء يثور: ينبع بقوة وشدة.

٣ ـ الهوينا تصغير الهونا والهونى تأنيث الاهوان وهي الثورة والرفق.

٤ ـ الفراش: جنس حشرات، ملون احيانا تلوينا جميلا الحشرة الكاملة التي من خصائصها الامتصاص تساهم كسائر الحشرات تلقيح الظهور.

٥ ـ اليعسوب: السيد وأصله فحل النحل.

٦ ـ البث: النشر والاظهار.

٧ ـ الدخل: طائر صغير يدخل بين رؤوس الشجر والنخل.

٨ ـ الحسكة: العظم الدقيق من السمك.

فحملها وألقاها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوى وتنقلب حتى ماتت.

فقوله دعا كل طائر باسمه: أي ألهمه رشده يقال: في الاستعارات دعاه باسمه أي نبهه على مقصوده، وأفاض عليه مواهبه، وما دعاه باسمه إذا لم يلتفت إليه.

* * *

٢٢٧ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفه؛ وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، وَلاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ؛ وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ؛ فَاعِلٌ لاَ بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لاَ بِجَوْلِ فِكْرَةٍ؛ غَنِيٌّ لاَ بِاسْتِفَادَةٍ. لاَ تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَ َتَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ، وَالابْتِدَاءَ أَزَلُهُ.

بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لاَ مَشْعَرَ لَهُ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لاَ ضِدَّ لَهُ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لاَ قَرِينَ لَهُ، ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، وَالْحَرُورَ بالصَّرَدِ. مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا. لاَ يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَلاَ يُحْسَبُ بِعَدٍّ؛ وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الآلاَتُ[١] إِلَى نَظَائِرِهَا.

١ ــ في ب: وتشير الى نظائرها وفي ل: وتشير الالة.

مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدَمِيَّةَ ؛ وَحَمَتْهَا قَدِ الأَزَلِيَّةَ ؛ وَجَنَّبَتْهَا لَوْ لاَ التَّكْمِلَةَ ، بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ ، لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيُحْدِثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ ؟! إذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلاَمْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ ! وَلاَلْتَمسَ التَّمَامَ إذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ ! وَإذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الإمْتنَاع مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ .

الَّذِي لاَ يَحُولُ ، وَلاَ يَزُولُ ، وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ الأفُولُ ؛ لَمْ[1] يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً . جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ النِّسَاءِ ؛ لاَ تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ؛ وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ ؛ وَلاَ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ ، وَلاَ تَلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لاَ يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلاَ يَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ[2] ، وَلاَ تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلاَمُ ، وَلاَ يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ ، وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ ، وَلاَ بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ ، وَلاَ بِالْغَيْرِيَّةِ وَالأَبْعَاضِ . وَلاَ يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلاَ نِهَايَةٌ ، وَلاَ انْقِطَاعٌ وَلاَ غَايَةٌ . وَلاَ أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيهِ ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يَعْدِلَهُ . لَيْسَ فِي

١ ــ في ب : ولم يلد .

٢ ــ في ب : بالاحوال .

الْأَشْيَاءِ بَوَالِجٍ، وَلاَ عَنْهَا بِخَارِجٍ. يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ[١] وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لاَ بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلاَ يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلاَ يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلاَ يُضْمِرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِما أَرَادَ[٢] كَوْنَهُ «كُنْ» فَيَكُونُ! لاَ بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلاَ بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلاَمُهُ- سُبْحَانَهُ- فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ، وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً.

لاَ يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُن فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ وَلاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلاَ لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ الْخَلاَئِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَالاِعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالاِنْفِرَاجِ، أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلاَ ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلاَلِهِ وَعِزَّتِهِ، لاَ يُعْجِزُهُ[٣] شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَاقَةٌ إِلَيْكَ لاَ

١ــ في ف وم : بلا لسان.

٢ــ في ض وم وب : لمن اراد.

٣ــ في ب : ولا يعجزه.

يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إلَّا فَضْلُكَ ، وَلاَ يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ ، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا ٱلْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلأَيْدِي إلَى سِوَاكَ ؛ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

بِخَدَّيْهِ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ، وَلاَتَ حِينَ مَنَاص، وَهَيْهَاتَ، ثُمَّ هَيْهَاتَ !! وَقَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ).

فَيَغْلِبَهُ، وَلاَ يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلاَ يَحْتَاجُ إلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ. خَضَعَتِ الأَشْيَاءِ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لاَ تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِيَهُ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ، هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ٱبْتِدَاعِهَا، بِأَعْجَبَ مِنْ إنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا ! وَكَيْفَ وَلَوِ ٱجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إحْدَاثِهَا، وَلاَ عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إلَى إيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً

بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

وَانِه يَعُودُ سُبْحانَه[١] بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لاَ شَيْءَ مَعَهُ: كَمَا كَانَ قَبْلَ ٱبْتِدَائِهَا، كَذٰلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلاَ وَقْتٍ وَلاَ مَكَانٍ، وَلاَ حِينٍ وَلاَ زَمَانٍ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذٰلِكَ الآجَالُ وَالأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ[٢] السِّنُونَ وَالسَّاعَاتُ، فَلاَ شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأُمُورِ. بِلاَ قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ٱبْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبِغَيْرِ ٱمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الامْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا. لَمْ يَتَكَاءَدْهُ[٣] صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا بَرَأه وَخَلَقَه[٤]، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلاَ لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ، وَلاَ لِلاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ، وَلاَ لِلاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ، وَلاَ لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ؛ وَلاَ لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا. ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لاَ لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلاَ لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلاَ لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا[٥] عَلَيْهِ. لَمْ يُمِلَّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا؛ لٰكِنَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ

١ــ في ح ول : وانه سبحانه يعود وفي ض وب : وان الله سبحانه يعود.

٢ــ في ب : والاوقات والسنون.

٣ــ في ر : وروي لم يتكاد وفي ل : لم يتكاده.

٤ــ في ب : خلق ما خلقه و براه.

٥ــ في ب : منها عليها.

إلَيْهَا، وَلاَ ٱسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلاَ لاِنْصَرافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ ٱسْتِئْنَاسٍ، وَلاَ مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى [1] عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ، وَلاَ مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ، وَلاَ مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

الشرح

قوله عليه السلام: ما وحده من كيفه.

قال المتكلمون من أثبت للشيء مثلا ونظيرا فقد كيفه وقال غيرهم: من أطلق عليه مقولة الكيف فقد كيفه ومن كيفه فقد سدّ على نفسه باب التوحيد.

ولا حقيقته أصاب من مثله: من أثبت لله مثلا فقد توجه اعتقاد إلى غير الله واذا لم يتعلق اعتقاد به تعالى فهو غير عارف به.

لا صمده من أشار إليه: أي من أشار إليه الاشارة الحسية المكانية أو الوهمية، فانه لم يقصد نحوه بل تصور غيره.

كل معروف بنفسه مصنوع: لأن ما عرف بنفسه هو الشاهد المدرك من جنس الأجسام والأعراض والأدراك يتعلق بأخص أوصاف الشيء فحقيقة الشيء ما اقتضاه طريق معرفته، فكل شيء عرف بنفسه فهو المحسوس فما عرف بأفعاله ولوازمه، فهو المعقول، ولا يلزم من هذا أن يكون كل معروف بغيره صانعا قديما لأن هذا عكس غير مقبول.

وكل قائم في سواه معلول: لاحتياجه إلى غيره وكل ما احتاج في وجوده إلى غيره فهو محدث.

١ــ في ض وب: الى حال علم.

فاعل لا باضطراب آلة: بل يفعل اختراعا من غير مماسة ومجاورة ولا يشغله شأن عن شأن، والفعل بالأسباب لا يقتضي الجسمية والمجاورة.

مقدر لا بحول فكرة: تقديره علمه بما كان وما لم يكن وما يكون والتقدير اذا لم يكن من عالم فلا بد له من تفكر وتدبر.

غني لا باستفادة: الغني إثنان غني بالشيء وهو العبد، وغني عن الشيء وهو الله وحده.

سبق الاوقات كونه: أي هو تعالى وتقدس أزلي الذات، خالق الأوقات، وخالق الأوقات لا محالة سابق الأوقات.

والعدم وجوده: يعني العدم الزماني، وهو عدم شيء، في شيء من شأنه أن يوجد كعدم صورة الانسان من النطفة، فان ذلك العدم متأخر عن وجود النطفة، وعدم صورة السيف من الحديد، فان الحديد متقدم وعدم صورة السيف، متأخر عن وجود الحديد، فعدم شيء من شيء من شأنه أن يمكن له وجود، عدم متأخر تقديرا عن وجود بعض المحدثات، فلذلك قال سبق العدم وجوده، أي العدم الملحق ببعض المحدثات.

وقيل إن العدم أيضا بوجه مبدأ من المباديء،وهو تعالى متقدم على جميع المباديء.

والابتداء ازله: دليل على أنه متقدم بالوجود الحقيقي، على جميع المباديءتقدم الفاعل الحقيقي على الفعل لا كتقدم العلة على المعلول تعالى الله عن ذلك.

قال الامام الوبري: كل ممكن يجوز وجوده ويجوز عدمه مطلقا من غير اعتبار سبب في جواز العدم محال في حقه تعالى، لأنه واجب، الوجود فكأن الوجود أولى به من العدم، فهذا معنى سبق وجوده العدم، أي العدم المطلق المضاف إلى الموجود المطلق.

قال: ويجوز أن يكون المراد بالعدم عدم كلّ شيء سواه فليس في المعدومات ما يستحيل وجوده وما يستحيل وجوده هو الممتنع، وإذا جاز الوجود على كل معدوم، فصفة العدم تقبل التبدل، والقديم تعالى موجود ووجوده لا يتبدل فكان وجوده تعالى سابقا على عدم كل معدوم من هذا الواجب سابق على الممكن لا أن وجوده متقدم على عدم كل شيء لكن بمعنى أن وجوده في كل وقت واجب وكان أولى من عدم كل معدوم عدمه ليس بواجب.

والابتداء ازله: قال يعني سبق وجوده ابتداء كل محدث إذ هو أزلي بخلاف غيره أو يريد بالابتداء هو الحدوث، وإنما يجوز لحدوث على ما كان معدوما، وإنما يجوز العدم على غير القديم، فاذا كان قديما استحال عدمه، واذا استحال عدمه استحال حدوثه، وهو الابتداء في أحد التأويلين يرجع الابتداء الى غيره والثاني ترجع اليه تقديرا ثم ينكشف الدليل عن استحالته.

قال غيره: الوجود الممكن سبب وجودي ولعدمه سبب عدمي فالممكن له من غيره الوجود، ومن غيره العدم، وليس باعتبار ذاته الوجود ولا العدم، بل لا ينفك عن جواز الوجود وجواز العدم، فسبق واجب الوجود يعتبر من هذه الجهة.

بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له.

المشاعر الحواس قال الشاعر:

والرأس مرتفع فيه مشاعره * يهدي السبيل له سمع وعينان

يعني اذا تحقق أنه خالق الحواس، فقد تحقق أنه لا حواس له.

وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له.

لأنه لو كان فيها ما يضاده تعالى لم يجزه وجود شيء منها مع وجوده تعالى لاستحالة وجود الضدين وتضادهما يترجع إلى الوجود لا إلى المحال

ولا يجوز أن يكون غير هذه الأشياء، وغير هذه الأجناس ضدا له تعالى لأن ما ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا قديم، فهو غير معقول، وما لا يعقل لا يجوز تعليق الحكم به، وما لا يكون معقولا، فهو أبعد من المحال لأن المحال معقول.

وبمقارنته بين الأشياء عرف آن لا قرين له.

لأنها محدثات، وهو تعالى قديم، ولا يجوز أن يكون المحدث مثلا للقديم.

ضاد النور بالظلمة.

قال الوبري: المضادة بين الأبيض والأسود لا يرجع إلى الجسمين لأن الأجسام متماثلة، والمثل لا يضاد مثله، وإنما المضادة يرجع إلى لونها وهو السواد والبياض، وبطريق المجاز يقال في الجسمين أنهما متضادان.

لا يشمل بحد: قال: لأن الحدود أقطار الشيء وجوانبه والأقطار إنما يشتمل على جواهر مجتمعة وإذا لم يكن القديم تعالى جوهرا ولا جسما استحالت عليه الأقطار والحدود.

ولا يحسب بعد: قال: الشيء إنما يعد إذا كان ذا أجزاء متماثلة، وذلك لا يجوز على الله تعالى، لأنه لا جزء له ولا مثل فلا يجوز أن يعد.

إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها.

قال الامام الوبري: إن بعض الانسان يكون حدا له لأن الحدّ طرفه وإنما يجوز الطرف للمتحيز المتبعض الذي (...أن يكون المشار اليه جسما مثله، وكما لا يجوز أن يكون المشير غير جسم، كذلك المشار اليه لا يجوز أن يكون غير جسم، ولهذا يستحيل أن يكون الله تعالى مشار اليه لأنه... أن

يكون جسما شاغلا إلى ...[١])، صار في حكم شيء واحد بحلول الحياة فيه، فالأداة لها غايتان إحداهما جملتها التي الأدوات بعضها والثانية ما يشير اليه ويقصد نحوه، وهو الشاغل للسمت الفارغ، فكما وجب أن يكون غايتها الأولى من جنس الأداة، فيكون جسما شاغلا للجهة وجب أن يكون الغاية الثانية فهي المشار اليها جسما شاغلا للسمت المقابل للاداة وهو معني.

قوله وتشير الآلات إلى نظائرها: لأن الجسم لا يجوز أن يقابل الأجسام مثله فاذا كان أحد المقابلين جسما، وهو المشير، وجب أن يكون المشار اليه جسما مثله، وكما لا يجوز أن يكون المشير غير جسم، كذلك المشار اليه لا يجوز أن يكون غير جسم، وبهذا يستحيل أن يكون الله تعالى مشار اليه لأنه يستحيل ان يكون جسما شاغلا للسمت، واستحال أيضا أن يكون مشيرا.

منعتها منذ القدمة:

قال الامام الوبري: إن هذه الكلمة وضعت لافادة تغيير وقت الحدوث فيقال: ما رأيت فلانا منذ شهر، فيفيد انقطاع ذلك من غاية الشهر، وإذا كان كذلك، فما من شيء من الأشياء سوى الله تعالى إلا ويجوز اطلاق هذه الكلمة عليه، فيقال إن كذا وجد منذ شهر أو منذ عام أو منذ ألف عام، إلى ما زاد على ذلك، وإذا صحبتها علامة الحدوث استحالت أن تكون قديمة وإذا استحال إطلاق هذا اللفظ على الله، لكونه قديما، فلا يقال كان الله منذ كذا، دلّ على أنه مخالف للأشياء.

قد روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه سئل متى كان الله فأجاب وقال: متى لم يكن.

وحمتها قد الأزلية: قال لأنها أداة يفيد تحقيق المضي إما مضي الشيء

---

١ ـــ بين الهلالين في ش.

أو مضي وقت حدوثه، وكلاهما دليلان على استحالة القدم فيها، فلهذا لا يقال في الله قد كان الله.

وجنبتها لو لا التكملة: قال إن الله تعالى قضى أن يكون خلقه شاهدا ودليلا وداعيا إلى طلب الآخرة.

لا يجري عليه السكون والحركة إلى قوله إذا لتفاوتت ذاته.

لأنه يستحيل عليه الحركة لكونه قديما ولو جاز عليه الحركة لكان محدثا، فهذا هو التفاوت يعني تفاوت أحكام الذّات[1] ولو جاز زواله وفناؤه لوجب أن يكون القديم غيره إذ لابدّ من قديم ينتهي إليه الجواز، فهذا معنى قوله.

ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره.

أي لا تأثير للحوادث فيه لكونه قديما غير جسم ولو كان جسما يحله الحوادث لكان محدثا، وقال قوم في قوله: منعتها منذ القدمة، أي منعت تلك الأدوات والآلات بسبب إطلاق لفظة منذ وقد عليها من أن يوصف بالقدمة، والأزلية، فمنعتها وحمتها وجنبتها ولو لا **تكملة** نظام العالم والحكمة الكلية بها لم توجد تلك الوسائط والأسباب.

قيل الها آت في منعتها وحمتها وجنبتها إلى الأشياء التي ذكر متعادياتها ومتبايناتها **وتكملة** الحكمة بتلك الحوادث **وتكملة** النظام، لا يكلمه تعالى الله عن أن يكمل بشيء.

قوله عليه السلام: بها تجلى صانعها للعقول.

تحقق أن الهاء عائدة إلى الأشياء المتقدمة يعني بدلائل المحدثات

---

١ ـــ في ض: احكام الذات وتناقضها.

توسل العقلاء إلى معرفة الله تعالى، وقيل بالقدمة تجلى الصانع للعقول وبالأزلية امتنع عن أن يكون محسوسا، لأن الادراك يتعلق بأخص الوصف، ولا يمكن إدراك أخص أوصاف الله تعالى بقول ولا بلفظ، لأن اللفظ من الفم تعالى الله عن ذلك.

ويحفظ ولا يتحفظ: حفظه تعالى دفاعه المكاره عن عباده والتحفظ صيانة النفس عن المكروه تعالى الله عن ذلك.

ويريد ولا يضمر: لأن الاضمار إحداث ارادة في القلب وانطواء القلب عليها.

يحب ويرضى من غير رقة: الداعي للعباد إلى المحبة، رقة القلب، وضعفه عن إحتمال ما يلقاه غيره من الشدة وسوء الحال.

ويغضب من غير مشقة: الغضب في عباده غليان دم القلب، ولا يكون ذلك إلا من مشقة تعالى الله عن ذلك، والغضب عند المتكلمين إرادة الاضرار بالغير أو كراهة النفع له فيرضى الله ويحب إحسانا، ويغضب عدلا.

يقول لما أراد كن فيكون.

قال الوبري: إذا أراد شيئا فعل من غير تراخ، وانفكاك.

قوله فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع.

هذا رد على من يقول إن العالم معلول، والمعلول لا ينفك عن العلة ويزعمون أن الباري تعالى علة تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.

أرساها على غير قرار: لأنه لا بدّ للعالم من نهاية، فلو كان لها قرار لكان الكلام في القرار كالكلام في الأرض، وقيل يعني جعل الأرض في الوسط والماء محيط بها، والهواء محيط بالماء، والنار محيطة بالهواء، والفلك محيط بالنار.

قوله عليه السلام: وما كان من مراحها وسائمها.

المراح : بضم الميم حيث يأوي اليه الابل والغنم بالليل ، والمراد هاهنا الحيوانات التي تروح الى مراحها والسوام والسائم بمعنى وهو المال .

ومتبلدة أممها واكياسها : يختلف الحيوانات بالكيس[١] ، والخرق فان الغنم شديد الخرق[٢] بهيم[٣] في أوجهها لا بمقصود ، ولا لغرض ، ولا يهتدي إلى الاستدفاء في الشتاء بل ربما أفلت من الكنّ إلى البرد ، وإذا مطر لم يبرح الغنم موضعه حتى يهلك ، ويتبع التيوس طبعا ، والمعز يقف وقوف حيران حتى يجر الراعي واحدا منها بناصيته فيتبعه البواقي ، لكن المعزى أقل كسلا من الشاة وأشد انسا بالناس وأضعف في البرد .

أما الجميع منها فقد يخاف الرعد خوفا شديدا والابل كيس أول ما نبت قرنه بعد الاسقاط تشمسه ثم يمتحنه على الشجر فاذا حك[٤] به ولم يألم ، برز عن توازنه واثقا بسلاحه ويتداوى من لسع الحية ومن كثرة أكلها إياه ؛ بالسراطين[٥] فيأكلها ، والابل تتبع المطرب[٦] ويشتغل به حتى يدركه الراشق[٧] من خلف وينتظر ارخاه الأذنين ، فانهما ان كانتا منتصبتين لم يخف عليه الهمس[٨] .

والحباري[٩] تقاتل الأفعى واذا لسعتها الأفعى يعالج نفسها ببقلة يقال

---

١ ــ الكيس : العقل .

٢ ــ الخرق بالضم : الجهل والحمق .

٣ ــ البهيم : المصمت ، والبهيمة : كل ذات اربع قوائم من دواب البر والماء والبهيمة : كل ما نطق له وذلك لما في صوته من الابهام .

٤ ــ الحك : الجرب وهو داء يصيب الابل .

٥ ــ استرط الشيء : ابتلعه ، والسرطة : الأكول .

٦ ــ المطرب : المغني الذي يطرب غيره بحسن صوته وغنائه .

٧ ــ رشقه : إذا رماه بالسهام .

٨ ــ الهمس : الكلام الخفي لا يكاد يفهم .

٩ ــ الحبارى : طائر اكبر من الدجاج الأهلي واطول عنقا يضرب به المثل في البلاهة وهي ابعد الطير نجعة فربما ←

لها الخس[١] وابن عرس[٢] يستظهر عند قتال الحية يأكل السداب[٣]، فان السداب والنكهة السدابية مما يشمئزّ منه الأفعى، والفلق[٤] يداوي جراحته بالسعتر[٥] الجبلي والقنفذة يحس بالشمال والجنوب، قبل الهبوب يسدّ جحره ويغير المدخل.

الخطاف[٦] صناع جدا في اتخاذ العشّ من الطين والخشب وإن أعوزه الطين ابتل وتمرّغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين، وخرق الدجاج بين واضح وطائر يقال له[٧] يافى يقاتل العقاب، ويغلبه وتغنى به في غاية اللذة واشجى نياحته ما يكون عند موته، وهو ينوح قبل موته بأشجى نياحته وله إلهام من الله تعالى عند موته كأنه ينوح على نفسه.

قوله عليه السلام: مقرة بالعجز عن إنشائها مذعنة بالضعف عن إفنائها.

أي ايجاد الجوهر وإفناؤه من الخلق مستحيلان، والله هو المنفرد بخلق ذلك بلا قدرة منها (كان ابتدأ بخلقها لأن الأشياء إذا كانت معدودة استحال أن يكون قادرة فلا يصح ان يحدث[٨]) أنفسها ولا أن يعين في إحداثها.

قوله ولا من حال جهل وعمى إلى علم والتماس.

قال الامام الوبري: هذا رد واضح على من زعم أن المعدوم لا يكون

تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء و بين البصرة و بين منابتها مسيرة ايام.

١ ــ الخس نبات من فصيلة المركبات، أنواعه عديدة ويقال له بالفارسية كاهو.

٢ ــ ابن عرس: دويبة تشبه الفارة تفتك بيوت الدجاج والحمام.

٣ ــ السداب معرب وهو الفيجن بقل معروف وله خواص وطبائع معروفة في كتب الطب.

٤ ــ العلق: دويبة سوداء تمتص الدم، وفي ض: اللقلق.

٥ ــ السعتر: نبت معروف.

٦ ــ الخطاف: طائر طويل الجناحين قصير الرجلين أسود اللون.

٧ ــ لم نجد له ذكرا في المصادر التي بايدينا.

٨ ــ بين الهلالين في ش.

معلوما حتى يوجد ثم يعلمه الله حينئذ لا كما زعم أبو الحسين أنه يتجدّد كون الله عالما عند تجدد الأشياء.

ج ــ المعروف بنفسه: عنى به جنس الجواهر لأنها يعرف بالمشاهدة واللمس.

والقائم فيما سواه: نوع الاعراض لأنها تعرف بأحكامها ومعلولاتها كالقدرة والحياة إلا الألوان.

لا ترفده: لا تعينه، البهمة: الانغلاق.

والصرد: البرد فارسي معرب، والمتعاديات: المتضادات.

تقله: تحمله، تهويه: تسقطه.

يعلمه: يسويه، بها تجلى وبها امتنع: قيل الضميران كلاهما للقدمة والأزلية، وقيل كلاهما للأدوات والآلات والمتضادات وقيل الأول للأدوات ونحوها والأخير للقدمة.

ومحبة الله، العبد إرادته ومنافعه وطاعاته، ورضى الله عن العبد أن يحمد فعله.

والبغض: إرادة نزول الضرار المحض بالغير وإن شئت قلت. كراهة نفعه، والغضب كراهة فعل الغير، وبغضه لأجله.

وكلامه تعالى: فعل منه فانه تعالى متكلم بمعنى أنه فاعل الكلام كما ان الضارب فاعل الضرب لم يكن من قبل ذلك كائنا الضمير.

في لم يكن وفي لو كان كلامه قديما لكان إلها ثانيا: لأن الاشتراك في القدم توجب التماثل ولو كان له تعالى مثل لاستحق العبادة، فكان إلها ثانيا.

لا يقال كان بعد أن لم يكن: الضمير لله تعالى.

فيجري عليه الصفات المحدثات: كالكائنة والحلول والحدوث،

ونحوها .

التهافت : التساقط ، السد : الجبل الحاجز وخدّ شق .

والسنخ : الأصل وتبلد : أي تردد متحيرا .

خاسئة : صاغرة سدرة[1] وحسيرة معينة .

مثله : جعله مثالا ، لمن يستضيء بمصابيحه .

الظاهر عليها : أي الغالب والباطن : العالم المكتوم .

ولم يتكاده : أي لم يثقله والسأم : الملالة .

منعتها منذ القدمة : يعني أن علم العقلاء بحدوث ما عد القديم تعالى من الأشياء وأن لوجودها مبدأ وأنها كانت منذ كذا منعهم من أن يصفوها بالقدم ، وكذا علمهم بأنها قد وجدت بعد العدم ، وعن قريب منعهم من اعتقاد كونها أزلية وكذا علمهم بفناء دار الدنيا ، وما فيها واضمحلالها وقولهم : ما أكمل هذه الدار لو لا أنها فانية صرفهم من أن يعتقدوا كمالا ويجوز في القدمة الأزلية .

والتكملة : النصب والرفع فالنصب على اسناد الأفعال إلى الحروف المذكورة على المعنى السابق ، والرفع على كون تلك الحروف مفاعيل بمعنى أنَّ قدمته تعالى منعت تلك الأجسام المحدثة أن يستعمل في الله تعالى لفظة منذ فيقول كان منذ زمان كذا وكذا ما بعده فهذه الرواية يقتضي تقدمه ونفى الحدوث عنه تعالى .

بها تجلى صانعها للعقول : يعني بهذه الأجسام المحدثة عرف صانعها فالفعل دليل عليه تعالى وهو هذه الأجسام التي خلقها الله وكل ما يعرف نفسه ، فهو مصنوع .

---

١ ـــ السدر : والتحير والحسير : الكليل الضعيف .

وبها امتنع عن العيون: أي بخلق هذه الأجسام وإحداثها: علم أن خالقها بخلافها لا يكون في المقابل، ولا في حكمه، ولا حالا في المقابل وإذا كان كذلك فانه لا يرى علم كونه[١] غير مرائى بسبب النظر في فعله تعالى، وهو الأجسام، وغيرها فكأنه سبحانه امتنع بها عن عيونها قال والأولى أن يريد أن بهذه الآلات، لا يمكن النظر إلى الله تعالى وامتنع ذلك جدا، ويكون الكلام على نية القلب كقوله تعالى: وما إن مفاتحه لتنواء بالعصبة[٢] (أي لتنوء العصبة[٢]) بالمفاتح والمشعر الحاسة من الشعر الذي هو العلم.

وتشعير المشاعر: خلقها وجعلها كذلك.

ولمضادته بين الأمور: يعني من قدر على إثبات التضادين[٣] الذوات وجب أن يكون له ضدّ والتكميل راجع الى المخلوق لا إلى الخالق.

إلى علم والتماس: أي طلب تعلم من غيره.

ش ــ قلت ما وحده من كيفه: كيف موضوع للمسؤول عن الحال والتكييف اثبات الكيفية أي الحالة أي من أثبت له تعالى كيفية وأمرا زايدا على ذاته، فقد قال بالاثنينية التي تضاد الوحدة.

ولا حقيقته أصاب من مثله: التمثيل: تصوير المثال أي من تصور بالمثال وصوره غيره، وفهمه[٤] إياه بالمثال، فانه تصور غيره لأن حقيقته لا يتصور في الوهم، والخيال، وهو يتعالىٰ عن ضرب المثال.

ولا إياه عنى من شبهه: لأن حقيقة واجب الوجود، لا يقبل المشابهة والمشاركة فمن وجه العبادة إلى ما له شبيه في الشاهد فانه لم يعبد الله بل عبد صورة مثل نفسه، وهكذا.

لا صمده من أشار إليه: لأنه تعالى منزه عن أن تتدنس رداء كبريائه

١ ــ في ض: فلما علم كونه غير مراء.
٢ ــ العصبة: الجماعة من الناس.
٣ ــ في ض: اثبات المضاد بين الذوات.
٤ ــ في ض: وفهم اياه.

باشارة الحس، والحدس أو ينطبع لحقيقته صورة في النفس، فمن أشار اليه الاشارة الحسية أو الوهمية، فلم يقصده بل قصد شيئا غيره مما يقع في الوهم والخيال ويدرك بالحس وحقيقة الواجب المطلق بمعزل من ذلك.

كل معروف بنفسه مصنوع: أي كل ما يعرف العقلاء ذاته بذاته بلا واسطة فهو محدث مدرك بالحس، والقديم تعالى لا يعرف إلا بآثاره وأفعاله.

وكل قائم في سواه معلول: لأن وجود ذلك الغير كالعلة لقيام هذا القائم به.

فاعل لا باضطراب آلة: لأن قادريته ذاتية. وهو يقدر على الاختراع، فلا يحتاج الى آلة، ولا خارجة أي هو ليس بجسم.

مقدر لا بحول فكرة: لأن الفكر والنظر إنما يحتاج اليه لاكتساب (العلم، وتحصيل غير الحاصل منه ومن كان عالما لذاته فيجب أن يعلم كل ما يصح أن يعلم لا يمكن[1]) أن يطلب علما لأن طلب حصول الحاصل من حيث هو حاصل محال.

غني لا باستفادة: لأن غنى من عداه إنما يكون باستفادة مال أو جمال أو كمال من الغير إما من الخالق، وإما من الخلق، وهو تعالى متصف بصفات الكمال، متقدس عن النقائص لذاته لا باستفادة من غيره إذ هو مبدع الكل ومبديه.

لا تصحبه الأوقات: اذ الأوقات هي مقادير حركات الأفلاك، والأفلاك من مبدعاته تعالى، فيستحيل مقارنتها ومصاحبتها إياه لاستحالة مصاحبة الفعل لفاعله في الوجود واذا استحال مصاحبة الفلك لذاته تعالى فاستحالة مصاحبة مقادير حركاته المتفرعة عليه له أولى وأجدر وهذا معنى.

١ ــ ساقط في ض.

قوله سبق الأوقات كونه: أي ثبوته وحقيقته، ولا يريد به الكون العرفي بل أراد اللغوي.

والعدم وجوده والابتداء أزله: أي فـات وجوده[١] عن أن يتطرّق إليه جواز العدم، وجاوز قدمته عن أن يتحقق لها مبدأ أي هو واجب الوجود على الاطلاق بذاته، فلا سبيل للعدم إليه بوجه من الوجوه.

بتشعيره المشاعر: أي بخلقه الحواسّ علم أن لا حاسة له.

وباثباته المضادة والمماثلة بين الأشياء عرف أن لا ضد له ولا مثل.

لأن كون الأشياء بهذه المثابة، يقتضي احتياجها إلى من يحصلها، كذلك، فلو كان محدثا مثلها، لكان وجه الحاجة قائما فيه، فاما أن يتسلسل وهو محال، أو ينتهي إلى من لم يكن كذلك، وهو المدام على أنّ وجوب كون الفعل لا من جنس فاعله مما يعلم بأدنى تأمل.

لا يشمل بحد: لأن الحد الحقيقي لابدّ فيه من جنس. وفصل، ومن حيث النظر إلى الجنس يلزم إمكان الاشتراك فلو حدّ تعالى بحدّ على هذا الحد للزم إمكان مشارك له في الجنس وأن يمتاز عنه بفصله، لأن ما به الاشتراك غير ما به الامتياز، وذلك مودّي إلى الامكان المنافي للوجوب المطلق.

ولا بحسب بعدّ: لأن العدّ هو الكمية، وهي عند قوم عرض كالكيفية والباري تعالى يستحيل أن يكون محلّ الأعراض، ويمكن أن يراد بالحد الحد اللغوي دون العرفي، وحد الشيء طرفه ونهايته: ويكون المراد بذلك نفي البداية والنهاية عن وجوده تعالى.

وإنما تحد الأدوات أنفسها: أي ذو الأدوات ممن لا يقدر على الاختراع

---

١ ــ هنا اختلاف في النسخ في بعضها او فات وجوده او ذات وجوده.

كالانسان وغيره، يعني الانسان مثلا، إنما يقدر على تحديد نفسه وأعضائه التي كالآلات له في أفعاله، ولا يتأتى له تحديد واجب الوجود والاحاطة به، ويجوز أن يريد بالأدوات الكلمات المذكورة، من بعد، نحو منذ وقد ولو لا ونظائرها لأن منذ أداة لتحديد مبدأ الشيء كمن في قولك ما رأيت زيدا منذ كان كذا، وقد: أداة لتحقيق حصوله في قولك قد كان كذا.

ولو لا: أداة فرض العدم في نحو قولك: لو لا زيد لكان كذا وكل ذلك من عوارض الممكن، فان القديم الواجب الذات على الاطلاق، ويستحيل أن يقال فيه كان منذ كذا وأنه قد وجد، لأن قد لتقريب الماضي من الحال، وأنه لو لاه لكان كذا، لأن ذلك فرض العدم، وفرض العدم في الواجب لا يمكن الا بعد سلب قضية الوجوب عنه وإنما يصح فرض عدم الممكن بذاته إذ هو ناقص بالذات كامل بالغير فجواز فرض عدم الممكن حجزه عن أن يكون كاملا بنفسه لذلك قال عليه السلام في الممكنات.

جنبتها لو لا التكملة بها تجلى صانعها للعقول.

أي إنه تعالى دلَّ العقول وهداها إلى معرفته بواسطة أفعاله.

وبها امتنع عن نظر العيون: أي ودلَّ خلقها بحيث يحاط بها، ويدرك بالعيون على أن خالقها بخلاف ذلك إذ الخالق لا يكون من جنس خلقه تعالى وتقدس أن يدرك بالحواس، ويقاس بالناس على ما يزعمه المشبهون ويتخيله المبطلون.

إذا لتفاوتت ذاته: أي لو جرى عليه الحركة والسكون اللذان هما من عوارض الجوهر المحدث، لتفاوتت ذاته، من حيث أنه قديم، فكان له حكم المحدثات في ذلك متفاوت متناقض.

ولتجزأ كنهه: لأن الحركة والسكون من عوارض الجرم والجرم إما جسم قابل للتجزية وإما جوهر قابل للتجزية بالقوة عند قوم، فكل جرم عندهم قابل

للتجزّي ويمكن أن يريد بتجزأ صار جزأ أي لو كان كائنا لكان جزأ والجزء ناقص بالاضافة إلى الكل لذلك قال:

ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان ولتحول دليلا بعد ان كان مداولا عليه.

أي أظهر(١) فيه أمارة الحدوث فاقتضى مؤثرا كسائر المحدثات.

قوله عليه السلام: وخرج بسلطان الامتناع:

معطوف على قوله وبها تجلى صانعها للعقول أي خرج بكونه واجب الوجود ممتنع العدم من أن يحتاج إلى موثر بخلاف الممكنات.

لم يلد فيكون مولودا لأن الجنسية تقتضي ذلك.

ولم يولد فيكون محدودا: أي ذا بداية في الوجود والحد طرف الشيء يعني يكون إذ ذاك لوقت وجوده طرف وبداية.

قوله عليه السلام: وإنما كلامه سبحانه فعل منه انشأه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان إلها ثانيا.

بما(٢) يقوله العدلية من أن كلام الله تعالى فعله ورد على الأشعرية، ومن حذا حذرها من أنه معنى قديم معه تعالى عن ذلك، وقوله لو كان قديما لكان الها ثانيا على ذلك قول أكثر المتكلمين وقالوا إن الاشتراك في القدم يوجب الاشتراك في سائر الصفات الذاتية. وفيه كلام طويل لا يليق بهذا الموضع.

ويتكافأ المبتدع والبديع: أي يتماثل الفعل والفاعل. كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان، ولا حين(٣) ولا زمان، هذا تصريح بفناء العالم

---

١ ــ في ض: أي يظهر فيه امارة الحدوث.

٢ ــ في ض: هذا تصريح بما يقوله العدلية.

٣ ــ في ض: ولا مكان ولا حيز ولا حين.

وتهافت الأفلاك ويحقق العدم وإن ذلك كائن لا محالة بقدرة الله تعالى .

قوله عليه السلام : ولا ضد مشاور: أي مواثب للمحاربة ، وهذا ما سمح بـه الخاطر في مشكلات هذه الخطبة الغراء التي فاقت دقائق جميع العلماء :

صلى الاله على بحر غواربه ٭ أهدت إلى عقلنا امثال ذي الدرر

٭ ٭ ٭

٢٢٨ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

يختص بذكر الملاحم

أَلاَ بِأَبِي[١] وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ، أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ، أَلاَ فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَٱنْقِطَاعِ وَصْلِكُمْ، وَٱسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ.

ذَاكَ حَيْثُ تَكُونَ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ، ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي، ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ ٱضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ[٢]، وَذٰلِكَ اذَا عَضَّكُمْ الْبَلاَءُ كَمَا يَعَضُّ غَارِبَ الْبَعِيرِ، مَا أَطْوَلَ هٰذَا الْعَنَاءَ، وَأَبْعَدَ هٰذَا الرَّجَاءَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هٰذِهِ الأَزِمَّةَ الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ، وَلاَ تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ، وَلاَ تَقْتَحِمُوا مَا استقبلكم[٣] مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا عَنْ

---

١ ـ في ن وف وم : بابي وامي من عدة .

٢ ـ في ن ول : من غير اخراج .

٣ ـ في ض وب وح ول وش : ما استقبلتم .

سَنَنِهَا، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا، فَقَدْ ـ لَعَمْرِي ـ يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ.

(إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ لِيَسْتَضِيءَ بِهِ مَنْ وَلِجَهَا؛ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا[١]).

الشرح

قوله عليه السلام: ألا بأبي وامي هم من عدة اسماؤهم في السماء معروفة وفي الأرض مجهولة.

كأنه يومئ إلى الأئمة المعصومين من أولاده.

قوله عليه السلام: ذاك حيث يكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حله.

(يعني صعوبة كسب الحلال[٢]) في ذلك الزمان، فقوله من الدرهم أي من كسب الدرهم فحذف المضاف حيث يكون المعطى أعظم أجرا من المعطي لأن المعطى، وهو الآخذ إنما يأخذه ليسدّ به خلته[٣] ويدفع به الضرر عن نفسه وعياله، وربما لا يعلم حال المال ولا حال المعطي، فأما المعطى فقد جمعه من غير حله، فيجب عليه ردّه إلى أربابه، فصرف عن أربابه معصية لا يتقرب الى الله بالمعصية، والآخذ إذا لم يعرف ذلك فهو معذور بالأخذ.

---

١ ـ ساقطة من ف ون وش.

٢ ـ بين الهلالين ساقط في ش.

٣ ـ الخلة بالضم: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه.

ما أطول هذا العناء : وصف لامتداد زمان الفتن وكثرتها .

وأبعد هذا الرجاء : أي قلّ ما يرجى الصلاح لأهل الزمان بسبب وفاة الأخيار وكثرة الفجار.

ولقوا هذه الأزمة : هذا ترغيب في قطع علائق الدنيا ، والقناعة منها باليسير، وتحذير من سوء عاقبة الأغنياء والمترفين وعبر عن الهلاك في العاقبة بقوله .

تحمل ظهورها الأثقال ولا تصدعوا : أي لا تفرقوا .

يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم .

مأخوذ من قول الله تعالى : «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة[1]» .

* * *

١ ـــ الانفال : ٢٥ .

٢٢٩ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

أُوصِيكُمْ- أَيُّهَا النَّاسُ- بِتَقْوَى ٱللهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلاَئِهِ إِلَيْكُمْ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلاَئِهِ لَدَيْكُمْ. فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ! أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ، وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلاَلِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ[١] لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ؟! فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ! كانهم[٢] لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً، أَوْ حَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ ٱنْتَقَلُوا، لاَ عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقَالاً، وَلاَ فِي حسن[٣] يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَاداً! أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ. فَسَابِقُوا- رَحِمَكُمُ ٱللهُ- إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا؛ وَٱسْتَتِمُّوا

١ ـ في ف ون وم : وطمعكم فيما ليس.
٢ ـ في ض وب : فكأنهم.
٣ ـ في ب : في حسنة.

نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ، مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي الشُّهُورِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!

الشرح

قوله عليه السلام: وتدارككم برحمة اعورتم له فستركم.

من أعور الفارس إذا بدا فيه موضع[1] خلل للضرب أي تعرضتم بسخط فعفا عنكم.

اشتغلوا بما فارقوا: أي اشتغلوا بالدنيا التي كان من حقهم أن يفارقوها بالموت.

واضاعوا ما إليه انتقلوا: من الآخرة التي خلقوا لها وهي منقلبهم ومثواهم: والظاهر أنه أراد اشتغلوا بحصد ما زرعوه بعد الموت من حرث الدنيا وأضاعوا ما اليه انتقلوا من ثواب الآخرة، حيث لم يحرثوا لها.

لا عن قبيح يستطيعون انتقالا: لأن الآخرة ليست بدار تكليف، فلا يمكن فيه الاتيان بما يستحق عليه ثواب أو يتخلص به من عقاب.

قوله عليه السلام، سابقوا الى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها.

(الموت انتقال من منزل الى منزل من وثق بما له عند الله لم يكرهه، ولا يكره[2]) الموت؛ والانتقال من هذا المنزل الأدنى إلى المنزل الأعلى إلا رجلان رجلا لا يؤمن بالآخرة كما قال تعالى: ولتجدنهم أحرص الناس

١ ـــ في ض: من اعور الغارمين اذا بدا فيه موضع المضرب.

٢ ـــ بين الهلالين ساقط في ض.

على حيوة[١]، والثاني مؤمن يخاف ذنبه فمن كان مؤمنا بالآخرة ولا يخاف ذنبه فانه يحب الموت ويتمناه كما قال النبي صلى الله عليه وآله من أحب لقاء الله أحب الله لقاه.

قد عد الله تعالى الاماتة من قبيل النعم في قوله: كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم[٢] وفي قوله: ثم أماته فاقبره[٣]، فالموت نعمة لان الحياة التي بعد الموت نعمة، ولا سبيل إليها إلا بالموت، وما يتوصل به إلى النعمة نعمة، وقيل ان داود الطائي ينادي قبل موته بأعلى صوته: أطلق داود من السجن ونجا، قال الله تعالى: ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون[٤].

سئل الامام مسعود الصواني في سكرات موته عن حاله، فقال: أليس مصيري إليه، وقيل النوى المزروعة لا يصير نخلا مثمرا إلا بعد دفنها في الارض وفسادها، والبر لا يمكن التغذي به إلا أن يتطحن ويعجن ويطبخ، فيتغير تغيرا كثيرا كل ذلك فساد في الظاهر، فكذلك الانسان يموت ويفنى، والفناء والموت فسادان، ولكن بذلك الفساد يتوصل الى البقاء الأبدي ولا يرضى بالبقاء (في دار الدنيا) إلا من كانت همته دنية ويكون رضاه بالحياة الدنيا رضى الخنافس والجعلان بالاوراث والنجاسات.

* * *

---

١ ــ البقرة: ٩٦.
٢ ــ البقرة: ٢٨.
٣ ــ عبس: ٢١.
٤ ــ آل عمران: ١٢٨.

٢٣٠ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ. وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ الْأُمَّةِ وَمُعْلَنِها، لاَ يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ؛ فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلاَ يَقَعُ اسْمُ الِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لاَ يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ[1] مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ ٱللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ[2]، وَلاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي! فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا.

١ ــ في ف ون وم ول : الا عبد امتحن الله .
٢ ــ في حاشية ن : بالايمان .

الشرح

قوله عليه السلام: فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور.

هذا تصريح بما يقوله أصحابنا من أن الايمان في العرف، هو التصديق القلبي على ما هو عليه في اللغة: يعني من الناس من تخلص في ايمانه، ومنهم من ينافق والبراءة إنما تقع على الثبات في مستقبل الأوقات، فمن مات مصرا على كفر أو نفاق أو كبيرة فأما ما دام حيا فانه يرجى له التوبة فانما يتبرأ منه في الحال لا في المستقبل فهذا معنى قوله.

فاذا كانت لكم براءة من احد فقفوه حتى يحضره الموت.

وقيل الايمان على سبيل العارية هو يحصل تقليدا أو تنحيتا، وذلك يسمى إيمانا مجازا لا حقيقة.

قوله عليه السلام: الهجرة قائمة على حدها الأول.

ع ـ يعني ما دام تاركا للواجب من أركان الدين ومات على ذلك يعني الهجرة إلى الحق وأهله فهو من باب قوله عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه، والمهاجر من هاجر ما حرم الله عليه.

قوله: لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة.

لان الهجرة إنما تقام بعد المعرفة بوجوبها. ولا يعرف وجوبها إلا من عريف الرسول ومن يقوم مقام الرسول بعده ومن حيل بينه وبين المصير إلى

الرسول وإلى الأئمة فهو كالمهاجر في العقيدة، قال الله تعالى: إلا المستضعفين من الرجال والنساء[١]، يعني الذين استضعفهم المشركون، وهم الذين يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم.

قوله عليه السلام: ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة.

يعني من كان في دار الحرب وبلغته دعوة النبي صلى الله عليه وآله أو من قام مقامه يجب عليه الايمان به جملة إذا صح عنده ذلك بظهور المعجزات، وتواتر الأخبار بها فان أمكن الخروج والتفقه في الدين ومشايعة الامام ولا يخرج، فلا عذر له، وإن لم يكنه ذلك فهو المستضعف.

إن أمرنا صعب مستصعب: يعني معرفة حقوقهم والقيام بأوامرهم ونواهيهم، ومشايعتهم في كل ما يأتون ويدرون قولا وفعلا ولا شك أن ذلك من أصعب الأمور وأشقها فان مباراة المعصومين، المخصوصين بمواد من الألطاف الالهية ليس بأمر هيّن سيا مع كثرة القادحين في أمرهم، والساعين في إطفاء نورهم.

عبد امتحن الله قلبه للايمان: أي فعل به فعل المختبر[٢] بأن كلفه التكاليف العقلية والنقلية حتى يكون الجزاء مستحقا.

والرزانة: الوقار.

فلأنا بطرق السماء اعلم من بطرق الارض.

أي بالعلوم السماوية والعلوم الأرضية، وقال الامام الوبري: يعني أن علمه بالدين أوفر من علمه بالدنيا، وقيل معناه أنا بالعلوم الشرعية التي أنزلت من طرق السماء أعلم مني بالأمور الدنيا التي تعلم من طريق المشاهدة والاختيار.

---

١ ـ النساء: ٩٨.

٢ ـ في ض: اي فعل به فعل الممتحن.

قبل أن تشغر برجلها فتنة : مستعار من شغر الكلب اذا رفع احدى رجليه ليبول والكلب مما يجب الاحتراز عنه لوقيعته في الناس وعضه ولنجاسته فاذا كان يبول صار وجوب الاحتراز آكد فشبه الفتنة العظيمة بذلك .

تطأ في خطامها : أي يكون تلك الفتنة كالجمل الهايج الذي خلى عن زمامه فهو يذهب بحيث يشاء ويطأ ما يستقبله .

ويذهب باحلام قومها : أي تلك الفتنة تحير الناس وتولههم بحيث لا يهتدون الى مخلص[١] .

* * *

١ ــ في ض : الى مخلص منها .

٢٣١ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

أَحْمَدُهُ شُكْراً لإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ. عَزِيزُ الْجُنْدِ، عَظِيمُ الْمَجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَلَى دِينِهِ. لاَ يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ آجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِهِ. فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى آللهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ[1]. وَآمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ؛ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ وَكَفَى بِذٰلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ. وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الإِبْلاَسِ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ، وَآخْتِلاَفِ الأَضْلاَعِ، وَاسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَدْمِ الصَّفِيحِ.

فَاللهَ آللهَ عِبَادَ آللهِ!، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا[2]. وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ

١ ـ في ف وم وب: في غمراته.

٢ ـ في ف ون وش: على سراطها بالسين.

بِزَلاَزِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلاَكِلِهَا، وَٱنْصَرَمَتِ[١] الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى، وَشَهْرٍ[٢] ٱنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وَسَمِينُهَا غَثّاً، فِي مَوْقِفٍ[٣] ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا، عَالٍ لَجَبُهَا، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا؛ بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ وَقُودُهَا، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ[٤] قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً) قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَٱنْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَٱطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَاراً، وَكَانَ نَهَارُهُم لَيْلاً تَوَحُّشاً وَٱنْقِطَاعاً، فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ (مآباً[٥]، وَالْجَزَاءَ) ثَوَاباً، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

فَارْعَوْا ـ عِبَادَ ٱللهِ ـ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ. وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ فَلاَ رَجْعَةً تَنَالُونَ، وَلاَ عَثْرَةً تُقَالُونَ. اسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ

---

١ ـ في ش: وانصرفت الدنيا.
٢ ـ في ض وب: او شهر انقضى.
٣ ـ في م: من موقف.
٤ ـ في ض وب: غم قرارها.
٥ ـ ساقطة م ف ون ول وش.

رَحْمَتِهِ، الْزَمُوا الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلاَءِ، وَلاَ تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ هَوَى[١] أَلْسِنَتِكُمْ، وَلاَ تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللهِ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلاَتِهِ لِسَيْفِهِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

الشرح

قوله عليه السلام: أحمده شكرا لا نعامه إلى آخره.

عزيز الجند: حال من الهاء في أستعينه.

بادروا الموت في غمراته.

أي سابقوه في شدائده، والأرماس: القبور.

والروع: الفزع الشديد، وروعات الفزع: أي العظائم من الخوف.

واختلاف الأضلاع: اضطرابها وتداخل بعضها في بعض.

والاستكاك: الصمم، وغم الضريح: محنة القبر.

وردم الصفح: سده بالحجر، والقرن: الحبل أي كأنكم جمعتم مع القيامة في حبل أي كأنها قرنت بكم لأزوفها واقترابها[٢].

وأشراط الساعة: علاماتها واحدها شرط بالتحريك، والأشراط الأراذل قيل: وسميت علامات الساعة أشراطها، لأنها ترا في أرذال الناس لقول النبي صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى تكون المطر قيظا والولد

---

١ ــ في ض وب وح: سيوفكم في هوى وفي ل: سيوفكم بهوى.

٢ ــ في ض: لازوفها واقترانها.

غيظا ، وتفيض اللّـئام فيضا وعنى بالأفراط المقدمات .

وأفراط الصبح : أوائل تباشيره ، والفرط الفرس السريعة التي يتقدم الخيل .

والحضن : ما تحت الابط إلى الكشح .

والرث : الخلق البالي ، والغث ، المهزول .

والضنك : الضيق ، والكلب : الشر والأذى .

واللجب : الصوت ، متغيظ زفيرها : من قوله تعالى : «سمعوا لها تغيظا وزفيرا[١]» وتغيظ واغتاظ وغاظ بمعنى .

عم قرارها : أي مظلم مكانها ومشتبه مستقرها .

والاقطار : الجوانب ، زحزحوا : بعدوا .

ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم هوى ألسنتكم .

أي اكظموا الغيظ كما قال تعالى : «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل[٢]» .

والأصلات : سل السيف .

* * *

١ ــ الفرقان : ١٢ .

٢ ــ الاحقاف : ٣٥ .

٢٣٢ــ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

الْحَمْدُ لِلّهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّؤَامِ، وَآلاَئِهِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلاَئِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحِكَمِهِ بِلاَ اقْتِدَاءٍ وَلاَ تَعْلِيمٍ، وَلاَ احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَلاَ إِصَابَةِ خَطَاءٍ، وَلاَ حَضْرَةِ[1] مَلاَءٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ. قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

أُوصِيكُمْ ـ عِبَادَ اللهِ ـ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللهِ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ، وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ: مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمِ الْمَاضِينَ[2] وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً إِذَا أَعَادَ اللهُ مَا أَبْدَى.

---

١ ــ في ش : ولا حضور ملاءة.

٢ ــ في ح : الماضين منكم.

وَأَخَذَ مَا أَعْطَى. وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى. فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا: أُولَئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَداً. وَهُمْ أَهْل صِفَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ). فَأَهْطِعُوا[١] بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَواكِظُوا[٢] بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً، أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَٱقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُو لها قُلُوبَكُمْ[٣]، وَٱرْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ. وَدَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا ٱلْحِمَامَ، وَٱعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلاَ يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلاَ[٤] فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا. وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً، وَإِلَى الآخِرَةِ وُلاَّهاً، وَلاَ تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلاَ تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا، وَلاَ تَشِيمُوا بَارِقَهَا، وَلاَ تَسْتَمِعُوا[٥] نَاطِقَهَا، وَلاَ تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلاَ تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلاَ تُفْتَنُوا بِأَعْلاَقِهَا؛ فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلاَقَهَا مَسْلُوبَةٌ، أَلاَ وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَة الْعَنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ: حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ، دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ

---

١ ــ في م ون وف: فانقطعوا.

٢ ــ في ح: والظوا.

٣ ــ في ب: واشعروا بها.

٤ ــ في ش: وصونوها.

٥ ــ في ب: ولا تسمعوا ناطقها ولا ناعقها.

مَهَارِبُهَا. وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ لِكَفَّيْهِ[١]، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ وَزارٍ عَلى رَأيه، وَراجِعٌ عَنْ عَزْمِهِ، قَدْ أَدْبَرَتِ الحِيْلَةُ وَأَقْبَلَتِ الغِيْلَة، وَلاتَ حِيْنَ مَنَاصٍ، هَيهاتَ هَيهاتَ قَد فاتَ ما فاتَ، وَذَهَبَ ما ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدنيا لِحالِ بالِها فَما بَكَتْ عَلَيهِمُ السَماءُ وَالأرضُ وَما كانوا مُنْظَرِينَ.

الشرح

قوله عليه السلام: الحمد لله الفاشي إلى آخره.

فشا الشيء يفشوا أي شاع، وذاع أي شاع، حمده تعالى في الخلق يحمده المؤمنون طوعا (والكافرون إما كرها أو بلسان الحال، كقوله تعالى «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا[٢]) وكرها».

والغالب جنده: أى بالسيف تارة وبالحجة أخرى أو عنى بجنده ملائكته، أو سلطانه الذي لا ينازع فيه.

والمتعالي جده: أي جلاله وعظمته، وسلطانه وغناه، ومستعار من الجد الذي هو البخت[٣] والدولة.

نعمه التوأم: أي الكثيرة التي تتبع بعضها بعضا قال الشاعر:

قالت لنا ودمعها توأم ٭ كالدر إذ أسلمه النظام

على الذين ارتحلوا السلام

وهو جمع توأم على فوعل ويجمع أيضا على توائم كقشعم وقشاعم قال

---

١ ــ في ض وح وب: بكفيه.

٢ ــ آل عمران: ٨٣، وبين الهلالين ساقط في ض.

٣ ــ البخت كلمة فارسية معناها الحظ والنصيب.

الخليل : وأصل توأم ووأم فأبدل من إحدى الواوين تاء .

وقضى : أي أمر من قوله تعالى : «وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه[١]» .

متبدع الخلق بعلمه : أي عالما كما يقال ركب بسلاحه أي متسلحا .

والاحتذاء : الاقتداء ، ولا حضرة ملاء : أي استعانة من عقلاء حاضرين ، ذوي البصائر والأذهان الثاقبة .

يضربون في غمرة : أي يسرعون في غمار الجهالة ، والضلالة والغفلة .

يموجون في حيرة : أي يضطربون .

أزمة الحين : أي عضة الهلاك استعارة ، والتقوى حق الله عليكم .

ويوجب على الله حقكم : أي أوجبه الله عليكم ، وبذلك يستحقون الثواب عليه .

ويستعينون بها على الله : أي على تحصيل رضاه .

وإن التقوى في اليوم الحرز والجنة : من قوله تعالى : «ومن يتق الله يجعل له مخرجا[٢]» .

وفي غد الطريق إلى الجنة : من قوله تعالى «تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا[٣]» .

ومستودعها حافظ : أي صاحب التقوى يحفظ نفسه وغيره ، أو ذو حفظ بمعنى محفوظ .

لم تبرح عارضة نفسها على الأمم : يعني كان التقوى كأنها تعرض نفسها على الأمم ، ويقول لهم بلسان الحال ، ارغبوا في مصاحبتي ، واحتملوا المشاق فى منادمتي ، فما أحوجكم إلي غدا في عرصة القيامة ، وموقف

---

١ ــ الاسراء : ٢٣ .

٢ ــ الطلاق : ٣٧ .

٣ــ مريم : ٤٣ .

العرض، وعند الفزع الأكبر فلا دافع له سواي.

إذا أعاد الله ما أبدا: أي ما أبداه من إيجاد الخلق يعيده في الحشر.

وأخذ ما أعطى: من نعمة التكليف، والامهال في الدنيا، لاعداد زاد المعاد، والتمكين من سلوك منهج التقوى، فانه تنسد باب ذلك اجمع في الآخرة.

وأسدى: أي أعطى وجواب إذا أعاد قوله:

فما أقل من قبلها[١] فانقطعوا باسماعكم، أي فانقعطوا عن علائق الدنيا ما يلين بأسماعكم إلى التقوى، أي قول الداعي اليها، والواصف لها، واكظوا عليها، قال أبو عبيد في غريب المصنف: المواكظة: المداومة على الأمر وروي ألظوا بها أي الزموها ومنه:

قوله عليه السلام: ألظوا بياذ الجلال والاكرام: أي الزموا.

قوله واعتاضوها: خذوها عوضا خلفا عن كل ما سلف.

وأيقظوا بها نومكم: من الاستعارات البليغة والمبالغة البديعة حيث أمر بايقاظ النوم نفسه دون النائم، ويناسبه بوجه ما قولهم: جدّ جدّه ويجوز أن يكون نوم مصدرا بمعنى الفاعل أي أيقظوا نائمكم أو ضمن أيقظوا معنى اذهبوا.

واشعروها قلوبكم: أي اجعلوها شعارها أو اعملوها.

وارحضوا بها ذنوبكم، أي اغسلوها وأزيلوا درنها[٢].

وداووا بها الأسقام: يعني أمراض القلب من الشك، والنفاق والريا، والحسد، والكبر، والبخل، والجبن. وغير ذلك مما له شرح طويل.

---

١ ــ في ض: قلما أقل من قبلها فانقطعوا باسماعكم اي فانقطعوا عن علائق الدنيا.

٢ ــ الدرن: الوسخ.

ويادروا بها الحمام: أي سارعوا إلى احراز التقوى، قبل أن تفجأكم طوارق الموت، فيحول بينكم وبينها.

وصونوها، أي احفظوها وارعوها حق رعايتها.

وتصونوا بها: أي تحفظوها عن البلوى.

نزاها: أي بعدا، ولاها: مشتاقين جدا.

ولا تشيموا بارقها: أي لا تغتروا بزخارف الدنيا ونعيمها، ولا تنتظروا المطر من برقها الخلب[1].

ولا تفتنوا بأعلاقها: أي نفائسها وأموالها، محروبة: أي مسلوبة.

وهي المتصدية العنون: التصدّي التعرض والعنون: من الدواب المتقدمة في السير من عن يعن إذا اعترض.

والمائنة: الكاذبة، والكنود: الكفور القليل الخير.

والعنود: الحائر عن الطريق، والصد: الاعراض.

والحيود: المائل، والميود: المضطرب شبه الدنيا بناقة هذه أوصافها.

حالها إنتقال: أي اختلاف وكذب يعني أنّ سراها وضراها لا ثبات لها، ولا أصل.

ووطأتها زلزال: أي من استنام اليها واغتر بها ظنها ساكنة باقية وهي في غاية الاضطراب في عدم الاستقرار.

أهلها على سواق: أي على شدة، من قول العرب قامت الحرب بنا على ساق واحد، أي بعضهم على أثر بعض من قول العرب: ولدت فلانة بنين على ساق واحد، أي بعضهم على أثر بعض من غير أن تلد بينهم بنتا، والمعقل: الملجأ.

---

١ ــ الخلب: السحاب يومض برقه حتى يرجى مطره ثم يخلف، وينقشع وكأنه من الخلابة وهي الخداع بالقول اللطيف.

ولفظتهم المنازل: أي نبت لهم ولم يستقر بهم، مستعار من لفظ الشيء من الفم.

وأعيتهم المحاول: أي الحيل والمطالب.

والمعقور: المجروح، والعقيرة: الساق المقطوعة.

والشلو: العضو، والعض على اليد: بما يفعله النادم والغضبان.

والصفق: ضرب له صوت، والمرتفق: المتكىء على المرفقة وهي المخدة أو على مرفق يده.

والغيلة: الاغتيال وهو القتل فجأة.

ولات حين مناص: هي لا زيدت فيها التاء، والمناص: الملجأ والمفر والنوص والمناص التأخر والفرار.

ولا: هذه بمعنى ليس ولما دخل[1] التاء خصت بالدخول على حين والاسم محذوف أي ليس الحين حين فرار وتأخر.

ومضت الدنيا لحال بالها: أخص من الحال فأضاف العام إلى الخاص.

والبال: رخاء النفس أي مضت الدنيا بحال رخائها وسهولتها على أهلها، وأقبلت الآخرة بشدتها وصعوبتها عليهم.

* * *

١ ـــ في ض: لما دخلها التاء.

٢٣٣ ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

تسمى القاصعة

وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته وفيها فصول:

الفصل الأول: قوله:

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ؛ وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلاَئِكتهُ الْمقَرَّبِينَ؛ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ. (إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ) اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ ٱللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ ٱللهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ؛ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.

أَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ ٱللهُ بِتَكَبُّرِهِ؟ وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ[١]؟ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً.

وَلَوْ أَرَادَ سبحانه[٢] أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ[٣] لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ، وَلٰكِنَّ ٱللهَ - سُبْحَانَهُ - يتبلي خَلْقَهُ[٤] بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاِخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلاِسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللهِ بِإِبْلِيسَ؛ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَقَدْ كَانَ[٥] عَبَدَ ٱللهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَةٍ لاَ يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ الآخِرَةِ[٦] - عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ بَعْدَ[٧] إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى ٱللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلاَّ! مَا كَانَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فَاحْذَرُوا - عِبادَ الله - عَدُوَّ[٨] ٱللهِ، أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ

---

١ ـ في ب وض : وضعه الله بترفعه .

٢ ـ في ض وح وب ول : لو اراد الله ان يخلق .

٣ ـ في م ون وف : لظلت الاعناق له خاضعة .

٤ ـ في ض وح وب : ابتلى خلقه .

٥ ـ في ض وح وب ول وش : وكان قد عبد الله .

٦ ـ في ض وح : ام من سني الاخرة .

٧ ـ في ض وح وب : فمن ذا بعد .

٨ ـ في م ول وش : فاحذروا عدو الله .

يَسْتَفِزَّكُمْ (بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ[1]) بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وقال: (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً[2] بِظَنٍّ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ[3]، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّ؛ اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ: طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ؛ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جِدَّكُمْ! فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ؛ وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ: يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لاَ تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلاَ تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ؛ وَحَلْقَةِ ضِيقٍ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ،

١ــ ساقطة من م ون وف ول وش.

٢ــ في ب ول وش: ورجما بالغيب.

٣ــ في ف ون: صدقة ابناء الحمية.

وَجَوْلَةِ بَلاَءٍ. فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ وإنَّمَا [1] تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَٱعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُسِكُمْ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً، بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ: إبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرَجْلاً وَفُرْسَاناً. وَلاَ تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ٱبْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ ٱللهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَلاَ وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ، مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ! فَاللهَ ٱللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَآنِ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، اللاتي [2] خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ! وَمَهَاوِي ضَلاَلَتِهِ، ذُلُلاً عَلَى سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ ألاَ فَالْحَذَرَ

١ــ في ض وب : فانما تلك.

٢ــ في ض وح وب : التي خدع.

الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا ٱللهَ مَا صَنَعَ[١] بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لآلاَئِهِ!! فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَاتَّقُوا ٱللهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً! وَلاَ تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ؛ وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلاَسُ الْعُقُوقِ؛ اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ٱسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ، وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ[٢]، وَنَثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ؛ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ، وَمَوْطِىءَ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَصَوْلاَتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ. وَٱسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ[٣] مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ؛ فَلَوْ رَخَّصَ ٱللهُ فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَلٰكِنَّ ٱللهَ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا

١ــ في ض وح وب : جاهدوا الله على ما صنع .
٢ــ في ض وب وح ول وش : نفثا وفي ع : نثاء في اسماعكم .
٣ــ في ب : كما تستعيذون وفي ن : كما تستعيذون به .

بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ، وَقَدِ اخْتَبَرَهُمُ[١] اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُم[٢] بِالْمَكَارِهِ، فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى[٣] وَالافتقار، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ، بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ) فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ، عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ[٤] فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ: «أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرُطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِما أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ ؟!» إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ. وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ

١ــ في ش : قد استخبرهم الله.

٢ــ في ح وع : محصهم وفي ن : مخضهم.

٣ــ في ض وح وب ول وش : والاقتار.

٤ــ في ف : بايديهم العصا.

كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأَرْضِ (١) لَفَعَلَ؛ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا، وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعْفَةٍ فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ وَالأَسْمَاعَ أَذًى.

وَلَوْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لاَ تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لاَ تُضَامُ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ؛ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الاِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الاِسْتِكْبَارِ، وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، وَكَانَتِ (٢) النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً، وَلٰكِنَّ ٱللهَ - سُبْحَانَهُ - أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالاِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالاِسْتِسْلاَمُ لِطَاعَتِهِ؛ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لاَ يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالاِخْتِبَارُ أَعْظَمُ، كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ، إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لاَ تَضُرُّ

١ـ في ش : ووحوش الارضين.

٢ـ في ض وح ول وش : فكانت النيات.

وَلاَ تَنْفَعُ، وَلاَ تَسْمَعُ وَلاَ تُبْصِرُ. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الدنيا(١) مَدَراً. وَأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً: بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لاَ يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ. ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ، أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ(٢) لِلّٰهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ٱبْتِلاَءً عَظِيماً، وَٱمْتِحَاناً شَدِيداً، وَٱخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ ٱللهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الأَشْجَارِ، دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ؛ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ، وَلَوْ كَانَتِ الإِسَاسُ(٣) الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا،

١ــ في ب : نتائق الارض .

٢ــ في ف ون وب ول : يهلون وكذا في حاشية م .

٣ــ في ض وح وب : لو كان الاساس .

وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ؛ لَخَفَّفَ[1] ذٰلِكَ مُسَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلِجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلٰكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ.

فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ؛ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَداً، وَلاَ تُشْوِي أَحَداً: لاَ عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلاَ مُقِلّاً فِي طِمْرِهِ، وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيظاً لِقُلُوبِهِمْ، إِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ؛ لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عتائق الْوُجُوهِ[2] بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، وَالْتِصَاقِ[3] كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً، مَعَ مَافِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ. أُنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هٰذِهِ الأَفْعَالِ[4] مِنْ قَمْعِ

١ــ في ب : لخفت ذلك .

٢ــ في ض وب وح : عتاق الوجوه .

٣ــ في ف ون ول : والصاق .

٤ــ في م : هذه الاحوال .

نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ، غَيْرَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ ما [١] يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلاَ عِلَّةٌ: أَمَا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ. فَقَالَ: (أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ) وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ؛ فَقَالُوا: (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ).

فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ [٢] فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ، بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ. فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ: مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ، بِسُوءِ

١ــ في ض وب : لامر لا يعرف.

٢ــ في م : من المعصية.

الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ [١] بِهِ حالَهم، وَزَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ [٢] فِيهِ بِهِم، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ: مِنَ الاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا، وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ: مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ: كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلاَءِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلاَئِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاَءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً؟ اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً، فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ [٣] الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ، وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ: لاَ يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، وَلاَ سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ، حَتَّى إِذَا رَأَى اللهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ؛ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاَءِ فَرَجاً: فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وَأَئِمَّةً أَعْلاَماً، وَبَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَالَمْ تَذْهَب [٤] الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

١ــ في ض وب وح: العزة به شأنهم.
٢ــ في ض وف وح: فيه عليهم.
٣ــ في ش: جرعوهم جرع الحرار.
٤ــ في ب: لم تبلغ الامال.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلاَءُ مُجْتَمِعَةً، وَالأَهْوَاءُ[1] مُؤْتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالأَيْدِي مُتَرَادِفَةً[2]، والسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً؟! أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟؟ فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً[3] لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.

وَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ - عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ - فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ!!!

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، وَمَهَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لاَ يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلاَ إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا،

١- في ب: والاهواء متفقة.

٢- في حاشية م وش: مرادفة.

٣- في ض وح: عبرة.

فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ. فِي بَلاَءِ أَزْلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُدَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ.

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِمْ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ[1] نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ؟! قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ: يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ، لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ!!

أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ[2] الطَّاعَةِ؛ وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ ٱللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ ٱللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ قَدِ ٱمْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ: الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا[3]،

١ــ في ف وم وحاشية ن: جداول نعمتها.

٢ــ في ف وم: عن حبل الطاعة.

٣ــ في م: يتقلبون في طيها وفي ش: ينتقلون.

وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا ـ بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً ؛ لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً ، وَبَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً ، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلاَمِ إِلاَّ بِاسْمِهِ[1] ، وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ !!

تَقُولُونَ «النَّارَ وَلاَ الْعَارَ» ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ ، الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ، ثُمَّ لاَ جَبْرَائِيلُ وَلاَ مِيكَائِيلُ وَلاَ مُهَاجِرُونَ وَلاَ أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ ، إِلاَّ الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ .

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ ، فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلاَّ لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلَعَنَ اللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي ، وَالْحُلَمَاء[2] لِتَرْكِ التَّنَاهِي ، أَلاَ وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلاَمِ ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ .

أَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ ، وَالْفَسَادِ

---

٤٢ ــ في ش : الا اسمه .

٤٣ ــ في م ول : والحكماء وفي ب : لترك النواهي .

فِي الأَرْضِ: فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ. وَرَجَّةُ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْي وَلَئِنْ أَذِنَ آللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ، إِلاَّ مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ[١] الأَرض تَشَذُّراً.

أَنَا وَضَعْتُ[٢] بِكَلاَكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ الْقُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ آللهِ ـ صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي[٣] فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَلِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ آللهُ بِهِ، صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مِنْ لَدُنْ[٤] كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ؛ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ آتِّبَاعَ آلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ[٥] عَلَمَاً، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاء بِه، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاء، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يُجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلاَمِ غَيْرُ رَسُولِ آللهِ صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

١ـ في ض وح وب: في اطراف البلاد وفي ن: من اطراف البلاد.

٢ـ في ض وب: اناوضعت في الصغر بكلا كل العرب.

٣ـ في ب: الى فراشه.

٤ـ ف ض وح وب: من لدن ان كان.

٥ـ في ش: في كل يوم علما من اخلاقه.

وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، مَا هٰذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هٰذَا الشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلٰكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ». وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْت عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا [١] إِلَيْهِ، وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم: إِنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ، إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ

١ــ في ش: ان اجبتنا.

شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ[1] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذٰلِكَ قَالُوا عُلُوًّا وَٱسْتِكْبَاراً: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوًّا: فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ[2] إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ، فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ، وَأَوَّلُ[3] مَنْ آمن بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ! عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هٰذَا؟! (يَعْنُونَنِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ: سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ[4]، يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ وَلاَ يَغُلُّونَ، وَلاَ يُفْسِدُونَ: قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ[5].

١ــ في م: كنت على يمينه.
٢ــ في ب: فليرجع الله نصفه.
٣ــ في ض وح وب: من اقر بان الشجرة.
٤ــ في ش: بحبل الله القرآن.
٥ــ هنا انتهى ابواب الخطب في ف وم ون.

الشرح

الخطبة القاصعة ويقال: القاصعا، قصعت الناقة بجرتها[١] ردتها إلى جوفها، وقيل أخرجتها فملأت فاها وقيل مضغتها بشدة، وقصع الماء عطشه سكنه، سميت الخطبة بذلك لأن الخطبة ملأبها فمه، ولم يتكلم بتمام ما في صدره، من قولهم: قصع الجرح بالدم اي امتلأ، ولم يسل.

قيل القاصعة المسكنة يعني أنها تسكن ما يفور في صدر المتكلم من دواعي الكلام، أو يسكن قلوب المستمعين بمعانيها البالغة، وتزيل إضطرابها وقيل: سميت بذلك لأن المواعظ والزواجر فيها مردّدة من أولها إلى آخرها، من قصعت الناقة بجرتها أي ردتها إلى جوفها واخرجتها فملأت فاها (أولانها) هاشمة[٢] وكاسرة لا بليس من قصع القملة[٣] هشمها وقتلها أو لانها تصغر كل جبار من قصعت الرجل اذا صغرته وحقرته.

قيل إن أميرالمؤمنين عليه السلام كان يخطب على ناقة وهي تقصع بجرتها فعرفت الخطبة بالقاصعة، لملازمة قصع الناقة أنشأها والعرب تسمي الشيء باسم اللازم له قال الحطيئة[٤].

١ ـ الجرة: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضه ثم يبلعه.

٢ ـ الهشم: بالكسر والهشيم من النبات: اليابس المتكسر.

٣ ـ القملة: دويبة طفيلية عديمة الاجنحة تلسع الانسان وتغتذى بدمه.

٤ ـ الحطيئة: الرجل الدميم او القصير ومنه لقب جرول الشاعر العبسي لدمامته وقيل كان يلعب مع الصبيان فسمع منه صوت فضحكوا، فقال مالكم انما كانت خطيئة فلزمته نبزا والبيت في تاج العروس (شتى).

اذا نزل الشتاء بدار قوم * تجنب جار بيتهم الشتاء

ذكر الشتاء باسم الضيق اللازم له: والشدة والشتاء ينزل بالفقير والغني، ولا يتجنب احدا والمراد تجنب جار بيتهم الضيق والشدة وضنك المعيشة، الملازم للشتاء، والأظهر الأليق أن تفوه الخطيب وايراده الكلام الرصين[١] المتين شبه بقصع البعير وهو إخراجه الجرة من فيه يوضح ذلك ما قاله أميرالمؤمنين عليه السلام: في موضع آخر في وصف كلامه، تلك شقشقة هدرت، ثم قرت ووصفت الخطبة بذلك، وان كان في الأصل وصفا للخطيب، مبالغة وتاكيدا وجريا على منهاج قولهم جدجده، ونظائر ذلك.

قوله عليه السلام: الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء إلى آخره.

العزة أعلى المراتب، والعزيز الذي لا يجوز عليه المنع عن مراده، وأفعاله.

والكبرياء: العظمة وليس للخلق ادعاء هذين الأمرين.

لخفت البلوى فيه على الملائكة: إشارة الى ما تقدم من أن آدم عليه السلام واسطة بين الملك وسائر الحيوانات العجم، فلو لم يكن مخلوقا من الصلصال[٢] لم يكن واسطة، بل كان من أنواع الملائكة وأشراف الروحانين، والكروبيين، أو كان من نوع آخر خفت بمعرفة نوعيته البلوى على الملائكة، أو بسبب سجوده وتعظيمه ومعاونته.

قوله عليه السلام: أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة.

سنة الدنيا شمسية، وهلالية، وهما إثنا عشر شهرا أو الشهور القمرية وقد ينقص من ثلاثين، والشهور الشمسية لا ينقص، والسنة الحقيقية مدة دور

---

١ ـ رصن العقل: استحكم واشتد وثبت فهو رصين.

٢ ـ الصلصال: الطين اليابس الذي يصل من يبسه اي بصوت.

الشمس في دائرة فلك البروج، من أية نقطة فرضتها إلى ان توافيها بسيرها الخاص، وقالت القدماء لا تفاوت بين السنين، وظهر للمتأخرين ذلك التفاوت بسبب حركة أوج الشمس وعدد أيام السنة الحقيقية ثلثمائة وخمسة وستون يوما، وربع يوم الا قدر أربع وثلاثين ثانية من يوم والشهر اصلاحي لأن الشمس لا يقطع البروج كلها في الأزمان المتساوية، بل تقطعها في الازمان المختلفة ولا يمكن الوقوف عليها إلا لمن هو مؤيد بحدس كامل في الحساب.

والثاني أن الكسور الواقعة في أيام الشهور، لم يمكن ألقاها فأعرضوا عن ذلك الاعتبار فردوا أمر الكسرين الى كسر واحد، فوضع الناس نوعين من الشهور اصطلاحيين لا طبيعيين[1] على طريقين المخالفين بعد اتفاقهم على أن الشهور لا تزاد على اثني عشر شهرا ولكن الأيام اختلفت في الطريقين فاحد نوعي الشهور شهور الروم وابتداء سنتهم لا يوافق ابتداء السنة الحقيقية، ولكن أيام السنة يوافق أيام السنة الحقيقية.

ثم يزيدون في كل أربع سنين يوما في آخر سباط، وبعض المنجمين يصحفون ويقولون شباط بالشين المعجمة، وهو خطأ وأما الفرس فانهم وضعوا السنة إثني عشر شهرا متساوية، كل شهر ثلاثون يوما، وزادوا في آخر الشهر الثاني عشر الذي هو اسفند ماه خمسة أيام ليقرب سنتهم الى السنة الحقيقية ولأنهم ما راعوا في حسابهم ذلك الربع من اليوم الذي هو فصل السنة الحقيقية على سنتهم.

فاذا مضى مائة وعشرون سنة من تاريخهم كانت قد زادت سنتهم بشهر

---

١ ـــ في ض: اصطلاحين الطبيعيين.

تام فكانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا، ولم يمكنهم أن يلحقوا في آخر كل أربع سنين يوما كما فعلت الروم لأن ملوكهم كانوا يعتادون شيئا واحدا في كل يوم من أيام السنة، وقد وظفوا للملك في كل يوم لباسا خاصا وريحانا خاصا.

قد أمرهم زردشت صاحب أمرهم أن لا تغفلوا عن الكبيسة وحثهم على مراعاتها وفي سني الآخرة كلام والاولى ما قال تعالى: إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون[١]. ذلك اليوم من أيام الله التي قال تعالى: وذكرهم بأيام الله[٢]، وسنة الآخرة مقتبسة من قوله تعالى: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة[٣].

قوله عليه السلام: إن حكمه في السماء وأهل الأرض لواحد.

قال الامام الوبري: أهل السماء أيضا متواعدون بالعذاب إن عصوا كأهل الأرض، وقال غيره تحريم التكبر والعزة على أهل السماء مثل تحريمهما على أهل الارض لذلك، قال تعالى في حق الملائكة: لا يستكبرون عن عبادته[٤].

الهوادة: الصلح والميل.

أن يعديكم بدائه: يعني إبليس، قال بعض العارفين: الكبر محاربة الله تعالى ومخاصمته لأن الكبرياء لا يليق إلا به، قال تعالى: كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار[٥]، وقال تعالى: وخاب كل جبار عنيد[٦]،

---

١ ـ الحج: ٤٧.
٢ ـ ابراهيم: ٥.
٣ ـ المعارج: ٤.
٤ ـ الاعراف: ٢٠٦.
٥ ـ غافر: ٣٥.
٦ ـ هود: ٥٩.

والكبر خلق من رذائل الأخلاق ، وأثره يظهر على ظاهر الانسان وهو أن يعتقد في نفسه أنه أشرف أبناء الزمان، ويتبع هذا الاعتقاد والتصوير هيآت جسمانية ، يقال لها الرعونة[١].

والتكبر:

إما على الله كتكبر إبليس ونمرود وفرعون ، وتكبر من استنكف من عبادة الله ، وإما على الرسول كتكبر كفار قريش حين قالوا : هو بشر مثلنا ، ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم[٢]، فقال تعالى : سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق[٣]، وإما على عباد الله والنظر إليهم بعين التحقير وهذا هو التكبر المشهور بين الناس ، فهذا أيضا منازعة الله تعالى ، لقوله جل وعز: وله الكبرياء في السموات والأرض[٤]، وقال : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري والخلق عبيدي وإمائي فمن نازعني في شيء من هذا ألقيته في النار، وقد قال أبو نواس[٥].

١ــ الرعونة : الحمق .

٢ــ الزخرف : ٣١.

٣ــ الاعراف : ١٤٦ .

٤ــ يونس : ٧٨ .

٥ــ الحسن بن هانىي : ابو نواس الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ، فسئل عن نسبه قال : اغناني ادبي عن نسبي وكان من اجود الناس بديهة ، توفي ببغداد في الفتنة قبل قدوم المأمون سنة ٢٠٠ .

دخل على المأمون فقال ياابا نواس قد علمت مكان علي بن موسى مني وما اكرمته به : فلماذا اخرت مدحه وانت شاعر زمانك وقريع دهرك فأنشأ يقول :

قيل لي انت اوحد الناس طرا ... في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع ... يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا اهتدى لمدح امام ... كان جبريل خادما لابيه

حذرتك الكبر لا يعلقك ملبسه * فانه ملبس نازعته اللاها

ومن أين للغلام المملوك أن يلبس لباس الملك ويتحلى بالتاج وزينة مالكه، والاتكاء على سرير الملك، ومن دبت[١] فيه نخوة الكبر لا يقبل الحق إذا ظهر له أنفة[٢] واستكبار كما قال تعالى: واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم[٣].

قال عبد الله بن مسعود: أعظم الذنوب أن يقال للرجل خف الله فيجيب ويقول: عليك نفسك فاشتغل بنفسك، فانك غير مأخوذ بذنبي.

دلف بجنوده: أي تقدم.

وقع في حسبك: أي قال أنا خير منه.

ودفع في نسبك: من قوله: أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ[٤]، وقوله: خلقتني من نار وخلقته من طين[٥].

ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه: أي قابيل تكبر على أخيه هابيل.

سؤال: كيف نسبه إلى أمه مع أنهما كانا لأب وأم، قلنا لأن قابيل لما قتل هابيل فكأنه قطع نسبه عن أبيه بسوء صنيعه كما قال تعالى في ولد نوح: إنه ليس من أهلك[٦].

قال الثعلبي[٧]: كون الولد إنما هو من الأم على التحقيق وللأب من

١ ــ دب السقم في الجسم ودب البلى في الثوب ودب الصبح في الغبش كل ذلك بمعنى سرى.

٢ ــ انف من الشيء: اذا كرهه وشرفت نفسه عنه يعني اخذته الحمية من الغيرة والغضب.

٣ ــ البقرة: ٢٠٦.

٤ ــ الاسراء: ٦٢.

٥ ــ ص: ٧٦.

٦ ــ هود: ٤٦.

٧ ــ ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي المحدث النيسابوري صاحب التفسير الكبير الذي يروي عنه

جهة الحكم، وقيل: شفقة الأخ من الأم زايدة على شفقة الأخ من الأب لزيادة شفقة الأم.

والزمه آثام القاتلين: من قوله تعالى: إني أريد أن تبؤ باثمي[١]، وإثمك الآية، وذلك أنه سن سنة سيئة في القتل وقطع الرحم، ومن سن سنة سيئة، فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

واعنق الفرس: من العنق وهو سير مسبطر[٢] قال الراجز.

ياناق سيري عنقا فسيحا.

والقوا الهجينة على ربهم: الهجين القبيح، أي نسبوا القبايح إلى ربهم.

الأدعياء: جمع دعِيّ وهو من لا أب له ينسب إليه فيتبناه أحد.

أحلاس العقوق: حلس كل شيء ما يلزمه، يقال نحن أحلاس الخيول أي تلزم ظهورها أصل ذلك من قولهم: أحلست السماء أي مطر مطرا رقيقا دائما.

وترجمت الكتاب: إذا نقلته من لسان، والترجمان الذي يبين الكلام بفتح التاء وضمها والضم أحسن والثناء مقصور مثل الثناء إلا أنه في الخير والشرّ جميعا، والثناء في الخير خاصة.

مخضهم بالمكاره: يقال: مخضت اللبن أمخضه ثلاث لغات ومخضت الناقة بالكسر يمخض مخاضا مثل سمع سماعا ويروى بالخاء والحاء.

صاحب الكشاف، وله العرائس في قصص الانبياء توفي سنة ٤٢٧.

١ ــ المائدة: ٢٩.

٢ ــ كذا في المتن والظاهر انه سير مسيئر، والمسيئر: السير تحت الليل كما في تاج العروس وفي ض: واعنق الفرس من العنق.

ولا لزمت الأسماء معانيها : أي لو انقاد الناس للحق لرغبته قاهرة ملجئة أو لرهبة ملجئة، لم يكن أسامي المدح المقيدة في الدين مفيدة، حينئذ للتعظيم، والمدح والثواب بل كانت كالألقاب العارية عن المعاني.

جعل رسله أولي قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الأعين.

اقتضت الحكمة الالهية أن يكون النبي حنيفا واقعا بين الانسان والملك، ومشاركا لكل واحد منهما، فالرسل كالملائكة، في عزائمهم وكالبشر في أحوال المطعم والمشرب والخوف، والرجاء والضعف والقوة مثال ذلك مثال المرجان فانه واقع بين النبات والجماد جرمه حجري وله أغصان وفروع، ينمو نمو الأشجار، كالنخل فانه نبات تشبه بالحيوان عند التلقيح وبطلان الرأس، قال تعالى : ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون.

لما عمي الكفار عن إدراك هذه المنزلة وعما للانبياء من الفضيلة أنكروا نبوة الأنبياء كما حكى الله تعالى عنهم حيث قالوا : ما أنتم إلا بشر مثلنا يريدون أن يصدونا عما كان يعبد اباؤنا[١]، فالنبي بالاضافة الى سائر الناس كالقلب بالاضافة إلى سائر الأعضاء، ومنزلة علومهم من علوم الأمم، بمنزلة ضوء الشمس من ضوء القمر، فكانما نور القمر مقتبس من نور الشمس وقاصر عنه كذلك منزلة الأمم من أنبيائهم ومنزلة علمهم من علوم الأنبياء، وكما لا يحصل النور للقمر إلا بواسطة الشمس كذلك لا يحصل تزكية نفوس الأمة إلا بواسطة الأنبياء.

كما حكى الله تعالى : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك

١ ــ ابراهيم : ١٠.

ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم[1]: فالله تعالى يزكي الأنبياء بوسايط الملك ويزكي سائر الناس بوسايط الأنبياء كالطابع الذي جعلت له كتابة ثم بوساطته تثبت في الشموع المختلفة مثل تلك الكتاب.

قوله عليه السلام: أراد الله سبحانه أن يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه.

أمورا له خاصة: قبل العبادة فعل اختياري، مناف للشهوات البدنية يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى على وفق الشريعة، فالعبادة إذا فعل يجمع هذه الأوصاف كلها وقيل: يعني أراد الله أن يكون الايمان والطاعة، لا لنفع عاجل، ولا لدفع ضرر عاجل، بل يكون برضى الله ابتغاء ثوابه في الآخرة ولكن كل واحد منهما حسنا في نفسه مفيدا.

قوله عليه السلام واقل نتائق الدنيا مدرا.

النتائق البقاع المأهولة.

لا يزكوا بها خف ولا حافر ولا ظلف: أي ذو خف وذو حافر وذو ظلف.

ارياف: جمع ريف وهي أرض فيها زرع وخصب.

مغدقة: ذات غدق والغدق الماء الكثير، وقد غدقت عين الماء بالكسر أي غرزت.

اعتلجت الأرض: طال نباتها واعتلجت الامواج التطمت.

المساورة: المواثبة، ومنه سمي الرجل سوارا أي وثابا معربدا وسورة

---

١ ـ الاحزاب: ٣٤.

الشراب وثوبه في الرأس .

قوله عليه السلام : حرس الله عباده المؤمنين بالصلاة : وما بعده دليل على أن بالعبادات تنقاد القوى البشرية للعقل ، وتزول الأخلاق المهلكات .

تليط : أي تلصق ، اليعسوب فحل النحل ، ومنه قيل للسيد يعسوب قومه والباء فيه زائدة لأنه ليس في كلام العرب فعلول غير صعفوق .

قوله عليه السلام تدبروا أحوال الماضين من المؤمنين .

عنى به اسرائيل عند فرعون وأولاد الأنبياء في أيدي بخت نصر وغير ذلك . فان بختنصر خلع على دانيال ورده إلى بيت المقدس وفوض إليه أمارة بني اسرائيل ، وموسى وهرون ورثا ارضا مصر بعد هلاك فرعون .

قوله عليه السلام حين وقعت الفرقة : وتشتت الألفة :

إخبار عما حدث في بني إسرائيل من اختلاف كلمتهم عند استيلاء جالوت عليهم ، وكذا عند استيلاء بختنصر عليهم ، وعما جرى في ولد اسمعيل بين آل قحطان (آل معد ، وبين بني إسحق كما جرى بين أولاد روم بن عنص من اختلاف النسطورية[١]) واليعقوبية والملكابية فاستوى القياصرة على أولاد اسحق في الروم وبني اسرائيل من الشام وأزعجوهم عن الشام فارتحلوا الى حدود المدينة وهم يهود خيبر وقريظة والنضير ووادي القرى وقينقاع واستيلاء الأكاسرة[٢] على ولد اسمعيل من العرب فقد[٣] ملك معد في الجاهلية أن نصرهم اللخميون من اليمن ، وكانوا عمال الأكاسرة .

---

١ ــ ساقط في ض .

٢ ــ الا كاسرة جمع كسرى معرف خسرو وهم ملوك ايران قبل الاسلام .

٣ ــ في ض : فقد مالك معد .

يحتازونهم : أي يضمونهم ويسوقونهم سوقا لينا .

في بلاء أزل : أي ضيق وشدة .

من بنات موؤدة : قيل كان سبب قتل البنات في الجاهلية أنه لما منعت تميم الأتاوة[١]، وجه إليهم النعيم بن المنذر كتائب[٢] فاستاق البهائم، وسبي الذراري فأتاه القوم وسألوه النساء، فقال النعيم : كل امرأة اختارت أباها وأخاها وزوجها ردّت إليهم، ومن اختارت صاحبها السابي[٣] نزلت عليه، وكلهن اخترن أباهن إلا ابنة لقيس بن عاصم[٤]، فانها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرخ .

فنذر قيس أنه لا يولد له بنت إلا وادها[٥] انفة واقتدى به جماعة من العرب وقالوا : لا تقتلهن عجزا عن الانفاق عليهن، ولكن مخافة أن يتزوجن غير الاكفاء فضل لصعصعة[٦] بن ناجيه ناقتان عشراوان، فقال صعصعة ركبت جملا في طلبها فرفع لي بيت من الحرير، فقصدته فاذا شيخ بفناء الدار، فسألته عن الناقتين فقال ما ميسمها[٧]، فقلت ميسم بني دارم، فقال هما عندي وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر، فانتظرت ليخرجا إلى

١ــ الاتاوة : الخراج .

٢ــ الكتائب جمع الكتيبة وهي القطعة العظيمة من الجيش .

٣ــ السبي : النهب واخذ الناس عبيدا واماء والسبية : المرأة المنهوبة .

٤ــ قيس بن عاصم المنقري أحد شجعان العرب وفرسانهم وهو الذي حمل على الحوفزان الحارث بن شريك الشيباني وحفزه بالرمح في ظهره فسمي يومئذ الحوفزان .

٥ــ وأد البنات : قتلهن، كان إذا ولد لأحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب وهي حية .

٦ــ صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر روى عنه ابنه عقال بن صعصعة والطفيل ابن عمرو، وكان من اشراف بني تميم ووجوه بني مجاشع وكان في الجاهلية يفتدي المؤودات، قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله فعرض علي الاسلام فاسلمت وعلمني آيات من القرآن .

٧ــ الميسم : الحديدة التي يكوى بها .

فاذا عجوز قد خرجت من كسر بيت .

فقال لها الشيخ : ما وضعت ، ان كان سقبا[١] شاركنا في أخوالنا بعد أموالنا وإن كان حائلا وأدناها فقالت العجوز ولدت انثى فقال الشيخ وإدها ، فقلت له اتبيعينها ، فقال : هل تبيع العرب أولادها ، فقلت : إنما اشتري حياتها لارقها ، قال فبكم قلت أخيكم فقال الشيخ بالناقتين والجمل ، فقلت ذلك ، فقال صعصعة لرسول الله صلى الله عليه وآله آمنت بك وقد صارت لي سنة في العرب ، بأن اشتري كلّ موؤدة بناقتين وجمل إلى هذه الغاية مائة وثمانون موؤدة ، قد أنقذتها من القتل أهل انتفع بذلك وأوجر عليه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا ينفعك لأنك لم تبتغ بذلك وجه الله تعالى وأن تعمل في إسلامك عملا صالحا وإن كان قليلا نفعك .

قوله عليه السلام وأصنام معبودة : كان لكل قبيلة صنم يعبدونه سواع كان لهذيل وودّ لبني كلب ويغوث لمذحج وكان بدومة الجندل ونسر لذي الكلاع ويعوق لهمدان واللات لثقيف والعزى لقريش وبني كنانة ومناة للأوس والخزرج ، وهبل كان في الكعبة واساف ونائلة كانا على الصفا والمروة .

غارات مشنونة : إخبار عما كان بين العرب من الحروب ، مثل يوم الفجار، ويوم ذي خول ويوم الوقيط ويوم شويحط بين مصر وأهل اليمن ، وأيام بكر وتغلب ابني وايل ، وحرب أيام داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وهما ابنا بغيض ، لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة : كنايتان عن العز والمنعة .

---

١ ـــ السقب : القرب يعني ان كان المولود ذكرا ، أمسكناه وان كان انثى قتلناه .

وإن عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه .

أي ما شاهدتم من وقائع الزمان في عهد المصطفى عليه السلام وبعده ، وعندكم وعد الله ووعيده .

قوله عليه السلام : فان الله لم يلعن القرن الماضي إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

مأخوذ من قوله تعالى : «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه[1]» .

قوله عليه السلام : أمرني الله بقتال أهل البغي .

قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي : يا علي ! إنك تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين .

فالناكثون الذين نكثوا بيعته .

والقاسطون هم الذين خالفوا المهاجر والأنصار ، وأشراف الصحابة في بيعة أميرالمؤمنين علي عليه السلام .

والمارقون هم الخوارج الذين مرقوا من طاعته .

الردهة : نقرة في صخر يستنقع فيها الماء وفي الأمثال قرّب الحمار من الردهة ولا تقل له ماء قال الخليل : الردهة شبه أكمة كثيرة الحجارة ، وفي كتاب الصحاح شيطان الردهة مقدم الخوارج بنهروان ، وقتله أميرالمؤمنين كما ذكر .

لأديلن منهم : أي لأنتقمن ، وفي الدعاء أللهم أدلني على فلان أي اغلبني وأنصرني وأدالنا الله من عدونا من الدولة .

التشذر : التفرق والتشذر الاستثفار[2] بالثوب أو بالذنب .

الرنة : الصوت والصياح .

---

١ ــ المائدة : ٧٩ .

٢ ــ الاستثفار : هو ان يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنبه .

من يطرح في القليب : يعني قليب بدر حين طرح فيه من قتل من المشركين كأبي جهل وعتبة وشيبة ، والوليدبن المغيرة ، وامية بن عبد شمس ، والبحترى بن هشام وغيرهم .

ومن يحزب الأحزاب : هو أبو سفيان ، وعمروبن عبدود ، وصفوان بن امية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو وغيرهم .

يا أيتها الشجرة : قال الامام الوبري : المراد به ان كنت من الأدلة على الله والله تعالى أرسلني ، فكأنه قال : اللهم إن كانت هذه الشجرة من خلقك شاهدة عليك وأنت شاهد على رسالتي فافعل بهذه الشجرة كذا وكذا ، ولما كانت الشجرة موضع أفعال الله التي سالها منه خاطب الشجرة قال ويجوز أن يكون الخطاب للملائكة الموكلين بالشجر ، كما قال تعالى في خطاب جهنم هل امتلأت ، والمخاطب ملائكة جهنم وذكر الامام الغزالي [١] تفاصيل ذلك في كتابه المعنون بالمضنون به على غير أهله .

قوله عليه السلام : قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل .

يعني اطمأنت قلوبهم بذكر الله والتذت بحلاوة ذكره ، وهو بقلبه منقطع عن الدنيا ، ويجسده مشغول بالعبادة .

ج ــ العزيز : في صفاته تعالى ، الممتنع : الذي لا يغلبه شيء وليس كمثله ، قال ابن السكيت يقال : عزه يعزه : إذا غلبه وقهره ، وهو تعالى كبير أي جلبل ومتكبر عن ظلم عباده .

فله الكبرياء : أي الملك والملكوت ، وفي الحديث إن الله عزوجل قال : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، أي هما صفتان له تعالى لا يشركها فيهما أحد .

---

١ ــ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد الفقيه الشافعي ، اشتغل في مبدأ امره بطوس على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس امام الحرمين حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الاعيان المشار اليهم له آثار جليلة مات سنة ٥٠٥ بالطابران .

وحما الرجل ما يلزمه حمايته والذبّ عنه .

والحرم الحرام ، بمعنى كزمن وزمان ، أضاف تعالى روح آدم إلى نفسه تكرمة له وتشريفا ، وهي اضافة الملك والظاهر من مذهب الامامية ، أن إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة ولم يصرّ إبليس بمجرد ترك السجود كافرا بل إنما كفر لأنه اعتقد أنه تعالى أمره بالقبيح ولم يأمره من طريق الحكمة .

وتكبر على الله : وردّ عليه أمره واستخف بنبي الله ، وكل ذلك لا يصدر إلا عمن يعتقد الكفر .

يخطف : أي يلسب ، الرواء : المنظر ، والعزف : الرائحة الطيبة .

والحبط : عمل إبليس لأنه لم يوقعه على الوجه المأمور به ، ولو فعله كما أمر لاستحق الثواب ، ولا تعلق لأصحاب الوعيد بذلك ، لأنه علق الاحباط بنفس العمل ، وهم يعلقونه بالمستحق على العمل ، ولهذا نظائر في كلام الله ، وقد دلّ الدليل على بطلان التحابط بين الطاعة والمعصية ، والمستحق عليهما إذ لا تنافي بينهما ، ومن عبد الله تقليدا فلا يكون لأعماله ثواب ، فيصح أن يقال أحبط الله عمله أي حكم محبوطه وأخبر بذلك .

وجهده الجهيد : روى بضم الجيم وفتحها أي أفسد مشقته العظيمة ، لما لم يكن مشروعة ، والجهد الطاقة والجهد المشقة .

وقوله عليه السلام أخرج به منها ملكا .

من قال إن إبليس لم يكن من الملائكة اعتذر أميرالمؤمنين ان اكثر الخلق كانوا يعتقدون أنّ إبليس من الملائكة . فخاطبهم أميرالمؤمنين على مقتضى عقيدتهم ، وظاهر القرآن يدل على أن ابليس كان أبدا كافرا يظهر العبادة نفاقا ، قال تعالى : «وكان من الكافرين [1]» .

١ ــ البقرة : ٣٤ .

أن يعدوا : من العدوى ، ومحله نصب بدل من عدوّ الله أو مفعول ثان .

ويستفزكم : أي يستخفكم .

وفوقت السهم : جعلت له فوقا وهذا كناية عن الاستعداد للحرب .

وأغرق لكم بالنزع : أي بالغ في نزع القوس للرمي في نحوكم .

ورماكم من مكان قريب : أي وسوس إليكم بذنب يقرّب من شهواتكم ، وقال النبي صلى الله عليه وآله : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وجاء في الأثر أن الشيطان يوسوس فاذا ذكر العبد ربه خنس أي أنقبض ، وتاخر وإذا لم يذكر انبسط .

قذفا رجما : منصوبان على الحال أو على أنهما مفعول لهما ، وروي بظن مصيب ، من قوله تعالى : «ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين[1]» .

الجامحة : التي تركب هواها ، ولا يمكن ردّها .

نجمت : ظهرت ، استفحل : اشتد وأصله من الفحل .

الاثخان : كثرة القتل وأثخنته الجراحات أوهنته .

متألبين : متجمعين ، وحومة الحرب : معظمها .

الخطرة : الوسوسة ، والنخوة : التكبر .

والمسلحة : قوم ذو سلاح .

وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة : من قوله تعالى : «من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا[2]» أي صار الناس كلهم خصماء في قتل ذلك الانسان ، وقيل من قتل نبيا أو إمام عدل يعذب عليه عذاب أن لو قتله الناس جميعا[2] .

---

١ ـ سبأ : ٢٠ .

٢ ـ المائدة : ٣٢ .

وأمعن : أي بالغ وهو مقلوب أنعم ، وأمعن الفرس تباعد في عدوه وأصل البغى : الحسد ثم قيل للظلم بغي .

الملاقح : الفحول التي تلقح أمرا ؛ حال مما قبله وبخط الرضى .

ألقوا الهجينة : أي الغميرة[١] والعيب : وقيل إلقا الهجيئة على ربهم هو أن يقولوا عند الفخر أنا عربي وأنت عجمي كما قال إبليس : خلقتني من نار، وخلقته من طين[٢].

الاعتزاء : الانتساب عنى بالأدعياء : الذين ينتسبون إلى الاسلام وينتحلون أنهم على سنة النبي صلى الله عليه وآله وهم أهل البدعة .

الحلس : كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت البردعة ويبسط في البيت تحت الثياب[٣]، ويشبه به الذي لا تبرح منزله فيقال هو حلس بيته ، قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : يا علي ! أنا وأنت أبوا هذه الأمة فلعن من عقنا ، وروي نثا في أسماعكم : أي رشحا وإفثاء يقال نث الحديث ينثه أي أفشاه ونث ينث أي رشح[٤].

مخضهم : أي حركهم ، وأخلصهم ، وروي محضهم أي ظهرهم .

والذهبان : جمع ذهب كخربان جمع خرب ، والعقيان : الذهب .

لسقط البلاء : أي ابتلاء النبيين بالفقر والضر.

وابطل جزاؤهم : على احتمال ذلك .

ولا ضمحل الأنباء : لأن أخبار الأنبياء معظمها في الاعراض عن الدنيا وقلة الالتفات اليها لشدة شغف الناس بها ، ورغبتهم فيها ، فلو كان الأمر

---

١ ــ الغمر : الجاهل الغر الذي لم يجرب الامور.

٢ــ الاعراف : ١٢ .

٣ــ كذا وفي ض : تحت حر الثياب .

٤ ــ الرشح : العرق لأنه يخرج من البدن شيئا فشيئا ، كما يرشح الاناء المتخلخل الأجزاء .

على العكس من ذلك لما احتيج إلى النبوة والأنبياء، ولأن ارتفاع الدرجة في الدنيا، صورة المتجبرين من ملوكها، لا صورة الوسائط بين الله وبين الخلق.

ولما وجب للقابلين أجور المبتلين.

أي لما أستحقّ من قبل مراسم الشرع الثواب، لأنه إنما قيل والحال هذه، إما رغبة في عاجل الدنيا أو رهبة[1] من ضرر فيها، وقيل لاضمحل الأنباء أي زال الاخبار بخلق الجنة والنار، ولبطل التكليف، فلم يكن وعد ولا وعيد.

ولا لزمت الأسماء معانيها: لم يكن مؤمن ولا كافر، ولا مطيع، ولا عاص، ولخلت هذه الأسماء عن معانيها لبطلان التكليف.

وكانت النيات مشتركة: أي بين الاخلاص والرغبة والرهبة[1].

والعزيمة: ما يعزم أي يراد فعله قطعا.

والخصاصة: الفقر، النتق: أن تقلع الشيء فترفعه من مكانه لترمى به، ومنه النتيقة بمعنى المنتوقة، وجمعها نتائق، هذا أصله، وهاهنا هي الأرض التي تثار للزراعة وأرض مكة ذات حجارة ومدرها المستصلح للزراعة قليل، وقيل: سميت بذلك لرفع بنائها وشهرتها في مواضعها.

والقطر: الجانب، دمثة: سهلة ليئة.

وشلة: قليلة الماء.

ويهللون: يرفعون أصواتهم بالتلبية، ونحوها، وروى يهللون أي يقولون لا إله إلا الله.

يرملون: أي يهرولون، ويمشون مشيا فيه تحرّك.

---

١ ـ الرهبة: الخوف كانوا يترهبون بالتخلي من اشغال الدنيا وترك ملاذها والزنا فيها والعزلة عن اهلها وتعمد مشاقها بالرهبانية فنهى عنها النبي صلى الله عليه وآله.

شوّهوا أي غيروا ، إعفاء الشعر: إتمامه بترك الحلق والتقصير.

تمحيصا : أي تطهيرا ، جمّ الأشجار: كثيرها .

محدقة : ذات حدائـق ، والحديقة روضة ذات شجر.

معتلج الريب : مضطرب الشك ، واعتلاج الريب منازعة اليقين .

المجاهد : المشاقّ ، وما تكدى : أي لا ترد يقال كديت الرجل عن الشيء أي رددته ، واكدى الحافر إذا بلغ الكدية أي الأرض الصلب أو الحجر.

ولا يشوى : أي لا يصيب المقتل . والشوى اليدان والرجلان وكل ما ليس مقتلا .

والمقل : الفقير ، والطمر: الثوب الخلق ، لا عالما بدل من أحد وما في ما حرس صلة زائدة أو مصدرية أو نافية بمعنى أنه تعالى لم يحرسهم عن ذلك ، بل امتنعوهم اختيارا والمعنى على الأول حرسهم الله عن تلك المنكرات ببركة هذه الطاعات ، قال تعالى : «إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر[1]» وإذا ذلت النفس بتسكين الأطراف لا يظلم صاحبها أحدا ، وذهب كبره .

وتعفير الوجه : إيصاله على العفر وهو التراب .

والعتائـق : الكرائم من كل شيء ، والمسكنة : الذلّ والضعف وكان يونس يقول : المسكين أبعد حالا من الفقير قال قلت لأعرابي فقير أنت ، فقال لا والله بل مسكين ، وفي الحديث ليس المسكين الذي يرده اللقمة واللقمتان ، وإنما المسكين الذي لا يسأل ولا يفطن به فيعطى .

وقمعه وأقمعه : أي قهره وأذله .

١ ــ العنكبوت : ٤٥ .

ونجم الشيء : أي طلع وظهر والناجمة ما ينبت من الشر.
والقدع : الكف ، وخطر الرجل قدره ومنزلته .
والفراعنة : العتاة وكل عات فرعون ، والفرعنة : الدهاءوالتكبر.
وسامه خسفا : أولاه إياه وأورده عليه .

المرار: شجر مرّ إذا أكلت منه الابل قلصت[١] منه مشافرها الواحدة مرارة .

البصائر: الحجج ، والغضارة : طيب العيش .

الأكاسرة : جمع كسرى ، لقب ملوك الفرس بفتح الكاف وكسرها وهو معرب خسرو، والنسبة اليه كسروي وهي جمع على غير قياس لأن قياسه كسرون ، بفتح الراء كعيسون وموسون .

(مها في الريح : مساقطها هفا الطائر بجناحيه خفق وطار، وهفا الشيء في الماء ذهب[٢]) .

والعالة : الفقراء، إخوان دبر ووبر: الدبر الهزيمة في القتال والادبار وأن يجرح سنام البعير، فلا يصلح والقراح من الأرض نسب العرب إلى هذين الأمرين لنكد[٣] عيشها ، وكذا يكون صاحب الابل فانه يعيش في شقاوة .

أطباق جهل : معظماته وطبق كل شيء معظمه ، ويقال للداهية إحدى بنات طبق .

تربعت الأمور بهم : يقال تربع في جلوسه أي قعد مربعا .
لا تغمز لهم قناة : غمز القناة كناية عن الاستضعاف قال الشاعر:

---

١ ــ قلص : انقبض ، والمشافر جمع المشفر: الشفة واخص استعماله بهذا المعنى في الابل .
٢ ــ بين الهلالين ساقط في ض .
٣ ــ النكد : القليل ، ونكد حاجته : منعه اياها او لم يعطه الا القليل منها .

وكنت إذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما[١]

وفي فلان غميزة أي مطعن، ولا تقرع لهم صفاة: مثل يضرب لمن لا يقاومه أحد.

والقارعة: الداهية الشديدة.

ثلمتم حصن الله: أي بالخروج من طاعة إمامكم، ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

صرتم بعد الهجرة أعرابا: قيل الأعراب قوم أسلموا بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وكانوا إذا غزوا مع المهاجرين والأنصار لم يسهموا من الغنيمة سهم[٢].

قوله عليه السلام من حبل هذه الألفة.

من قوله تعالى «لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم[٣]»؛ والكنف: الجانب.

النار ولا العار: أي الزموا النار ولا تقربوا العار، أو تلتزم النار ولا تقرب العار.

تكفئوا الاسلام: أي تقلبوه كما يقلب الاناء.

انتهاك الحريم: تناولها بما لا يحل وأصل الهتك المبالغة في العقوبة.

ثم لا جبرئيل: يجوز فيه وفيما بعده الرفع والنصب.

الا المقارعة: منصوب ومرفوع، أي ذوو المقارعة أي المضاربة.

إن لجأتم إلى غيره: الضمير لله.

الناكثون: طلحة والزبير ومروان بن الحكم بايعوا عليا عليه السلام ثم

---

١ ــ البيت لزياد الاعجم كما في تاج العروس (غمز).

٢ ــ في ض: من الغنيمة معهم.

٣ ــ الانفال: ٦٣.

نكثوا العهد وخرجوا إلى البصرة وهيجوا الفتنة .

والقاسطون : **الظالمون** وهم معاوية وأصحابه .

والمارقة : الخوارج سموا بذلك لقول النبي صلى الله عليه وآله : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، والمروق : الخروج .

والتدويخ : الاهلاك والاذلال .

وشيطان الردهة : قيل : هو ذو الثدية ، وقيل هو شيطان من كفار الجن ، والشيطان : الحية ، لا تشرب الماء إلا في قلل الجبال .

الرجّ : التحريك والزلزلة .

لأديلن : مفعوله محذوف أي لأديلن المؤمنين من أهل البغي أي لأنصرنهم عليهم .

الكلكل : الصدر، نجم القرن : طلع وظهر.

وقرون الحيوانات : أسلحتها .

وحراء : جبل بمكة يذكر ويؤنث قال الشاعر:

ألسنا أكرم الثقلين طرا * وأعظمهم ببطن حراء نارا

فلم يصرفه لأنه ذهب بها إلى البلدة التي هو بها .

والملأ : الأشراف . والدوي : الصوت الشديد .

ورعد قاصف : شديد الصوت .

ورفرف الطائر: حرك جناحيه حرك شيء يريد أن يقع عليه .

ش ـ قوله إذ أحبط عمله الطويل : أحباط العمل من وجهين :

أحدهما : أن يكون العمل قد أتى به المكلف المأمور بجميع شرائطه وحقوقه على الوجه المأمور به ، من غير اخلال بشيء من ذلك ، ويكون مع ذلك صادرا عن إخلاص تامّ ويقين صادق ، وتصديق لكل ما يجب التصديق به من معارف الدين بالأدلة الباهرة لا بالتخمين ، ومثل هذا العمل يوصل به

المكلف إلى منافع عظيمة بالاتفاق.

ثم لا يجوز أن يبطله ويزيله شيء لأن مبطله، إن كان هو الله تعالى، فان إبطال حق الغير بلا بدل ظلم وسفه، وعبث تعالى رداء جلاله عن مثل هذه النقيصة، وإن كان غير الله تعالى من المختارين فمعلوم أنه لا تعرض لغيره[1] تعالى في ما يأتي بها لعبد الله باثبات وإبطال، وإن كان إبطاله بطريق الايجاب فمحبطه لا بدّ له من علقة به معقولة إما أن يكون ضدا نظرا عليه أو على محله، او جاريا مجرى الضد.

قد ذكرت في كتاب لباب الألباب أنه لا تحابط ولا تنافي بين الطاعة والمعصية، ولا بين الثواب والعقاب، اذ لا تضادّ بينهما ولا ما يجري مجراه فان نفس ما يقع طاعة يجوز أن يقع معصية، فان القعود في دار الغير باذنه للعبادة طاعة وبغير إذنه معصية، وتلك القعدة التي فعلها باذنه كان يمكنه أن يفعلها لا باذنه وكذا في الثواب والعقاب، لأن المرجع بالثواب إلى النفع وبالعقاب إلى الضرر، ولا شيء يقع نفعا إلا ويجوز أن يقع ضررا بأن يصادف نفارا متعلقا به.

لو ثبت تضادهما لا ستحال تنافيهما معدومين إذ الضد لا ينافي ضده معدوما، والتحابط عند من تجوزه إنما يقع بين المستحقين من الثواب والعقاب، وهما لا يكونان مستحقين إلا وهما معدومان وبسطنا القول فيه في الكتاب المقدم ذكره على غاية ما يرام.

القسم الثاني من الاحباط أن يكون العمل المحكوم عليه بالحبوط إنما أخل فاعله ببعض شروطه اللازمة أو لم يوقعه على الوجه المأمور به عليه أو فعله لا على بصيرة، ويقين، بل على ظن وتخمين، فمثل هذا العمل يقال إنه

---

١ ـــ في ض: انه لا يعرض بعده تعالى فيما يأتمن به الله تعالى.

انحبط وأحبط، بمعنى أنه لم يقع على الوجه المرتضى، بحيث يستحق على شيء، لأنه استحق ثم أبطل، وكل ما ورد في الآي والآثار في الاحباط، فمحمول على هذا القسم الأخير، دون الأول لقيام الدلالة على امتناع ذلك.

سؤال: كيف قال عليه السلام ورجما بظن غير مصيب.

وقد قال تعالى: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، قلنا يحتمل أن يريد بظن غير مصيب أى غير واصل هو بذلك الظن نفعا، أو كان الظن غير صائب، لأن مظنونه قوله لأغوينهم وغواية من غوى إنما كان من قبل نفسه وإختياره من غير أن أجبره إبليس عليها، وكان ظنه أن الغواية يحصل باجباره خطأ وغير بعيد أن يكون قوله غير مصيب منصوبا على الحال أي فعل إبليس ما فعل غير مصيب في فعله.

قوله عليه السلام: أمرا تشابهت القلوب فيه.

انتصابه بفعل مضمر يدل عليه ما قبله، من قوله أعنقوا في حنادس جهالته أي ابتدعوا وأحدثوا أمرا.

ولا يكون النعمة عليكم أضدادا: أي لا تفعلوا أفعالا تستوجبوا بها النقم التي بها أضداد النعم[1]، فكأنه قال: أنتم محال نعمته، فلا تصيروا بمعاصيكم محال أضداد نعمه التي هي نقمة.

ولا لفضله عندكم حسادا.

الحسد: ارادة زوال نعمة الغير، ومن فعل ما يوجب زوال النعم عنه فكأنه حاسد لنفسه.

شيطان الردهة: يريد الخارجي الذي يقال له ذو الثدية وقيل: ذو اليدية واسمه ترملة، ويقال ابن عرقوص بن زهير البجلي قتله أميرالمؤمنين فيمن قتل

---

١ ــ في ض: لا تستوجبوا بها النقم التي هي اضداد النعم.

من الخوارج يوم النهروان(١) وقد أخبر بحديثه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال فيهم المخدج رجل اسود له ثدي كثدي المرأة فيها حلمة وفي الحلمة(٢) شعرات كأنها هلبة(٣) سنور ولا رآه النبي صلى الله عليه وآله، قال: هذا أول قرن من قرون الشيطان اطلع في أمتي.

* * *

١ ــ نهروان كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الا على متصل ببغداد وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب مع الخوارج قال ياقوت: كان سبب خرابه اختلاف السلاطين وقتال بعضهم بعضا في ايام السلجوقية.

قال: وكان ايضا في ممر العساكر فجلا عنه أهله واستمر خرابه، وقد استشام الملوك ايضا من تجديد حفر نهره وزعموا انه ما اسرع احد فيه الا مات قبل تمامه وكان قد شرع فيه نهروان الخادم وغيره فمات وبقي على حاله وكان من اجل نواحي بغداد وأكثرها دخلا واحسنها منظرا وابهاها مخبرا.

٢ ــ حلمة الثدي: رأسه.

٣ ــ الهلبة: الشعر، وقيل هو ماغلظ من شعر الذنب وغيره.

٢٣٤ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قاله لعبد الله بن عباس، وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام:

يَا ٱبْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إلَّا أَنْ يَجْعَلَني جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ: بَعَثَ إلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ، ثُمَّ هُوَ الآنَ يَبْعَثُ إلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، وَٱللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً[1].

١ ــ هذا الكلام ساقط من نسخة ل.

الشرح

شرح الزيادات :

ينبع من قرى المدينة[١] وهتف س : الخلافة ذكرهم أنه أولى بالخلافة ، وأنه يجب أن يبايع عليها ، والهتف : الصوت يعني لما علم عثمان حرص الناس على خلعه وبيعة علي عليه السلام أراد أن يغيب عليٌّ طمعا في أن ذلك يسكن الناس مما هم فيه .

والناضح البعير يستقى عليه والنضح الرش ، والغرب الدلو العظيمة وهو مثل يضرب لمن ينقاد لغيره غاية الانقياد قال العباس بن مرداس :

اراك إذا قد صرت للقوم ناضحا ⁕ يقال له بالغرب أقبل وأدبر

⁕ ⁕ ⁕

١ ـــ ينبع بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضموما وعين مهملة قرية غناء وواديها يصب في غيضة هي عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة الى البحر وهي لبني حسن بن علي وكان يسكنها الانصار وجهينة وليث وفيها عيون عذاب غزيرة وبها وقوف لعلي بن ابي طالب عليه السلام .

٢٣٥ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله، ثم لحاقه به

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَأْخَذَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ (في كلام طويل).

قال الشريف: قوله عليه السلام «فأطأ ذكره» من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة، أراد إني كنت أعطي خبره، صلى الله عليه وآله وسلم من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة.

الشرح

قوله عليه السلام: أتبع مأخذ رسول الله.

أي اسلك الطريق الذي أخذ النبي صلى الله عليه وآله في سلوكه واقتفي أثره.

فاطأ ذكره: أي لا أتجاوز ما ذكره لي وأوصى به من كيفية سلوك الطريق إلى المدينة احترازا من قريش أو أراد ألازم ذكره ملازمة، سالك الطريق ما يطأه من مسلكه، أي لم أغفل عن ذكره قط.

والعرج: منزل في طريق مكة.

* * *

٢٣٦ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ[١]، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ الأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ[٢]، وَتَصْعَدَ الْمَلائِكَةُ.

فَأَخَذَ امْرءٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ، امْرُؤٌ خَافَ اللهَ، وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، امْرُؤٌ لَجَّمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

---

١ ـ في ك ول: ان يجمد العمل.

٢ ـ في ش: ويسد ابواب التوبة.

الشرح

قوله وأنتم في نفس البقاء : أي مدة البقاء ، وفي الأنفس المحصورة التي ينقضي أعماركم بنفادها أو شبه عمر الانسان في سرعة الانقضاء بالنفس الذي يتنفس به ، ويجوز أن يكون من قولهم أنت في نفس من أمرك أي سعة أي أنتم في سعة العمر ، والواو للحال .

والصحف منشورة والتوبة مبسوطة : لا تطوى الا بموته .

والمدبر يدعى : يعني من الخوف ، عن الحق وولاة الدين ، فان الله تعالى يدعوه اليه بمواد الالطاف وبكتابه المنزل : وعلى لسان النبي والائمة عليهم السلام .

والمسيء يرجى : أي ينتظر منه التوبة ، وسلوك طريق النجاة .

قبل أن يجمد العمل : يعنى بالموت فان المرأ اذا مات لا يتوقع منه عمل ، كما أن الماء اذا جمد انقطع جريانه ، واسناد الجمود الى العمل غاية في البلاغة وآية في تلك الصناعة .

وتصعد الملائكة ، أراد الحفظة يصعدون إلى السماء اذا مات من كانوا معه .

فأخذ امرء من نفسه لنفسه : خبر ومعناه أمر ، وكذا ، ما بعده أي ليأخذ كل أمرء من نفسه في الدنيا باستعماله فما خلق لأجله ، من العمل للآخرة ،

ليكون ذلك ذخرا له يوم فقره وفاقته ، في الآخرة وكذا يدخر في يوم حياته ليوم مماته ، وفي دار فنائه ، وهي الدنيا لدار بقائه ، ومن منزل يتحول عنه لدار يدوم فيها ، ويغيب عنها امرؤ خاف الله ، هو إما بدل من امرء في قوله أخذ امرؤ او خبر مبتدأ محذوف كأنه لما قال أخذ أمرؤ من نفسه ، قيل له من ذلك المرء ، فقال : امرؤ خاف الله أي امرء وهذا الوجه عندي أقرب رحما إلى اسلوب البراعة .

* * *

٢٣٧ـ وَمِنْ خُطْبَة لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

في شأن الحكمين، وذم أهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ، عَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ. مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلاَ مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ.

ألا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ بِالأَمْسِ يَقُولُ «إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ» فَإِنْ كَانَ صَادِقاً. فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِوبْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَخُذُوا مَهَلَ الأَيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الإِسْلاَمِ.

أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى بِلاَدِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى؟.

الشرح

قوله عليه السلام: جفاة طغام، الطغام أرذال الناس الواحد والجمع فيه سواء.

عبيد أقزام: العرب تكنى عن شرار الناس بأنهم عبيد، وإن كانوا أحرارا، والقوم رذال الناس وسفلتهم والجمع أقزام.

من كل أوب: أي من كل ناحية.

والشوب: الخلط ويدرب: الدربة العادة أي يجعل ذا عادة حسنة بالتهذيب والتأديب.

ويولى عليه: ينصحب[1] له ولي يقوم بمصالحه.

الذين تبوأوا الدار: أي استوطنوا دار الايمان يعني مدينة النبي صلى الله عليه وآله لأنه دار هجرته.

اختاروا لأنفسهم: أي اختار الشاميون ابن العاص للتحكيم، فيحتال لهم على مقتضى هواهم ومناهم، وأنتم اخترتم أبا موسى الاشعري، وهو عبد الله بن قيس، وهولا يأتي إلا بما تكرهون، وهو شاك أو متهم، وكان يأمركم بالأمس بقطع أوتار القسي وإغماد السيوف وترك قتال أهل الشام إما شكا في

١ ــ اصهب الرجل ولد له الصهب من الاولاد والصهب محركة لون حمرة او شقرة في شعر الرأس وفي ض: ينصب.

الدين أو ميلا اليهم فعليكم أن تبعثوا بابن عباس فأبوا ذلك وقالوا إنه قريبك ، يميل اليك .

وحوطوا قواصي الاسلام : أي احفظوا إليهم ما بعد من بلاد الاسلام وأهلها ، والمهل السكون والمهل : جمع مهلة وروي بهما جميعا .

والصفا : الحجارة الملساء ، ورمي صفاتهم : كناية عن شن أهل الشام الاغارة على بلادهم ، ورميهم بكل داهية وهذا منتهى باب الخطب ومبدأ باب الكتب .

* * *

٢٣٨ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، (وظاهرهم عن باطنهم[1]) وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ: لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ، وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، هُمْ دَعَائِمُ الإِسْلاَمِ، وَوَلاَئِجُ الاِعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ[2]، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

١ ـ ساقطة من ل وش.

٢ ـ في ل: وانقطع لسانه من منبته.

٢٣٩ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

يحث أصحابه على الجهاد

وَٱللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ، وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ. فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ، وَٱطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ، لاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ، مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!!

الشرح

قوله عليه السلام: والله مستاديكم شكرا: أستأديته كذا طلبت منه أداه يعني أمركم بأداء حقه من الشكر ومورثكم أمره: كما قال تعالى: وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها[1]، ويجوز أن يريد بالأمر الملك أي جعلكم ملاكا وملوكا ذوي أمر ونهي، وحل وعقد.

وممهلكم في مضمار ممدود لتنازعوا سبقه: أي أمهلكم وانظركم في الدنيا بمنزلة الأفراس المضمرة التي تسمن ثم ينقص من علفها قليلا قليلا

١ ـ الاحزاب: ٢٧.

إلى ان تضمر ويخف لحمها فيكن اذ ذاك أقدر على العدو والسبق والمضمار الموضع والمدة التي يضمر الخيل فيها وهي أربعون يوما أي حلافكم في مضمار أعماركم، فتستعدوا للمسابقة والمنازعة في السبق إلى دار البقاء، أي جعل الدنيا مزرعة الآخرة، فعليكم باعداد الزاد فشدوا عقد المآزر شد عقد الازار كناية عن الجد في الأمر والانكماش والتشمير.

واطووا فضول الخواصر: من الطى وهو ضد النشر والخاصرة الشاكلة والخصر وسط الانسان والفضول الزوائد ووجدت في نسخةت صحيحة أطّروا فضول الخواصر، والطر الشق والقطع، ومنه الطرار وطرت يده أي سقطت، ويقال ضربة فاطر يده أي قطعها وأنذرها يعني اطووا او اقطعوا من ثيابكم، ما فضل وزاد على بدنكم، وهو كناية عن المبالغة في التشمير، عن ساق الجد أيضا لا يجتمع عزيمة ووليمة العزيمة الامر وقطع الرأي على فعل مديدة.

والوليمة طعام العرس يعني إن شرائف الأموروكرائمها التي يعزم المرء على تحصيلها لا يتيسر بالسهولة وخفض العيش، بل لابد فيها من احتمال المشاق واتعاب النفس وهذا قريب من قوله: لن تنالوا البر حتى تنفقوا(١)، وقال يحيى بن اكثم(٢): لا يدرك العلم براحة الجسم وهكذا سائر صفات الكمال

---

١ ــ آل عمران: ٩٢.

٢ ــ أبو محمد يحيى بن اكثم بن محمد المروزي، كان فقيها، بصيرا بالاحكام، وهو احد اعلام الدنيا وقد اشتهر أمره وعرف علمه ورياسته وسياسته لأمره وأمر اهل زمانه من الخلفاء والملوك واسع العلم كثير الأدب، حسن المعارضة.

كان المأمون ممن برع في العلوم فعرف من حال يحيى وما هوعليه من العلم والعقل ما اخذ بمجامع قلبه حتى قلّده قضاء القضاة وتدبير اهل مملكته، ناظره الامام الجواد محمد بن علي الرضا عليهما السلام عند المأمون في مسائل الحج والنكاح في محضر من الفقهاء والامراء فبهت يحيى وانكسر شوكته.

قد اشتهر يحيى بن اكثم بالفساد وملاعبة الشباب والغلمان وفي ذلك اكثر الشعراء في هجوه قال احمد بن

←

وغيرها لا يحصل الا بجهد وعناء ثم اكد ذلك بقوله .

ما أنقض النوم لعزائم اليوم : يعني من عزم في النهار أنه يصل الى المنزل يسري الليل فاذا دخل الليل نام فان ذلك يناقض عزمه وامحاء الظلم لتذاكير الهمم ، يعني اذا وقب الليل أدرك الساري طوارق الكسل ، وغلب على قلبه حب الرفاهية ، فنام ونسى ما قد عزم عليه وهمَّ به فيمحى ذلك من قلبه .

* * *

→ ابي نعيم :

أميرنا يرتشي وحاكمنا ... يلوط والرأس شر ما راس
قاضي يرى الحد في الزنا ولا ... يرى على من يلوط من باس
يحكم للامرد العزيز على ... مثل جرير ومثل عباس

وف ذلك يقول راشدبن اسحاق الكاتب :

وكنا نرجى ان نرى العدل ظاهرا ... فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط

قلت : اخباره كثيرة وفضائحه ومفاسده مذكورة في الاغاني و وفيات الاعيان وتاريخ بغداد وغيرها من كتب التراجم .

باب المختار من كتب مولانا اميرالمؤمنين عليه السلام
إلى أعدائه وأمراء بلاده

ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله، ووصاياه لأهله وأصحابه

١ـ من كتاب له عليه السلام

لأهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ علي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ؛ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ، وَأُقِلُّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ[1] سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ قَتَلوه[2]، وَبَايَعَنِي النَّاسُ

١ ـ في م: اكثر يسرهما.

٢ ـ في ب ول وش: فقتلوه.

غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ[1]، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ؛ فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

٢ ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إليهم، بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ ٱللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ[2] بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ؛ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

باب الكتب والرسائل

قوله عليه السلام: جبهة الانصار.

الجبهة من الناس، الجماعة وجبهة القوم، وجههم[3]، سيدهم، ووجه السلعة خيارها.

وسنام العرب أي أشرافها وأمجادها وأعلاها مراتب.

الوجيف: ضرب من سير الابل، وفي المثل أو جف فأعجف وقد قال عثمان حين همّ الناس به، وفيهم طلحة اللهم لا تحقق أمنية طلحة في

١ ــ في ب: جاشت الرجل.

٢ ــ في ل: عن بيت نبيكم.

الخلافة .

فلتة غضبت : أي غضب[1] صدر عن غفلة لا عن تدبر كما هو دأب نواقص العقول .

وأتيح له : أي قدر غير مستكرهين : بخط الرضي بكسر الراء من استكرهت الشيء بمعنى كرهته ، وبالفتح من استكرهته على كذا أي اكرهته .

قوله جاشت جيش المرجل : إخبار عن الفتن التي كانت في المدينة من بقايا فتن قتل عثمان وأحداثه ، وجاشت القدر غلت .

١ ــ في ض : اي غضب صدر عن غفلة .

٣ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

روى أن شريح بن الحارث قاضي أميرالمؤمنين عليه السلام اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك، فاستدعاه وقال له: بلغني انك ابتعت دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا[١] وأشهدت [فيه[٢]] شهودا، فقال[٣] شريح: قد كان ذلك يا أميرالمؤمنين؛ قال: فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له.

يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ٱبْتَعْتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ[٤]! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هٰذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذه الدارَ بدرهم فما فَوْقَهُ[٥] والنسخة هٰذِه.

---

١ ــ في ض وح: كتبت لها كتابا.
٢ ــ في ف ون ول: شهدت شهودا.
٣ ــ في ض وح: فقال له شريح.
٤ ــ في م ول وش: من غير حل لك.
٥ ــ في ض وح وب: فما فوق.

هٰذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ[1] قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ، وَتَجْمَعُ هٰذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الأَوَّلُ: يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الآفَاتِ، وَالْحَدُّ[2] الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ الدَّارِ!!

اشْتَرَى هٰذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هٰذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ، هٰذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا الْمُشْتَرِيَ فِيمَا اشْتَرَى[3] مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى[4] وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَالَدِ؛ إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ (وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْمُبْطِلُونَ) شَهِدَ عَلَى ذٰلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عَلاَئِقِ الدُّنْيَا.

١ـ في ب: من عبد قد ازعج.

٢ـ في ب: والثاني.

٣ـ في ض وب: فيما اشترى منه من درك.

٤ـ في ب: فاكثر فشيد.

الشرح

قوله عليه السلام: هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد أزعج للرحيل إلى آخره.

المردى: المهلك، والمغوى: الموقع في الغواية.

يسرع: أي يفتح ازعجه: أقلقه أدرك: لحق والدرك: التبعة.

مبليل الأجسام: مستاصلها، يعني الله تعالى: تبلبلت الابل الكلاء: اذا تتبعته فلم تدع منه شيئا، وأول ملك لقب بكسرى من ملوك العجم نوشروان وقيل: كسرى معرب خسرو، وقيل: معنى كسرى الملك العادل واول من لقب الروم بقيصر قسطس ومعنى قيصر شق عنه وذلك ان امه ماتت وهي حبلى فشق بطنها عنه واخرج فلقب بقيصر.

ثم قالوا لمن بعده من ملوك هذا البيت القياصرة وكانوا ينزلون رومية، وتبع اسم الملك الأعظم من ملوك اليمن والأذواء دون التبابعة، وتبع لقب لمن يملك بلادا كثيرة سوى اليمن، وسمي بذلك لأنَّ العساكر تبعوه وقيل التبع الفيء، يعني أنه ظلّ الله، وظل الأمان، والاذواء مثل ذي يزن، وذي حدن وذي رعين وذي المنار، ملوك لا يملكون إلا اليمن.

أول ملك من ولد قحطان، هو حميربن سبابن يشجببن يعرببن قحطان شيد البناء، وطوله ورفعه، وزخرفه وذهبَّ جدرانه ومجده وزين أرضه بالفرش والنجاد: الوساد.

شهد على ذلك العقل إذا خرج من اسر الهوى .

أي اذا كان أسيرا في مخالب الهوى لم يقبل العاقل الموعظة ، وما تفكر في العواقب ، وقد روي أن بعض أهل الكوفة اشترى أيضا دارا وناول أميرالمؤمنين عليه السلام رقا وقال له اكتب لي قبالة الشرى ، فكتب عليه السلام بعد التسمية هذا ما اشترى ميت من ميت دارا في بلدة المذنبين وسكة الغافلين ، الحدّ الأول منها ينتهي إلى الموت ، والثاني الى القبر ، والثالث إلى الحساب ، والرابع إما إلى الجنة وإما إلى النار ثم كتب عليه السلام :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها * إلا لمن كان قبل الموت بانيها
فان بناها بخير طاب مسكنها * وإن بناها بشر خاب ثاويها

* * *

٤ــ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ، فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ[1]، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ.

٥ــ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

إلى الأشعث بن قيس، وهو عامل أذربيجان

وإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلٰكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ.

لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بِوَثِيقَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَنْ لاَ أَكُونَ شَرَّ وُلاَتِكَ لَكَ وَالسَّلاَمُ.

---

١ ــ في ف وهامش ن : خير من شهوده.

الشرح

ان توانت الأمور بالقوم إلى الشقاق.

أي أذاهم الى الخلاف والعداوة.

فانهد: أي نهض، تقاعس: أي تأخر.

فان المتكارة مغيبه خير من مشهده لأنه عند الحاجة إليه يظهر ما في قلبه، ويتعدى شره الى غيره، والمغيب والمشهد بمعنى المصدر.

ليس لك أن تفتات السبق إلى الشيء في رعية، الافتيات افتعال من الفوت، وهو السبق إلى الشيء، من دون إثمار[1] من يشاور فيه، وافتات برأيه: أي استبد وانفرد، وقد روي بالهمز وروى تفتات أي تقع فيهم بما يسؤهم وروي تقتات بالقاف أي تخون بسبب طلب القوت..

ولا تخاطر: أي لا تراهن أو لا توقع نفسك في الخطر.

* * *

١ ــ اثمر القوم: أطعمهم من الثمار.

٦ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى معاوية

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ. فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضاً؛ فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ؛ فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلاَّهُ اللّٰهُ مَا تَوَلَّى.

وَلَعَمْرِي ـ يَا مُعَاوِيَةُ ـ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى، فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ[1]؛ وَالسَّلاَمُ.

---

١ ـ في ب ول : الا ان تجني ما بدالك .

الشرح

قوله عليه السلام: بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر.

كلام قاله عليه السلام: على مقتضى عقيدة القوم مداراة وتقية، وتقريبا لهم إلى الاجتماع والاتفاق وشق عصا الشقاق، وإلا فامامته كانت ثابتة بعد النبي بلا فصل، بالنص الصادر من النبي صلى الله عليه وآله على ما أفاضت اليه الأدلة اليقينية المستفيضة في مظانها.

والشورى: المشورة.

فتجن ما بدا لك: أي اسند لي ماشئت من ذنب لم أفعله.

* * *

٧ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إليه أيضا

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ! وَكِتَابُ امرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلاَ قَائِدٌ يُرْشِدُهُ؛ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لاَغِطاً[1]، وَضَلَّ خَابِطاً

وَمِنْ هٰذَا الْكِتَابِ: لأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلاَ يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ؛ الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ.

---

١ ـ في ب : هجر لاغطا خابطا.

٨ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى جرير بن عبد الله البجلي ، لما أرسله إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَخُذْهُ بِالأَمْرِ الجزْمِ ؛ ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ ؛ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ ، وَالسَّلامُ .

الشرح

يقال : بدا له رأي أي ظهر موعظة موصلة كأنه وصلها بكلام غيره أو وصل بعضها ببعض .

فهجر لاغطا : الهجر الهذيان واللغط الصوت والجلبة .

الخارج منها طاعن : أي من خرج من البيعة التي تولاه هو بنفسه وعدها من جملة دينه ، فهو طاعن في الدين .

والمروي فيها مداهن أي المفكر فيها بعد تحققها واستقرارها مصانع خائن ، عندهم .

حرب مجلية : من قولهم أجليته عن وطنه أي أخرجته قهراً او من قولهم : أجلوا عن القتيل : أي انفرجوا فأضاف الفعل الى الحرب اتساعا .

وسلم مخزية أي مهينة ، وروي مجزية بالجيم ، أي كافية والحرب أنث حملا على المحاربة والمسالمة .

فانبذني إليه : أي أرم إليه بالحرب وبما رامه أي حاربه أو اطرح إليه العهد والمصالحة ، ولا تحاربه ، على توهم بقاء الصلح كقوله تعالى : وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين[١] .

* * *

١ ـ الانفال : ٥٨ .

٩ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامْ

إلى معاوية

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ(١): مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْواً مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحَلِفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السيوف والاسنة(٢)، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلٰكِنْ آجَالُهُمْ

---

١ ــ في ح : من وراء حومته .

٢ ــ في ب : حر الأسنة والسيوف .

عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتُهُ اخرت[١]، فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي، الَّتِي لاَ يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لاَ أَعْرِفُهُ، وَلاَ أَظُنُّ ٱللّٰهَ يَعْرِفُهُ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا الأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلاَ إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ، وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ، وَزَوْرٌ لاَ يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ، وَالسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام: فأراد قومنا قتل نبيّنا إلى آخره.

الاجتياح: الاهلاك.

وأحلسونا الخوف: أي الزمونا‌ها أراد بذلك قريشا حين أخرجوا بني هاشم من مكة، وحبسوهم في الشعب وحرموا على أنفسهم مكالمتهم ومبايعتهم ومخالطتهم، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها من باب الكعبة، فبعث الله إليه الأرضة[٢] حتى أكلتها سوى اسم الله، وصارت يد الكاتب شلاء وهو منصوربن عكرمة.

---

١ ــ في ب: ومنيته اجلت.

٢ــ الارضة: دويبة تقرض الاخشاب وتعيش في البلاد الحارة.

واضطرونا إلى جبل وعر: أي الجأونا إلى أمر صعب.

فعزم الله لنا: أي أوجب علينا وحرضنا.

على الذبّ عن حوزته: أي على الدفع عن ناحية النبي صلى الله عليه وآله ومن أسلم من قريش.

خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه وعشيرة تقوم دونه.

أي كان من عد الهاشمين من مسلمي قريش خاليا فارغا من هذا البلاء الذي كان يخص بني هاشم، لكونهم على عهد من الكفار أو لكثرة عهدهم.

وكافرنا يحامي عن الأصل: يعني كان كفار بنى هاشم يذبون أيضا عن النبي صلى الله عليه وآله بسبب القرابة سوى أبي لهب وابنه.

وأحمر اليأس: أي اشتد القتال ومنه موت أحمر أي شديد وهو مأخوذ من لون السبع، على ما مرّ.

أحجم: أي تأخر.

وأراد من لو شئت ذكرت اسمه: عنى به نفسه وأدلى برحمه متّ بها وأدلى بحجته: احتج بها وأدلى بماله إلى الحاكم دفعه إليه.

ولا أظن الله يعرفه: يعني أنه بخلاف ما ادّعاه وأخبر به يعني أنه لم يكن، إذ لو كان لعرفه العالم لذاته.

* * *

١٠- وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

إلى معاوية

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا؛ دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا. وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَالاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مُنْجٍ[١]، فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ[٢] بِكَ، وَلاَ تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ؛ وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ (وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلاَةَ الأُمَّةِ، بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ، وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ؛ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ! وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ[٣]) مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ الأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ.

---

١ ــ في ن وب : من مجن.

٢ ــ في ب : لما نزل.

٣ ــ ساقطة من ف ون.

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَٱخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ، وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذٰلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذٰلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي! مَا ٱسْتَبْدَلْتُ دِيناً، وَلاَ ٱسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا؛ وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ، وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ[١] بِالأَثْقَالِ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي[٢] - جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ - إِلَى كِتَابِ ٱللهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ.

الشرح

قوله عليه السلام: وكيف أنت صانع إذا انكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه إلى آخره.

أي زال عنك ما تلبست به من زخارف الدنيا.

فاقعس: أي تأخر.

والأهبة: العدة، وشمر: أي جدّ واستعدّ.

١ــ في ش: ضجيج الجمل.

٢ــ في حاشية ش: يدعونني.

والمترف : الذي أطغته النعم ، فبطر لذلك .

تمادى : تفاعل من المدى ، وهو الغاية .

والغرة : الغفلة ، والأمنية : الطمع .

قاتل جدك : عني جدّا من قبل الأم ، وهو عتبة بن أبي ربيعة ، ضربه عبيدة بن الحارث ، فقطع رجله ولم يمت فجاء عليّ وقتله .

وخالك : هو الوليد بن عتبة ، قتله علي عليه السلام .

وأخيك : هو حنظلة بن أبي سفيان صنو معاوية من أبيه وأمه ، وفي غير هذا الكتاب وعمك : وهو شيبة .

والشدخ : كسر الشيء الأجوف .

الثائر : الطالب ، حائدة : أي عادلة عن الحق .

* * *

١١ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ[1] الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ؛ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً وَدُونَكُمْ مَرَدًّا، وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ[2] أَوِ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ؛ لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلاَ تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً.

---

١ ــ في ب : وسفاح الجبال .

٢ ــ في ض وح وب : من وجه واحد او اثنين .

الشرح

قوله عليه السلام: فاذا نزلتم بعدوّ إلى آخره.

في قبل الأشراف: أي قدام الجبال العالية وسفح الجبل حضيضه وأسفل.

وأثناء الأنهار: منعطفاتها، والمعسكر: موضع العسكر، وهو الجيش العظيم.

والمقاتلة: بفتح التاء المصدر وبكسرها الفرقة أو الجماعة المقاتلون.

وصياصي الجبال: أعاليها والصياصي الحصون، وصياصي البقر قرونها.

والهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض.

والعيون: الجواسيس.

واجعلوا الرماح كفة: أي كفاحا أو ما يكفون به وتدفعون، أو مجموعة محفوفة بها أنفسكم، فقيل: أي لتكن الرماح حولكم ككفة الميزان وكفة الصائد وما أشبهها.

والغرار: النوم القليل.

ومضمضمة: أي تحريكا للأجفان وتمضمض النعاس في عينه تحرّك.

• • •

١٢ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له

اتَّقِ ٱللهَ الَّذِي لاَبُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلاَ مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ، وَلاَ تُقَاتِلَنَّ إلَّا مَنْ قَاتَلكَ، وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ، وَرَفِّهْ فِي السَّيْرِ، وَلاَ تَسِر أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإنَّ ٱللهَ جَعَلَهُ سَكَناً، وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لاَ ظَعْناً، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ، فَإذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ[1] السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ؛ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ ٱللهِ، فَإذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً، وَلاَ تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلاَ تَبَاعَدْ مِنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إلَيْهِمْ.

١ ــ في حاشية ن : حتى ينسلخ السحر وفي ل وش : ينتطح السحر.

الشرح

قوله عليه السلام: ومن وصيته لمعقل الرياحي حين أنفذه إلى الشام.

ع ــ الذي يوجد في التواريخ أنه عليه السلام بعث معقلا[١] إلى حريث الخارجي برام هرمز[٢] ولم يوجد في التواريخ أنه بعثه إلى الشام.

البردان والأبردان: الغداة والعشي.

وغوّر بالناس: أي أنزل بهم ليغوروا أي ليقتلوا، والغائرة الظهيرة.

وروّح ظهرك: أي ظهر ما تركبه من خيلك وإبلك أو ظهر نفسك لتستريح[٣] من تعب السفر.

ورفه في السير: أي هون عليك وعلى دابتك، وروّح ولا تتعب.

وجعل الله الليل سكنا: أي يسكن فيه.

الظعن: الارتحال، ينبطح: أي يتسع.

ينفجر: أي ينشق، ينشب: يعلق.

* * *

١ ــ معقل بن قيس الرياحي من امراء جند الامام أمير المؤمنين عليه السلام، وجهه علي بن ابي طالب من المدائن في ثلاثة آلاف وأمره ان يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة عند مسيره إلى صفين، وكان معقل معه في حرب الخوارج وله حروب معهم مذكورة في كتب التواريخ.

٢ ــ رام هرمز رام بالفارسية: المراد والمقصود وهرمز احد الا كاسرة ومعناها مقصود هرمز وهي مدينة بخوزستان تجمع النخل والجوز والا ترنج وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوزستان.

٣ ــ في الأصل: لم تريح من تعب السفر.

١٣ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى أميرين من أمراء جيشه

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلاَهُ دِرْعاً وَمِجَنًّا؛ فَإِنَّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ، وَلاَ سَقْطَتُهُ وَلاَ بُطْؤُهُ عَمَّا الإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلاَ إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

الشرح

ج ـ حث أميرالمؤمنين عليه السلام مالك بن الحارث الأشتر إلى أهل الرقة[1] بلدة بالشام حين قطعوا الجسر، ولم يتمكن أميرالمؤمنين مع عسكره[2] من العبور، والأميران اللذان بعثهما على تقدمة العسكر هما زياد ابن النضر[3] وشريح[4] بن الهاني، ثم أرسل إلى أثرهما مالك[5] الأشتر.

الحيز: الناحية وأصله من حاز أي جمع والحزم، الأخذ بالثقة.

أمثل: أي أحسن، وأخير.

* * *

١ ـ الرقة بفتح أوله وثانيه وتشديده وهي مدينة مشهورة على الفرات بينها و بين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي.

٢ ـ في ض : مع عساكره.

٣ ـ زياد بن النضر الحارثي كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ارسله مع شريح بن هاني في أربعة آلاف إلى معاوية قبل خروجه من النخيلة الى صفين.

٤ ـ شريح قاضي الكوفة هو الذي استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضيا ستين سنة الا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع القضاء ثم استعفى الحجاج فعفاه ولزم منزله إلى ان مات سنة سبع وثمانين وله أخبار وحكايات نادرة.

٥ ـ مالك بن الحارث النخعي المجاهد في سبيل الله والسيف المسلول على اعداء الله الذي مدحه سيد اولياء الله كان حارثا شجاعا ورئيسا من أكابر الشيعة وعظمائها شديد التحقق بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ونصره، وكان فصيحا شاعرا وجوادا حليما.

١٤ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ ـ بِحَمْدِ ٱللهِ ـ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً، وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ، فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

الشرح

قوله عليه السلام : لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم بالقتال .

يجب على الامام أن يدفع أهل البغي ويجهز الجيش[١] إليهم ويدعوهم إلى الجماعة ويعرض أولا عليهم التوبة ، وإذا انهزم أهل البغي فلا يجوز أن يقفوا الامام أثرهم ، ولا من تتبع الامام ، ولا يقتل المجروحون فان الغرض من هذا القتال دفع شرور أهل البغي وبالجرح يحصل الدفع ، فلا يحتاج إلى القتل وقد يقتل المجروحون إذا كان لهم مقدم ، ومتبوع يؤون إليه .

كانت الهزيمة : أي هزيمة العدو، معورا : أي مريبا أي لا تقتلوا إلا من تقطعون أنه من جملة الأعداء وربما تختلط الجيشان ولا يتعارفان ، وقيل هو من أعور الفارس إذا ظهر للخصم فيه موضع ، للضرب ، أو انهزم أي إذا أمكنك قتل منهزم في حال إنهزامه ، فلا تقتله .

ولا تجهزوا على جريح : أي لا تتمنوا قتله .

ج ــ هذه الوصية لعسكره لا يجوز أن يكون بصفين ولعلها كانت بالجمل لأن هذه الأحكام الّتي أمربها يختص بالبغاة الذين لا يكون لهم رئيس ، وفئة يرجعون إليه ، فلا يجهز على جرحاهم ، ولا يتبع مدبرهم ، وأما إذا كان لهم رئيس فكلا الأمرين جائز فيه .

---

١ ــ في ض : ويجهز الجيوش اليهم .

ولا تهيجوا النساء: أي لا تثوّروا غضبهن.

وإن كان الرجل ليتناول، إن هي المخففة من الثقيلة، والاسم مقدر، وكذلك في أن كنا.

والفهر: الحجر، ملأ الكف يذكر ويؤنث والجمع الأفهار، وتصغيرها فهيرة، ومنه سمي عامربن فهيرة[١].

والهراوة: العصا، والعقب: ولد الرجل ذكرا وأنثى.

قوله عليه السلام وعقبه من بعده: عطف على الضمير المستكنّ في يعير، وجاز ذلك، وحسن من غير ابراز الضمير للفصل الذي هو بها، ولو لا هو، لما حسن كما قاله الفارسي[٢] الفارس في ميدان النحو في قوله تعالى: «ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا[٣]» إن الفصل بكلمة لا حسن ترك إبراز الضمير.

* * *

١ ــ عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يكني أبا عمرو، أسلم قبل ان يدخل رسول الله صلى عليه وآله دار الأرقم، اسلم وهو مملوك وكان حسن الاسلام وعذب في الله فاشتراه أبوبكر فاعتقه، شهد عامر بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة وهو ابن أربعين سنة.

٢ ــ ابو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي الفسوي الفارسي، فارس ميدان العلم والأدب قدم بغداد واشتغل بها سنة ٣٠٧ وكان امام وقته في النحو، واقام مجلب عند سيف الدولة مدة وجرت بينه وبين المتنبي مجالس وصنف كتبا كثيرة واشتهر ذكره في الافاق مات سنة ٣٧٧.

٣ ــ الانعام: ١٤٨.

١٥ــ وكان يقول عليه السلام

إذا لقي العدو محاربا :

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ.

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مكنون الشَّنَآنِ[1]، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ).

---

١ ــ في ب ول : مكتوم الشنآن.

الشرح

اليك أفضت القلوب : يعني بأسرارها .

ومدت الأعناق : ذلا وانقيادا .

وشخصت الأبصار : ويقال شخص بصره أي ارتفع بفتح عينه ، وجعل لا يطرف عند ورود أمر على الناس بقلقلة[١] .

وانضيت الأبدان : هزلت .

وصرح مكنون الشنان : ظهر مستور العداوة .

وجاشت مراجل الأضغان : في غاية البلاغة أي اشتدّ الغضب والغضب هو غليان دم القلب ، إرادة للانتقام ، فشبه ذلك بارتفاع ما في المرجل[٢] بالغليان .

وتشت الأهواء : اختلاف الارادات والدواعي وتفرقها .

وافتح : أي احكم ، والفتاحة الحكومة .

* * *

١ ـــ القلقلة : الخفة والاسراع وتقلقل في صدره : أي تتحرك بصوت شديد واصله الحركة والاضطراب .

٢ ـــ المرجل : القدر وخزان الماء في الآلات البخارية .

١٦ـ وكان عليه السلام يقول

لأصحابه عند الحرب

لاَ تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلاَ جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطِّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا، وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدعسيّ ، وَالضَّرْبِ الطَّلَخْفَي، وَأَمِيتُوا الأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا، وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ!!

الشرح

واعطوا السيوف حقوقها : أي اضربوا بها ضربا لا ابقاء فيه ولا[١] محاباة .

ووطنوا للجنوب مصارعها : أي استعدوّا للقتل وطيبوا أنفسكم له بحيث لا تبالون به ولا تخافون منه .

واذ مروا أنفسكم : حرّضوها .

على الطعن الدعسيّ : الدعس الطعن الذي له أثر، وطريق دعس كثير الآثار، وقيل دعست الوعاء أي حشوته أي طعن يحشو الاحشاء .

وضرب طلحف : بزيادة اللام مثل خنجر أي شديد والطلحف همّ يغشى القلب ، وادخل ياء النسب في الكلمتين للتحقيق والتمكين ، كما يقال للثوب المحمر جدا ثوب احمريّ وقال الشاعر :

والدهر بالانسان دوّاري .

أي دوّار .

وأميتوا الأصوات : الزموا السكوت ، فانه يسكن القلوب ، ويقارنه الهيبة ، ثم اقسم أن البغاة ما أسلموا حقيقة ولا دخل الايمان في قلوبهم لكن اظهروا الشهادة خوفا .

* * *

١ ــ حابي محاباة الرجل : نصره واختصه دون سواه .

١٧ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى معاوية، جوابا عن كتاب منه إليه

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ، (وَأَمَّا قَوْلُكَ «إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ» أَلاَ وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى[1] النَّار). وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ «إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ» فَكَذٰلِكَ نَحْنُ، وَلٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلاَ حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلاَ أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلاَ الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلاَ الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلاَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفاً يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ. وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً،

١ ــ ساقطة من ف ون.

وَأَسْلَمَتْ لَهُ هٰذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلاَ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً.

الشرح

قوله عليه السلام: واما طلبك الى الشام فاني لم اكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

حدثني مولاي وسيدي الشيخ الأمام الأجلّ الأفضل العلامة نصيرالدين، ظهير الاسلام، عمدة الحق ثمال[1] الأفاضل عبد الله بن حمزة الطوسي أدام الله ظلّ سموه وفضله للاسلام وأهله ممدودا ومشرع نكته وفوائده لعلماء العصر مشهود اقرأت عليه بسافزوار[2] بيهق، في شهور ثلاث وسبعين وخمس مائة، عن الشيخ الأمام عفيف الدين محمد بن الحسين الشوهاني سماعا عن شيخه الفقيه، علي بن محمد القمي، عن شيخه المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقرى الرازي، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي.

عنه عن الشيخ الامام جمال الدين أبي الفتوح الرازي صاحب التفسير عن المفيد عبد الجبار أيضا، وعنه عن السيد الامام الشريف أبي الرضا الراوندي عن الحلبي: عن جعفر، وعنه عن الشيخ الامام عماد الدين

---

١ ــ الثمال: الملجأ والغياث وقيل هو المطعم في الشدة وفي شعر ابي طالب يمدح النبي صلى الله عليه وآله:

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

٢ ــ سبزوار بفتح السين وسكون الباء وبعدها زاء بلدة مشهورة بخراسان وهي قصبة كورة بيهق ذات بساتين وقرى كثيرة عامرة تعد اليوم من امهات بلاد خراسان بينها وبين مشهد الامام الرضا نحو اربعين فرسخا خرج منها جماعة من أهل العلم والادب قديما وحديثا.

محمد ابن أبي القاسم الطبري عن الشيخ الامام ابي علي بن أبي جعفر الطوسي عن أبيه قال .

حدثني الشيخ المفيد أبو عبد الله محمدبن محمد النعمان الحارثي ، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب[١]، حدثنا الحسن بن علي بن عبد الكريم[٢]، حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي[٣]، حدثنا عبد الله بن أبي هاشم[٤]، حدثنا عمرو ابن ثابت[٥]، عن جبلة بن سحيم[٦] عن أبيه قال :

لما بويع أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، بلغه أن معاوية قد توقف في إظهار البيعة له ، وقال إن أقرني على الشام وأعمالي التي ولانيها عثمان بايعته ، فجاء المغيرة بن شعبة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وقال له : يا أميرالمؤمنين ! إن معاوية من قد علمت ، وقد ولاه الشام من كان

---

١ ــ علي بن محمد ابو الحسن الكوفي كان فقيها من وجوه الشيعة وله كتاب في الامامة .

٢ ــ لم نجد له ذكرا في كتب رجال الحديث .

٣ ــ ابراهيم بن محمد الثقفي عن يونس بن عبيد قال ابن ابي حاتم هو مجهول وقال البخاري لم يصح حديثه ، قال ابن حبان في الثقاة ابراهيم بن محمد الثقفي يروي عن هشام بن عروة وروى عنه سعيد بن ابي ايوب وقال ابن عدي : ابراهيم بن محمد الثقفي عن يونس بن عبيد لم يصح حديثه .

٤ ــ لم نجد عبد الله بن ابي هاشم في كتب الرجال ولعله عبد الله بن هاشم بن حيان ابو محمد الرازكاني الذي روى عن ابن عيينه ويحيى القطان ووكيع وغيره وحج سنة ٢٠١ وكان معروفا بطلب الحديث ورحلوا اليه وكتبوا عنه .

٥ ــ عمرو بن ثابت بن هرمز ابو محمد البكري روى عن أبيه وابي اسحاق السبيعي والاعمش وغيرهم ، وروى عنه ابو داود الطيالسي وسهل بن حماد وعيسى بن موسى غنجار، قال ابن المبارك لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت فانه كان يسب السلف قال ابو حاتم كان شديد التشيع وهو الذي قال : لما مات النبي صلى الله عليه وآله كفر الناس الا خمسة،قال الساجي كان ينال من عثمان ويقدم عليا على الشيخين.

٦ ــ جبلة بن سحيم الشيباني ابو سويرة ويقال ابو سريرة الكوفي روى عن ابن عمر وابن الزبير وحنظلة الأنصاري ، وعنه ابو اسحاق الشيباني والثوري وحجاج بن ارطأة ، كان امام مسجد قبا وله صحبة ، ليس حسن الحديث وقال العجلي والنسائي ثقة وقال ابو حاتم : ثقة صالح .

قبلك فوله أنت كيما ينسق عرى[١] الأمور، ثم اعزله إن بدالك .

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام : أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه، قال : لا، قال : لا يسألني الله عزوجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة[٢] سوى أو ما كنت متخذ المضلين عضدا لكني أبعث إليه فأدعوه إلى ما في يدي من الحق، فان أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فان أبي حاكمته إلى الله فولى المغيرة[٣] وهو يقول : فحاكمه، إذن فحاكمه اذن، وأنشاء يقول :

نصحت عليا في ابن حرب نصيحة ٭ فرد فما منى له الدهر ثانية
ولم يقبل النصح الذي جئته به ٭ وكانت له تلك النصيحة كافية
وقالوا له ما أرخص النصح كله ٭ فقلت له إن النصيحة غالية

فقام قيس بن سعد[٤] رحمه الله وقال : يا أميرالمؤمنين ! إن المغيرة أشار إليك بأمر لم يرد الله به، فقدم فيه رجلا وأخر فيه أخرى، فان كان لك الغلبة تقرّب إليك النصيحة، وإن كانت لمعاوية تقرّب إليه بالمشورة، ثم انشأ في

١ ــ يعني تمت بيعتك وخلافتك وخضعت اعناق المنافقين والمستكبرين، و بايعت لك جميع البلاد .

٢ ــ في ض : ليلة سوداء ابدا ما كنت .

٣ ــ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر أبوعيسى الثقفي شهد الحديبية وما بعدها، قال ابن سعد : كان يقال له مغيرة الرأي وشهد اليمامة وفتوح الشام والقادسية . ولاه عمر بن الخطاب البصرة فلما شهد عليه عنده عزله، ثم ولاه الكوفة واقره عثمان عليها ثم عزله، وولاه معاوية الكوفة، وهو الذي اشار الى معاوية بولاية العهد ليزيد وقصته مع ابي بكرة وشهادته على المغيرة معروفة، مات سنة ٥١ .

٤ ــ قيس بن سعد بن عبادة أبوعبد الله الخزرجي الأنصاري المدني، قال أنس بن مالك : كان قيس بن سعد من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير روى عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أبيه، روى عنه انس وعبد الرحمان وعامر الشعبي وغيرهم .

قال الحميدي : كان قيس بن سعد رجلا ضخما جسيما وكان اذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض، وفي منهج المنال قيس بن سعد من السابقين الذين رجعوا الى أمير المؤمنين عليه السلام وهو مشكور، قال خليفة توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية وقال ابن حبان سكن تفليس ومات بها في ولاية عبد الملك .

ذلك أبياتا .

الطليق : من يؤسر ثم يمنّ عليه فيطلق ، فكان معاوية وأبوه من الطلقاء[1] .

واللصيق والمصلق الدعي ، وهو من ينسب إلى قوم ولم يكن منهم .

والصريح : الخالص النسب .

وأدغل في الأمر : أدخل فيه ما يخالفه ويفسده .

نعشنا : رفعنا ، على حين : فان الظرف إذا اضيف إلى الجمل سيما إلى الفعل الماضي فانه يبنى على الفتح ووجهه مذكور في الدرر .

* * *

١ ــ الطلقاء : أهل مكة من قريش وغيرهم ، وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله لما فتح مكة واستقر بها ، وصار أهلها عبيد واماء له ، فخطب الناس وقال : اذهبوا وأنتم الطلقاء .

١٨ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامْ

إلى عبد الله بن عباس، وهو عامله على البصرة

وَاعْلَمْ(١) أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ.

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا(٢)، فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللهُ ـ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ: وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ؛ وَالسَّلَامُ.

---

١ ــ في ن وف وم: اعلم ان البصرة.

٢ ــ في ك: على قطعها.

الشرح

قوله عليه السلام لابن عباس بلغني تنمرّك لبني تميم.

قال الأصعمي تنمرّ له: أي تنكر وتغير وأوعده لأنّ النمر لا يلقاه إلا وهو متنكر غضبان وقول الشاعر:

قوم إذا لبسوا الحديد تنمرّوا حلقا[١] وقدّا[٢].

أي تشبهوا بالنمر لاختلاف القد والحديد، وحقيقة تنمر تشبه بالنمر في الشجاعة.

والوغم: الترة[٣] والحقد.

إن لهم بنا رحما ماسة: القرابة بين بني هاشم وبني تميم إن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وتميم بن مرّ بن ادبن طانجة بن إلياس بن مضر.

ومأزورون على قطعها: أصله موزورون لأنه من وزر الرجل يوزر فهو موزور، إلا أنه قلب ليجانس، قوله مأجورون، ومثله في الحديث ارجعن

١ ــ الحلق بسكون اللام: السلاح عاما وقيل: هي الدروع خاصة.

٢ ــ القد بالكسر: السوط وايضا وتر القوس.

٣ ــ الترة: النقص.

مأزورات غير مأجورات .

واربع على ظلعك : مثل ، أي ارفق بنفسك ويقال : اربع أي أقم في المربع ، وقال الزمخشري : اربع على ظلعك : أي ابق في غمرك ، قال كثير:

وكنت كذات الظلع لما تحاملت * على ظلعها يوم العثار استقلت

يضرب في النهي عن التحمل فوق الطاقة ، فقوله اربع فيما جرى على يدك ولسانك أي توقف وتأن في مثل ما صدر منك ، من التغضب والتنمر على بني تميم ، وأبو العباس كنية عبد اللهبن العباس ، والعرب تدعو بالكنى تكرمة قال الشاعر:

اكنيه حين أناديه لأكرمه .

ولا يفيلنَّ رأيي فيك : أي لا يضعفن رأيي في حقك .

* * *

١٩ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً[1] وَقَسْوَةً، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً؛ وَنَظَرْتُ[2] فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوا لِشِرْكِهِمْ، وَلاَ أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ؛ فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ، وَدَاوِلْ[3] لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ.

٢٠ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة، وعبد الله خليفة أمير المؤمنين على البصرة والأهواز وفارس وكرمان.

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الْأَمْرِ؛ وَالسَّلاَمُ.

---

١ ـ في ش: قسوة وغلظة.

٢ ـ في ش: فنظرت.

٣ ـ في ف ون وم: وداول بهم.

٢١ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إليه أيضاً

فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ.

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ[1] وَالأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا سَلَفَ[2]، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلامُ.

٢٢ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى عبد الله بن العباس رحمه الله

وكان عبد الله يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كانتفاعي بهذا الكلام.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ؛ وَيَسُوءُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ؛ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَافَاتَكَ مِنْهَا؛ وَمَانِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَافَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً؛ وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

---

١ ــ في ح: ان تمنعه.

٢ ــ في ض وح وب: بما اسلف.

٢٣ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

قاله قبل موته على سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ: أَقِيمُوا هٰذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، (واوقدوا هذين المصباحين[1]) وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ.

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ؛ وَغَداً مُفَارِقُكُمْ! إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي؛ وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ؛ فَاعْفُوا (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللهُ لَكُمْ)؟

وَٱللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ؛ وَلاَ طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ؛ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ، وَطَالِبٍ وَجَدَ (وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ).

قال الرضي رحمه الله، وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب، إلا أن فيه ههنا زيادة أوجبت تكريره.

١ ـــ ساقطة من ف ون ول وش.

الشرح

الدهقان : معرب فان جعلت نونه أصلية صرفته لأنه فعلال وإن جعلته من الدهق لم تصرفه لأنه فعلان .

وداول بهم : من دالت الأيام أي دارت .

الضئيل : النحيف ، استعارة للأمر الحقير .

متمرغ : في النعيم أي منقلب من تمرغ في التراب .

أقيموا هذين العمودين : أي التوحيد وإتباع سنة محمد صلى الله عليه وآله .

ج ــ يعني الشهادتين وما يتبعهما .

ع ــ يعني القرآن والعترة .

وخلاكم ذمّ : أي جاوزكم وهو مثل ما فجاءني من الموت .

وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته : دليل على مقام عال من مقامات الأولياء فان أولياء الله لا يكرهون الموت[1] .

والقارب : من يكون بينه وبين الماء ليلة .

* * *

---

١ ــ في ض : لا يكرهون لقاء الله وهو بالموت .

٢٤ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد منصرفه من صفين

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ، لِيُولِجَهُ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الأَمَنَةَ(١).

منها : وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذٰلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ(٢)، وَيُنْفِقُ في الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ، وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ.

وَإِنَّ لِبَنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ؛ وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذٰلِكَ إِلَى ٱبْنَيْ فَاطِمَةَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ ٱللهِ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ.

وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ الْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ، وَأَنْ لاَ

---

١ ـ في ن وش : ويعطيني الامنة وفي ح وب : ليولجه به الجنة ويعطيه به الامنة.

٢ ـ في ب : وينفق في المعروف وفي ح : وينفق منه المعروف.

يَبِيعَ(١) مِنْ أَوْلاَدِ نَخِيلِ هٰذِهِ الْقُرَى وَدِيَّةً، حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً.

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ: قَدْ أُفْرِجَ عَنْهَا الرِّقُّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

قال الرضي: قوله عليه السلام في هذه الوصية «أن لا يبيع من نخيلها ودية»: الودية: الفسيلة، وجمعها ودي، وقوله عليه السلام «حتى تشكل أرضها غراسا» هو من أفصح الكلام، والمراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها.

١ ــ في م ون وف: وان لا يبيع من نخل.

٢٥ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات، وإنما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه كان يقيم عماد الحق، ويشرع أمثلة العدل: في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها.

آنْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى ٱللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَلاَ تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً، وَلاَ تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً؛ وَلاَ تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ ٱللهِ فِي مَالِهِ؛ فَإذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ آمْضِ إلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؛ وَلاَ تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ ٱللهِ، أَرْسَلَنِي إلَيْكُم وَلِيُّ ٱللهِ وَخَلِيفَتُهُ لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ ٱللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ؛ فَهَلْ لِلهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إلَى وَلِيِّهِ؟ فَإنْ قَالَ قَائِلٌ: لاَ! فَلاَ تُرَاجِعْهُ وَإنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ، فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ وَتُوعِدَهُ، أَوْ تَعْسِفَهُ، أَوْ تَرْهَقَهُ! فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ؛ فَإنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْهَا إلَّا بِإذْنِهِ؛ فَإنَّ أَكْثَرَ هَالَهُ؛ فَإذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ

تَدْخُلْ[١] عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلاَ عَنِيفٍ بِهِ، وَلاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلاَ تُفْزِعَنَّهَا، وَلاَ تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ: فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقي[٢] صَدْعَين، ثُمَّ خَيِّرْهُ: (فَاذَا اخْتَارَ[٣]) فَلاَ تَعَرَّضَنَّ لما اخْتَارَهُ، فَلاَ تَزَالُ كَذٰلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ اللهِ مِنْهُ، فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، (ثُمَّ اخْلِطْهُمَا[٤]) ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ. وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً، وَلاَ هَرِمَةً، وَلاَ مَكْسُورَةً، وَلاَ مَهْلُوسَةً، وَلاَ ذَاتَ عَوَارٍ، وَلاَ تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلاَ تُوَكِّلْ بِهَا إلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً، غَيْرَ مُعَنِّفٍ وَلاَ مُجْحِفٍ وَلاَ مُلْغِبٍ وَلاَ مُتْعِبٍ، ثُمَّ احْدُرْ إلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ، نُصَيِّرْهُ[٥] حَيْثُ أَمَرَ اللهُ بِهِ فَاذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إلَيْهِ أَنْ لاَ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلاَ يُمَصِّرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذٰلِكَ بِوَلَدِهَا وَلاَ يَجْهَدَ نَهَارُ كُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذٰلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللاغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ، وَلاَ يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الأَرْضِ إلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ،

---

١ ــ في ف : فلا تدخلها دخول مفسد .
٢ ــ في ك وح : واصدع المال صدعين .
٣ ــ ساقطة من ن .
٤ ــ ساقطة من ح .
٥ ــ في ض وح وب : عندك حيث امر الله .

وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِينَا، بِإِذْنِ ٱللهِ، بُدُناً مُنْقِيَاتٍ، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلاَ مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ ٱللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

الشرح

وأصدره مصدره: الضميران للأمر ويجوز أن يكون الثاني للحسن عليه السلام، ومصدره روي بفتح الميم وضمها.

الودى: على فعيل صغار الفسيل[1] الواحدة ردية.

حتى يشكل أرضها غراسا: يقال أشكل النخل أي طاب رطبه وأدرك وتشكل العنب أينع بعضه.

ولا تخدج بالتحية لهم: أخدجت الناقة أي ألقت ولدها قبل تمام الأيام، وإن كان تام الخلق وأخدجت السحابة قل مطرها اراد لا تبخل بالسلام عليهم، ولا تقله بك أفشه.

وإن أنعم لك منعم: أي قال لك نعم.

تعسفه: أي تظلمه، ترهقه، تكلفه عسرا وأراد بالماشية الغنم والبقر.

واصدع الباقي صدعين: أي فرقه فرقتين.

والعود: المسن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل[2].

والهزمة: الكبيرة السنّ، المكسورة: التي انكسرت إحدى قوائمها.

والمهلوسة: التي بها الهلاس وهو السلّ.

---

١ ــ الفسيل: الرديء الرذل من كل شيء.

٢ ــ البازل من الابل تم ثماني سنين ودخل في التاسعة وحينئذ يطلع نابه وتكمل قوته.

والعوار[١] : العيب بفتح العين وقد يضم عن أبي زيد، والظاهر من كلامه عليه السلام أنه يأمر باخراج كل واحدة من هذه الأصناف الخمسة من القطيع قبل أن تفرقها فرقتين .

والمجحف : الذي يسوق المال سوقا عنيفا تذهب لحمه ، يقال ؛ أجحف به أي ذهب به ، وسيل جحاف أي يجرف كل شيء ويذهب به .

والملغب : المتعب ، واللغوب الأعياء .

واوعز إليه ؛ أي مره وظفه .

ولا يمصر لبنها ، أي لا يحلب لبنها كله بحيث لا يترك منها شيئا فانه يضر بولدها قال ابن السكيت : حلب[٢] كل ما في الضرع ، والتمصر حلب بقايا اللبن في الضرع .

وليرفه على اللاغب : أي ليرج المعيي والترفية الترك في الراحة .

وليستانّ : من الاناة ، وهو الرفق .

والنقب : البعير الذي رق أخفاقه والمنقى ذو النقى وهو المخ .

* * *

١ـــ في ض : العوار: العيب .

٢ـــ في ض : قال ابن السكيت في الراحة حلب الخ .

٢٦ـ وَمِنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

إلى بعض عماله، وقد بعثه على الصدقة

آمُرُهُ بِتَقْوَى ٱللهِ فِي سَرَائِرِ أمْرِهِ وَخَفِيَّات عَمَلِهِ[١]، حَيْثُ لاَ شَهِيدَ[٢] غَيْرُهُ، وَلاَ وَكِيلَ دُونَهُ.

وَآمُرُهُ أنْ لاَ يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلاَنِيَتُهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ؛ فَقَدْ أدَّى الأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ وَآمُرُهُ أنْ لاَ يَجْبَهَهُمْ، وَلاَ يَعْضَهَهُمْ، وَلاَ يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإمَارَةِ عَلَيْهِمْ؛ فَإنَّهُمُ الإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالأَعْوَانُ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ.

وَإنَّ لَكَ فِي هٰذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً، وَحَقّاً مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أهْلَ مَسْكَنَةٍ، وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ؛ وَإنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ! وَإلاَّ فَإنَّكَ مِنْ أكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٣]؛ وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ ٱللهِ الْفُقَرَاءُ،

---

١ ــ في ش : خفيات اعماله.

٢ ــ في ض وح : حيث لا شاهد وفي ب : حيث لا شهيد غيره ولا دليل.

٣ ــ في ش : يوم القيامة خصوصا.

وَالْمَسَاكِينُ، وَالسَّائِلُونَ، وَالْمَدْفُوعُونَ، وَالْغَارِمُ[١]، وَابْنُ السَّبِيلِ!! وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا؛ فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ في الدُّنْيَا (الذُّلَّ وَالْخِزْيَ)، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى؛ وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ؛ وَالسَّلاَمُ.

٢٧ـ وَمِنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى محمدبن أبي بكر، رضي الله عنه حين قلده مصر

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ[٢] لَهُمْ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّ اللهَ تَعَالَى[٣] يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ؛ وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ: فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ؛ وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ: سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا

١ــ في ح : والغارمون.

٢ــ في ف : في حيفك ولا تيأس.

٣ــ في ض وح وب : فان الله تعالى.

بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ، وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ: أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ ٱللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ، لاَ تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلاَ يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ، فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ: بِخَيْرٍ لاَ يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً، أَوْ شَرٍّ لاَ يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً! فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا؟ وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ[1] الْمَوْتِ: إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ! الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالدُّنْيَا تُطْوَى[2] مِنْ خَلْفِكُمْ، فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ: دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلاَ تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ، وَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ ٱللهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ[3] بِهِ؛ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلهِ.

وَٱعْلَمْ، يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي: أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ[4] دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلاَ تُسْخِطِ ٱللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ فِي ٱللهِ

---

١ ـ في ش: وانكم طرداء الموت.
٢ ـ في ف وش: والدنيا تطوى خلفكم.
٣ ـ في ب: وان يحسن ظنكم فاجمعوا.
٤ ـ في ك ون: وان تنافح في دينك.

خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ.

صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ، وَٱعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ.

وَمِنْ هٰذَا العَهْدِ أَيْضاً

فَإِنَّهُ لاَ سَوَاءٌ: إِمَامُ الْهُدَى، وَإِمَامُ الرَّدَى؛ وَوَلِيُّ النَّبِيِّ، وَعَدُوُّ النَّبِيِّ. وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلاَ مُشْرِكاً: أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ ٱللهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ ٱللهُ بِشِرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ[1] كُلَّ مُنَافِقِ الْجِنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ: يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ».

الشرح

قوله عليه السلام ولا دليل دونه: أي لا حفيظ سوى الله.

ولا يجبههم: يقال جبهته أي صككت جبهته وجبهته بالمكروه استقبلته به، والجبه الرد.

وعضهه عضها: أي رماه بالبهتان.

فان يعذب فانتم أظلم: أي ظالمون لأن أفعل، إنما تدخل على أشياء يتساوى ويفصل أحدها وإنما جيء بلفظ أفعل لأنه لازدواج أكرم قال تعالى:

---

١ ــ في هامش ن: اخاف عليهم.

وهو أهون عليه، أي هين عليه إذ لا يصعب عليه شيء، ومن فسر الآية بأن الاعادة أهون عندهم من الابتداء، فكذا هاهنا.

والمتجر: الرابح: كقوله تعالى: «فما ربحت تجارتهم[1]».

والموت معقود بنواصيكم: أي لازم لكم وغالب عليكم، قال تعالى: «فيؤخذ بالنواصي والأقدام»، فان الانسان إذا أخذ بناصيته لا يمكنه الخلاص.

وأنت محقوق: أي جدير.

وأن تنافح في دينك: يقال نافحت عن خلاف أي خاصمت ونافحوهم مثل كافحوهم.

واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك: إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: أول ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات، ومن نقض صلاته فانه يحاسب عليها وعلى غيرها، وسئل عليه السلام عن افضل الأعمال، فقال: **الصلاة** لأوّل وقتها.

أما المؤمن فيمنعه الله بايمانه: أي يعطف به ألطافا خاصة يحترز عندها من إغواء الناس وإضلالهم.

* * *

١ ـ البقرة: ١٦.

٢٨ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامْ

إلى معاوية جوابا ، وهو من محاسن الكتب

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ ٱللهِ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ ؛ وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ ٱللهِ تَعَالَى عِنْدَنَا ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرٍ ، وَدَاعِي[1] مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ ، وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْاسْلاَمِ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ ! فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمّ[2] ٱعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ ؟ هَيْهَاتَ ! لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ، أَلاَ تَرْبَعُ ، أَيُّهَا الْانْسَانُ ؟ عَلَى ظَلْعِكَ ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ

---

١ ـ في ض وش وح وب : اوداعي .

٢ ـ في ب : ان تم .

الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلاَ ظَفَرُ الظَّافِرِ[١]! وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ، أَلاَ تَرَى ـ غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلٰكِنْ بِنِعْمَةِ ٱللهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْماً ٱسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ! حَتَّى إِذَا ٱسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ» وَخَصَّهُ رَسُولُ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ؟ أَوَ لاَ تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ! حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَما فُعِلَ[٢] بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ» وَلَوْ لاَ مَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ. فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا، وَعَادِيُّ طَوْلِنَا[٣] عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ! وَأَنَّى يَكُونُ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ، وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ؟ وَمِنَّا أَسَدُ ٱللهِ، وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلاَفِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ؟ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لاَ تُدْفَعُ، وَكِتَابُ[٤] ٱللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَاشَذَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ: (وَأُولُو الأَرْحَامِ

---

١ ــ في ح وب : وظفر الظافر.

٢ ــ في ض وح وب : بواحدنا ما فعل.

٣ ــ في ض وح وب ول : لا عادي.

٤ ــ في ك : بوالقرآن.

بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ) وَقَوْلُهُ تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَٱللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا ٱحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلْجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ!

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ؛ وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ! فَإِنْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا *

وَقُلْتَ: «إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً، مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي دِينِهِ، وَلاَ مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ، وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ، أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ؟ أَمَّنِ ٱسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ، وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ؟! كَلاَّ وَٱللهِ: (لَقَدْ عَلِمَ ٱللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ،

وَالْقَائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنَا ولاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إلَّا قَلِيلاً).

وَمَا كُنْتُ لأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً، فَإنْ كَانَ الذَّنْبُ إلَيْهِ إرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لاَ ذَنْبَ لَهُ.

* وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ * (وَمَا أَرَدْتُ إلَّا الإصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإلَيْهِ أُنِيبُ).

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلأَصْحَابِي [عِنْدَكَ] إلَّا السَّيْفُ[1]! فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ * لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ * فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سِرْبَالَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ).

---

١ ـ في ب: ولا صحابي الا السيف.

كتابه المعروف الى معاوية

الشرح

فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا : أي ستر الدهر وادخر وأخفى لأجلنا أمرا عجبا يصدر، ويظهر منك.

طفق : أي ظل ببلاء الله يعني بنعمته

وهجر: مدينة بالبحرين كثيرة النخل وهذا مثل، وقصته أن رجلا أحمق من أهل هجر قدم البصرة، ومعه مال كثير ليشتري به شيئا للربح ويحمله إلى هجر، فلم يجد شيئا أكسد من التمر فاشترى بماله التمر وحمله إلى هجر وتلف ما له وفسد التمر في بيوته كذا ذكر الهروي ويروى كبضع التمر.

والنضال : المراماة والمسدد : المقوم بالتعليم أسر أبو سفيان، ثم من عليه النبي فأطلقه، فكان معاوية من الطلقاء.

حنّ قدح ليس منها : الهاء راجعة إلى القداح، والقداح السهم إذا كان غير مريش[1] وحنّ أي صوت مستعار من حنين الناقة للقدح، لأن احد القداح إذا كان من غير جوهرة أخواته ثم أجاله المفيض[2] خرج له صوت يخالف

---

١ ــ ابرى النبل واريشها : اي انحتها : واعمل ريشا.

٢ ــ جال يجول : اذا دار ومنه الجولان في الحرب والافاضة : الزحف والدفع في السير ولا يكون الا عن تفرق وجمع واصل الافاضة : الصب فاستعيرت للدفع في السير.

سائر أصواتها فيعرف أنه ليس من جملة القداح .

قيل أول من قاله عمربن الخطاب حين قال الوليدبن[١] عقبةبن أبي معيط أأقتل من بين قريش ، فقال عمر: حنّ قدح ليس منها ، يضرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس منها أويباهي بما لا يوجد فيه ، والواو في والتمييز بمعنى مع .

ألا تربع أيها الانسان على ظلعك : أي ألا تكف رافقا بنفسك ، بان لا تحمل عليها فوق ما تطيق ، والربع الوقوف وحقيقته ألا تقف على ما بك من ظلع وغمز، أي حقيق بالظالع ، والاعرج أن يقف ولا يباري ، ولا يسابق .

ج ــ الربع : الرفع أي ألا ترفع ما تقدر عليه مع ظلعك .

قوله عليه السلام: ألا ترى غير مخبر لك .

مفعول ترى قوله إن قوما استشهدوا وغير مخبر منصوب على الحال ، والعامل فيه ما في إلا من معنى التنبيه .أي أنبهمك بما اقول غير قاصد إلى أخبارك بل محدثا بنعمة الله ، فان إخبارك بذلك لا يجدى شيئا لانه غير تاجع فيك ، ولأنك تعرفه .

حتى اذا استشهد شهيدنا .

أراد حمزةبن عبد المطلب[٢] ، والطيار في الجنة هو جعفربن أبى طالب

---

١ ــ الوليد بن عقبة بن ابي معيط عامل عثمان على الكوفة ، وكان يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل الى الصباح ، فلما أذنه المؤذن بالصلاة خرج فصلى بهم اربعا وقال : اتريدون ان ازيدكم ، وقيل : انه قال في سجوده وقد اطال : اشرب واسقني .

شاع بالكوفة فعله وظهر فسقه ، فهجم عليه الناس فاتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد فزجر عثمان اهل الكوفة واخرجهم ، واتوا علي بن ابي طالب واخبروه بالقصة ، فاحضر عثمان الوليد ، الى المدينة وشهد الشهود ، فالقى عثمان السوط الى علي فضربه الحد، واخباره كثيرة وفضائحه مشهورة .

٢ ــ حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ابويعلى الهاشمي عم رسول الله صلى الله عليه وآله واخوه من الرضاعة وكان اسن من النبي بسنتين وهوسيد الشهداء ، فلما اسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله قد عز وامتنع ثم هاجر الى

←

ولما قتل حمزة صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أربع عشر مرة ، كلما كبر عليه خمسا حضر جماعة أخرى من الملائكة ، فصلى بهم عليه أيضا وهذا خاص بحمزة عليه السلام لأنه إذا صلى على ميت جماعة فانه يكره أن يصلى عليه مرة اخرى جماعة ، وحديث جعفر وقتله وطيرانه معروف لا نطول بذكره .

لذكر ذاكر: يعني نفسه عليه السلام لا تمجها : من مج الماء من فيه إذا رمى به ، وهو استعارة عن الرد وترك القبول ، أي لذكرت فضايلي ومناقبي التي لا ينكرها ولا يردها الا مكابر معاند .

من مالت به الرمية : أي الصيد يرمى دخله الهاء لأنه صار في عداد الأسماء أراد أنه مطعون في نسبه وحسبه ، وأنه أزاله عن مقام التفاخر والتنافر مطاعن شهرت فيه .

فانا صنايع ربنا : أي من الذين رباهم الله يفنون تربيته وأمدهم بمواد كرامته وأدخلهم في غمار قوله ولتصنع على عيني وفيه تلويح لا تصريح بانهم المنصوص عليهم من قبل الله تعالى : والمخصوصون بفنون الألطاف .

عادي طولنا : أي قديم فضلنا وينسب كل قديم الى عاد .

ومنا أسد الله : عنى به نفسه وسماه به رسول الله ، وقيل أراد حمزة بن عبد المطلب .

ومنكم اسد الأحلاف ؛ قيل هو أسد بن خزيمة بن مدرك بن الياس ، لما أجلت خزاعة بن أسد عن الحرم خرجت فخالفت طبيا ثم بني فزارة فسميت

المدينة وشهد بدرا وابلى فيها بلاء عظيما مشهورا .

قال المدائني : اول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله في سرية الى سيف البحر من ارض جهينة وقاتل يوم بدر بسيفين وشهد احدا وقتل من المشركين احدا وثلاثين نفسا ، وعشر عشرة وقع منها على ظهره فانكشف الدرع عن بطنه فزرقه بحربه فاستشهد رضوان الله عليه .

بذلك وقيل هو اسدبن بن ربيعةبن نزار، وقيل لعتبةبن ربيعة أسد الاحلاف وقيل هو أسدبن عبد العزى والأحلاف هم عبد مناف وزهرة وأسد وتيم والحارث بن فهر.

ومنا سيدا شباب أهل الجنة: وهما الحسن والحسين عليهما السلام.

ومنكم صبية النار: أراد صبية عقبةبن أبي معيط قال النبي صلى الله عليه وآله، ولك[1] ولهم النار، وقيل هم ولد مروانبن الحكم كانوا صبية عند إخباره عليه السلام وصاروا أهل النار عند البلوغ بكفرهم.

ومناخير نساء العالمين: يعني فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومنكم حمالة الخطب: هي أم جميل أخت أبي سفيان.

وجاهليتنا لا تدفع: أي كان لنا قبل ظهور الاسلام آباء كرام وأمهات طاهرات لم يتلوثوا برذائل الاخلاق ولم يتدنسوا[2] بنقايص الأعراق[3]، وروي أن جعفربن أبى طالب عليه السلام لما أسلم قال له النبي صلى الله عليه وآله: إن الله يشكر لك ثلاث خصال في الجاهلية ما هي؟ فقال يا رسول الله ما زنيت قط لأني قلت في نفسى ما لا يرضاه الانسان لنفسه لا ينبغي أن يرضى لغيره، تكرما، وما كذبت كذبة قط تأثما[4] ولا شربت الخمر قط مما لا بد تذهب العقول.

والقرآن يجمع لنا ما شذ: بطريقتين إحديهما بالقرابة كما في الآيتين والأخرى بالطاعة كما في قوله تعالى: وأطيعوا لله وأطيعوا الرسول واولو الامر

---

١ ــ في ض: لذلك ولهم النار.

٢ ــ الدنس: الوسخ، وتدنس: صار دنسا.

٣ ــ العرق من الحيوان: الاجوف الذي يكون فيه الدم والعرق: الاصل.

٤ ــ تأثم: تجنب للاثم، يقال: تأثم فلان اذا فعل فعلا خرج به من الاثم.

منكم[١]، ولما قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير قالت المهاجرون: نحن شجرة رسول الله تفلجوا[٢] بذلك، وظفروا على الأنصار يقول: إن كان الظفر بذلك حقا فنحن أولى منهم لأنا ثمرة الشجرة والشعر للهذليين، قيل هو لأبي ذؤيب وصدر البيت.

وغيرها الواشون إني أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أي زائل والشكاة الشكاية.

الجمل المخشوش: الذي في أنفه خشاش وهو خشب يدخل في عظم أنفه وانقياده في هذه الحالة في غاية يضرب به المثل.

أعدى له: أي أشد عدوانا.

واستكفه: أي طلب كفه ودفعه وعنى لمن بذل له النصرة لنفسه عليه السلام.

وبمن استنصره افتراخى عنه: معاوية والمعوق[٣] والمثبط أنقم عليه أحداثا: في معارف ابن قتيبة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله تصدق مهزور[٤] موضع بسوق المدينة على المسلمين فأقطعها عثمان الحرث بن الحكم أخا مروان، وأقطع فدك[٥] مروان وافتتح افريقية فأخذ الخمس

---

١ ـ التغابن: ٢١.

٢ ـ تفلج: تشقق.

٣ ـ عرق عن كذا: صرفه وأخره عنه وكذلك التثبط وهو أيضا بمعنى التأخر.

٤ ـ مهزور: وادى قريضة قالوا لما قدمت اليهود الى المدينة نزلوا السافلة فاستو بؤوها فبعثوا رائدألهم حتى اتى العالية بطحان ومهزورا وهما واديان يهبطان من حرة تنصب منها مياه عذبة، فرجع اليهم فقال: وجدت لكم بلدا نزها واودية تنصب الى حرة فتحولوا اليها، فنزل بنوالنضير بطحان وقريظة على مهزور، وكانت المدينة اشرفت على الغرق من سيل مهزور في خلافة عثمان.

٥ ـ فدك: بالتحريك وآخره كاف قرية بالحجاز بينها و بين المدينة يومان افاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صلحا، ولما قبض رسول الله قالت فاطمة سلام الله عليها لأ بي بكر ان رسول الله جعل لي فدك فاعطني اياها وشهد لها علي بن ابي طالب وام ايمن ولها مع ابي بكر في امر فدك مناظرات يطول ذكرها.

فوهبه كله لمروان ، وقد ذكر ذلك عبد الرحمن[١] بن حسان في شعره :

وأعطيت مروان خمس العباد * فهيهات شأوك ممن سعى

وقد يستفيد الظنة المتنصح : صدر البيت .

وكم سقت في آثاركم من نصيحة .

والظنة : التهمة ، والمتنصح : المبالغ في النصيحة .

فرب ملوم لا ذنب له : مثل قاله الأحنف[٢] لرجل ، قال بئس الطعام التمر والأقط[٣] ، وذلك لأن الآكل ، لا يكثر أكلها إلا في القحط وخير الطعام عندهم الزبد والكمأة[٤] ، لأنهما يكونان في الربيع والخصب .

لقد اضحكت بعد استعبار : أي من يسمع كلامك ، هذا من المؤمنين يضحك تعجبا بعد بكائه على الدين لتصرفك فيه يا معاوية .

ناكلين : متأخرين جبنا وهذا مثل يضرب لمن يهزل بعد الجدّ .

فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل : قيل هو حمل بن بدر رجل من قشير أغير على إبل له في الجاهلية في حرب داحس[٥] والغبراء فاستنقذها ، وقال .

---

١ ــ عبد الرحمان بن حسان بن ثابت ابو محمد انصاري خزرجي ادرك النبي صلى الله عليه وآله وأمه سيرين القبطية اخت مارية وهبها النبي لابيه حسان قيل هو من التابعين ، وكان شاعرا وهو الذي شبب برملة بنت معاوية وله في ذلك اشعار واخبار مع معاوية وبنته .

٢ ــ الاحنف بن قيس واسمه الضحاك بن قيس ابو بحر التميمي السعدي والاحنف لقب له ، لحنف كان برجله ادرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يره وامه امرأة من باهلة ، وكان الاحنف احد الحكماء الدهاة وكان اعتزل من حرب الجمل وشهد صفين مع علي عليه السلام وله اخبار وحكايات مات بالكوفة سنة ٦٧ .

٣ ــ الاقط : لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به .

٤ ــ الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين .

٥ ــ داحس والغبراء فرسان مشهوران : داحس فرس لقيس بن زهير العبسي ومنه وقع بينهم حرب داحس وذلك انه تراهن قيس وحذيفة بن بدر الذبياني على خطر عشرين بعيرا او جعلا الغاية مائة غلوة والمضمار اربعين ليلة فاجرى قيس داحسا الغبراء وهما فرسان فوضعت بنو فزارة ، حذيفة كمينا في الطريق فردوا الغبراء ولطموها فهاجت الحرب بين عبس وذبيان اربعين سنة .

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل * لا باس بالموت اذا الموت نزل

وقيل هو حمل بن سعد العشيرة أبو حي من مذحج، وقد أورده صاحب المستقصي حمل بالحاء، وقال هو قوله.

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل * ما أحسن الموت اذا جاز الأجل

قالوا في حمل هو إسم رجل شجاع كان ليست به في الحرب: ولا يبعد أن يراد به حمل بن بدر صاحب الغبر الضربة يضربه[١] من ناصره ورآه، وقيل اتوعد مالك بن زهير حمل بن بدر (فقال ذلك.

وانا مرقل نحوك : أي مسرع جدًا.

والجحفل: الجيش العظيم.

ساطع قتامهم: أي مرتفع غبارهم[٢]).

ذرية بدرية: أي أولاد من كان ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

والنصال: السيوف، وأخو معاوية حنظلة وخاله، الوليد بن عتبة وجده عتبة كما مر.

وما هي من الظالمين ببعيد: أي منك واتباعك وأشباهك.

* * *

١ ـ في ض: صاحب الغبراء يضر به من ناصره.

٢ ـ ساقط في ض.

٢٩ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

إلى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنَ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ الأُمُورُ الْمُرْدِيَةُ، وَسَفَهُ الآرَاءِ الْجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلاَفِي، فَهَا أَنَاذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحَّلْتُ رِكَابِي، وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لاَ يَكُونُ يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لاَعِقٍ، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيءٍ، وَلاَ نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ.

٣٠ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

إلى معاوية

فَاتَّقِ ٱللهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَٱنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَٱرْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لاَ تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَانَّ لِلطَّاعَةِ أعْلاَماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مطلبة[1]، يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ، مَنْ نَكَّبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَخبطَ فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ ٱللهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ، فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ، فَقَدْ بَيَّنَ ٱللهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا، وَأَقْحَمَتْكَ غَيًّا، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

---

١ ـ في ض وب: غاية مطلوبة.

الشرح

قوله عليه السلام وقد كان من إنتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه .

انتشار الحبل كناية عن التفرق عداوة وبغضا .

والشقاق : الخلاف لم تغبوا : لم تتغافلوا عنه ولم تجهلوه .

خطت بكم : أي تجاوزت كلعقة لاعق : كناية عن قلة اللبث واللعق : اللحس[١] .

الانكاس : الأرذال فنفسك : أي احفظها من غضب الله وعقوباته .

وأولجتك شرا : أي غلبتك نفسك حتى أوردتك شرا وحقيقة أولجتك أوقعتك في الوحل[٢] .

واقحمتك غيا : أي أدخلتك في قحمة[٣] الغي ومهلكة الجهل .

أو عرت عليك المسالك : أي جعلها صعبة خشنة .

* * *

١ ــ لحست الشيء الحسه : اذا اخذته بلسانك .

٢ ــ الوحل : الطين الرقيق فوحل بي فرسي : اي اوقعني في الوحل .

٣ ــ القحمة : الامور العظيمة والمقحمات : الذنوب العظام التي تقحم اصحابها في النار : اي يلقيهم فيها .

٣١ـ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

للحسن بن علي عليهما السلام، كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ[١] مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي[٢] عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالاِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي ـ دُونَ هُمُومِ النَّاسِ ـ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَقَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَائِي، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لاَ يَكُونُ فِيهِ[٣]

---

١ ـ في ب: فاني فيما تبنيت وفي ش: فان مما تبنيت.

٢ ـ في ب: يرغبني.

٣ ـ في ش: لا يكون معه لعب.

لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لاَ يَشُوبُهُ كَذِبٌ، وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللهِ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟؟

أَحْيِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، (وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ[١])، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا ٱنْتَقَلُوا، (وَأَيْنَ حَلُّوا[٢] وَنَزَلُوا) فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ ٱنْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ وَحَلُّوا دارَ[٣] الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ؛ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ

١ ــ ساقطة من ش.
٢ ــ ساقطة من ش.
٣ ــ في ن وب ول: ديار الغربة.

بِجُهْدِكَ ، وَجَاهِدْ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ[1] لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ (وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصبر[2] عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ، في الحق[3]) وَأَلْجِىءْ نَفْسَكَ فِي الأُمُورِ[4] كُلِّهَا إِلَى إِلٰهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرْ الإِسْتِخَارَةَ وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي ، وَلاَ تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً ؛ فَإنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ، وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَيْرَ فِي عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَلاَ يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

أيْ بُنَيَّ ؛ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً ؛ بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، وَأَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى، وَفِتَنِ[5] الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالأَرْضِ الْخَالِيَةِ: مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ ؛ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ[6] مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ

---

١ ـ في ش : وخض الغمرات الى الحق.
٢ ـ في ض وب ول : نفسك التصبر.
٣ ـ ساقطة من ش.
٤ ـ في ر : امورك كلها.
٥ ـ في ض وب : او فتن الدنيا.
٦ ـ في ش : من الامور.

الطَّلَبِ [١] ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذٰلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَٱسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيْ بُنَيَّ ؛ إِنِّي - وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي - فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا ٱنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذٰلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ - حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ - أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ، وَمُقْتَبِلُ [٢] الدَّهْرِ، ذُونِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ ٱللهِ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلاَمِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ، [وَ] لاَ أُجَاوِزَ لَكَ إِلَى غَيْرِهِ، (ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا ٱخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي ٱلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذٰلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلاَمِكَ إِلَى أَمْرٍ لاَ آمَنُ عَلَيْكَ فِيهِ [٣] الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ ٱللهُ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هٰذِهِ [٤]).

وَٱعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ

١ــ في نسخة مؤنة الطلبة.
٢ــ في ف ون وش : مقبل العمر مقتبل الدهر.
٣ــ في ض وب : عليك به الهلكة.
٤ــ ساقطة من ل.

وَصِيَّتِي ، تَقْوَى ٱللهِ وَالإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ[1] ٱللهُ عَلَيْكَ ، وَالأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إِلَى الأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَالإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، (فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذٰلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعلُّمٍ ، لاَ بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ ، وَعُلُوِّ[2] الْخُصُوصِيَّاتِ[3]) وَٱبْدَأْ ـ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلِكَ ـ بِالإِسْتِعَانَةِ[4] بِإِلٰهِك ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْ لَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ ؛ أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلاَلَةٍ ؛ فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذٰلِكَ هَمًّا وَاحِداً ؛ فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ ؛ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ؛ وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ وَلا مَنْ خَلَطَ[5] ! وَالإِمْسَاكُ عَنْ ذٰلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ، يَا بُنَيَّ ، وَصِيَّتِي ؛ وَٱعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ

---

١ ـ في ف وش : ما افترضه الله .

٢ ـ في ح : علق الخصومات وفي ب : علو الخصومات .

٣ ـ ساقطة من ل .

٤ ـ في ف : بالاستعانة عليه والرغبة .

٥ ـ في ض وح وب : من خبط او خنط .

الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا آللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالإِبْتِلاَءِ وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، وَمَا شَاءَ[١] مِمَّا لاَ نَعْلَمُ. فَإنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإنَّكَ أَوَّلَ مَا خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ[٢] الأُمور، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ، فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَآعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ آللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ، صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَارْضَ بِهِ رَائِداً، وَإلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً، وَإنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ[٣] فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَإنِ آجْتَهَدتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَآعْلَمْ، يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَه وَصِفَاتِهِ، وَلٰكِنَّهُ إلٰهٌ وَاحِدٌ! كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلاَ يَزُولُ أَبَداً، وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ، فَإذَا عَرَفْتَ ذٰلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ

١ــ في ح وب ول وش: او ماشاء.
٢ــ في ض وح وب وش: من الامر.
٣ــ في ن: لم يبلغ.

إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةَ[١] مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

يَا بُنَيَّ؛ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَٱنْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا! إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً، وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ. وَمَثَلُ مَنِ ٱغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ!

يَا بُنَيَّ، ٱجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَٱكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَٱسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَٱرْضَ

---

١ - في ض وح وم وب: والخشية من عقوبته.

مِنَ النَّاسِ بِمَا[١] تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ ، وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَلاَ تَقُلْ مَالاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ ، وَآفَةُ الأَلْبَابِ ؛ فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ ، وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ[٢] لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ. وَأَنَّهُ لاَ غَنى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلاَغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ[٣] ثِقَلُ ذٰلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ، وَٱغْتَنِمْ مَنِ ٱسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ وَالْمُبْطِىءُ[٤] عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً[٥] مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ[٦] مَهْبطهابك لاَ مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ ، وَوَطِّىءِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

١ــ في ش : فيما ترضاه .
٢ــ في ب : واذا كنت هديت .
٣ــ في ب : فيكون نقل ذلك .
٤ــ في ض وب : والبطيء .
٥ــ في ش : اقبح امرا .
٦ــ في ض وب : وان مهبطك بها .

وَٱعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يحجبه عنك [١]، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ. وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ [٢] بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ (بِكَ أَوْلَى [٣])، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، (وَبَابَ الاِسْتِيعَابِ [٤])، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَٱسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَٱسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ: مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ ٱسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَٱسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلاَ يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا

١ ــ في ش : من يحجبك عنه .

٢ ــ في ب : ولم يعاجلك بالنقمة ولم يحيرك بالانابة .

٣ ــ ساقطة من ف ون ول وش وفي ح : ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ولم يشدد عليك .

٤ ــ ساقطة من ش .

أَخَّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ. فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، وَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ، وَلاَ تَبْقَى لَهُ.

وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلٍ [1] قُلْعَةٍ، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبهُ، (وَلاَ يَفُوتُهُ [2] طَالِبُهُ)، وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ؛ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ! وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا؛ فَقَدْ نَبَّأَ ٱللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ [3] لَكَ نَفْسَهَا؛ وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا؛ فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ،

١ــ في ع: في منزلة قلعة.
٢ــ ساقطة من ف ون ول وش.
٣ــ في ف ون: ونعت هي لك.

يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَيأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ [١]، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ، بِوَادٍ وَعْثٍ! لَيْسَ لَهَا رَاعٍ [٢] يُقِيمُهَا، وَلاَ مُسِيمٌ يُسِيمُهَا! سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا!!

رُوَيْداً يُسْفِرِ الظَّلاَمُ كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الأَظْعَانُ! يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ [٣] مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ؛ فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ، وَلَيْسَ [٤] كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً، وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً، وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لاَ يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟!

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ

١ــ في ش: نعم مغفلة.

٢ــ في ع: وعث ليس لها مسيم.

٣ــ في ش: واعلم ان من كانت.

٤ــ في ش: فليس كل.

الْهَلَكَةِ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ! وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وَتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِن مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ [١]. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ. وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ! قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ! بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ، وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ. إذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ. وَإِيَّاكَ وَاتِّكَالَكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى [٢]، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ. وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ! بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ، وَمِنَ الْفَسَادِ إضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ! وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ، وَلاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ

١ـ في ش : ماني يدي غيرك.

٢ـ في ب : بضائع الموتى.

مَهِينٍ، وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ، سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ! احْمِلْ نَفْسِكَ مِنْ أَخِيكَ ـ عِنْدَ صَرْمِهِ ـ عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْف وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ؛ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذٰلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ؛ لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَٱمْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَة حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَانِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلاَ أَلَذَّمَغَبَّةً، وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ، فَاِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَجُدْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَاِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَالَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مَّا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ ٱتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ [1] عَنْكَ، وَلاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ [2] أقوى على قطيعتك مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلاَ يَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى [3] مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ، وَلاَ

١ــ في ش : زهد فيك .

٢ــ في ض وب : اخوك على مقاطعتك اقوى منك .

٣ــ في ش : اقدر منك .

يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ ؛ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ .

وَاعْلَمْ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ . مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنى . إنما لَكَ مِنْ[1] دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ ؛ وَإِنْ جَزِعْتَ[2] عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاهٌ ، وَلاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاَ تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلاَّ إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلاَمِهِ ؛ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدَابِ ، وَالْبَهَائِمَ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّرْبِ . اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ ؛ مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ ؛ الصَّاحِبُ[3] مُنَاسِبٌ ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ ، وَالْهَوَى شَرِيكُ[4] العمى . رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ وَقَرِيبٌ أبْعَدُ مِنْ بعيد[5] ؛ وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ . وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكاً إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكاً . لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ ، وَلاَ كُلُّ فُرْصَةٍ

١ــ في ب : ان لك من دنياك .

٢ــ في ش : وان كنت جازعا .

٣ــ في ض وح وب : والصاحب مناسب .

٤ــ في ب : شريك العنا .

٥ــ في ب : رب قريب ابعد من بعيد ورب بعيد اقرب من قريب .

تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ الأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلة الْعَاقِلِ. مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ! لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَي أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ، سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ[1]. إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلاَمِ[2] مَا كَانَ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذٰلِكَ عَنْ غَيْرِكَ، وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ؛ فَانَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَٱكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ؛ فَانَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ، وَلاَ تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا (فَانَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٌ، وَلاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا[3])، وَلاَ تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا[4]، وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ؛ فَانَّ ذٰلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السُّقْمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ، وَٱجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَانَّهُ أَحْرَى أَنْ لاَ يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ، وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَانَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

١ـ في م : عن الجار ثم الدار.

٢ـ في ب : في الكلام .

٣ـ ساقطة من م وب .

٤ـ في ض وب : بغيرها .

أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ [١] .

الشرح

قوله عليه السلام : من الوالد الفان المقر للزمان : أي يقر للزمان بأنه يفني كل حي ولا يفي لأحد من بنيه ويضر من يغتر به ولا يجديه وأنه لا تباريه[٢] أحد إلا وهو يرديه .

وتصب الآفات : أي كالغرض المنصوب لسهام البلايا ما يرغبني : أي يكفني ويزجرني .

والاعتصام بحبله : كل ما يقربك إلى مرضاة الله فهو حبل الله وذلك أمر إضافي يختلف حسب اختلاف الأشخاص والأحوال ، والأوقات ، وقد ذكر في قوله تعالى : اعتصموا بحبل الله انه القرآن ، وروي أن أعرابيا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : التبس عليَّ معنى آية من القرآن ففسرها لي ، وتلا هذه الآية وقال : ما هذه الحبل الذي أمر الله بالاعتصام به ، وكان علي عليه السلام إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فوضع النبي يده على كتف على وقال هذا حبل الله فاعتصموا به ، فولي الأعرابي وخرج يقول آمنت بالله وبرسوله واعتصمت بحبل الله .

فتلقاه رجلان فسمعا منه ذلك ، فضحكا منه ، ودخلا على رسول الله وذكرا ما سمعا من الأعرابي فقال صلى الله عليه وآله :(هو رجل من أهل الجنة فانصرفا الى الرجل فقالا له إن لك عندنا بشارة ، ولنا عندك ذنب ،

١ــ سقطت هنا اوراق من نسخة م .

٢ــ المبارة : المجاراة والمسابقة اي يعارضها في الجذب لقوة نفوسها .

فاغفر ذنبنا حتى نذكر بشارتك إن رسول الله قال أنت من[١]) أهل الجنة قال : الحمد لله ، وما ذنبكما قالا : لما رأيناك تتكلم بهذا الكلام ولم يكن شيئا سمعناه كان عندنا ضحكة .

فقال : إن الله تعالى يقول : «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما[٢]» ، تركتما رسول الله وجئتما إليّ لأستغفر لكما إذهبا إن كنتما تؤمنان بالله ورسوله ، وتعتصمان بحبله فغفر الله لكما وإلا فلا غفر الله لكما ، فحبل الله هو حجة الله بعد رسوله ، ووصيه على أمته ، وحافظ شرعه قرنا فقرنا إلى الأبد والقرآن وإن كان سببا بين الله وبين عبيده فان كثيرا منه يحتاج إلى التأويل فيفسره كل على مقتضى مذهبه ، فلا بد له من مبين يثق الناس بقوله لعصمته ولا تذهبن عنها صفحا : أي معرضا عما ذكرت لك ، هو مصدر أقيم مقام الفاعل ، فنصب على الحال .

لا خير في علم لا ينفع : (كل علم لا يحتاج المرء إليه في طلب سعادة الآخرة ، فهو ما ينتفع به[٣]) وإن ساعده انتفاع ظاهر فانه يؤول عاقبته في الدنيا إلى خسران ومضرة وفي العقبى إلى ندامة ووبال .

ولا يحق تعلمه : أي لا يجب .

فيكون كالصعب النفور: مثل لكل من ينفر مما رآه : والأصل في الابل .

توخيت : طلبت ، ورأيت : أي استصوبت .

وأجمعت : أي عزمت .

١ــ ساقط في ش .

٢ــ النساء : ٦٤ .

٣ــ ساقط في ش .

وتورّط الشبهات : الوقوع فيها .

والشائبة : واحدة الشوائب . وهي الأقذار والأنجاس والأدناس والشوب الخلط .

تخبط العشواء ، أي خبط العشواء فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه أي خبط الناقة العشواء[1].

قوله عليه السلام : وما شاء مما لا نعلم فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به .

هذا تنبيه على أن علوم الانسان قاصرة عن إدراك أسرار الربوبية فانك أول ما خلقت جاهلا ، ثم علمت من قول الله تعالى : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا .

وما أكثر ما تجهل من الأمور وتتحير فيه .

يعنى يكون معرفته عندك بالقوة القريبة ثم تخرج إلى الفعل ، وهذه إشارة إلى إكتساب العلوم .

فانى لم آلك نصحا : أي لم أقصر لك في النصيحة .

لو كان لربك شريك لاتتك رسله : وذلك لأن معرفة الله واجبة لما ثبت وتقرر في موضعه ، ولا طريق إلى معرفته إلا أفعاله ، والأفعال الالهية كلها يضاف إلى إله واحد ، فلا يمكن للاستدلال بها على ثان ، فلو كان له ثان تعالى ، عن ذلك لوجب على الثاني بعث الرسل المؤيدة بالمعجزات ، لايضاح السبيل إليه .

ولا تكن خازنا لغيرك : أي لا تجمع أموالا ينتفع بها غيرك .

المبطىء عليها : أي من تغافل وتوانى .

---

١ ــ العشو : السواد من الليل وفي حديث على خياط عشوات اي يخبط في الظلام والأمر الملتبس فيتحير.

ولم يفضحك حيث الفضيحه : أي حيث الفضيحة حاصلة وأسبابها واقعة .

ولم يناقشك : أي لم يستقص ، ولا يشدد عليك .

بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة : إنما يكون الاقلاع عن السيئة حسنة اذا أخلَّ بها لكونها سيئة قبيحة ، فأما اذا تركها لا لرضى الله ، فلا يكون حسنة .

واثبتته ذات نفسك : أي أظهرت ونشرت له ضمائر نفسك ، وخفايا جوانحك .

قوله عليه السلام : فلا يقنطنك ابطاء اجابتك : فان العطية على قدر النية ، إذا سأل العبد ما فيه صلاح اجيب إليه إما عاجلا ، وإما آجلا إذا كان تعجيله أو تأجيله صلاحا وان كان مطلوبه خاليا عن الصلاح والفساد ، (فهو موكول إلى الله إن شاء أعطاه وإن شاء منعه وإن كان مطلوبه فسادا[1]) فاجابة الله دعاءه منعه عن نيل مراده ، هذا إذا أراد السائل الصلاح ، فأما اذا قصد بدعائه ادراك اللذة ، أو كشف المضرة ، ولم يشرط صلاحا وما نواه .

فهو كمن لم يدع الله أصلا في حق المطلوب بل هو شر من غير الداعي لأن دعاءه على هذا الوجه معصية ، فحقيق به أن لا ينال بما سأل شيئا .

قوله عليه السلام وربما أخرت عنك الاجابة : ربما يقتضي المصلحة تأخير اجابة الدعاء ولا يكون ذلك خلفا للوعد بالاجابة ، لأنه تعالى يجيب إما في الحال أو في الاستقبال ، أو يؤتيه في الدنيا خيرا مما سأل أو في العقبى على أن الدعاء عبادة وجزاء العباد يكون في العقبى ، والمكافاة يكون في الدنيا ، وربما أخرت عنك الاجابة ليكون أجزل لعطاء الأمل .

---

١ ـ بين الهلالين ساقط في ض .

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن ابراهيم عليه السلام خرج مرتادا لغنمه وبقره مكانا للشتاء فسمع شهادة أن لا إله إلا الله فتبع الصوت حتى أتاه فقال: يا عبد الله من أنت في هذه البلاد مذ ما شاء الله ما رأيت أحدا يوحد، قال: أنا رجل كنت في سفينة غرقت فنجوت على لوح فأنا هاهنا في جزيرة، قال: فمن أي شيء معاشك، قال: أجمع هذه الثمار في الصيف للشتاء، قال: انطلق حتى تريني مكانك، قال: لا نستطيع ذلك لأن بيني وبينها بحرا، قال: فكيف تصنع، قال: أمشي عليه، قال: أرجو الذي أعانك أن يعينني.

فأخذ الرجل يمشي وابراهيم يتبعه، فلما بلغ الماء أخذ الرجل ينظر إلى ابراهيم ساعة بعد ساعة، وابراهيم يتعجب منه، حتى عبرا فأتى به كهفا، فقال: هاهنا مكاني، قال: فلو دعوت الله وأمنت أنا قال: أما أني استحي من ربي ولكن ادع أنت وأؤمّن أنا، قال: وما حياؤك ؟ قال: رأيت في الموضع الذي رأيتني فيه غلاما أجمل الناس، كأن خديه صفحتا ذهب له ذؤابة[١] ومعه غنم وبقر كأن عليهما الدهن، فقلت له: من أنت ؟.

فقال: أنا اسمعيل بن ابراهيم، خليل الرحمن فسألت الله أن يريني ابراهيم منذ ثلاثة أشهر، وقد أبطا ذلك علي قال: فانا ابراهيم خليل الرحمن فاعتنقا، وهما أول من اعتنقا على وجه الأرض.

في منزل قلعة: أي ليس بمستوطن بل يقلع صاحبه عنه، ولا يترك فيقيم فيه.

ودار بلغة: أي يبلغ منها وبها إلى الآخرة.

تهجم: تدخل، أزرك ظهرك.

١ ــ الذؤابة: الشعر المظفور من شعر الرأس.

والاخلاد : الميل ، التكالب : التواثب[١] .

نعم معقلة : ذات عقال ، وسرّحت الماشية ، سروحا رعت بالغداة .

وسروح : أيضا جمع سرِن وهي قطعة من المواشي .

والعاهة : الافة أضافها إلى الآفة كأن الآفة اختصت بها وملكتها .

والوعث : المكان السهل الكثير الدهس[٢] تغيب فيه الأقدام ويشق المشي .

والمسيم : الراعي ، يسفر الظلام : ينكشف وينجلي .

كأن قد وردت الأظعان : أي كأن الأمر والشأن وردت المسافرون .

الوادع : من هو في خفض عيش ، وفراغة .

لن تعدو أجلك : أي لن تتجاوز .

والحرب : سلب المال .

ومن أكثر أهجر : أي أفحش وحقيقته صار بحيث يهجره العقلاء وسميت الظهيرة هاجرة لترك الناس الخروج فيها .

لا خير في صديق ظنين : أي متهم ، وروى بالضاد أي بخيل .

ساهل الدهر ما ذل لك قعوده : ذلّ أي انقاد ، ولان والقعود من الابل البكر ما أمكن ظهره من الركوب .

لا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه : أي لا تخاطر بمال في يدك إذا لم يغلب على ظنك السلامة والربح وإلا فان الأرباح المرجوة يطلب بالمخاطرة وأكثر المباحات مبنية على غالب الرأي في الاقدام والاحجام[٣] من البياعات والتجارات وأنواع الشركة برا أو بحرا .

---

١ ــ التواثب : النهوض والقيام .

٢ ــ الدهس : ما سهل ولان من الأرض ولم يبلغ ان يكون رملا .

٣ــ احجم القوم : نكصوا وتاخروا وتهيبوا اخذه .

لا تتخذنّ عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك : روي له عليه السلام بيتان في هذا المعنى أوردتهما في أنوار العقول .

صديق عدوى داخل في عداوتي * واني لمن ودّ الصديق ودود
فلا تقربن مني وأنت صديقه * وأن الذي بين القلوب بعيد

امحض أخاض النصيحة حسنة كانت أم قبيحة .

النصيحة إذا صدرت عن محض الاخلاص لا تكون قبيحة في نفسها ولا بالاضافة إلى الناصح وليكن ربما يستقبحها السامعويستثقلها لصعوبتها عليه ، وان اردت قطيعة أخيك إلى آخره : نظير ما روي عنه وعن النبي أيضا عليهما السلام أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما .

والرزق رزقان : رزق بسبب الطلب ورزق يأتيك بلا طلب ، وهذا محسوس مشاهد .

ومن لم يبالك فهو عدوك : أي من جعل عادته كشف قناعك وإشاعة معايبك كلها في كل حال وإن وصفها لك فهو عدولك .

الأفن : بسكون الفاء النقص وبفتحها ضعف الرأي ، فانظر : يعني البصيرة في هذه الوصية تغنك عن جميع حكم الحكماء ونتف[١] العلماء إن كنت ممن قد أيد بحدس[٢] صايب وذهن ثاقب[٣] ، والله عز اسمه المسؤول أن يوافقنا لنقبل آثارها والاستضاءة بانوارها إنه ولي الطول[٤] والامتنان

---

١ ـ النتفجمع نتفة : وهي بمعنى القليل يقال اعطاه نتفة من الطعام وغيره اي شيئا قليلا وكذلك افادة نتفة من علم .

٢ ـ الحدس : سرعة الانتقال في الفهم والاستنتاج وحدس حدسا في الامر : ظن وتوهم .

٣ ـ الثاقب : المضي والمثقب : العالم الفطن .

٤ ـ الطول : الفضل والاحسان .

والمتفضل بالاحسان ، وإذ قد جرى ذكر الدنيا فيها كثيرا والقدح فيها والنهي عن الاغترار بها ، فلنورد من بعد فصلا في أمثلة الدنيا وأهليها على ما أورده صاحب المعارج .

قال بعض العلماء أصول الدنيا ثلاثة أشياء : الطعام واللباس والمسكن ، وأصول الصناعات والحرف ثلاثة : الزراع والدهقان[1] فان منهما أصول الطعام واللباس ، الحائك والبناء ، ولهذه الحرف توابع ولوازم كالحلاج والغزال والقصار والخياط للباس ، ولكل واحد من هؤلاء احتياج إلى الآلات من الحديد ، والخشب ، والجلود المدبوغة ، وهكذا في سائر الحرف وتعلق بعضها ببعض .

فاحتاج الناس إلى معاونة بعضهم بعضا فان كل واحد منهم لا يمكنه القيام بجميع مصالحه ، فالحائك يحيك للخياط ، والخياط يخيط للحائك والدهقان يزرع القطن لهما ، وهما يعينان الدهقان بالنسج والخياطة وأمثال ذلك ، فظهرت المعاملة التي هي تلو المعاونة بين الناس ، ولزمت هذه المعاملات الخصومات ، ولزمت الخصومات المعاداة والمقاتلة .

فاحتاج أصحاب الصنايع والحرف ، إلى سلطان سايس يسوسهم ، وحاكم عالم عادل يحكم بينهم بالعلم والشرع الحق ، فنسى بعضهم الناس نفسه وعاقبته بين هذه المشاغل والتوابع العلائق ، وما عرف أن المقصود من جميع هذه الصنايع ، والحرف ، والوالي ، والقاضي ثلاثة أشياء وهي الطعام واللباس والمسكن .

والمقصود من هذه الأشياء تقوية البدن وسلامته ، والمقصود من سلامة البدن تزكية القلب ، والمقصود من تزكية القلب السعادة الكبرى الموعودة في

---

١ ــ الدهقان بكسر الدال وضمها : رئيس القرية وهو معرب دهكان اي صاحب القرية .

الآخرة، فنسي ذاته وسعادته، ومثاله كمثل مسافر قصد بيت الله الحرام فنسي نفسه ومقصده وضيع في الطريق عمره في تربية الجمل ورعيه، وأمثال ذلك، وخسر الدنيا والآخرة، وكان ممن قال الله تعالى «نسوا الله فأنساهم أنفسهم[١]» ومثال الدنيا مثال الظل يحسبه راكدا ثابتا، وهو زائل، ولكن يزول قليلا قليلا لا دفعة.

لا بل مثالها مثال عجوز شوها[٢] ملثمة قد زينت ظاهرها بالحليّ والحلل، والطيب، واذا حسرت لثامها[٣] كانت ممن يتعوذ الناس من شرها، ومثال أصحاب الدنيا أمثال المسافرين، لهم مقصد واحد، وكلهم في الطريق، بقي لبعضهم منزل، ولبعضهم فرسخ ولبعضهم ميل، كذلك بقي من أعمار بعض أهل الدنيا سنة ومن أعمار بعضهم شهر، ومن أعمار بعضهم يوم، على هذا القياس.

مثال طالب الدنيا كمثال شارب ماء البحر لا يروي الشارب بل يزداد كل ساعة عطشه ولا ينقطع ماء البحر، وهو يشرب حتى يهلك، ومثال صاحب الدنيا كمثال ضيف دخل دار مضيف، فناول شربة من الجلاب[٤] في إناء ثمين، فظن أن الاناء ملك له وأنه يخرج من دار المضيف مع ذلك الاناء، فقيل له اخرج كما دخلت، فحظك ما شربت فحسب، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: ليس من مالك إلا ما أكلت أو شربت أو لبست إلى تمام الخبر.

هلك أكثر الناس بسبب طلب الجاه، والحشمة، والثناء، وبهذه

---

١ ــ الحشر: ١٩.

٢ ــ الشوهاء من الاضداد يقال للمرأة الحسنة الرائعة وللمرأة القبيحة والشوهاء: الواسعة الفم.

٣ ــ اللثام: ما كان على الانف وما حوله من ثوب أو نقاب.

٤ ــ الجلاب: فارسي معرب وهو ماء الورد.

الأسباب وقعت العداوة بين الناس، وارتكبوا المعاصي، واستولى على القلوب ضد النفاق، والخيانة، والعلم بالأشياء الفانية غير معتبر، ومن ذلك العلم باللغات خصوصا العلم بلغة العرب فان الغرض منه الوصول إلى الكتاب والسنة، والغرض من الكتاب والسنة السعادة الابدية الّتي في الآخرة، والعلم بالله تعالى ورسله، واليوم الآخر من الباقيات الصالحات.

إن هذه المعلومات لا يتغير ولا يزول عما اعتقده المؤمنون الموحدون، وطلب الثناء من الخلق استبعاد قلوبهم (وألسنتهم والاستيلاء على قلوبهم[1]) دون أموالهم خصوصا إذا كان طلب هذا الثناء، والمدح بأفعال لا يجوزها الشرع، فهذا من أمراض القلوب ومن أقبل على الطاعة وأداء العبودية وغرضه عن ذلك تزكية عن[2] نفسه، وتطهير ذاته وكونه مستعد الرضوان الله فهو العابد.

من أقبل على الطاعة بسبب ثناء الخلق، ومدحهم فهو يجري مجرى عابد الصنم، لأنه يعبد معبودا هو مخلوق، ومن أقبل على الطاعة طلبا لرضي الله، ولكن أحب أن يعرفه الناس بالعبادة، والزهد وذلك الرياء والشرك الخفي، لأن المقصود من عبادته مشترك بين الله تعالى والمخلوق، قال الله تعالى: فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا.

* * *

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

٢ ــ في ض: تزكية نفسه.

٣٢ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى معاوية

وَأَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً: خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلاَطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتِ، فَجَارُوا[1] عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ؛ فَإنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى ٱللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ؛ إذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ، فَاتَّقِ ٱللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ؛ فَإنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلاَمُ.

---

١ ـ في ب : فجازوا.

٣٣ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ، كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّه وُجِّهَ إِلَى[1] الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الأَسْمَاعِ، الْكُمْهِ الأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ[2] الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلاَ يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ، فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ[3]، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ، وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَلاَ تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً، وَلاَ عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً.

---

١ ــ في ب : وجه على الموسم .

٢ ــ في ك : ويلتبسون وفي ح وحاشية ش : يلبسون .

٣ ــ في ح : الحازم الطبيب .

الشرح

قال عليه السلام: إن عيني بالمغرب: أي أميني الذي يخبرني على الأمور.

يلتبسون الحق بالباطل: أي يطلبون الدين باتباع معاوية.

يحتبلون الدنيا درّها بالدين: أي يجعلون التمسك بظاهر الدين ذريعة ووسيلة إلى نيل مناهم، من دنياهم.

قيام الحازم الضابط: للأمر الآخذ بالثقة، الصليب: أي الشديد.

إياك وما يعتذر منه: مثل للعرب أي لا يرتكب أمرا يحتاج فيه إلى الاعتذار، يضرب لمن ارتكب أفعالا شنيعة ويعتذر منها.

* * *

٣٤ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامْ

إلى محمدبن أبي بكر، لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر

ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجُهْدِ، وَلا ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ (١) مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً.

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً، فَرَحِمَهُ ٱللهُ فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاهُ ٱللهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ، فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَٱمْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وَٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الاسْتِعَانَةَ بِاللهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

---

١ ــ في ب : وليتك.

الشرح

قوله عليه السلام : لقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر.

أي غيضك من إنفاذه.

فأصحر لعدوك : أي ابرز إلى الصحراء.

قوله لأحببت أن لا أبقي معهم يوما : لا يدلّ على أنه أراد أن يخرج من الامامة فان الانسان قد يصير على الأمر الشاق لأجل الصلاح وإن كان يحب مفارقته، كالصيام الذي اشتدّ به الجوع والعطش، فانه يجب الأفطار ثم يوطن نفسه على الاصطبار[1] قاله الوبري.

* * *

١ ــ يقال صبر فلان من خصمه واصطبر: أي اقتص منه.

٣٥ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عبد الله بن العباس، بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ ٱللهُ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ، فَعِنْدَ ٱللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً[١]، وَعَامِلاً كَادِحاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَرُكْناً دَافِعاً؛ وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ؛ وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْراً، وَعَوْداً وَبَدْءاً: فَمِنْهُمُ الآتِي كَارِهَا، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ[٢] خَاذِلاً. أَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً، فَوَ ٱللهِ لَوْ لاَ طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ؛ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لاَ أَبْقَى مَعَ هَؤُلاَءِ يَوْماً[٣] وَاحِداً، وَلاَ أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً.

---

١ ـ في م: ولداً صالحاً.

٢ ـ في ب: منهم الكاذب.

٣ ـ في ك: معهم يوما واحدا.

٣٦ــ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش انفذه إلى بعض الأعداء
وهو جواب كتاب كتبه إليه

فَسَرَّحْتُ إلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ؛ فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلاَ وَلاَ؛ فَمَا كَانَ إلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلأْياً بِلأْيٍ مَا نَجَا فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلاَلِ وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيه؛ فَإنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلِي؛ فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي؛ فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ٱبْنِ أُمِّي.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ، فَإنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ(١) حَتَّى أَلْقَى ٱللهَ، لاَ يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلاَ تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱبْنَ أَبِيكَ ـ وَلَوْ

١ ــ في ب: في قتال المحلين وفي م: قتال الملحين.

أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلاَ مُقِرًّا لِلضَّيْمِ وَاهِناً، وَلاَ سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ[١]، وَلاَ وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُقْتَعِدِ، وَلٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ :-

فَإِنْ تَسْأَلِينِي : كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَإِنَّنِي * صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيب
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ * فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

الشرح

قوله عليه السلام : فسرحت جيشا كثيفا إلى طفلت الشمس للاياب .

أي مالت للرجوع : قيل عند الزوال ، وقيل عند الغروب .

والطفل : بعد العصر.

فاقتتلوا شيئا كلا ولا : أي حاربوا زمانا قليلا وهي كلمة تقولها العرب إذا استقلت الشيء .

نجا جريضا : أى مغموما وهو أن يتبلع ريقه على حزن[٢] والجريض الغصة وفي المثل حال الجريض دون القريض .

قوله عليه السلام : فأخذ منه بالمخنق : هو موضع الخنق من العنق أي بلغ منه الجهد .

فلأيا بلأي ما نجا : في الصحاح يقال : فعل ذلك بعد لأي ، أي بعد شدة وإبطاء ولأي لأيا : أي أبطاء وما صلة زائدة ، وتقدير الكلام فنجا لأيا أي صاحب لأي ، أي في حال كونه صاحب جهد ومشقة ملبسة بمثلها أي نجا

١ــ في ف : للراكب .

٢ــ الريق: لعاب الفم يقال : اني على الريق أي لم آكل ولم اشرب بعد شيئا والجرن بضمتين جمع الجرين وهو موضع تجفيف التمر وهو كالبيدر للحنطة ؛ وفي ض : ريقه على حزن .

في حال تضاعف الشدائد، وترادفها عليه، يصف بعض خصومة من معاوية ونظرائه.

فجزت قريشا عنى الجوازي: دعا عليهم أي أصابهم جزاء ما فعلوا بي من البغي، والعدوان على أوفر الوجوه وأتمها دينا ودنيا.

وسلبوني سلطان ابن امي: عني النبي صلى الله عليه وآله فان امّ على فاطمة بنت أسد، ممن قال النبي في شانها فاطمة أميّ بعد أميّ، وقيل: إنه عني بابن الأمّ نفسه أي سلبوا سلطاني.

فان رأيي في قتال المحلين: يقال أحل الرجل أي خرج من ميثاق كان عليه، وجواب لو أسلمه مقدر استغني عنه بما سبق من قوله لا تحسبن.

كآبة: أي حزن.

* * *

٣٧ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى معاوية

فَسُبْحَانَ ٱللهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ[١]، مَعَ تَضْيِيقِ الْحَقَائِقِ، وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ فِي عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ.

١ــ في ب : والحيرة المتعبة.

الشرح

فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء : نزه الله تعالى عن أن يكون راضيا بمثل تلك الأفاعيل أو خالقا لتلك الأخلاق الذميمة على ما ادعته المجبرة الأموية ، وقد يقال لفظ سبحان الله في مظانّ التعجب . كأنه تعجب من إمهال معاوية مع فرط طغيانه وعدوانه وإظهاره البدع ، ونقضه للعهد ، والله تعالى يمهل ولا يهمل ، فانه بالمرصاد لجميع العباد .

إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك : أي حين نهضت بزعمك ثائرا بدم عثمان إنما فعلت ذلك ليكون لك ذريعة إلى نيل الملك ، ووسيلة إلى تمكين العباد والبلاد ، وكذلك وافقته وشايعته ظاهرا قبل اشتداد الأمر عليه .

وخذلته حيث كان النصر له : أي لما أحتاج إلى نصرتك وبعث إليك يستنهضك للذبّ عنه ، والتذمم[1] له تأخرت عنه ووثبت الشر إليه .

* * *

١ ـ في الحديث والتذمم للصاحب : هو ان يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له ان لم يحفظه والذمام والعهد والامان .

٣٨ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى أهل مصر، لما ولي عليهم الأشتر رحمه الله

مِنْ عَبْدِ آللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلاَ مُنْكَرٌ يَتَنَاهَى عَنْهُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ آللهِ لاَ يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ الأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ[١] النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحقَّ؛ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ آللهِ لاَ كَلِيلُ الظُّبَةِ، وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ، وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ، إِلَّا عَنْ أَمْرِي. وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

١ ــ في ف : حريق النار مالك بن الحارث .

الشرح

مذحج مثال مسجد أبو قبيلة من اليمن .

والشكيمة : في اللجام : الحديد المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس[١]، فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفا أبيا ، وفلان ذو شكيمة إذا كان لا ينقاد وشكمه شكما وشكيما عضه .

جردت الأرض : بالتخفيف أي أهلكت أشجارها وتركتها كفضاء أجرد لا نبات به ، فعل الجراد ، وبالتشديد للتكثير وسنة جارود شديدة المحل .

أما كتابه إلى عبد اللهبن عباس ، فقد روي أنّ عليا عليه السلام كان ولاه على البصرة ، فأخذ مالا كثيرا وخرج إلى المدينة نحو بيته ، وكتب إلى عليّ عليه السلام أن اجعلني في حل من كذا فان عيالي كثير وتغرم من مالك ، قال صاحب المنهاج ويمكن أن هذا العامل كان عبيد اللهبن العباس ، فنحو ذلك أليق به ، والاحتياج يعمّ جميع الناس ، ولا يوحشنك خشونة الكلام فالكلام مع الأقرباء في مثل هذا الموضع أغلظ .

* * *

١ ــ فأس الفم : طرفه الذي فيه الاسنان وفاس اللجام ، الحديدة القائمة في الحنك .

٣٩ـ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

إلى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا آمْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ. يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ: يَلُوذُ إِلَى (١) مَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ! وَلَوْ بِالْحَقِّ اخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ، فَإِنْ يُمَكِّنِّي آللهُ مِنْكَ وَمِنَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَانِي وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا؛ وَالسَّلاَمُ (٢).

---

١ ـ في ح: يلوذ بمخالبه.

٢ ـ في م: والسلام لاهله.

٤٠ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي [1] رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ٱبْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ؛ وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ؛ وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ، وَهٰذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فُتِنَت [2] وَشَغَرَتْ؛ قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمَجِنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلاَ ٱبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ، وَلاَ الْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ ٱللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ؛ وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هٰذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَٱخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ ٱخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ؛ فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ

---

١ ـ في ب : من اهلي.

٢ ـ في ض وح وم وب ول : قد فتكت.

رَحِيبَ الصَّدْرِ تَحْمِلَه[١] غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ ـ لاَ أَبَا لِغَيْرِكَ ـ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَسُبْحَانَ اللهِ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوَ مَا تَخَافُ مِنْ نِقَاشِ الْحِسَابِ[٢]؟ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ ـ كَانَ ـ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الأَلْبَابِ[٣] كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً؟ وَتَبْتَاعُ الإِمَاءَ وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ مِنْ مَالِ[٤] الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ الأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هٰذِهِ الْبِلاَدَ!! فَاتَّقِ اللهَ وَارْدُدْ إِلَى هٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ لأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ، وَلأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلاَ ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأُزِيحَ[٥] الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا؛ وَأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحِّ رُوَيْداً فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ الرَّجْعَةَ، وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ[٦].

---

١ ـ في ض وح وب ول وش: بحمله.
٢ ـ في ح وض وب وش: تخاف نقاش الحساب.
٣ ـ في ح: اولي الالباب.
٤ ـ في ح: من اموال.
٥ ـ في ض وب: ازيل الباطل.
٦ ـ في ش: مناص والسلام.

الشرح

جعلتك شعاري وبطانتى : أي اتخذتك خاصا لي بحيث لم يحل بيني وبينك حائل، من شدة الاتصال المعنوي وبطانة الرجل وليجته[١].

وكلب الزمان : أشتدّ غضبه .

وخزيت : أي هانت وذلت .

وفتكت : قتلت على غفلة ، وشغرت : أي تفرّقت .

قلبت لابن عمك ظهر المجن : أي الترس، وهو مثل يضرب لمن يخالف بعد ما كان موافقا ، ويتغير عما كان عليه وذكر عليه السلام قرابته مرارا تواضعا ومراقبة لجانبه ، وحثا على الوفاء .

غرتهم عن فيئهم : أي غفلتهم عن غنيمتهم .

الذئب الأزل : الخفيف الوركين[٢] : هو أقوى على العدو.

والمعزى : الجريحة المكسورة أقرب إلى اختطاف الذئب واستلائه إياها .

رحيب الصدر: أي غير ضايق به صدرك .

لا أبا لغيرك : عتاب يقطر منه ماء اللطاقة، وفيه جمع بين العتاب

١ ــ وليجة : الرجل خاصته واقر باؤه .

٢ ــ الورك : ما فوق الفخذ .

والاستعتاب .

ونقاش الحساب : الاستقصاء فيه .

والمظلمة : الظلم ، وما يطلب عند الظالم من الحق أيضا .

لأعذرنّ إلى الله فيك : أي لآتينّ بما يعذرني الله في فعلك ، هذا .

فضح رويدا : مثل أي ترفق في الأمر ولا تعجل ، وأصله أن الأعراب في باديتها تسير بالظعن فاذا عثرت على لمع من العشب ، قالت ذلك وغرضها أن ترعى الابل الضحا ، أي مرعى الضحوة قليلا ، وهي سائرة حتى إذا بلغت مقصدها ، شبعت ، فلما كان من الترفق في هذا توسعوا فقالوا : في كل موضع ضح بمعنى ارفق ، والأصل ذلك قال زيد الخيل[١] .

فلو أن نصرا أصلحت ذات بينها * لضحت رويدا من مطالبها عمرو

قال صاحب المعارج : ضح من النضيحة أي لا تعجل في ذبح الأضحية والقول الأول ذكره الامام الزمخشري .

ويتمنى المضيع الرجعة : من قوله تعالى «فارجعنا نعمل صالحا[٢]» وقوله تعالى : رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت[٣] .

ولات حين مناص : أى ليس وقت تأخر وفرار .

* * *

١ ــ زيد الخيل هوزيد الخيربن مهلهل الطائي التيهاني كان يدعى زيد الخيل لشجاعته فسماه النبي صلى الله عليه وآله لما وفد عليه في سنة تسع من الهجرة زيد الخيروأثنى عليه واقطعه ارضين .

٢ ــ السجدة : ١٤ .

٣ ــ المؤمنون : ٩٩ .

٤١ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى عمربن أبي سلمة المخزومي ، وكان عامله على البحرين
فعزله ، واستعمل نعمان بن عجلان الزرقي مكانه

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ نُعْمَانَ بْنَ عَجْلاَنَ الزُّرَقِّي عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍّ[1] لَكَ وَلاَ تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ ؛ فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلاَيَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ ، وَلاَ مَلُومٍ ، وَلاَ مُتَّهَمٍ ، وَلاَ مَأْثُومٍ . فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ ، إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ .

١ ــ في ب : بلا ذم ولا تثريب .

٤٢ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وهو عامله على أردشير حرة

بَلَغَنِي عَنْك أَمْرٌ إنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إلٰهَكَ ، وَأَغْضَبْتَ إمَامَكَ : أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ ، فِيمَنِ اعتماك [1] مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ . فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَئِنْ كَانَ ذٰلِك حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً ، وَلَتَخِفَّنَ عِنْدِي مِيزَاناً ، فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَلاَ تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ ؛ فَتَكُونَ مِنَ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً .

أَلاَ وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هٰذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ : يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ ، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ . وَالسَّلاَمُ .

---

١ ـ في ض وح وب : اعتامك وفي ش : اعمالك .

٤٣ــ وَمِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

إلى زيادبن أبيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ؛ فَاحْذَرْهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ: يَأْتِي الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ؛ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ.

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ: لاَ يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلاَ يُسْتَحَقُّ بِهَا إرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ.

فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها ورب الكعبة، ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معاوية.

قال الرضي: قوله عليه السلام «الواغل»: هو الذي يهجم على الشَّرْب ليشرب معهم، وليس منهم، فلا يزال مُدَفَّعاً محاجَزا. و «النوط المذبذب»: هو ما يناط برحل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبدا يتقلقل إذا حث ظهره واستعجل سيره.

الشرح

وقوله : عمربن أبي سلمة[١] : ربيب رسول الله امه ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله واعتميت الرجل : اي اخترته وهو قلب الاعتيام .

أما زيادبن أبيه فانه ادعى فيه جماعة زعم كل منهم أنه أبوه فالتبس نسبه ولم يظهر أمره فقيل انه زيادبن أبيه وام زياد اسمها سمية وكانت سرقت من زند رود[٢] وصارت لامرأة اسمها صفية ، فزوجتها من غلام لها اسمه عبيد رومي ، وولدت زيادا على فراشه ، فلما أسلم ظاهرا وانتهت الخلافة إلى اميرالمؤمنين استعمله على فارس كما كان رسول الله يستعمل نظراه للمصلحة .

كان معاوية يكتب إليه يستغويه ويعده ويمنيه ، كان يعلم من دهائه وكفايته ورأيه ، وهو لا يلتفت إليه إلى أن استشهد أميرالمؤمنين عليه السلام وصالح الحسن عليه السلام معاوية فشخص زياد إلى معاوية أن كتب له أمانا

---

١ ــ عمربن ابي سلمة القرشي المخزومي ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله يكنى ابا حفص وامه أم سلمة زوج النبي ولد في السنة الثانية من الهجرة بارض الحبشة وشهد مع علي عليه السلام الجمل واستعمله على البحرين وعلى فارس توفي بالمدينة سنة ٨٣ .

٢ ــ زند رود بفتح اوله وسكون ثانية وفتح الدال وراء مهملة و واو ساكنة وآخر ذال ، نهر مشهور عند اصبهان عليه قرى ومزارع وهو نهر عظيم ، ويمكن ان يكون زند ورد بتقديم الواو على الراء وهي مدينة قرب واسط ممايلي البصرة خربت بعمارة واسط .

فلما قدم عليه أكرمه وادّعاه، وصعد به المنبر، وقال أيها الناس إني عرفت شبيهنا أهل البيت في زياد فمن كانت عنده شهادة فليقمها.

فقام الناس فشهدوا أنه ابن أبي سفيان اقربه قبل موته فممن شهد بذلك ابو مريم الساولي وكان خمارا في الجاهلية بالطائف فقال اشهد أن أبا سفيان قدم علينا الطائف فأتاني فاشتريت له لحما وأنيته بخمر وطعام فلما ان أكل وشرب قال يا أبا مريم اصب[1] لي لعبا، فأتيت سمية وقلت إن أبا سفيان من عرفت شرفه وحاله وقد أمرني ان اصيب له عروسا فقالت تجيء زوجي عبيد من غنمه، فاذا تعشى ووضع رأسه أتيته.

فلم تلبث أن جأت تجر ذيلها، فدخلت فلم تزن معه حتى أصبحت فقلت له كيف وجدتها قال: خير مصاحبتي لو لا ذفر[2] في ابطيها ونتن في رفغيها[3]، فقال زياد من فوق المنبر يا أبا مريم لا تشتم امهات الناس فتشتم امك ثم جلس أبو مريم فقام آخر فقال: اشهد أن عمربن خطاب أخذ بيد زياد يوما فأخرجه إلى الناس فقال بعض الحاضرين لله أبوه من رجل لو كان له عنصر.

فقال أبو سفيان وهو إلى جانبي أنا والله وضعته في رحم أمه سمية، وما له أب غيري فقلت لم لا تدعيه فقال فزعا من هذا السلطان وأشار إلى عمر، وروي أن معاوية قدم المدينة فدخل على عائشة فذكرت له شيئا، فقال إن ذلك لا يصلح، فقالت الذي لا يصلح ادعاك زياد فقال شهدت الشهود.

فقالت ما شهدت الشهود ولكن ركبت الصليعا أي السوأة والفجرة البارزة المكشوفة يعنى رده بذلك الحديث المرفوع الذي اطبقت الامة على قبوله،

---

١ ــ الصبوة: الميل الى الهوى.

٢ ــ الذفر بالتحريك: يقع على الطيب والكريه ويعرف بينهما بما يضاف اليه ويوصف به.

٣ ــ الرفغ بالضم والفتح واحد الارفاغ وهي من مطاوى الاعضاء وما يجتمع فيه من الوسخ والعرق.

وهو قوله عليه السلام الولد للفراش وللعاهر الحجر وسمية لم يكن لأبي سفيان فراشا وفي ذلك قال يزيدبن المفرغ[١] الحميري .

ألا أبلـغ مـعـاويـةبـن حـرب * مـغـلـغلة عـن الـرجـل اليـمـاني
أتـغضـب أن يـقـال أبـوك عـف * وتـرضـى أن يـقـال أبـوك زانـي
فـاقسـم أن الـك مـن زيـاد * كـال الـفـيـل مـن ولـد الاتـان

فانظر بعقلك كيف استحوذ الشيطان على حزبه أى عماهم عن الحق حتى استشهد من سمي أميرالمؤمنين ولقب بخال المؤمنين وتوسل إلى نيل الخلافة بكتابة وحي رب العالمين على منبر الخلافة ومنظر الرسالة خمار الطائف على[٢] نزوان أبيه ابي سفيان السكران على سمية المومسة[٣] الدفرة لتغيير حكم الشرع عن الظاهر والحاق ولد الزنا بالعاهر.

فهل بقيت مآثم لم يحتقبوها[٤] وجرايم لم يرتكبوها وسرى عرق الدعوة في أولاد زياد، حتى جرا على يدابنه عبيد الله لعنه الله ما جرى من قتل الحسين، وأولاده عليهم السلام، وإذا تدبرت أحوال أعداء عليّ وأبرار عترته وجدت أكثرهم أشنع وأقبح من هذا، وقد جرى ذلك على لسان النبي صلى الله عليه وآله حيث قال بوروا[٥] أولادكم بحب علي بن أبي طالب عليه السلام فمن أحبه فهو لرشدة[٦] ومن أبغضه فهو لغية[٧].

١ ــ يزيد بن ربيعة بن مفرغ ــ كمحدث ــ الحميري شاعر يقال ان جده راهن على ان يشرب عسا من لبن فـفرغه وقال ابن الكلبي في نسب حمير: يزيد بن زياد بن ربيعة ابن مفرغ كان حليفا لآل خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية وله اليوم عقب بالبصرة.

٢ ــ نزوت على الشيء انزو نزوا : اذا وثبت عليه.

٣ ــ الموسة : المرأة الفاجرة المجاهرة بالفجور والدفر : النتن.

٤ ــ احتقب الاثم : جمعه.

٥ ــ في الحديث كنا نبور اولادنا بحب علي عليه السلام : البور: الاختبار والامتحان.

٦ ــ الرشدة : اي ولد بالطريق الشرعي والنكاح المشروع.

٧ ــ الغى : الزنا والمراد من «لغية» هنا المولود من الزنا.

قوله كان من أبي سفيان فلتة : أي قول غير صادر عن تدبر وتردد بل فجأة لا يثبت بها نسب ، لقول النبي صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر[1] الحجر.

والنوط المذبذب : أي الشيء المعلق المحرك المضطرب غير الثابت .

وقول زياد شهد بها : جهل باطل لأن ردّ علي عليه السلام على أبي سفيان كيف يكون تحقيقا للنسب .

١ ـ العاهر : الزاني وعهر : اذا اتى المرأة ليلا للفجور بها ثم غلب على الزنا مطلقا .

٤٤ ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهُ السَّلَامْ

إلى عثمان بن حنيف الأنصارى ، وهو عامله على البصرة
وقد بلغه أنه دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها

أَمَّا بَعْدُ يَا ٱبْنَ حُنَيْفٍ : فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ عليك الْجِفَانُ[١]! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ؛ فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ؛ وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ.

أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ[٢]، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلٰكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَٱجْتِهَادٍ، (وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ[٣]) فَوَٱللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً وَلاَ ٱدَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً.

---

١ ـ في ض وح وف وم : تنقل اليك .
٢ ـ في م وحاشية ن : من الدنيا بطمريه .
٣ ـ ساقطة من ف ون ول وش .

بَلَى ؟ كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ[1] آخَرِينَ. وَنِعْمَ الْحَكَمُ[2] اللهُ! وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَك وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ؟ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لأَضْغَطَهَا[3] الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ، وَلَوْ شِئْتُ لاَهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هٰذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هٰذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هٰذَا الْقَزِّ، وَلٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِبَا[4] الْيَمَامَةِ مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ!! أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وَأَكْبَادٌ حَرَّى!! أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ * وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ!

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ؟ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ، فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا،

١ ــ في ض وب : نفوس قوم آخرين وفي ف : نفوس قوم.

٢ ــ في ش : نعم الحكم الله رب العالمين.

٣ ــ في حاشية ف : لضغطها.

٤ ــ في ض ون وب : او اليمامة.

وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَو أُتْرَكَ سُدَي وَأُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ. وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إذَا كَانَ هَذَا قُوتَ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ»؟! أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعُ الْخَضِرَةُ أَرقُّ جلوداً، وَالنَّبَاتَاتُ الْبَدَوِيَّةُ[١] أَقْوَى وَقُوداً وَأَبْطأُ خُمُوداً! وَأَنَا مِنْ رَسُولِ ٱللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ[٢]، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ. وَٱللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هٰذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيد.

إِلَيْكِ عَنِّي يَادُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَٱجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ. أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ[٣] أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟ هَاهُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ! وَٱللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِياً، وَقَالباً حِسِيّاً؛ لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ ٱللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ[٤] فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَءِ؛ إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَدَرَ. هَيْهَاتَ مَنْ وَطِىءَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ٱزْوَرَّ عَنْ حِبَالِكِ

---

١ ــ في ض وب: والنبات البدوية.

٢ ــ في ح: كالضوء من الضوء.

٣ ــ في ن وع: بمداعيك.

٤ ــ في ب: بالاماني والقيتهم في المهاوي.

وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لاَ يُبَالِي إنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ آنْسِلاَخُهُ.

أُعْزُبِي عَنِّي؛ فَوَ ٱللهِ لا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي؛ وَآيْمُ ٱللهِ ـ يَمِيناً بَرَّةً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ ٱللهِ ـ لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إلَى الْقُرْصِ إذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً؛ وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرَغَةٍ دُمُوعُهَا. أَتَمْتَلِىءُ السَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ؟ وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ؟ وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ قَرَّتْ إذاً عَيْنُهُ إذَا اقْتَدَي بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا؛ وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا؛ وَهَجَرَتْ في اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إذَا غَلَبَ الْكَرَى آفْتَرَشَتْ عَلَيْهَا أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا؛ فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ آسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ (أُولَئِكَ حِزْبُ ٱللهِ، أَلاَ إنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

(فَاتَّقِ ٱللهَ يَا آبْنَ حُنَيْفٍ، وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ؛ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلاَصُكَ)(١).

١ـــ ساقطه من ف وم ون وش.

الشرح

ومن كتابه إلى عثمان بن حنيف.

قطان البصرة: سكانها؛ المأدبة: الطعام وأدب القوم يادبهم دعاهم إلى الطعام.

والعائل: الفقير؛ والطمر: الثوب البالي.

والفلذة: قطعة من الكبد واللحم.

والتبر: الذهب، وروي لاذخرت من أقطارها شبرا.

انكم لا تقدرون على ذلك: يعنى ان لا تجاوز التجاوز من اتقاء الحرام إلى اتقاء ما تركه أولى ويجوز فعله، ولكن عليكم باتقاء الحرام فان ذلك لا بدّ منه.

والمظانّ: جمع المظنة وهو الموضع الذي يظنّ ويعلم كونه فيه.

والجشع: أشدّ الحرص؛ والقدّ: جلد تحرقه العرب في الجدب ويأكلونه.

وجشوبة العيش: غلظه وخشونته؛ والكاف في كالبهيمة، منصوب المحلّ على الحال، وذو الحال الضمير المنصوب في ليشغلني (أي ما خلقت ليشغلني ذلك مشابها للبهيمة أي لو شغلني ذلك لشابهت البهيمة.

ج ــ وقيل هو صفة مصدر محذوف، والمضاف اليه بعده مقدر، أي ما خلقت خلقا مثل خلق[١]) البهيمة.

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

والتقمم: تتبع القمامة بالكناسات، وقيل هو جمع النبات في المرعى.

تكترش: أي تجمع في الكرش، والمتاهة: التحير والغري[1] بالتسكين الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

والصنوان: شعبتان ينبتان من أصل واحد.

والشخص المعكوس: عني به معاوية وكان جميع أحواله وأفعاله على عكس ما يقتضيه الدين.

والجسم المركوس: أي الراجع إلى عقبه المنحرف عن طريقه.

حتى يخرج المدرة من بين حبّ الحصيد: أي تميز الحق من الباطل، والطيب من الخبيث، وحب الحصيد: أي حب التبت الحصيد، وقال الأزهري: أي حب الزرع الحصيد، قال ابن عرفة: أي ما يحصد من أنواع النبات وحب البرّ والشعير ونحوهما، إذا تكامل أن يحصد، والحبّ هو الحصيد، فهو مثل حق اليقين أي حب الزرع الذي يقتات به، ومن شأنه أن يحصد.

إليك عني: أي ابعدي عني.

فحبلك على غاربك: مثل مضى الكلام فيه، وهو طلاق الجاهلية وأصل الكلام في الابل فانها إذا خليت للرّعي تذهب حيث تشاء ألقى زمامها على غاربها.

انسللت: أي خرجت، بمداعبك: جمع مدعاة وهي الطعام الذي يدعى إليه أو الدعاء إلى الطعام نفسه، يعني بزخارفك وزهرتك، وروى بمداعبك من الدعابة وهي المزاح.

والمضامين: في الأصل ما في أصلاب الفحول، ثم استعير لكلّ شيء

١ــ في ض: العدى.

مستور، وهو جمع مضمون، أي هم في ضمن اللحود في القبور.

ومكان دحض ودحض: بالتحريك أي زلق لا يثبت عليه قدم.

وازورَّ: انحرف وأعرض.

أعزبي: أي تباعدي، لا أسلس؛ لا أنقاد.

وأيم الله: مبتدأ محذوف الخبر أي أيم الله يميني، ثم فسر اليمين المحذوف بقوله يمينا ويجوز أن يكون مصدرا من فعل دلَّ عليه أيم الله أي احلف يمينا.

تهش: أي ترتاح.

ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها:

أي أبالغ في البكاء حتى لا يبقى دمع، واستفرغت مجهودي في كذا بذلته، واستفرغت الماء صببته، ونضب الماء: غار والمعين: الماء الظاهر للعيون على وجه الأرض.

والربيضة: الغنم المجتمعة في مربضها.

والرعى: ما يرعى من النبات.

والغمض: القليل من النوم، يهجع: ينام، والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر.

تقشعت: أي تفرقت.

* * *

٤٥ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى بعض عمّاله

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ. فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لاَ يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ، وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، (وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ[1]) وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ.

١ ــ ساقطة من ف وم ون وح وش.

٤٦ــ وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى ٱللهِ، وَأَنْ لاَ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلاَ تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولاَ بِالْحَقِّ، وَٱعْمَلاَ لِلأَجْرِ[1]، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً.

أُوصِيكُمَا، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى الله، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، يَقُولُ: «صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ» ٱللهَ ٱللهَ فِي الأَيْتَامِ؛ فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ، وَٱللهَ ٱللهَ فِي جِيرَانِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ، وَٱللهَ ٱللهَ فِي الْقُرْآنِ؛ لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ، وَٱللهَ ٱللهَ فِي الصَّلاَةِ؛ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ، وَٱللهَ ٱللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ؛ لاَ تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا، وَٱللهَ

١ ــ في حاشية ف: واعملا للاخرة.

آللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ آللهِ؛ وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُل، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ، لاَ تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ(١) ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثم قال:

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ، أَلاَ! لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي.

أُنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هٰذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ آللهِ، صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».

الشرح

أقمع نخوة الأثيم: أي اكسر كبره.

قوله عليه السلام: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام.

في الغريبين اصلحوا ذات بينكم، أي حقيقة وصلكم عنى بصلاح البين إصلاح الحال بين المسلمين، قال الامام الوبري: يجوز أن يكون المراد بذلك أن الاصلاح بين الناس وإزالة الوحشة منهم، يزيد ثوابه على ثواب النوافل، من الصلاة والصيام، وإن كثرت، ووجه ذلك ظاهر، وهو أن صلاح ذات البين خير يتعدى من فاعله إلى غيره، والصلاة والصوم مقصوران على الفاعل، فجاز أن يكون القليل من ذلك النوع يوفى على الكثير من غيره.

---

١ ــ في ب فيولي شراركم.

قوله : والله الله : أي اتقوا الله ، والتكرار للتأكيد .

ولا تغبوا أفواههم : من قولهم لا يغبنا عطاؤه أي لا يأتينا يوما دون يوم ، بل يأتينا كلَّ يوم ، يعني لا تطعموا الأيتام ساعة دون ساعة ، ويوما دون يوم ، بل اطعموا كل وقت وساعة .

فانه إن ترك ذلك لم يناظروا : أي ان اتفق الناس على ترك الحج عوجلوا بالعقاب ولم ينظروا .

والمثلة : النكال ومثل بالقتيل جدع أنفه .

* * *

٤٧ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

إلى معاوية

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتِغَانِ[١] الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ، وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ بِغَيْرِ الْحَقِّ[٢] فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ؛ فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ.

وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ، وَالسَّلاَمُ.

---

١ ــ في ض وحاشية ن وش : يوتغان بالمرء وفي ن وب ول : يذيعان بالمرء.

٢ ــ في ب وض وح ول وش : اقوام امرا بغير الحق.

الشرح

الوتغ بالتحريك : الهلاك وقد وتغ وتغا أي أثم ، وأوتغه الله أي أهلكه ، واوتغ فلان دينه بالاثم .

تأولوا على الله فأكذبهم : أي طلبوا لأفعالهم تأويلا لا يرضاه الله كما فعل أصحاب السبت ، فان الله أمرهم أن لا تعدوا في السبت فحبسوا الحيتان في الحياض يوم السبت ، وصادوها يوم الأحد ، وروي فتألوا على الله ، وذلك في حديث النبي من يتألّ على الله يكذبه ، وقيل في تاولوا كأنه قلب تألوا على الله ، أو تصحيف من الناسخ من قول النبي صلى الله عليه وآله : من يتأل على الله يكذبه ، أي من يحكم على الله مثل أن يقول ليخيبنّ الله سعى فلان أو لينجحن .

* * *

٤٨ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى غيره

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا؛ وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ! وَلَوِ ٱعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ؛ وَالسَّلاَمُ.

٤٩ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى أمرائه على الجيوش

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ :ــ

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَنْ لاَ يُغَيِّرَهُ[1] عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ، وَلاَ طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ ٱللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ، وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ.

---

١ ــ في ش : عن رعيته.

ألاَ وَإنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لاَ أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرًّا إلاَّ فِي حَرْبٍ، وَلاَ أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إلاَّ فِي حُكْمٍ، وَلاَ أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ، وَلاَ أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ. وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً؛ فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَجَبَتْ لِلّٰهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ؛ وَأَنْ لاَ تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَ تُفَرِّطُوا فِي صَلاَحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا[1] [لِي] عَلَى ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ وَلاَ يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هٰذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحِ اللّٰهُ بِهِ أَمْرَكُمْ.

---

١ ــ في ب : لم تستقيموا على ذلك.

الشرح

لا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب : أي لا أكتم سرّي عنكم إلا ما يتعلق بالحرب فان الحرب خدعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد سفرا ورّى بغيره أي كنى عنه وستره .

ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم : أي أشاوركم فيما يتعلق بصلاح الدنيا دون أحكام الدين ، والوظائـف الشرعية فانه لا مجال للرأي والشورى فيها ، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي ، والعدوان عقاب يخاف ، لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه .

قال الامام الوبري : لأن التقوى من القبائح له حكمان ، فوز بالثواب ونجاة من العقاب ، فلو عفا عن العقاب في ارتكاب القبائح ، لم يسغ للعاقل تعاطيها[1] ، لأن فيها حرمان ثوابها ، فكفى بثواب التقوى داعيا إليها ، وإن كان يؤمن العقاب لأن تقوية النفع العظيم الذي لا مزيد عليه لا يجوز في العقل .

* * *

١ ـ تعاطى الشيء : تناوله وتعاطى الأمر : قام به وخاض فيه .

٥٠ ــ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلاَمْ

إلى عمّاله على الخراج

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ ، وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لاَ عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ . فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ ، وَوُكَلاَءُ الْأُمَّةِ ، وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ . وَلاَ تَحْسِمُوا[1] أَحداً عَنْ حَاجَتِهِ ، وَلاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ ، وَلاَ تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلاَ صَيْفٍ وَلاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا ، وَلاَ عَبْداً ، وَلاَ تَضْرِبُنَّ أَحداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ، وَلاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلاَ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاَحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ ، فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ

---

١ ــ في ض وح وب : ولا تحشموا وفي ل : ولا تجشموا .

ذٰلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ فَيَكُونَ شَوْكَةً[١] عَلَيْهِ، وَلاَ تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً، وَلاَ الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلاَ الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً، وَلاَ دِينَ ٱللهِ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِهِ[٢] مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ ٱللهَ، سُبْحَانَهُ، قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ (العلي العظيم[٣]).

الشرح

وسفراء الأئمة: أي الوسائط بينهم وبين الرعايا.

ولا تحشموا: أي لا تقطعوا.

ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف: أي لا تضطروهم ولا تلجئوهم إلى بيع ذلك للخراج.

وأبلوا في سبيله ما استوجب عليكم.

أي أجهدوا في أداء ذلك: وأظهروا الكفاية فيه عن أنفسكم، فقال أبلى فلان عذرا أي بالغ في إظهاره من نفسه.

* * *

١ ـ في ف: فيكون ذلك شوكة عليه.

٢ ـ في ض وب وم: في سبيل الله وفي ح: في سبيل ما استوجب.

٣ ـ ساقطة من ش.

٥١ـ وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمْ

إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة

أَمَّا بَعْدُ؛ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبَضِ الْعَنْزِ[١]، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ، (الى منى[٢]) وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِمْ وَلاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ.

١ ـ في ب : من مربض العنز.

٢ ـ ساقطة من ف وم ون ول وش.

الشرح

فصلوا بالناس الظهر، حين تفىء الشمس مثل مربض العنز.

أي حين تزول الشمس إلى الغرب ويقع من الفىء القدر المذكور ويطابق هذا القول، ما نقل من كتاب الحلبي من أن وقت صلاة الظهر قدمين من زوال الشمس إلى أن يكون الظل قامة ووقت العصر على قامة ونصف إلى أن يصفارّ الشمس.

وقوله والشمس بيضاء: أي قبل اصفرارها.

قوله عليه السلام حية: استعارة لطيفة كأنه شبه غروب الشمس لونها واصفرارها بمرضها، واشفائها على الهلاك. وبقائها على حالها من قبل بيضاء اللون قوية النور بحياتها.

في عضو من النهار: أي وقد بقي جزء تام من اليوم، بحيث يمكن أن يسار فيه فرسخان.

صلاة المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج.

أي يرجع عن عرفات يوم عرفة، وذلك إنما يكون حين سقوط قرص الشمس، وغيابه في الأفق، وعلق ذلك بوقت الافطار ودفع الحاج لأن المخاطبين ربما كان ذلك أسبق إلى افهامهم، فكان إضافة الفعلين إلى الوقت المخصوص أشهر عندهم.

والشفق: هو الحمرة في المغرب عندنا وعند الشافعي، والبياض عند

أبي حنيفة .

وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه .

وذلك بعد طلوع فجر الثاني .

صلوا بهم صلاة أضعفهم : أي لا تطيلوا الصلاة في الجماعة ، بحيث يضعف عن موافقتكم الضعفاء من المشائخ والمرضى ، وغيرهما .

ولا تكونوا فتانين : أي لا يكن الامام المقتدى به ممن يبتلى المقتدون به وبأطالته الصلاة ، والأولى أنه على العموم والاطلاق أي لا تكونوا أصحاب فتنة وبلاء على الخلق .

* * *

٥٢ــ ومِنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

كتبه للأشتر النخعي رحمه الله ، لما ولاه على مصر واعمالها
حين اضطرب أمر محمدبن أبي بكر، وهو أطول عهد
وأجمع كتبه للمحاسن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ آللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جبوة خَرَاجِهَا[١]، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَآسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى آللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَآتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ، وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا؛ وَأَنْ يَنْصُرَ آللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ[٢]؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِندَ الشَّهَوَاتِ[٣] وَيَزَعَهَا عِنْدَ

---

١ ــ في ض وح وب : جباية خراجها .
٢ ــ في ف ون وم ول وش : بيده وقلبه .
٣ ــ في ب : من الشهوات .

الْجَمَحَاتِ[١]؛ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ ٱللهُ.

ثُمَّ ٱعْلَمْ، يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي ٱللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبُّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ، وَأَشْعِرْ[٢] قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَامّا نَظِيرٌ[٣] لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ[٤]، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطأ. فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي ٱلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَٱللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ ٱسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ وَٱبْتَلاَكَ بِهِمْ، وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللهِ.

فَإِنَّهُ لاَيَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلاَ تُسْرِ

١ــ في حاشية م: ويدعها عند.

٢ــ في م: واشعر نفسك.

٣ــ في ب: او نظير.

٤ــ في ب: منهم في الزلل.

عَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلاَ تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ ٱللهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ ٱللهِ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ؛ فَإِنَّ ٱللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ ٱللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ ٱللهِ كَانَ ٱللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ ٱللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ لِلّٰهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ (عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ ٱللهَ يَسْمَعُ[1] دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ[2]).

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا في الْحَقِّ، وَأَعَمَّهَا في الْعَدْلِ وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ

---

١ ـــ في م وش : ان الله سميع .

٢ ـــ ساقطة من ن وف ول .

مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ وَإِنَّمَا عمود [1] الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ [2] أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ. أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَصِحُّ [3] لَكَ، وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ؛ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنَ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ!

شَرَّ وُزَرَائِكَ [4] مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ

١ــ في ب: عماد الدين.
٢ــ في ش: فليكن ابعد.
٣ــ في ح: مالا يضح لك.
٤ــ في ض وب: ان شروزرائك.

فِي الآثَامِ فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً؛ فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ [١] مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ: أُولٰئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عِطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولٰئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَنْ لاَ يُطْرُوكَ وَلاَ يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ [٢].

وَلاَ يَكُونَنَّ [٣] الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ؛ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ! وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ [٤] بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ [٥] عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ؛ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً

١ــ في ح وش : اوزارهم وآثامهم .
٢ــ في م ول وش : من الغرة .
٣ــ في ب : ولا يكون المحسن .
٤ــ في ب : حسن ظن راع .
٥ــ في ض وف وح : تخفيفه المؤنات عليهم .

طَوِيلاً وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ الأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةِ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ؛ وَلاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ [1] مِنْهَا.

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَثَةَ [2] الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا [3] جُنُودُ اللهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى لَهُ اللهُ سَهْمَهُ. وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلاَةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ، ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ

١ــ في ف : نقصت منها.

٢ــ في ح : مناقشة الحكماء.

٣ــ في ف : منها جنود الله.

مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ في جِهَادِ [١] عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهٰذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا وَلاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ وَفِي ٱللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ (وَلَيْسَ يَخْرُجُ الوالى مِنَ حَقيقَةِ ما ٱلْزَمَه الله مِنْ ذلِكَ اِلَّا بِالإِهْتِمامِ وَالإِسْتِعانَةِ بِاللهِ وَتَوْطينِ نَفْسِهِ عَلى لُزومِ الحَقِّ وَالخبرِ عَليه فيما خَفَّ عَليه أوثَقُلَ [٢])فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكِ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإمَامِكَ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً [٣]، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً: مِمَّنْ يُبْطِيءُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الأَحْسَابِ [٤] وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ

١ــ في ض وح : على جهاد عدوهم .

٢ــ ساقطة من م وف ون ول وش .

٣ــ في ف وح : واطهرهم جيبا وفي ل وش : ولأمامك جيبا .

٤ــ [illegible]

وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ (١) وَالسَّمَاحَةِ؛ فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ، ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلاَ يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ وَلاَ تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا؛ فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ؛ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ، بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ؛ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ؛(وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ (٢))، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ (٣) امورهم وَقِلَّةِ ٱسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ ٱسْتِبْطَاءِ ٱنْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ؛ فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ (٤) الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلاَءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

١ــ في م : والسخاوة.

٢ــ ساقطة من م وف ون وح ول وش.

٣ــ في ب : على ولاة الامور.

٤ــ في ح : من حسن الثناء.

ثُمَّ ٱعْرِفْ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلاَ تُضِيفَنَّ بَلاَءَ ٱمْرِىءٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمْرِىءٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلاَ ضَعَةُ ٱمْرِىءٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

وَٱرْدُدْ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ [1] مِنَ الْخُطُوبِ وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ؛ فَقَدْ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَالرَّسُولِ) فَالرَّدُّ [2] إِلَى ٱللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.

ثُمَّ ٱخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، وَلاَ تُمْحِكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ ايضاحِ الْحُكْمِ [3]؛ مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأُولٰئِكَ قَلِيلٌ، ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَٱفْسَحْ لَهُ فِي

١ــ في ف وم: يظلعك.

٢ــ في ش: فالراد الى الله.

٣ــ في ح وب: عند اتضاح الحكم.

الْبَذْلِ مَا يُزِيحُ عِلَّتَهُ [١] ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ [٢] لَهُ عِنْدَكَ ، فَانْظُرْ فِي ذٰلِكَ نَظَراً بَلِيغاً ؛ فَإِنَّ هٰذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ: يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى ، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا .

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُم اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً ؛فَإنهما جِمَاعٌ [٣] مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ ؛ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الإِسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً ؛ وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ [٤] إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً . ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ فَإِنَّ ذٰلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ . ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِم ؛ فَانَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ عُدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ [٥] ، عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذٰلِكَ شَاهِداً فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ

١ــ في ض وب : ما يزيل .
٢ــ في ع وحاشية ش : اغتياب الرجال .
٣ــ في م : فان المحاباة والاثرة جاع .
٤ــ في ف ون : في المطامع اسرافا .
٥ــ في ش : عليك عندك .

عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذِلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ فِي صَلاَحِهِ وَصَلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ؛ وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ (١) إِلَّا بِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ. وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذٰلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلاَدَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلاً؛ فَانْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا (٢) غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ. وَلاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلاَدِكَ، وَتَزْيِينِ وِلاَيَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ (٣) لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسِهِمْ بِهِ؛ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ

١ــ في ش: سلاحا لمن سواه.

٢ــ في لك: وروي اعتمرها.

٣ــ في ح: من اجماعكم لهم وفي ب: من احجامك لهم.

إعْوَازِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لإشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاَةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ؛ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ(١)؛ وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الأَخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِىءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَفٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلأٍ، وَلاَ تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةِ عَنْ إيراد مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضَعِّفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الأُمُورِ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ، ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ؛ فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ(٢) لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأَمَانَةِ شَيْءٌ، وَلٰكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا(٣) وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ: فَاعْمِدْ لأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلّٰهِ وَلِمَنْ وَلِّيتَ أَمْرَهُ، وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ. ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ

١ــ في م: من خيارهم.

٢ــ في ح: يتعرضون لفراسات الولاة.

٣ــ في ش: فيما ولوا.

وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ؛ فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلاَّبُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلاَدِكَ. وَاعْلَمْ - مَعَ ذٰلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحًّا قَبِيحاً وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلاَةِ؛ فَامْنَعْ مِنَ الاِحْتِكَارِ (١) فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لاَ تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ؛ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ؛ وَعَاقِب (٢) فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ.

ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَحِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى فَإِنَّ فِي هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرًّا؛ وَاحْفَظْ لِلهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الإِسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَإِنَّ لِلأَقْصَى؛ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ؛ فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ

١ــ في ش : فامنع الاحتكار.

٢ــ في ض وح : وعاقبه وفي ش : فنكل وعاقب وكذا في ف وم ون.

فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بتضييع التَّافه [١] لإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ، فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدّكَ [٢] لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ؛ فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ إِلَى ٱللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ؛ فَإِنَّ هٰؤُلاَء مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى ٱللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ، وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّن مِمَّن لاَحيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذٰلِكَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ (وَالحقُّ كُلُّهُ [٣] ثَقِيلٌ)، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ ٱللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ ٱللهِ لَهُمْ.

وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ [٤]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ) ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعَيَّ [٥]، وَنَحِّ عَنْهُمْ

١ــ في ب: بتضييعك التافه.
٢ــ في ع: خدك من الكبر لهم.
٣ــ ساقطة من ب.
٤ــ في ض وب وح: غير متتعتع.
٥ــ في ع: والغي.

الضِّيقَ وَالأَنَفَ يَبْسُطِ ٱللهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَٱمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ!

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَبُدَّلكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ، وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَٱجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الأَقْسَامِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلّٰهِ إِذَا صَلُحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلّٰهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ[1] خَاصَّةً فَأَعْطِ ٱللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ[2] بِهِ إِلَى ٱللهِ مِنْ ذٰلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلاَ مَنْقُوصٍ بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ، وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ «صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً».

وَأَمَّا بَعْدُ، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ[3] ٱحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّ ٱحْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ

١ــ في ش: التي فيها له خاصة.

٢ــ في ب: ما قربت به.

٣ــ في ب: اما بعد فلا تطولن.

بِالأُمُورِ، وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ [١] يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا ٱحْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ؛ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا ٱمْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ ٱحْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ؟ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لاَ مَؤُونَةَ [٢] فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ مَظْلَمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ.

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ ٱسْتِئْثَارٌ، وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ [٣] فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولٰئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ وَلاَ تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي ٱعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذٰلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ؛

١ــ في ش : والاحتجاب عنهم.

٢ــ في ش : مالا مؤنة فيه.

٣ــ في ف وش : وقلة انصاف فاحسم مادة اولئك وفي م وف : وقلة انصاف فاحسم مؤنة اولئك.

وَٱبْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ فَانَّ مَغَبَّةَ ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وإنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَٱعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ؛ فَانَّ فِي ذٰلِكَ (رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ [١])، وَإعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلّٰهِ فِيهِ رِضاً ؛ فَانَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَأَمْناً لِبِلاَدِكَ ، وَلٰكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ؛ فَانَّ الْعُدوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ [٢] ؛ فَخُذْ بِالْحَزْمِ ، وَٱتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّك [٣] عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً ؛ فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ ، وَٱرْعَ ذِمَّتكَ بِالأَمَانَةِ ، وَٱجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ ؛ فَانَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ ٱللهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ ٱجْتِمَاعاً مَعَ تفريق [٤] أَهْوَائِهِمْ وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا ٱسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ ؛ فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ ؛ فَانَّهُ لاَ يَجْتَرِئُ عَلَى ٱللهِ إلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أمناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إلَى مَنَعَتِهِ ، وَيَسْتَفِيضُونَ إلَى جِوَارِهِ ؛ فَلاَ إدْغَالَ وَلاَ مُدَالَسَةَ وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ ،

---

١ ــ ساقطة من ف وم ون وح ول وش .

٢ ــ في م : ليغفل .

٣ ــ في ب : وبين عدوك .

٤ ــ في ض وح وب : مع تفرق اهوائهم وتشتت .

وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ، وَلاَ تَعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ [1] ضِيقُ أَمْرٍ لِزَمَكَ فِيهِ عَهْدُ ٱللهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ ٱللهِ فِيهِ [2] طِلْبَةٌ، فَلاَ تَسْتَقِيلَ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ.

إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى لِنِقْمَةٍ، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ [3] مُدَّةٍ؛ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءَ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَٱللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِىءٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ [4] فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ ٱللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ؛ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَإِنِ ٱبْتُلِيتَ بِخَطَأٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ [5] أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ؛ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ، فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ [6] حَقَّهُمْ.

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ

١ــ في ش : على ضيق ترجو.
٢ــ في ش : بك فيه من الله طلبة.
٣ــ في م : وانقضاء مدة.
٤ــ في ف : بين عباده.
٥ــ في ض وب : سوطك او سيفك او يدك.
٦ــ في ب : اولياء الامور.

لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ (١) .

وَإيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بإحْسَانِكَ ، أو التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعُودَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الاحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ ٱللهِ وَالنَّاسِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللهِ أنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ) .

إيَّاكَ (٢) وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أو التساقط (٣) فِيهَا عِنْدَ إمْكَانِهَا ، أو اللَّجَاجَةَ فِيهَا إذَا تَنَكَّرَتْ ، أو الْوَهْنَ عَنْهَا إذَا ٱسْتَوْضَحَتْ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ .

وَإيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِي عَمَّا تُعْنَى (٤) بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ؛ فَإنَّهُ مَأخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ؛ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ؛ إمْلِكْ حَمِيَّةَ أنْفِكَ ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ ؛ وَٱحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ، وَتَأخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الإخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إلَى رَبِّكَ .

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ

١ــ في ض وح وب : يكون احسان المحسنين .

٢ــ في ض وح وب : واياك والعجلة .

٣ــ في ب : او التسقط .

٤ــ في ع ول : عما تغنى .

مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي ٱتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هٰذَا، وَٱسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ؛ لِكَيْلا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا

وَمِنْ هٰذَا العَهْدِ أيْضاً

وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْاقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، من حُسْنِ [1] الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلاَدِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ [2] رَاغبون. وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

١ــ في ض وب وم ول وش: مع حسن الثناء.

٢ــ في ض وب: راجعون.

الشرح

في عهده عليه السلام للأشتر.

قوله عليه السلام: جباية خراجها: يقال جبيت الخراج جباية وجبوته جباوة أي جمعته[١] واصله الهمز، والجبوة بالفتح المرة الواحدة، وبالكسر للهيئة والحالة كالجلسة والركبة.

والخراج اسم لما يخرج منه: الفرائض من الأموال فصار الخروج لفظا واقعا على الضريبة وعلى مال الفيء وعلى الجزية، والغلة.

قال الله تعالى: أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير[٢]، أي أجرا فرزق ربك خير، والخرج والخراج: الجعل في قوله تعالى: فجعل لك خراجا والخراج إنما يؤخذ من أرض أخذت بالسيف فيوضع في بيت مال المسلمين وأرض الامام يوجر وجاز أن يسمى أجرتها خراجا مجازا، والأرض إذا كان ملكا لأحد فلا خراج عليه فيها وإنما عليه الزكاة إذا تم نصابه ولا خراج على أرض ذميّ يؤدّي جزيته.

يكسر نفسه عند الشهوات: اشارة إلى علاج مرض النفس أي يجعلها مرتاضة منقادة ولا يخليها وهواها فيرتطمه[٣] في مهاوي المهالك.

---

١ ــ في ض: جباوة اي جمعته ولا يهمز وأصله الهمز.

٢ ــ المؤمنون: ٧٢.

٣ ــ رطمت فرسه: اي ساقت قوائمها كما تسوخ في الوحل.

ويزعها عند الجمحات : أي يكفها اذا نازعته . وكادت تركب هواها وتتبع مناها .

إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله .

اللام في النفس للجنس يعني أن جميع النفوس تأمر بالمعاصي إلا النفس التي رحمها الله أي ألطف لها بألطاف العصمة ، فامتنعت عندها من المعصية ، فيكون ما مستثنى من النفس ، ويجوز أن يكون ما بمعنى من كما في قوله تعالى : فانكحوا ما طاب لكم[١] أي من طاب لكم ، ويكون الاستثناء من مفعول أمارة المحذوف أي النفس أمارة بالسوء كل أحد ، إلا من رحمه الله بلطف العصمة ، وقيل إنه استثناء منقطع عما قبله كقوله تعالى «ولاهم ينقذون إلا رحمة[٢] منا» .

قد جرت عليها دول : قال أبو عبيد : الدولة (بالضم اسم الشيء الذي يتداول به بعينه ، وقيل الدولة والدولة[٣]) لغتان بمعنى .

إنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده .

أخذ الشاعر هذا المعنى في قوله :

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار إحسان

يعني أن الله يجري ذكره بالصلاح على ألسنة الصلحاء ولا اعتداد[٤] بمن عدا الصلحاء وتصرفاتهم فانه لا مخلص للانسان من طعن اللسان .

وشح بنفسك عما لا يحل لك .

جوهر نفس الانسان جوهر نفيس لا يعرف كثير من الخلائق قدرها ،

---

١ ــ النساء : ٣ .

٢ ــ يس : ٢٣ .

٣ ــ بين الهلالين ساقط في ش .

٤ ــ الاعتداد : ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب .

وإنما خلقت لاكتساب كمالات لا يخطر على قلب بشر فحقيق بالعاقل أن يربأ[1] بنفسه عن مساوىء الأخلاق ويضنّ[2] بها عن الارتطام[3] في المهلكات.

سبعا ضاريا: أي حريصا على الصيد مولعا به.

ويفرط: أي يسبق والعفو: أبلغ من الصفح، لأن الصفح هو أن تعرض صفحة وجهك عن مجرم، وربما يبقى في قلبك عليه شيء.

لا تنصبن نفسك لحرب الله: أي لا تنـاز عن الله في سلطانه بمخالفته وعصيانه، والحكم على الخلق بغير الحق.

فانه لا يد لك بنقمته: أي لا طاقة لك بعقوبته وبحقيقة ليس لك يدان تنبسطان بسبب دفع نقمته وعقوبته، وقصدهم في مثل هذه الاضافة وإنما زيدت اللام لتوكيد معنى الاضافة ولأداء حق المنفي في التنكير بالانفصال الظاهر، وإذا كان قوله: لك: في حكم المضاف إليه فلا بدَّ للمتبدأ من خبر والتقدير لا يداك موجودتان.

والبادرة: ما تبدر من المرء وتصدر منه من الخطاء عند الغضب.

والمندوحة: السعة.

ولا تقولن إني مؤمر آمر فاطاع: لأن الانسان لو أقدم على جميع ما يقدر عليه، لكان فساده أكثر من صلاحه لأن ما يدعو إليه الشهوة والهوى لا خير فيه، ولو كان الوالي يأمر بجميع ما يطاع فيه لم تسلم نفسه ولا ولايته، فيجب أن يأمر بما يقتضيه العقل والدين.

---

١ ــ ربأ اهله: اي حفظهم من عدوهم والاسم الربيئة وهو الطليعة والعين الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ولا يكون الا على جبل او شرف ينظر منه.

٢ ــ الضن: البخل والشح.

٣ ــ ارتطم: اي وقع.

ادغال في القلب : إدغال خيانة وفساد فيه .

منهكة للدين : أي نقصان أو ضعف من قولهم نهكته الحمى أي أجهدته وأضنته .

والابهة : العظمة والمخيلة : التكبر .

يطامن اليك من طماحك : أي يسكن من نخوتك ويذلل من صعوبتك ، وضمن يطامن ، معنى يرد ، فلذلك عداه بالى ، أي يرد إليك سورة غضبك (واعتلائك) ولا يخليها يتجاوز عنك إلى غيرك ، وقيل إنّ الى يتعلق بطماحك ، وهو من قولهم : طمح بصره إلى الشيء أي ارتفع أي يسكن ذلك بعض نظرك إلى نفسك بعين العجب والكبرياء .

وغرب السيف حده : وهو هنا مستعار ، يعني أن النظر إلى عظم ملك الله ، وقدرته يمنعك من النظر بعين الاستعظام إلى ملكك وقدرتك ، فيكل ذلك سلاح الشيطان ، وسلاح النفس الأمارة عن أن يؤثره فيك ، ويوقعك في مهاويك .

إياك ومساماة الله في عظمته : من قوله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري إلى آخره .

فانك ألا تفعل : أي لأن لا تفعل ذلك ، تظلم عباد الله ، فحذف مفعولي الفعلين لدلالة الحال .

أدحض : أي أبطل ، ينزع : أي يرجع .

أوسطها : أعدلها يجحف : يذهب والصفو: الميل أشناهم : أبغضهم .

تغاب : أي تغافل والغريزة : الطبيعة .

والاصر: الثقل والاثم ، وأحنى : أي أعطف وأشفق ، حفلاتك : أي مجالسك ومحافلك .

والاطرأ : المدح والزهو: التكبر.

والتدريب: التعويد[١].

وتخفيفه المؤونات عنهم: وروي عليهم، فعن يتعلق تخفيفه وعلى يتعلق بالمؤونات ومثافنة الحكماء: يقال ثافنت الرجل جالسته كأنك الصقت ثفنة ركبتك بثفنة ركبته، وروى منافثة من النفث، عنى به المكالمة، وفرق بين العلماء والحكماء، فالعلماء الذين لهم علم، ولا تجربة لهم ولا ذكاء، والحكماء الذين يحيطون بجميع العلوم الانسانية مع تجربة وذكاء.

وطبقات الناس: مراتبهم ودرجاتهم.

والجزية: ما يؤخذ من أهل الذمة.

ومسلمة الناس: تقديره أهل الجزية من أهل الذمة، وأهل الخراج من مسلمة الناس، فلفق الكلام ولفه لا من الالتباس.

لا قوام لهذين الصنفين: يعني (الجنود والرعية.

المرافق: جمع المرفق وهو ما يرتفق به أي ينتفع.

وفي الله لكل سعة: أي كل مكفى لكفاية الله إلا أن المقدر يختلف منه، ما يصل من جهة الله إلى العباد ومنه ما يصل من جهة العباد، والتقصير واقع منهم كما جاء في الحديث ما جاع فقير الا بما متع غني.

انصحهم جيبا: أي أنقاهم والناصح الخالص، والجيب مستعار من جيب القميص.

ويستريح الى العذر: اي يميل قبوله، ويرى راحته فيه.

ويرأف بالضعفاء وينبوا على الاقوياء.

يقال نبا عنه أي تجافي وتباعد عنه أي وينبوا عن الضعفاء[٢]) حال كونه على الأقوياء أي شديدا عليهم أو ضمن ينبو معنى يشد ويسطو[٣] فعداه

---

١ ــ عود فلانا: صير يعتاده وتعود الشيء جعله عادة لنفسه.

٢ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٣ ــ السطو: القهر والبطش.

بعلى .

البيوتات : جمع الجمع مبالغة وتأكيدا تفاقم الأمر : عظم .

فانه داعية إلى بذل النصيحة : التاء للمبالغة ، كما في علامة وراوية ، وقيل هو مستعار من داعية اللبن وهو ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده .

الخلوف : المتخلفون الحيطة والحياطة : الكلاءة والتحنن : التعطف .

فافسح : أي وسع لضلعك : أي شغلك[1] وروى بالظاء من ظلعت الارض بأهلها اي ضاقت بهم من كثرتهم أي ما يضيق بك من كثرة الخطوب ، وقيل : هو من ظلع البعير أي غمز في مشيه وأظلعه غيره بسنته الجامعة نير المفرقة أي التي تجتمع بسببه على الألفة والمودة واتفاق الكلمة .

لا تمحكه الخصوم : المحك اللجاج يعني لا يغلبه الخصوم باللجاج .

ولا يحصر من الفيء الى الحق : أي زلت قدمه في أمر فانه لا يعنى من الرجوع الى الحق ، ولا يصعب عليه ذلك .

والتبرم : التضجر أصرمهم : أقطعهم وأمضاهم .

ولا يزدهيه اطراء : أي لا يستخفه مدح .

توخ : أي اطلب واقصد وفلان من أهل البيوتات : أي أصيل في الشرف عريق في الصلاح .

والقدم : مؤنثة ، لذلك وصفها بالمتقدمة .

حدوة : أي بعث وحث إن احد : فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده لاقتضاء حرف الشرط وقوله عليه السلام .

وافسح له في البذل ما يزيح علته : دليل على أنه يجب على الوالي أن يزيح من بيت المال علل حوائج من يتكفل بمصالح المسلمين .

---

١ ــ في ض : يضلعك : اي شغلك .

وابعث العيون : أي اجعل عليهم مشرفا أو ناظراً يحفظهم ، ويخبرك بأحوالهم وأفعالهم .

من طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد .

لأنه يأخذ بالخراج بيع[١] الضيعة فلم يبق للدهقان ما ينفقه على نفسه وما يبذره فيصير مضطرا الى الجلاء أو الهلاك فاذا انتقل الدهقان فهذا إخراب البلاد ، وان مات فهذا إهلاك العباد .

أو بالّه : أي بذي زخير[٢] وأصله قدر ما يبلّ من الماء .

أو احالة ارض : أي تغيرها عما كانت .

اغتمرها غرق : أي علاها الغمر وهو الماء الكثير، وروي اعتمرها أي زادها أو غير عمارتها .

وأجحف بها : أي أهلكها ، والاجمام : الترفيه .

يعوز: اي يفتقر، وسوء ظنهم بالبقاء، يعني أن الولي إذا لم يثق ببقاء ولايته لا يهتم بمصالح الرعية في المستقبل .

والمضطرب بما له : المسافر به مفتعل من الضرب ، وهو السير، قال تعالى : وإذا ضربتم في الأرض أي سافرتم .

البائـقة : الداهية والغائـلة : الشر والحقد .

والاحتكار: احتباس منافع مخصوصة ، من البيع وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، والسمن والملح ، والاحتكار المنهيّ عنه شرعا لا يكون إلا فيها .

وليكن البيع سمحا : أي سهلا لاغبن فيه ولا وكس .

فمن قارف حكرة : أي خالطها وأتى بها .

---

١ ـــ في ض : ربع الضيعة ولعل الصحيح ريع الضيعة .

٢ ـــ زخر البحر : كثر ماؤه وارتفعت أمواجه .

والقانع: السائل والمعتر: الذي يعترض ولا يسأل.

من غلات صوافي الاسلام: مما ادخره الوالي لنفسه ومصالحه، وقيل: الصافية أرض الغنيمة.

التافه، الحقير فلا تشخص همك عنهم: أي لا تصرف بعنايتك عن مراعاتهم[١].

وصعر خده: أي أماله من الكبر.

تقتحمه العيون[٢]: أي تزدريه.

وذوي الرقة في السن: يعني المشايخ الكبار الذين بلغوا في السن غايته يرقّ لهم ويرحم عليهم.

صبروا أنفسهم: حبسوها عن الاتيان بما نهوا عنه.

والتعتعة في الكلام: التردد فيه، من حصر أوعيّ، وتعتعت الرجل أقلقته، وروي متتعتع بكسر التاء وفتحها.

والأنف والأنفة: الاستنكاف والحمية.

يعيا: أي يعجز أصحر: بعذرك أي أظهره.

فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه إجتماعا مع تفريق أهوائهم من تعظيم الوفاء بالعهود.

شيء: إسم ليس، ومن فرائض في موضع الحال، كما في قوله:

لعزة موحشا طلل.

ولو كان متأخرا لكان صفة لشيء.

قوله عليه السلام: الناس أشد عليه (مبتدأ وخبر، والجملة خبر ليس ومع تفريق في موضع الحال، ومن تعظيم يتعلق بأشد[٣]) وقال صاحب

---

١ ــ في ض: عن مباعاتهم.

٢ ــ ساقط في ش.

٣ ــ ساقط في ض.

المنهاج أشد مبتـدأ ثان، ومن تعظيم خبره، والجملة خبر الناس، وهذا خطأ فاحش جدا .

وخاس بكذا: يخيس ويخوس أي غدر به وخاس فلان بالعهد أي نكث .

واستوبلوا: أي أستثقلوا، واستوبلت البلد أي استرحمته، وذلك اذا لم يوافقك في بدنك، وإن كنت تحبه .

المنعة : العز وقد يسكن النون عن ابن السكيت .

والادغال : الافساد، والمدالسة : المخادعة .

ولحن القول : فحواه ومعناه، واللحن الخطأ أيضا .

فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك : أي لا يمنعنك تكبر سلطنتك عن أداء الحق والتغابي : التغافل .

وقوله حمية أنفك : مستعار من أنف البعير لأن البعير الهائج يحمى أنفه من الخشاش[1] ويمتنع على قائده، وحميت عن كذا حمية أي أنفت منه .

والسورة : الحدّ وغرب اللسان : حدّته .

فائدة : هذه الوصية عامة لجميع المسلمين وإن لم يتمّ للأشتر رحمه الله القيام بذلك لأنه سقي السمّ في العل فمات فقال معاوية إن لله جنودا منها العسل .

* * *

١ ــ الخشاش هوام الارض وحشراتها .

٥٣ـ ومِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى طلحة والزبير، مع عمران بن الحصن الخزاعي ذكره أبو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُوني، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُوني، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَني[١] وَبَايَعَني، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْني لِسُلْطَانٍ غاصب[٢]، وَلاَ لِعَرَضٍ حَاضِرٍ[٣]، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَاني طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللهِ مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَاني كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ، وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ. وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الأَمْرَ[٤] قَبْلَ أَنْ تَدْخُلاَ فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ.

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ

---

١ ـ في ب: مما ارادني.

٢ ـ في ض وح وب: غالب.

٣ ـ في ح وهامش ن وم وع وش: لحرص حاضر وفي ل: لحريص حاضر.

٤ ـ في ض وب ون: من قبل ان تدخلا.

تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ ثُمَّ يَلْزَمُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ بِقَدْرِ مَا ٱحْتَمَلَ. فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا، فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَالنَّارُ.

٥٤ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ[١] الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيها أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، وَلاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدِ ابْتَلاَنِي[٢] بِكَ وَابْتَلاَكَ بِي: فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلاَ لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ، فَاتَّقِ ٱللهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، وَٱصْرِفْ إِلَى الآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ، وَٱحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ ٱللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الأَصْلِ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرِ؛ فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ: لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارِ لاَ أَزَالُ بِبَاحَتِكَ (حَتَّى يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ).

---

١ ـــ في ض وب : قد جعل الدنيا .

٢ ـــ في ض وح وب : ابتلاني الله بك .

الشرح

قوله عليه السلام : قبل أن يجتمع العار والنار.

العار السبة والعيب وهو من أحكام الدنيا أي قبل ان يجتمع ضرر الدنيا والآخرة .

قوله عليه السلام : ليعلم أيهم احسن عملا[١] : من قوله تعالى : ليبلوكم أيكم أحسن عملا : أي ليصير المعلوم موجودا بحيث يصح أن يجازى عليه .

والتأليب : التحريض وألبت الجيش جمعته وهم ألب : أي مجتمعون .

عنى بالعالم : أبا هريرة[٢] والمغيرة بن شعبة ، وغيرهما من الصحابة ، وبالقائم : عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وبالجاهل : أهل الشام الذين ما رأوا النبي وآثاره ولا دار الهجرة .

والقارعة : البلية التي تقرع ما تلقاه دائره : أي عقبه .

وأولى اليه : أي أحلف حلفا واليمين الفاجرة : أي الفاجر صاحبها .

وباحة الدار : ساحتها وفناؤها .

* * *

١ ــ الملك : ٢ .

٢ ــ ابو هريرة صحابي معروف اسلم بعد الهجرة بسبع سنين قال ابن ابي الحديد : ان معاوية وضع قوما من الصحابة على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام تقضي الطعن والبراءة منه منهم ابو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبه .

←

٥٥ـ ومِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

وصى بها شريح بن هانىء، لما جعله على مقدمته إلى الشام

اتَّقِ ٱللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، وَلاَ تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ[1] مَكْرُوهه سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً.

٥٦ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى أهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ[2] حَيِّي هٰذَا، إمَّا ظَالِماً، وَإِمَّا

→

قال الزمخشري : استعمل عمر ابا هريرة على البحرين فلما قدم عليه قال ياعدو الله وعدو رسوله سرقت من مال الله فاخذ منه عشرة الاف درهم فالقاها في بيت المال وضربه بالدرة، وكان ياكل مع معاوية واذا حضرت الصلوة صلى خلف علي عليه السلام.

١ ــ في ض وب : مخافة مكروه.

٢ ــ في ش : خرجت عن حيي.

مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيًّا عَلَيْهِ، وَإِنِّي أُذَكِّرُ ٱللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هٰذَا، لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ؛ فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي.

الشرح

النزوة: الوثبة[1] والحفيظة: الغضب والحمية.

والوقم: القهر والتذليل، وقيل الرد.

والقمع: القهر والاذلال والضرب بالمقمعة.

قوله عليه السلام: خرجت إما ظالما وإما مظلوما: على وتيرة قوله تعالى: وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين[2]، يعني على زعم الخصم.

لما نفر: لما هذا بمعنى إلا استعتبني أي طلب مني العتبى، وهي الرجوع.

* * *

١ ــ الوثوب: النهوض والقيام وشب على سريري: اي قعد عليه واستقر.

٢ ــ سبأ: ٢٤.

٥٧ــ ومِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كتبه إلى أهل الأمصار، يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، وَلاَ نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ لِرَسُولِهِ[1] وَلاَ يَسْتَزِيدُونَنَا: الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ! فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَالاَ يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ! فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِشَتْ[2]. فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ

١ ــ في ض وح وب وش: والتصديق برسوله وفي ل: لرسول الله.

٢ ــ في ض وش: حمست.

الَّـذِي أَنْـقَـذَهُ ٱللهُ مِـنَ الْـهَـلَـكَـةِ، وَمَـنْ لَجَّ وَتَـمَادَى فَـهُـوَ الرَّاكِـسُ الَّـذِي رَانَ ٱللهُ عَـلَى قَـلْـبِـهِ، وَصَارَتْ دَائِـرَةُ السَّوْءِ عَـلَى رَأْسِـهِ.

الشرح

قوله عليه السلام: جنحت الحرب: أي مالت.

وركدت: أي ثبتت، وحمشت: التهبت غضبا.

وضرست: أي عضت، وقيل من قولهم ضرسهم الزمان أي اشتد عليهم، وضرستهم الحروب جربته وأحكمته.

الراكس: رد الشيء مقلوبا والراكس الواقع في أمر قد نجا منه.

دائرة السوء: الهزيمة القبيحة.

فمن تم ذلك منهم: قال الوبري أي من سمع قولنا وأطاع أمرنا فانقاد بكتاب الله، فهو الذي نجا من الهلك، ومن أعرض عنه، وانقاد لفساد رأيه، فهو الهالك إذا فارق الدنيا على هذه الصفة.

* * *

٥٨ـ ومن كتاب لَهُ عَلَيْه السَّلام

إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا آخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ[١] أَمْثَالَهُ، وَآبْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا آفْتَرَضَ آللهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ.

وَآعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً[٢] إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ؛ وَآلِاحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ، وَالسَّلَامُ.

---

١ ــ في ب: ما تنكره امثاله.

٢ ــ في ف وم ول وش: صاحبها قط فيها ساعة.

الشرح

إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة.

(من قول النبي صلى الله عليه وآله إن الله يبغض الصحيح الفارغ لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة).

إن الوالي إذا اختلفت هواه منعه ذلك كثيرا من العدل.

يعني أنه إذا لم يوطن نفسه، ولم يعزم عزما صادقا على الاتيمار[1] لأمر الله: ولم يجعل غرضه أقامة العدل حتى يستوي عنده العود والوليّ منعه ذلك كثيرا من العدل، لأن رجحان جانب الولي بلا حجة صادقة خارج عن العدل.

قوله عليه السلام: ومن الحقّ عليك حفظ نفسك: والاحتساب على الرعية بجهدك فان الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك.

قال الوبري: أي لم يصل إليك، من ذلك من الثواب والثناء أفضل من الذي يصل بسببك إلى الرعية من أمن السرب[2] وغير ذلك، يعني أن ثوابك على القيام بأمرهم أعظم من انتفاعهم بك في الدنيا، وقيل إن الذي يصل إليك من الثواب بالاحتساب أفضل لك مما يصل إليك بك أي بأعمالك، يعني أن الخير المتعدي أنفع من اللازم.

---

١ ــ ائتمر رأيه، أي شاور نفسه وقيل المؤتمر، الذي يهم بأمر يفعله.

٢ ــ يقال فلان آمنا في سربه والسرب بالكسر: اي في نفسه.

٥٩ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعُمَّالِ الْبِلاَدِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الأَذَى وَصَرْفِ الشَّذَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لاَ يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً[1] عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا ٱسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ؛ فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَاعَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلاَ تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللهِ وَبِي، فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ ٱللهِ تَعَالَى؛ إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

---

١ ــ في ب : منهم شيئا عن ظلمهم .

٦٠ــ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى كميل بن زياد النخعي ، وهو عامله على هيت ، ينكر عليه تركه دفع من يجتازبه من جيش العدو طالبا الغارة

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَاوُلِّيَ ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ، وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ، وَإنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا ، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ ، لَيْسَ لَها[1] مَنْ يَمْنَعُهَا وَلاَ يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا ، لَرَأْيٌ شَعَاعٌ ؛ فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَة مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ وَلاَ مَهِيبِ الْجَانِبِ ، وَلاَ سَادٍ ثُغْرَةً ، وَلاَ كَاسِرٍ[2] شَوْكَةً ، وَلاَ مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلاَ مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ وَالسَّلاَمُ .

---

١ ــ في ض وب : ليس بها من يمنعها .

٢ ــ في م وش : وكاسر شوكة .

الشرح

الشذى : الأذى والشرّ، والشذى ذباب الكلب .

ومعرّة الجيش : مضرتهم وأذاهم نكلوا : أي عاقبوا .

وأنا بين أظهر الجيش : أي من ورائهم ويدى فوق أيديهم .

هيت : بالكسر إسم بلد على الفرات قال الأصمعي : أصلها من الهوة .

المسالح : الثغور التي يقيم بها أصحاب الأسلحة .

رأي شعاع : بفتح الشين أي يتفرق .

* * *

٦١ــ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى أهل مصر، مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَٱللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلاَ يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا ٱنْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلاَمِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وَلاَيَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلاَئِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَٱطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ.

ومنه: إِنِّي وَٱللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ[1] وَاحِداً وَهُمْ طِلاَعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا

١ــ في ف وحاشيه ن: لولقيتهم وحدي.

مَابَالَيْتُ وَلاَ ٱسْتَوْحَشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلاَلِهِمُ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى ٱلَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ ٱللهِ لَمُشْتَاقٌ، وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ، وَلٰكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هٰذِهِ الأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا؛ فَيَتَّخِذُوا مَالَ ٱللهِ دُوَلاً، وَعِبَادَهُ خَوَلاً، وَالصَّالِحِينَ حَرْباً، وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً فَإِنَّ مِنْهُمُ ٱلَّذِي [قَدْ] شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدًّا فِي الإِسْلاَمِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ الرَّضَائِخُ، فَلَوْلاَ ذٰلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وَتَأْنِيبَكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ[1] إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ.

أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ ٱنْتَقَصَتْ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى، وَإِلَى بِلاَدِكُمْ تُغْزَى، ٱنْفِرُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللهُ ـ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلاَ تَثَّاقَلُوا إِلَى الأَرْضِ فَتَقَرُّوا[2] بِالْخَسْفِ، وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الأَخَسَّ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأَرِقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، وَالسَّلاَمُ.

١ ــ في ف ون: وتركتكم.

٢ ــ في ع وحاشية ن: فتنفروا بالخسف.

الشرح

قوله عليه السلام: أما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين.

الشاهد، وهو من أمّن غيره من الخوف وأصله ما أأمن بهمزتين فلينت الهمزة الثانية كراهية لاجتماعهما، فصار ما يمن ثم قلبت الأولى هاء كما قالوا هراق الماء وأراقه أي هو شاهد على من تقدمه من الأنبياء، بالارسال لأنه علم ذلك بالدلالة.

تنازعوا الأمر: أي أمر خلافة النبي صلى الله عليه وآله.

والروع: القلب وكذا البال وازعجه: أقلقه.

والانثيال: الانصباب.

راجعة الناس قد رجعت: عنىَ المقلدين الذين كانوا على شرف الارتداد ثم ارتدوا.

يدعون الى محق الدين: أي إبطاله وإهلاكه.

ويتقشع السحاب: أي ينكشف ويتفرق.

وتنهنه: أي كف الباطل.

قوله عليه السلام: طلاع الأرض: أي ملائها، وقال الحسن البصري[1]

---

١ ــ ابوسعيد الحسن بن ابي الحسن البصري مولى زيد بن ثابت الانصاري امه خيرة مولاة ام سلمة كان الحسن

←

لأن أعلم أني بريء من النفاق أحب إليّ من طلاع الأرض ذهبا .

اسى : أي احزن والخول : الخدم .

شرب فيكم الحرام ؛ أي الخمر.

وجلدا حدا في الاسلام : عنى به الوليدبن عقبة والمغيرةبن شعبة ، فان المغيرة شرب الخمر في عهد عمر وكان واليا من قبله ، فصلى بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر وشهدوا عليه وجلد الحد ، وجلد الوليد في عهد عثمان وعلي بن أبي طالب عليه السلام بين يديه .

ومنهم لم يسلم حتى رضخت له الرضايخ : الرضخ العطاء ليس بالكثير عنى عمروبن العاص ، طلب من النبي صلى الله عليه وآله عطاء حتى أسلم .

والتأليب : التحريض والتأنيب : اللوم العنيف .

ونيتم : أي ضعفتم تزوى : تقبض .

تبوأوا : أي انصرفوا والأرق : الساهر.

ومن نام لم ينم عنه : كلام له عليه السلام يتمثل به أي من غفل عن عدوه لم يغفل عدوه عنه .

* * *

احد الزهاد الثمانية وكان رئيس القدرية، قال ابن ابي الحديد : وممن قيل انه يبغض عليا ويذمه الحسن البصري وانه كان من المخذلين عن نصرته .

روى عن تلميذه ابن ابي العوجاء انه قيل له لم تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا اصل له ولا حقيقة ، قال : ان صاحبي كان ملطخا ، كان يقول طورا بالقدر وطورا بالجبر ، وما اعلمه اعتقد مذهبا دام عليه مات في رجب سنة ١١٠ .

٦٢ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى أبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس على الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إلَى عَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هوَلَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، وَٱشْدُدْ مِئْزَرَكَ، وَٱخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ، وَٱنْدُبْ مَنْ مَعَكَ. فَإِنْ حَقَّقْتَ[1] فَانْفُذْ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ! وَٱيْمُ ٱللهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ، وَلاَ تُتْرَكُ حَتَّىٰ يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عن قِعْدَتِكَ[2]، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ[3] كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو، وَلٰكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى يُرْكَبُ جَمَلُهَا، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا. فَاعْقِلْ عَقْلَكَ، وَٱمْلِكْ أَمْرَكَ فَإِنْ كَرِهْتَ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ. فَتَنَحَّ إِلَى

---

١ ــ في ف وك : فان خففت وفي ع : فان حففت.

٢ ــ في ب : في قعدتك.

٣ ــ في ع : وتحذر من لحامك.

غَيْرِ رَحْبٍ وَلاَ فِي نَجَاةٍ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لاَ يُقَالَ: أَيْنَ فُلاَن؟ وَٱللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ، وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ.

الشرح

قوله عليه السلام: قول هولك وعليك: يعني خلطت الحق بالباطل أما الحق، فهو لك، وأما الباطل فهو عليك.

فارفع ذيلك: تعريض بعزله.

واشدد مئزرك: أي شمر للمجئ نحوي.

وأخرج من جحرك: فيه إغماض لمنزلته ونقض بمحله.

فان خففت: أي سرت وروي فان حققت أي تحققت وتيقنت.

وأن تفشلت: أي جبنت.

حتى يخلط زبدك بخاثرك: مثل للعرب اختلط الزباد بالخاثر وزباد اللبن بالضم والتشديد ما لا خير فيه، والخاثر خلاف الرقيق من اللبن، وفي المثل ما يدري أيختر أم يذيب، أي حتى يخلط سهلك بصعبك، ويشوش حالك.

حتى يعجل عن قعدتك: أي يأتيك من يزعجك عن أمارتك.

والهوينا تصغير الهونى التي هي تأنيث الأهون، وهو الأمر اليسير.

ودواهي الدهر: ما يصيب الناس من نوائبه، ويقال ما دهاك أي ما أصابك.

واعقل عقلك: أي احبسه وقيده بحيث تتمكن من الانتفاع به وينقاد لك في مظان النظر (مظنة).

إن كرهت فتنحّ إلى غير رحب : أي ان كرهت سعة الحق ولم ترض به منزلا فتحول إلى ضيق الباطل ، ومظنة الهلكة ان شئت ، وهو تهديد .

وأيم الله لتكفين وأنت نائم : حتى لا يقال أين فلان .

أن يكفى هذا الأمر مع غيبتك وتكون نسياً منسيا ، لا يلتفت إلى ذكرك ، ويكون[١] حضوري كغيبتك ووجودي كعدمك .

إنه لحقّ مع محق : أي إن ما أنا عليه أو ما أقوله لحقّ مع محق أنا هو، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار .

* * *

١ ــ في ص : ويكون حضورك كغيبتك ووجودك كعدمك .

٦٣ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامْ

إلى معاوية، جوابا

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كُرْهاً، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرسول الله صَلَّى آللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِزْباً(١).

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ وَنَزَلْتُ، الْمِصْرَيْنِ! وَذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاَ عَلَيْكَ، وَلاَ الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيه عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ؛ فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ آللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُوبَنِي أَسَدٍ:ـ

١ـ في ح: حربا وفي ك: وروي حربا.

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهم * بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَإِنَّكَ ـ وَٱللهِ ـ مَا عَلِمْتُ الأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقَارَبُ الْعَقْلِ؛ وَالأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لاَ لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالِتِّكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلاَ فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلاَ مِنْهَا الْوَغَى، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا.

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ[1] الَّتِي تُرِيدُ؛ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ؛ وَالسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ.

---

١ ــ في ف : واما التي تريد .

الشرح

قوله عليه السلام : وما أسلم مسلمكم إلا كرها ، عنى أبا سفيان ، وذلك أن بعد غزوة الفتح أخذ له العباس الأمان من رسول الله عليه وآله فلما دخل به على رسول الله عرض عليه السلام فلم يقبل : فقال عمر ائذن لي يا رسول الله لأضرب عنقه ، وكان العباس يحامي عنه للقرابة ، فقال يا رسول الله إنه يسلم غدا فلما كان من الغد، دخل العباس بأبي سفيان على رسول الله فعرض عليه الاسلام فأبى ، فقال العباس في السر فقل يا أبا سفيان أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله وإن لم يكن ذلك في قلبك ، فانه يأمر الآن بقتلك ، إن لم تقل فتكلم بالشهادة على كره .

وبعد أن كان انف الأسلام كله لرسول الله حزبا :

أنف الشيء : أوله وأظهره، ومقدمه، يعني وبعد أن كان سياق الاسلام ، الذين كانوا وجه الاسلام بمثابة الأنف ، أي لم يسلم مسلمكم إلا بعد قوة المسلمين ونظام الاسلام قال صاحب المعارج أي صار أبو سفيان حزبا لرسول الله بعد القهر، وظهور الاسلام ، وروي حربا أي أن أبا سفيان حارب رسول الله من يوم أحد الى فتح مكة ، وفي هذه نظر.

ونزلت بين المصرين : عنى الكوفة والبصرة .

انقطعت الهجرة يوم أسر اخوك .

عنى يزيدبن أبي سفيان[١] أسر بعد فتح مكة، وانقطعت الهجرة بعد فتح مكة لأنها بعد فتحها صارت دار الاسلام بعد ما كانت دار الحرب، وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا هجرة بعد الفتح.

واسترفه، أي طب نفسا، وكن في رفاهية وسعة هذا التعجيل.

وأعضضته سيفي: أي ضربته وأصله جعلته يعضّ[٢] به، وقد مضى ذكر جد معاوية وخاله وأخيه من قبل وأن عليا عليه السلام قتلهم يوم بدر.

إنك الأغلف القلب: يعني ما حكى الله تعالى عن الكفار حيث قال: وقالوا قلوبنا غلف، ثم قال بل طبع الله عليها بكفرهم[٣] وهذا التشبيه من الصديق الأكبر مع مقارنته إياه بالحلف بالله تعالى، دليل ظاهر وبرهان باهر، على أن حكم المخاطب به حكم المشبه بهم، وقد أيد ذلك بعد حلفه بقوله: فيما علمت أمي هذا الحكم، والحلف إنما صدر عن معرفة تامة، ويقين صادق، لاعن ظن وتخمين ورجم بغيب.

معنى الأغلف القلب أن القلب كأنه في غلاف يمنعه عن تدبر ما يرد عليه وينبو[٤] عن استماع الحق فلا يعي شيئا المقارب العقل، يقال هذا أمر مقارب بالكسر إذا كان سهلا هينا لا عظم له ولا قدر.

نشدت غير ضالتك: أي تصديت لطلب ما لست من أهله من الخلافة

---

١ ــ يزيد بن ابي سفيان القرشي الاموي اخو معاوية وكان افضل بني ابي سفان ويقال له يزيد الخير وامه ام الحكم بنت نوفل بن خلف يكنى ابا خالد، اسلم يوم فتح مكة وشهد حنينا، واستعمله ابو بكر على جيش وسيره الى الشام وبعث معه عمرو بن العاص وابا عبيدة بن الجراح.

فلما ولي عمر بن الخطاب ولى ابا عبيدة الشامات وولى يزيد بن ابي سفيان فلسطين ولما مات ابو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ومات معاذ فاستخلف اخاه معاوية وكان موت يزيد سنة تسع عشرة.

٢ ــ العض: الاستمساك بالنواجذ.

٣ ــ البقرة: ٨٨.

٤ ــ نباعنه بصره: اي تجافى ولم ينظر اليه ونباحد السيف: اذا لم يقطع.

والأمارة، ومطالبة دم عثمان، وما للمجرة وللجرة وللدرة والبعرة.

وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال تصريح بما سبق من التشبيه وما مع ما بعده في حكم المصدر والمصدر مبتدأ وقريب خبره، مقدم.

بوقع سيوف : يتعلق[1] بقوله : / فصرعوا أو بلم يدفعوا.

ما خلا منها الوغى : أي لم يخل الحرب، من هذه السيوف بل دائبا يضارب بها.

ولم تماشها الهوينا : أي لم تصاحبها اللين والسهولة بل يقتل بها دائما ويقاتل.

وقد أكثرت في قتلة عثمان : أي طولت الحديث فيهم.

فادخل فيما دخل الناس فيه : من الطاعة لأهل الطاعة والمتابعة.

وأما تلك التي تطلب مني : أي تلك الخصلة التي تطلبه مني أن أدعك واليا على الشام، وحاكما على الأنام، فان ذلك خداع منك لألبسك لباسا لا تستحقه وذلك ما لا أفعله.

* * *

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

٦٤ــ ومن كتاب له عليه السلام

إليه أيضاً

أمّا بعدُ؛ فقد آن لك أن تنتفع باللّمح الباصر من عِيان[1] الأمور؛ فقدت سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل، وإقحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما اختُزن دونك، فراراً من الحقّ، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك: ممّا قد وعاه سمعك، ومُلئ به صدرك، فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال[2]، وبعد البيان إلاّ اللّبس؟ فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها؛ فإنّ الفتنة طالما أغدفت جلابيبها، وأغشت الأبصار ظلمتها.

وقد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السّلم؛ وأساطير لم يحكها منك علم ولا حلم، أصبحت منها كالخائض في الدّهاس، والخابط في الدّيماس، وترقّيت إلى مرقبة بعيدة المرام نازحة الأعلام، تقصر دونها الأنوق

١ ــ في ع : من عنان الامور.

٢ ــ في ض وب : الضلال المبين .

وَيُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ.

وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي[١] صَدَراً أَوْ وِرْداً أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً!! فَمِنَ الآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَانْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللهِ أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ؛ وَالسَّلاَمُ.

الشرح

قوله عليه السلام: فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر.

اللمح: النظر، والباصر: ذو البصر أي حان لك أن تنظر بالنظر الصائب في الأمور الواضحة لينجلي لك الحق وتتخلص عن عماية الغواية.

والمدارج: المذاهب.

وباقحامك غرور المين: أي بادخالك الأكاذيب في مظانّ الصدق وإظهارك الباطل في صورة الحق، استتباعا للعوام واستظلالا للطغام[٢].

وبانتحالك ما قد علا عنك: أي وبادعائك، مقاما لست من أهله ولا تبلغ حضيض ذروته من الامامة والخلافة.

وابتزازك لما اختزن دونك: أي واستيلائك لمال الله واغتصابك حقوق أوليائه.

فرارا من الحق: مفعول له أو مصدر وضع موضع الحال.

وجحودا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك.

---

١ ــ في ح: للمسلمين من بعدي.

٢ ــ في حديث علي ياطغام الاحلام: أي من لاعقل له ولا معرفة، وقيل: هم أوغاد الناس وارذلهم.

مما قد وعاه سمعك يعني ما صدر من النصوص على عليّ عليه السلام وإظهار مناقبه في المقامات المشهورة، وهو نظير قوله: وجحدوا بها واستقينتها أنفسهم ظلما وعتواً[1].

وأغدف الليل: أرخى سدوله، وأغدفت المرأة قناعها أي أرسلته على وجهها.

ذو أفانين: أي أساليب وطرائق.

وحاك الثوب: نسجه ويستعار لنظم الكلام.

والدهاس: المكان اللين السهل لا يبلغ أن يكون رملا وليس هو بتراب ولا طين.

والديماس: السرب، وجاء الحديث في وصف المسيح سبط الشعر[2] كثير خيلان[3] الوجه كأنه خرج من ديماس والديماس القبر أيضا من دمست الشيء إذا دفنته، والديماس أيضا سجن كان للحجاج بن يوسف.

الأنوق: الرخمة وهو طائر أوكارها على الأماكن الصعبة من رؤوس الجبال.

والعيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن تتلو الثريا لا يتقدمه. يحاذي: أي يقابل، وقولهم حاش لله: معناه براءة لله من السوء.

فقوله حاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدرا أو وردا.

تحقيقه إني ابرىء الله وانزهه تنزيه من أن يأمر أو يرضى، يكون مثلك إماما ومقتدى للناس ومتصرفا في أمورهم.

وإن أجري لك على أحد منهم عقدا.

---

١ ــ الفرقان: ٢٤.

٢ ــ سبط الشعر: المنبسط المسترسل.

٣ ــ في صفة خاتم النبوة عليه خيلان: هي جمع خال وهو الشامة في الجسد.

يعني أني لا أنصب وليا ونائبا ولا استخلف خليفة إلا بأن ينبهني الله تعالى علىّ استيهاله لذلك إما بخبر سابق من النبي بتضمين ذلك ، أو بأمارة نصب لي على تمييزه[١]، وأنت بمعزل عن جميع ما يستحق به الامامة والنيابة ، فالله تعالى منزه عن أن يكون آمرا بنصبك إماما أو راضيا بذلك .

قد قال أبو علي الفارسي في قوله تعالى : حاشَ لله . أي جانب يوسف الفاحشة لأجل الله قال : ولا يجوز أن يكون حاش حرف جرّ، لأن حروف الجرّ لا تدخل على مثله ، ولأن حرف الجرّ لا يحذف ، إذا لم يكن فيها تضعيف ، فاذا هو فاعل من حاش يحاشي ، مأخوذ من الحشأ الذي هو الناحية أي صار يوصف في ناحية مما قرن به لخوف الله ومراقبة أمره .

فعلى هذا تحقيق قول علي عليه السلام : حاش لله أن تلي بعدي أي جانب نفسي ، وبعد أن تلي بعدي الخلافة والامارة بأمري ، ومن قبل لله أي لخوفه ، أي لا أستخلفك ولا أؤمرّك لخوف الله تعالى .

قال صاحب المنهاج : (فاعل حاش قوله أن تلي ، أي بعد توليتي إياك) لخوف الله .

ينهد إليك : أي ينهض نحوك ، إرتجت : اغلقت .

* * *

١ ــ في ض : على التمييز.

٦٥ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

الىٰ عبدالله بن العباس وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية :

امّا بعد؛ فانّ المرءَ ليَفرَحُ بالشّيْ الذي لمْ يَكنْ لِيَفُوتهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلاَ يَكُنْ أفْضَلُ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أوْ شِفَاءَ غَيْظٍ، وَلَكِنْ إطْفَاءَ بَاطِلٍ أوْ إحْيَاءَ حَقٍّ!! (وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ[1]).

---

١ ـ ساقطة من ف ون وش.

الشرح

قوله عليه السلام : فان العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه .

أي يفرح بالغنى والصحة والبقاء ، وغير ذلك مما هو مفروغ عنه ولا يزيد ولا ينقص بفرحه وحزنه ، ويحزن على ما فاته من نحو ذلك مما لم ينقص له ، وقال النبي صلى الله عليه وآله : لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه .

قال صاحب المعارج : يعني أنه يلتذّ بالرجاء ، ويفرح بما يرجوه فلا يتحقق ، ويحزن على ما لم يكن من مصائب الدنيا حتى يصيبه بعضها ، وذلك في أكثر الأمور ، والمعنى المطابق للفظ ما قدمته .

* * *

٦٦ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى قثم بن العباس، وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ؛ فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللهِ، وَٱجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِي، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ، وَذَاكِرِ الْعَالَمِ؛ وَلاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ، وَلاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ، وَلاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَانَّهَا إنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا.

وَٱنْظُرْ إِلَى مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ ٱللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قَبِلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْمَفَاقِرِ[١] وَالْخَلاَّتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا.

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لاَ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَانَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) فَالعاكِفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي: الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَّقَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ وَالسَّلاَمُ.

---

١ ـ في ض وب: مواضع الفاقة.

٦٧ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ؛ فَانَّمَا[١] مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لَما أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، (وتعرف حالاتها[٢]) وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونَ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُور أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ! (أوالى ايناس ازالته عنه الى ايحاش والسلام[٣]).

الشرح

قوله عليه السلام: وأقم للناس الحج: أي علمهم مناسكه وحرّضهم علمه وحج بهم.

وذكرهم بأيام الله: أي بالأيام التي فعل الله تعالى بالأمم الماضية ما فعل من العقوبات بسبب جناياتهم.

---

١ ــ في ف وم: فان مثل الدنيا.

٢ ــ ساقطة من ف ون ول.

٣ ــ ساقطة من ف ون ول وفي ش: ازالة عنه ايحاش.

والعصرين: الغداة والعشيّ قال الشاعر:

وأمطله العصرين حتى يملني * ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

وهما أطيب الأوقات بالحجاز على كلّ حال.

ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك: سفير إسم كان وإلا لسانك بالرّفع صفة لسفير، وقوله لك في محلّ خبر كان، وقال صاحب المنهاج: إنّ الخبر قوله: إلى الناس وهذا مما لا يصير على محلّ فانّ إلى الناس يتعلق بسفير، ومن تأمل المعنى عرف ذلك، وروي سفيرا بالنصب على الخبر.

والفاقة[1]: أنواع الفقر ووجوهه وليس المراد بها مواضع الفقر ولذلك أضاف المواضع إليها.

أشخصته: أذهبته.

* * *

١ ـــ في ض: المفاقر أنواع الفقر.

٦٨ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ استنصحه(١)، وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ؛ وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا؛ فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً(٢)، وَآخِرُهَا لاَ حِقٌ بأَوَّلِهَا! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ(٣) وَعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلاَ تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ(٤) لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ(٥) بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلاَنِيَةِ وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَو اعْتَذَرَ مِنْهُ. وَلاَتَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ(٦)، وَلاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ(٧)، فَكَفَى

---

١ ـ في ش : وانتصحه .
٢ ـ في ش : يشبه بعضها .
٣ ـ في ع : حائل زائل .
٤ ـ في ح : ويكرهه .
٥ ـ في م : عمل ما يحمل به .
٦ ـ في ح : لنبال القوم .
٧ ـ في ض وح وب : ما سمعت به وكفى .

بِذٰلِكَ كَذِباً وَلاَ تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذٰلِكَ جَهْلاً، وَٱكْظِمِ الْغَيْظَ، وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْقُدرة[١]. واحلم عند الغضب[٢] وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا ٱللهُ عَلَيْكَ، وَلاَ تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ ٱللهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ ٱللهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ[٣] وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرْهُ[٤] يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ. وَاسْكُنِ الأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَٱحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةَ الأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ ٱللهِ، وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ، وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ، وَلاَ تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ[٥] حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلاَةَ إِلَّا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ، وَأَطِعِ ٱللهَ فِي جُمَلِ أُمُورِكَ[٦] فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا، وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي

١ـ في ض وح وب : عند المقدرة .

٢ـ في ف وم ون ول وش : واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند القدرة .

٣ـ في ف ون ول : واهليه وماله .

٤ـ في ف : وما تؤخر.

٥ـ في ف : في يوم الجمعة .

٦ـ في ب : في جميع امورك .

الْعِبَادَةِ، وَارْفُقْ بِهَا وَلاَ تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإنَّهُ لاَبُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا، وَإيَّاكَ أنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَإيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَانَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ، وَوَقِّرِ اللهَ وَأحْبِبْ أحِبَّاءَهُ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إبْلِيسَ.

الشرح

وانتصحه : أي أقبل نصيحته . حائل : زائل .

وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق : أي لا يحلف بالله كاذبا ولا تستشهده باطلا .

ولا تتمنَّ الموت إلا بشرط وثيق : يعني تفحص عن حال المال، وتحققه : وهين لنفسك ، ثم قبل وصولك إليه مقاما ، ثم تدبر حال الطريق وأعدّ له الزاد والراحلة ، ثم تمنّ السفر إن شئت وإلا تفعل تكن من الخاسرين ، وليس لهذا الطريق زاد سوى العلم ، والعمل تزودوا فان خير الزاد التقوى .

ولا تجعل غرضك غرضا لنبال القول : من لطيف التجانس أي لا تتعرض لمرمي الملاوم[1] .

أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة : من قوله تعالى : «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجرا[2]» .

١ ـــ الملاوم من لام يلوم ولامه : عنفه وعذله .

٢ ـــ البقرة : ١١٠ .

يفيل رأيه : أي يخطيء ويضعف .

واسكن الأمصار العظام فانه جماع المسلمين .

من قول النبي صلى الله عليه وآله : عليكم بالسواد الأعظم ، قوله : يد الله على الجماعة ، وقوله : الجماعة رحمة ، وتمام أمور الاسلام والمسلمين إنما يتعلق بمصر جامع وسكان الرساتيق مشغولون بمصالح الزراعة والحراثة غافلون عن الديانة وعن ذكر الله .

وإياك ومقاعد الأسواق : أي أحذرك وأحذرها أن يقع اجتماعكم إلا فاضلا في سبيل الله أي خارجا للجهاد .

وخادع نفسك في العبادة : أي أفعل بها فعل الخادع من التحريض على الطاعة بما أمكنك .

ع_ أي امسك نفسك من قولهم : أعطى ثم خدع أي أمسك .

خذ عفوها ونشاطها : أي سهلها وسعتها ، وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إنّ هذا الدين متين فأوغل[1] فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا بقى .

* * *

١ ــ اوغل القوم وتوغلوا : إذا منعوا في سيرهم والوغول : الدخول في الشيء وقد وغل يغل وغولا : يريد سر فيه برفق لا على سبيل التكلف والتهافت .

٦٩ــ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى سهل بن حنيف الأنصاري ، وهو عامله على المدينة
في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبلَك يَتَسَلَّلُونَ إلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلاَ تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإيضَاعُهُمْ إلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، وَإنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ، وَمُهْطِعُونَ إلَيْهَا ، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ[١] ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا[٢] فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ ، فَهَرَبُوا إلَى الأَثَرَةِ، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً !!

إنَّهُمْ ـ وَٱللهِ ـ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ ، وَإنَّا لَنَطْمَعُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ ٱللهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ إنْ شَاءَ ٱللهُ ، وَالسَّلاَمُ .

---

١ ــ في ب : ورعوه .
٢ ــ في ب : ان الناس عنده .

الشرح

قوله عليه السلام يتسللون : أي يذهبون[١] في خفية .

والايضاع : الاسراع ، وكذا الاهطاع .

وأهطع : أي مد العنق ضرب الرأس في مقاييس اللغة أي واصله واحد[٢] يدلّ على المداواة والاصلاح .

فقوله عليه السلام : الناس عندنا في الحق أسوة : أي أهل أسوة يعني كلهم أهل أن يصلح ويداوى .

واستأثر الشيء : استبدّ به ، والاسم الأثرة ، يعني لما علم هؤلاء الذين لحقوا بمعاوية أني لا أمكنهم في سلطاني من التفوق على من عداهم بلا استحقاق بل أصلح كل[٣] فاسد وأداوي كل سقيم هربوا مني ، وفزعوا إليّ حيث يمكنهم الاستبداد بالجاه والمال والتفضل بلا استيهال .

* * *

١ ـــ في ض : يتسللون : أي يهربون في خفية .

٢ ـــ في ض : اي واصل واحد يدل على المداوات .

٣ ـــ بين الهلالين ساقط في ش .

٧٠ـ ومِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى المنذربن الجارود العبدي ، وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً ، وَلاَ تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً ، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ ، وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يَنْفُذَ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ ؛ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هٰذَا إِنْ شَاءَ ٱللهُ .

قال الرضي : والمنذر هذا هو الذي قال فيه أميرالمؤمنين عليه السلام : إنه لنظار في عطفيه ، مختال في برديه ؛ تفال في شراكيه .

الشرح

قوله عليه السلام: فيما رقى إليّ أي رفع وأنهى إليّ.

والنعل وجمل: الأمّ مما يتمثل به في المذلة والهوان، قال الفرزدق:

وكل كليبي صحيفة وجهه * أذل على طول الهوان من النعل

وقال الحماسي:

أكلما حاربت خزاعة تحدوني * كأني لأمهم جمل

وقوله عليه السلام: جمل أهلك: الأهل قد يشمل الأمّ وغيرها من أهل البيت ويحتمل أن يريد بالأهل الزوجة.

قوله عليه السلام: إنك لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه.

كل هذه علامات المعجب المختال فانه ينظر كثيرا في عطفيه أي منكبيه ويتبخترفي مشيته يجر ثوبه خيلاء ويتفل في[1] شراك نعليه إذا اغبرتا وتغيرتا.

والشسع: السير[2] الذي يشدّ إلى زمام النعل، والشراك ما يكون على ظاهر القدم، وقد فرق المتنبي بينهما بقوله:

شراكها كورها ومشفرها * زمامها والشسوع مقودها

* * *

١ ــ التفل: نفخ معه ادنى بزاق وهو أكثر من النفث.

٢ ــ السير: قدة من الجلد مستطيلة.

٧١ــ ومِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى عبد الله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلاَ مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَك، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ. وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

٧٢ــ ومِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ؛ فَانِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالاِسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي، وَمُخَطِّىءٌ فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الأُمُورَ، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلاَمُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ؛ لاَيَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَلَسْتَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ إِنَّهُ لَوْلاَ بَعْضُ الاِسْتِبْقَاءِ لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي نَوَازِعُ[1]: تَقْرَعُ الْعَظْمَ، وَتلهس

١ ــ في ض وب وح: قوارع وفي ع وك: لوصلت اليك من نوازع تنزع العظم.

اللَّحْمَ[١]! وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ .

الشرح

بهط الجمل: يبهظه، بهظا أي أثقله، وعجز عنه. وهذا أمر باهظ أي شاق.

قوله عليه السلام: لو صلت إليك مني نوازع.

نزعت الشيء: من مكانه نزعا أي قلعته، وفلان في النزع أي في قلع الحياة، ونزع إلى أبيه في الشبه أي ذهب، وبينهم نزاعة أي خصومة في حق، أي لوصلت إليك مني أشياء تزعجك عن مقامك، وتخنث[٢] جرثومتك، وتهدم ما بنيت.

وتهلس اللحم: أي تسلبه وتذيبه يقال هلسه المرض أي أذا به وفلان مهلوس العقل أي مسلوبة.

والتثبيط: التبطئة[٣]، والأذن: الاستماع قال الشاعر:

في سماع يأذن الشيخ له * وحديث مثل ما ذي مشار

قول الرضي: ومن حلف: أي عهد بين اليمن وربيعة يعني بين بني قحطان، وبين بني سباء وبين بني ربيعةبن نزار الذي يقال له ربيعة الفرس.

* * *

١ ـ في ض وب ون ول وش: تهلس وفي ح: تنهس اللحم.
٢ ـ تخنث وانخنث: انكسر وانثنى.
٣ ـ بطأ به عمله: اخره والتبطئة: التأخير.

٧٣ــ ومِنْ حَلْفٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

كتبه بين ربيعة واليمن ، ونقل من خط هشام ابن الكلبى

هَـذَا مَا اجْـتَـمَـعَ عَلَـيْـهِ أَهْلُ الْـيَـمَـنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ، وَرَبِـيعَـةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا أَنَّـهُـمْ عَلَى كِتَابِ ٱللهِ : يَدْعُونَ إِلَـيْـهِ وَيَـأْمُرُونَ بِـهِ ، وَيُجِيبُونَ مَـنْ دَعَا إِلَـيْـهِ وَأَمَـرَ بِـهِ لاَ يَـشْـتَرُونَ بِـهِ ثَـمَـناً وَلاَ يَـرْضَـوْنَ بِـهِ بَـدَلاً ، وَأَنَّـهُـمْ يَـدٌ وَاحِـدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَـفَ ذَلِـكَ وَتَـرَكَـهُ ، أَنْـصَارٌ بَـعْـضُـهُـمْ لِـبَـعْـضٍ : دَعْـوَتُـهُـمْ وَاحِـدَةٌ ، لاَ يَـنْـقُـضُـونَ عَـهْـدَهُـمْ لِـمَـعْـتَـبَـةِ عَاتِبٍ ، وَلاَ لِـغَـضَـبِ غَاضِبٍ ، وَلاَ لِاسْـتِـذْلاَلِ قَوْمٍ قَوْماً (وَلاَ لِـمَـسَـبَّـةِ قَوْمٍ قَوْماً[1]) ! عَلَى ذَلِـكَ شَاهِـدُهُـمْ وَغَائِـبُـهُـمْ ، (وَسَـفِـيهُـهُـمْ[2] وَعَالِـمُـهُـمْ) ، وَحَـلِـيمُـهُـمْ وَجَاهِـلُـهُـمْ . ثُـمَّ إِنَّ عَلَـيْـهِـمْ بِـذَلِكَ عَـهْـدَ ٱللهِ وَمِـيثَاقَـهُ إِنَّ عَـهْـدَ ٱللهِ كَانَ مَـسْـئُولاً ، وكتب : علي بن أبي طالب .

---

١ ــ ساقطة من ب ول .

٢ ــ ساقطة من ش .

الشرح

قوله عليه السلام : إنهم على كتاب الله : بدل من قوله ما اجتمع أنصار أو بدل من قوله يد واحدة أو خبر بعد خبر لأنهم أو خبر مبتدأ محذوف ، أي هم أنصار دعوة واحدة مصدر لقوله يدعون إليه : أو لما يدل هو عليه وروى .

وكتب علي بن أبو طالب : ترك في حال الجرّ على لفظه في حال الرفع لأنه اشتهر بذلك ، وعرف فجرى مجرى المثل الذي لا يغير وفي الحديث كتب رسول الله صلى الله عليه وآله لوائل بن حجر من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبو أمية ، وقيل إن قولنا أبو فلان إذا سمي به لا يغير بوجوه الاعراب ، لكونه في حكم كلمة واحدة ، وإذا كني به غيّر فرقا بين حالتي كونه اسما وكونه كنية .

* * *

٧٤ـ ومِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إلى معاوية في أول ما بويع له

ذكره الواقدي في كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أمِيرِالْمُؤْمِنِينَ إلَى مُعَاوِيَةَبْنِ أَبِي سُفْيَانَ :ـ

أمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ إعْذَارِي فِيكُمْ وَإعْرَاضِي عَنْكُمْ، حَتَّى كَانَ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ وَلاَ دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَالْكَلاَمُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أدْبَرَ مَا أدْبَرَ وَأقْبَلَ مَا أقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ وَأقْبِلْ إلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أصْحَابِكَ.

٧٥ـ ومِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامُ

لعبد الله بن العباس ، عند استخلافه إياه على البصرة

سَعِ[١] النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طِيَرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ ٱللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ ٱللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.

---

١ ــ في ش : متع الناس .

الشرح

قوله عليه السلام: سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك.

أي لا تضايقهم بالبشر وطلاقة الوجه، وفسحة المجلس، والحكم بينهم بالعدل، وترك الميل، وينبغي أن تسع جميعهم بذلك أجمع.

وإياك والغضب، فانه طيرة من الشيطان.

يعني أحذر الغضب والطيرة: الخفة والطيش[١] قال الكميت[٢]:

وحكمك عز اذا ما حكمت ＊ وطيرتك الصاب والحنظل

والغضب غليان دم القلب ايثارا للانتقام، وقيل: هو تغير يعتري الانسان على الغير يقتضي اساءته إليه، من وسواس الشيطان، فكأن الشيطان يطيره ويحركه.

＊ ＊ ＊

---

١ ــ الطيش: الخفة وفي الحديث كانت يدي تطيش في الصفحة أي تخف وتتناول من كل جانب.

٢ ــ الكميت بن زيد الأسدي شاعر أهل البيت عليهم السلام، قال: دخلت على سيدي أبي جعفر عليه السلام فقلت يابن رسول الله اني قد قلت فيكم أبياتاً افتاذن لي في انشادها قال: هات، قلت:

اضحكني الدهر وابكاني ＊ والدهر ذو صرف والوان

لتسعة بالطف قد غودروا ＊ صاروا جميعا رهن اكفان

فبكى وبكى ابو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام، ثم اخذ بيدي وقال: اللهم اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ثم قال: ياكميت هذه مائة والف درهم قد جمعتها لك من أهل بيتي، فقال الكميت: لا والله

←

٧٦ـ ومِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لعبد الله بن العباس ، لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج

لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُون وَلٰكِنْ خاصِمْهُم[١] بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً .

٧٧ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين

ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا ، وَنَطَقُوا بِالْهَوَى ، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هٰذَا الأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي أُدَاوِي[٢] مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً ، وَلَيْسَ رَجُلٌ

لا يعلم أحد اني آخذ منها حتى يكون الله عز وجل يكافئني ولكن تكرمني بقميص من قميصك فاعطاه ، وللكميت أخبار ونوادر مذكورة في كتب الشعر والأدب .

١ ــ في ض وح وب وش : ولكن حاججهم .

٢ ــ في ش : فانا اداوي .

فَاعْلَمْ ـ أَحْرَصَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأُلْفَتِهَا مِنِّي أَبْتَغِي بِذٰلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَكَرَمَ الْمَآبِ. وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ، وَالتَّجْرِبَةِ وَإِنِّي لَأَعْبَدُ[1] أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ. وَإِنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ ٱللهُ؛ فَدَعْ مَا لاَ تَعْرِفُ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ.

الشرح

قوله عليه السلام: لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه ولكن حاججهم بالسنة.

وذلك لأن الكتاب يحتمل من الوجوه ما لا يحتمله السنة، وما كان أكشف وأبين من مراد قائله، فالاحتجاج به أقرب، وسنة الرسول صلى الله عليه وآله أظهر في إبطال مذهب الخوارج من القرآن لأنه صلى الله عليه وآله أقام الحدود على الفساق. والجناة وأقام فيهم حكم المؤمنين من الحدود، ولا يخفى ذلك على الأمة ولا نزاع فيه، لوقوع المشاهدة، والاحتجاج بالمشاهدة أقوى.

المحيص: المعدل.

قوله أداوي منهم قرحا: وروى أداري.

وأيت: أي وعدت، لأعبد: أي آنف وأغضب.

طائرون: أي مسرعون.

---

١ ــ في ش: واني لا اعبد.

٧٨ـ ومِنْ كِتابٍ لَهُ عَلَيْه السَّلامْ

لما استخلف، إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقّ فَاشْتَرَوْهُ، وَأَخَذُوهُمْ[1] بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ.

---

١ ــ في ش : فاخذوه.

باب الحكم

قوله عليه السلام: «كُنْ فِي ٱلْفِتْنَةِ كَٱبْنِ اللَّبُونِ».

ابن اللبون ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية، ودخل في الثالثة، لأن أمه وضعت غيره، فلها ابن وهو نكرة ويعرف بالألف واللام قال الشاعر:

ابن اللبون إذا ما لزَّ في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

يعني كن في الفتنة، بحيث لا مطمع فيك لأحد من طريق القوة (ومن طريق) المال، يعني لا تهيج الفتنة بنفسك ومالك. عبّر عن القوة بالظهر وعن المال باللبن، وقيل يعني لا تكن في الفتنة منقادا لصاحبها، بحيث يركبك أي يحملك وزره، ويستمدّ منك كما يستمدّ الحالب من اللبن.

والمراد بالقولين لا تكن سلس[1] القياد في الفتنة والشر، وقيل إنه في الحقيقة نهى عن جمع المال واظهار القوة من النفس في زمن الفتنة كيلا يطمع أصحاب الفتن في ماله وقوته ولا يتقوّوا به، وبالجملة فالمراد لا يكونن لك تأثير في الفتنة ولا علقة بها ولا ظهر/مبتدأ محذوف الخبر أي لا ظهر له.

قوله فيركب: جواب النفي، وانتصابه بان مضمرة.

قوله عليه السلام: «أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ ٱسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ».

أي من جعل الطمع شاملا له بمنزلة الشعار، فقد حقّر نفسه وقد قيل

---

١ ــ السلس: السهولة والانقياد، والسلس: اللين.

العبد حرّ ما قنع، والحر عبد ما طمع.

ورضي بالذل من كشف عن ضره.

الضرّ سوء الحال، والفقر، والفقير حقير في أعين أبناء الدنيا.

قوله وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه.

ذلك، لأن الطبع يميل إلى التكلم بما يتأذى به الناس فمن انقاد للسانه قد تعرض لهوانه لأنه يطرق على نفسه بسفاهته سفاهة غيره، ثم إن كثرة الكلام يذهب بمهابة المرء، وفي الخبر من كثر كلامه كثر سقطه، وفي الصمت حكم وقليل فاعله وقد قال الشاعر:

الصمت زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما إن ندمت على سكوت مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

ثم الصمت وإن كان محمودا فانه يحسن (موضعه، والسكوت) حيث يجب الكلام، كالكلام حيث يجب السكوت فحري بالعاقل أن يكون لسانه منقادا له، ولا يكون هو منقادا للسان فيعد لكل مقام مقالا ولكل داء دواء.

والفقر يخرس الفطن عن حجته: لأنه يخاف من ضعة[1] قدره عند الناس أن يرد عليه ويستخف به فيؤثر السكوت.

المقل: الفقير العجز: آفة: أي من عجز عن تهذيب أخلاقه وإمساك نفسه عند اقتحام[2] الشهوات، فقد أدركته الآفة، وإن حمل على العموم كان وجها.

والزهد ثروة، أي غنى من قول النبي صلى الله عليه وآله: القناعة مال لا ينفد، والزهد أن يختار المرء الباقي على الفاني، ويحقر الدنيا في عينه ويتنزه عن أكثر المباحات مع القدرة عليها، ولا يدخر الدنيا، والزاهد المطلق

١ ــ الضعة: الحط والسقوط والخسارة.

٢ ــ اقتحم الانسان الامر العظيم: اذا رمى نفسه فيه من غير روية.

هو الذي لا يضيع عمره في اكتساب اللذات الدنيا الدنية[١] ويقبل على اكتساب اللذات الموعودة. في العقبى وهذا بيع يستعقب ربحا عظيما، قال الله تعالى: فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به[٢] والزاهد من باع الفاني واشترى الباقي وذلك هو الثروة.

قال بعض العارفين: إنّ بيع الدنيا بالآخرة زهد ضعيف، لأن مطلب العارف هو النسبة الشريفة التي بين العبد والمعبود، وهو الرضوان الأكبر، والعارف الحقيقي أن يأخذ الأموال ويتصرّف فيها ويضعها في مواضعها كما فعل أميرالمؤمنين علي عليه السلام، وكان العارف مع أموال الدنيا في يده زاهدا وربما كان الفقير الذي لا يقدر على درهم واحد غير زاهد لأن قلبه معلق بالدنيا، والعارف منقطع عن الدنيا غير ملتفت اليها ولا يشتغل بطلب الدنيا ولا يتركها.

لا تشغله الدنيا من طريق الطلب ومن طريق الانقطاع، والهرب عنها وبينه، وبين الدنيا لا وصال ولا انقطاع. مثال ذلك أنك ترى إنسانا في مدينة أو سفر ولا صداقة بينك، وبينه، ولا عداوة لأن العداوة أيضا نوع من الاشتغال، وهذا لا يتيسّر لكلّ أحد بل النادر في كل زمان، وقيل لعبد الله بن[٣] المبارك يا زاهد، فقال: الزاهد هو عمر بن عبدالعزيز، فانه متصرف في أموال الدنيا، وهو مع ذلك زاهد فيها.

---

١ ـ في ض: اكتساب اللذات الدنياوية.

٢ ـ التوبة: ١١١.

٣ ـ عبد الله بن المبارك واضح الحنظلي مولاهم ابوعبد الرحمان المروزي احد الائمة روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وغيرهم وعنه الثوري وخلق كثير من اهل الحديث.

قال العباس بن مصعب: كانت امه خوار زميه وأبوه تركيا، قال سفياني بن عيينة: كان ابن المبارك فقيها عالما، عابدا، زاهدا، شيخا، شجاعا وشاعرا، جمع العربية والشجاعة والسخاوة والمحبة، وكانت كتبه التي حدث بها عشرين الفا مات بهيت سنة ١٨١ ويظهر من بعض الأخبار انه يميل الى معاوية بن ابي سفيان.

فأما أنا فلا أقدر على درهم، فكيف أكون زاهدا، وقيل من الزهد ترك الطلب أيضا، لأن من لا يقدر على الدنيا ويطلبها سرّا وعلانية. فليس بزاهد، بل هو ممن خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

والورع: الذي يتنزه عن المعاصي.

والآداب حلل مجددة: أي لا يبلى بل يزداد بكثرة التجارب والممارسة كل وقت جدة وعنى بالآداب هنا آداب الشرع التي هي مكارم الأخلاق.

«ٱلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ».

بالفكر ينتقش صور المعلومات في العقل وما لا يعلم بديهة لابد من طلبه ولا يمكن طلبه إلا بمعروفين يؤلف بينهما فتعرف من تألفهما المطلوب المجهول، وهما كأصلين له بمنزلة رأس المال والعلم بالتجارة للربح، فمن وجد رأس المال، ولم يعرف التجارة ضيع رأس ماله، ومن عرف التجارة، فلا مال فلا فائدة ومن جاز كلي الأمرين، فقد فاز بالربح العظيم. مثاله من أراد أن يعرف أن العقبى خير من الدنيا لا يمكنه ذلك الا بمعرفة أصلين.

أحدهما: أن الباقي خير من الفاني والآخر أن العقبى باقية، والدنيا فانية وهذان العلمان كالزند والمقدحة والتفكر، كحركة يد القابس، والعلم المطلوب كالنار التي يخلقها الله بسبب الزند[1] والمقدحة والفكر والحركة درجتان أولاهما أن يتفكر في نفسه، وأعماله المكروهة ورذايله الخبيثة ليخلص نفسه منها والرذايل الظاهرة كالمعاصي، والباطنة كالحرص والحسد والبخل ونحوها.

وثانيهما: التفكر في أفعال الله تعالى، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق.

---

١ ــ الزند: بفتح النون: العود الاعلى الذي يقتدح به النار وفي النهاية الزند بفتح النون: المسناة من خشب وحجارة يضم بعضها الى بعض والمقدحة: الحديدة.

«صَدْرُ ٱلْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ».

أي لا يفشى سرّه وكتمان السر خلق محمود من الفضائل، وهو من باب الأمانة وروي له عليه السلام بيتان في هذا المعنى أوردتهما في أنوار العقول وهما.

لا تودع السر إلا عند ذي كرم * والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

«وَٱلْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ ٱلْمَوَدَّةِ».

أي صاحب طلاقة الوجه يصطاد القلوب بها فتحبه، ويحصل بالبشر وحسن المعاشرة من الأصدقاء والمعارف ما لا يحصل بالمال والجاه.

«الاحتمالُ قَبرُ العيُوبِ».

أي من لم يغضب واختار الأناة[١] عند سفاهة السفهاء استترت عيوبه أي لا يذكر، والمخاصمة تثير نقع[٢] العيوب، فان الخصم مضطر إلى إظهار معائب خصمه ليحقره في أعين الناس ويفوز بالانتقام منه.

والمسالمة، المصالحة والخب الستر.

ومن رضى عن نفسه كثر الساخط عليه: لأنه إنما يرضى عن نفسه اذا اعتقد الكمال له، وإذا اعتقد الكمال له اعتقد النقصان لغيره، فنظر إلى غيره بعين الازدراء والتحقير، فكثّر الساخط عليه وأيضا فأنه إذا رضى عن نفسه رفعها فوق قدرها، ومن رفع نفسه فوق قدرها قد ردها الناس إلى قدرها فكثّر الساخط عليه وأيضا فمن رضي عن نفسه لم يجتهد في طلب كماله، وبقي في مهاوي النقصان وتصور نقصانه كمال والعقلاء يتصورون نقصانه نقصانا فكثّر الساخط عليه.

«الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ».

---

١ ــ الاناة: الانتظار، التمهل الوقار والحلم.

٢ ــ النقع: رفع الصوت ونقع الصوت اذا ارتفع.

أي يوصل إلى النجح وهو الظفر بالمرام قال النبي صلى الله عليه وآله: داووا مرضاكم بالصدقة وقال بقراط: من الأمراض أمراض علاجه القرابين والصدقات، واذا كان الشافي في الحقيقة هو الله فطلب الشفاء منه بالصدقات أولى، والدواء والطب الالهي لا شك أنه ينفع ودواء الطبيب ربما ينفع وربما لا ينفع بل ربما يضر.

«أَعْمَالُ ٱلعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجَالِهِمْ».

أي ما عملوه في الدنيا عاينوه في الآخرة، والنصب في قولهم نصبت الشيء نصبا أي أقمته وانتصابه هنا على المصدر، والفعل مقدر أي تنصب نصبا لأعينهم، والفعل المقدر خبر المبتدأ الذي هو أعمال فلما حذف الفعل سد مصدره المنصوب مسد الخبر.

ويتنفس من خرم: والخرم ثقب الأنف وأصل الخرم: القطع والمخرم منقطع أنف الجبل.

قوله عليه السلام: «إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ».

يعني من وافقته الدولة اعتقد الناس فيه الكمال، والمحاسن، والفضائل فينسبون محاسن غيره إليه، وإذا أدبرت الدولة عنه اعتقدوا فيه المثالب فربما أتى بمحمدة ينسب إلى غيره ولا يظن به إلا الادبار في أنوار العقول. لأميرالمؤمنين عليه السلام:

كثير المال ليس له عوار * ولا في كل ما يأتيه عار
لأن المال يستر كل عيب * وفي الفقر المذلة والصغار
كذاك الفقر بالأحرار يزري * كما ازرت بشاربه العقار

ومما ينسب اليه فيه:

مساكن أهل الفقر حتى قبورهم * عليه تراب الذل بين المقابر

وقيل في قوله أعارته محاسن غيره، يعني أن العقلاء، والعلماء يتقربون إليه بتنبيهه على عقائل[١] الكلام، ومحاسن الأعمال فكأن الدولة أعارته محاسن غيره.

قوله: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ».

يجب في اتخاذ الاخوان أن يراعى فيه اتفاق المطلب، وهو مطلب الاخوة وانفاق الأخلاق، فان البخيل يرى بذل السخيّ اسرافا والسخي يرى إمساك البخيل لوما والشجاع يرى جبن الجبان ضعفا، والجبان يرى شجاعة الشجاع تهورا[٢] فيجب في اتخاذ الاخوان والأصدقاء انفاق الأخلاق حتى تدوم الصداقة ولا يكون عارضة زائلة، عن قريب.

إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر كفران النعم كالسبب لزوالها، وانقطاعها كما أن شكرها سبب لدوامها وزيادتها قال تعالى «لأن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد[٣]».

«أتيح: أي قدر».

ما كل مفتون يعاتب: من وقع في شدة من شدائد الدنيا نظر فيه فان كان بسوء اختياره أو بسبب راجع إليه من شهوة أو معصية، فانه يلام عليه ويعاتب، وإن كان من فعل الله أو من فعل غيره فانه يلام عليه وهو في كلا الحالين، مفتون.

«تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ، حَتَّى يَكُونَ الحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ».

---

١ ــ العقائل جمع العقيلة وهي درة البحر.

٢ ــ تهور: اوقع نفسه في الهلكة والمورات: المهلك.

٣ ــ ابراهيم: ٧.

يعني من قدر الله هلاكه، تدبيره تدميره[1]، قوله عليه السلام: في حديث الخضاب إنما قال ذلك والدين قلّ، فأما الان فقد اتسع نطافه.

«ضَرَبَ بِجِرَانِهِ، فَامْرُؤٌ وَمَا آخْتَارَ».

كان المجاهدون في بدو الاسلام ندبوا إلى الخضاب لئلا ينظر إليهم الأقران بعين الازدراء بسبب الشيخوخة، فكان الشيوخ يخضبون بالسواد تشبها بالشبان، وقيل: كانوا يخضبون بالحناء.

والنطاق: شقة طويلة عريضة ينجرّ على الأرض إذا البست وجران البعير ما يلي الصدر من العنق، وهما كنايتان عن انتظام أمور الدين، وكماله واستقامته واستقراره، وذكر بعض الرواة أن الخضاب نوع من الرياء، وإذا كان الشيب نور الله؛ فستر نور الله أمر خارج عن الاعتدال.

وقوله فامرء: مبتدأ، وما اختار: عطف عليه والخبر محذوف أي فامرئ وما اختاره مقرونان كقوله كل رجل ووضيعته.

«أَقِيلُوا ذَوِي آلْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِم، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُ آللهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ».

يهدي الله صاحب المرؤة في عواقب أموره إلى ما يحبّ ويرضى ويد الله عبارة عن توفيقه وتسديده.

قوله عليه السلام: «قُرِنَتِ آلْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ».

من عظم صغار الأمور في نفسه أو كبر صغير الناس في وهمه، وهابه ربما كان ذلك سبب حرماته، مما قدر له في الرزق أو حسن الذكر.

قوله عليه السلام: «لَنَا حَقٌّ، فَإِنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ آلْإِبِلِ، وَإِنْ طَالَ السُّرَىٰ».

---

١ ـــ الدمار: الهلاك ودمر عليهم: اي هجم ودخل بغير اذن.

من منع حقه مع حاجته إليه، ولم يقدر على استيفائه، فقد ظلم، والمظلوم يلحقه مذلة. وفي تهذيب الأزهري: قال القتيبي[١]: أعجاز الابل مآخيرها جمع عجز وهو مركب شاقّ، قال: ومعناه إن منعنا حقنا ركبنا مركب المشقة وصبرنا عليه، وإن طال ولم نضجر منه مخلين بحقنا.

ثم قال الأزهري: لم يرد عليّ عليه السلام ركوب المشقة، ولكنه ضرب أعجاز الابل مثلا لتقدّم غيره عليه في حقه وتأخيره إياه عن الامامة والتقدم فيه، فأراد إن منعنا حقنا منها، وأضربنا عن ذلك صبرنا على الأثرة[٢] عليها وإن طالت الأيام والسرى سير الليل.

قوله عليه السلام: «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

أي من كان عاريا عن صفات الكمال، لم ينفعه كمال أسلافه، بل كان ذلك أشد تأثيرا في إظهار معايبه، وقد قلت فيمن يفتخر بفضل أبيه وليس هو الفاضل النبيه[٣].

أغرّك يوما أن يقال ابن فاضل * وأنت بحمد الله أجهل جاهل
فان زانك الفضل الذي فيه قد بدا * فقد شأنه أن لست تحظى بطائل
وإن لم يكن ذا الجهل عنك بزائل * إليه فذاك الفضل ليس بزائل

ومن عجائب هذا الزمن من يتفوق بفضل أبيه على من هو بدرجات في

---

١ ـــ والظاهر أنه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب صاحب التصانيف كغريب الحديث ومختلف الحديث والمعارف وادب الكاتب ومشكل القرآن وغيرها من الكتب الحسنة المفيدة سكن بغداد وحدث عن ابن راهويه ومات سنة ٢٧٦.

ويمكن ان يكون حفيده أبو أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القتيبي ولد ببغداد سنة ٢٧٠ وانتقل إلى مصر وسكنها وروى بها عن أبيه وجده، سمع منه أبو الفتح عبد الواحد البلخي وكان ثقة، وذكرهما أبو سعد السمعاني في الأنساب في ذيل القتيبي.

٢ ـــ الأثرة: الايثار، وآثر يؤثر: إذا أعطى.

٣ ـــ النبة: الشريف.

الفضل فوق أبيه .

قوله عليه السلام : «**مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ**» .

لأن الاغاثة طاعة متعدية ، وفيه فوائد منها زجر الظالم ، ونجاة المظلوم ، وتوطين النفس، على قهر القوة الغضبية واكتساب مودات القلوب ، وإذا كانت الطاعة عظيمة ، كانت كفارة للمعصية العظيمة ، وقيل إنَّ كفارة المعصية الظاهرة الطاعة الظاهرة المتعدية ، ولا طاعة في الظهور مثل إغاثة الملهوف ، وإعانة[١] العقل عند استيلاء الهوى عليه من باب إغاثة الملهوف .

قوله عليه السلام : «**إذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ فَاحْذَرْهُ**» .

أي احذر أن تقع في معاصيه ، بما أنعم عليك به على التواتر من صحة البدن وكثرة المال والأولاد ، واستقامة الأحوال ، فيكون استحقاقك للعقاب آكد ، وروي أن الله تعالى يقول : يابن آدم خيرى عليك نازل وشرك إلي صاعد ، أتحبب إليك بالنعم وتتمقت[٢] إلي بالمعاصي .

قوله عليه السلام : «**مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ**» .

الاعتقاد الذي في صميم الفؤاد كالرطوبة التي في أعراق الشجرة وأصولها ، فلا شك أنه يظهر آثارها بالأوراق والأزهار، على أغصانها ، وفلتات اللسان سقطاته وما يقع منه من غير تفكر وصحفة الوجه بشرة جلده .

قوله عليه السلام : «**امْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَىٰ بِكَ**» .

أي امش في صورة الأصحاء مع علتك ولا تضع جنبك على الفراش

١ـ في ض : اغاثة العقل .

٢ـ المقت : اشد البغض .

وذلك راجع إلى اخفاء المرض (كما قال النبي صلى الله عليه وآله: من كنوز البرّ كتمان الصدقة، والمرض، والمصيبة والفائدة الطبية في ذلك ان اخفاء المرض) معاونة للطبيعة على دفع المرض فانه نوع تجلد والتجلد يكون إعانة الطبيعة وتقويتها ومن الأمراض أمراض تحلل[1] الحركات الجسمانية وموادها.

قوله عليه السلام: «**أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ**».

من ابتهج باطلاع الخلق على زهده، وعبادته فهو قارع باب الرياء إلا أن يكون ابتهاجه بسبب أنه أراد إخفاء طاعته، فأظهر الله حسن طاعته من غير طلب منه، وأخفى معاصيه التي خباها وهذا لطف كامل، وفضل وافر، فابتهج بأن لطف الله تعالى يظهر حسناته. وعفوه يستر سيئاته.

محصل الكلام في إظهار الزهد أن الطاعة، وترك المعاصي مما يتقرب بهما إلى رضاء الله فاذا أظهره للناس فلا يخلو من أن يكون الخلق في قلبه أكرم وأعظم من الله، ومن كان الله في قلبه أكرم وأعظم فهو يخفي الطاعة والزهد.

الحذر الحذر: أي الزمه من المعاصي.

قوله عليه السلام: «**ٱلْإِيمَانُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ**».

عنى بالايمان ما أراد الله تعالى في قوله: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، يعني معالم الايمان وتوابعه وفروعه وحليته، وما ينبغي أن يكون المؤمن عليه من الأقوال والأحوال والأعمال لما ثبت من الدليل في مظانه أن الايمان هو التصديق القلبي بجميع ما يجب التصديق به، وقدم عليه فيما عده من معالم الايمان الصبر لأنه أشد الأعمال، ولا يستغني المؤمن عنه لأن

---

١ ــ في الاصل: تخلل.

المؤمن إما في النعمة، وإما في المحنة.

فاذا كان في النعمة، فلو لم يصبر ولم يملك نفسه حصل له البطر[١] والطغيان كما قال تعالى: «كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى[٢]» والصبر في العافية والنعمة من علامات الصديقين، وقال تعالى في حق ثعلبة[٣] حين لم يصبر على النعمة والعافية، فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون[٤]، والصبر على النعمة أن لا يسكن إليها ولا يطمئن بها ويعرف أنها عارية، وأما في المحنة فلا غنى عن الصبر في الأحوال التي لا يلائم الانسان من القيام بالطاعات والاجتناب عن المعاصي وموت الأعزّة ونقص الاموال والأمراض.

قال تعالى: فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا[٥] ولم، يرد باليقين ما يتعلق بأصل الايمان بل أراد حصول العلم بما هو فرع عليه على ما فسره بعد والعدل ما عدل اليك وأما الى غيرك فالعدل اليك الاحتراز من الخسران والطغيان في ضعف القوة الشهوانية، والغضبية وتسلطهما فيكن الغضبية بالشهوانية والشهوانية بالغضبية وهذا هو الميزان الحقيقي.

قال تعالى: وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان[٦]، وعنى بالشوق

---

١ ـ البطر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى وقيل هو ان يتجبر عند الحق فلا يراه حقا ويتكبر عن الحق فلا يقبله.

٢ ـ العلق: ٦.

٣ـ هو ثعلبة بن حاطب الانصاري الاوسي شهد بدرا وهو الذي سال النبي صلى الله عليه وآله ان يدعو الله ان يرزقه مالا فقال: ويحك ياثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، ثم اصر على ذلك حتى دعا له رسول الله وصار صاحب غنم كثير الى آخر الحديث المذكور في اسد الغابة.

٤ ـ التوبة: ٧٦.

٥ ـ الطور: ٤٨.

٦ ـ الرحمان: ٩.

الاشتياق الى ثواب الله كما فسره بعد، وقد يكون الشوق عند قوم محبة لقاء الله تعالى ومن أحسن واحد فهو محبوبه كما قال النبي صلى الله عليه وآله: جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، وإذا كان العاقل يحب نفسه ويحب بقاء نفسه، ويحب كمال نفسه فكذلك يحب من أوجد نفسه وأبقاه وأكمله.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في الدعاء: أسألك الشوق إلى لقائـك، والشوق في الشاهد يكون إلى ما هو شاهد، من وجه غائب من وجه كالمعشوق، فانه غائب من جهة شخصه حاضر في الخيال والشوق تقاضي الطبع حتى يكون[١] محسوسا مشاهدا فاذا اعتبرنا حال القلب وما ارتسم[٢] فيه من معرفة الله فذلك هو الأنس، واذا اعتبرنا حال القلب، وما لم يحصل للانسان من تفاصيل معرفة الله تعالى، ذلك وطلب المرء تحصيله فهذا هو الشوق، وهذا تمام المطلوب، وهو الذي قال تعالى في ذلك: ربنا أتمم لنا نورنا[٣].

أما الزهد فقد مضى ذكره قبل هذا، والترقب والمراقبة معنى قول الله تعالى: ولتنظر نفس ما قدمت لغد، وفي الخبر حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومراقبة الصديق أن يكون قلبه مستغرقا في ذكر الله ولا يلتفت إلى غير الله كما قال النبي صلى الله عليه وآله: من أصبح وهمه هم واحد كفاه الله هم الدنيا والآخرة ومراقبة الصلحاء وأصحاب اليمين معرفتهم بأن الله تعالى مطلع عليهم ولم يساعدهم الاستغراق في سبيل الله.

---

١ ـــ في ض هنـا زيـادة وهي: حتى ما في الخيال شاهدا في الحس يتم الادراك فما كان متخيلا يريد ان يكون محسوساً الخ.

٢ ـــ ارتسم الامر: امتثله.

٣ ـــ التحريم: ٨.

بل لهم التفات إلى أنفسهم وأحوالهم وحقيقة الترقب أن ينظر إلى أفكاره وخواطره مما كان منها موافقا لرضى الله أقبل عليه بالاتمام وما كان منها مخالفا لرضا الله استحى من الله وامتنع منه وأما الفطنة فذكاء العقل وتبصرته هو اكتساب العلوم فان العقل والعلم الاولى إذا لم يقترن به العلم المكتسب يسمى أعمى وانما يخرج عن العمى إذا توصل به الى العلوم المكتسبة.

قوله عليه السلام: «وَتَأَوُّلِ ٱلْحِكْمَةِ».

هو العلم بمراد الحكماء فيما قالوا واولى الحكمة بأن يعلم قول الله ورسوله قال تعالى: ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة[1].

«وَمَوْعِظَةِ ٱلْعِبْرَةِ».

هو الاعتبار والتفكر فيما يرى مما يحدثه الله في خلفه من الزيادة والنقصان، وتصريف الأحوال، فيستدل بها على صانع حكيم، وعلى فناء الدنيا وزوالها، وأن البقاء وراءها.

«وَسُنَّةِ ٱلْأَوَّلِينَ».

هو الاحتذاء على سيرة الأنبياء في الاستقامة واستدامة التقوى سرا وجهرا، وقولا وعقيدة.

قوله صدر عن شرائع الحكم: لأن العالم بمعاني كلام الله ورسوله، يكون فاصلا بين الناس بالحكومة العادلة، والسيرة الفاضلة من جعل المرء ديدنا[2] لم يصبح ليله أي من صار المماراة واللجاج عادته، فليس لليلة حيرته صباح، ولا بمغلاق جهالته انفتاح، ولا لظلامه ضياء ولا لحواره[3] وكلامه

١ ــ آل عمران: ١٦٤.

٢ ــ الديدن: الدأب والعادة، وفي ض: من جعل الرياء ديدنا.

٣ ــ الحوار: الجواب يقال كلمته فما رد اليّ حورا، اي جوابا.

بهجة ورواء[١] وفي المثل أصبح ليل يضرب فيمن يتوقع النجاة من البلاء ولا ينجوقالته امرأة امرء القيس ؛ وكانت لا يطيق معه البيتوتة وكان إمرء القيس فروكا[٢].

أما ألفاظه فالد عامة : العماد، والشعبة : الغصن، وكلاهما هاهنا مجاز.

والحكمة : العلم الذي يدفع الانسان عن فعل القبيح مستعار من حكمة اللجام.

تبصر : أي نظر وتفكر وصار ذا بصيرة.

وغائص الفهم : اضافة الصفة الى الموصوف للتأكيد، والفهم الغائص ما يهجم على الشيء، فيطلع على ما هو عليه، كمن يغوص على الدرر واللؤلؤ.

وغور كل شيء : قعره والشريعة : المورد، والزهرة : النور، والرساخة : الثبوت، والشنان : البغض، وإنما ذكر الكفر والشك، وقد سئل عن الأيمان لأنهما ضدان له وبالضد يتبين الأشياء.

والتعمق : في الكلام : التقعر والتباعد فيه.

والشقاق : المعاداة، والمخاصمة الشديدة.

والانابة : الرجوع وأعضل الأمر: اشتد.

ونكص على عقبيه : أي ارتد.

كن سمحا ولا تكن مبذرا السمح :أالجواد السهل والمبذر: المفرق ما له اسرافا.

وكن مقدرا ولا تكن مقترا المقدر: الذي ينفق على عياله بمقدار ما

١ــ الرواء بالمد والضم : المنظر الحسن.

٢ــ الفروك : حسن المعاشرة والصحبة.

ينبغي والمقتر الذي يضيق عليه في النفقة .

فترجلوا : اي نزلوا عن مراكبهم وصاروا رجالة .

واشتدوا : عدوا ويشقون : من المشقة ويشقون من الشقاء .

ما أخسر المشقة وراءهاالعقاب قوله وراءهاالعقاب جملة من مبتدأ وخبر منصوبة المحل صفة للمشقة لأن المشقة وإن كانت فيها أداة التعريف فانها غير موقت على وتيرة قول الشاعر.

ولقد أمر على اللئيم يسبني .

ويجوز أن تكون الجملة في حكم حال مقدرة كقولهم : مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا به الصيد غدا فكان التقدير هنا ما أخسر المشقة مقدرا بعدها العقاب ومترقبا .

قوله عليه السلام : «آخفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً وأَرْبَعاً».

إنما فصلها ولم يقل ثمانيا لأن أربعا منها مما يطلب ويفعل وأربعا مما يهرب عنه ويهمل .

قوله عليه السلام : «يَعْبدُ[1] عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ» .

أحوج حال من الضمير في عنك ، وما مصدرية والأوقات مقدرة قبله ، وخبر كان محذوف سدّ مسده ، ما يتعلق به وهو إليه ، والتقدير أحوج أوقات كونه محتاجا إليه ، ويجوز أن يكون أحوج على هذا ظرفا لأنه في التقدير مضاف الى الظرف ، فاكتسب من المضاف إليه الظرفية ، فعلى الأول يكون أحوج في المعنى من صفة المخاطب ، وعلى الثاني من صفة الوقت على طريق الاتساع .

التافه : اليسير الحقير.

---

١ ـــ في ض : يقعد عنك احوج ما يكون .

المرض لا أجر فيه : للمريض بمجرد الألم[1] العوض ، واذا احتمل المريض ما حمل احتسابا أثيب على ذلك .

والكفاف : من الرزق القدر الذي يكف ، ويغني عن السؤال ، وفي الدعاء المأثور، اللهم ارزقني العفاف والكفاف ، لا كثيرا فأطغى ولا قليلا فأشقى .

بجماتها : أي بأجمعها وجملتها .

قضى : أي حكم النبي الأمي : منسوب الى أم القرى ، وهي مكة أو إلى أم أي هو على ما ولدته امه لم يتعلم من آدمي شيئا من القراءة والكتابة .

سيئة تسوءك : أي تحزن بعدها وتندم عليها خير من حسنة تورث العجب ، وقد تقدم أن العجب من المهلكات .

الانفة : الحمية العفة : تحصيل تمام حسن الخلق من كسر القوة الشهوانية ، والغضبية .

احذروا صولة الكريم : أي حملته ، الكريم لا يحتمل أذى الجوع ، واللئيم بعد الشبع يبطن عيبك .

مستور ما اسعدك جدك : أي ما دمت غنيا محظوظا حليف بخت بحيث لا يطعن أحد فيك ، ولا يثير دفاين عوارك فاذا زلت بك قدم صرت مرمى لملاوم ، هكذا آداب الناس .

التذمم : التحرز من الذم ؛ الظهير : المعين .

المال مادة الشهوات : يعني بالمال يحصل المشتهى فيكون سببا للشهوات وكالمحرض على تهييجها ، وعلى طلب المشتهى .

«مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ » .

---

١ ـــ في ض : بمجرد الالم بل فيه العوض .

لأن اندفاع الضرر جار مجرى وصول النفع . وربما يكون أبلغ .

اللسان سبع إن خلي عنه عقر: أي قتل أو قطع العرقوب أي من لا يملك لسانه فقد عرض نفسه للهلاك أو الهوان ، وعلى العاقل أن يخزن لسانه كما يخزن عقيانه[١] ، فان من قتله اللسان أضعاف من قتله السيف والسنان .

«آلْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْعَةِ»[٢]

اي اللدغة أي مصاحبتها ضرر في صورة نفع .

فلا تبل : أي لا تبال حذفوا الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال ، كما حذفوا الياءمن قولهم لا أدر، والنون من لم يكن ، وكأنهم لما حذفوا لام الفعل التي هي الياء ، من تبالي للجزم ، وكثر استعماله حتى صار المحذوف نسيا منسيا جزموا اللام على توهم أن الجازم ما عمل بعد وأن الساقط ليس من جملة الأصل ؛ بل عمله هو هذا الانجزم ، ولما انجزم اللام سقط الألف قبله لألتقاء الساكنين .

المفرط : الغالي والمفرط المقصر.

«إذَا تَمَّ آلعَقْلُ نَقَصَ آلْكَلَامُ» .

يعني العاقل لا يتكلم بما لا يعنيه فيقلّ كلامه .

من ظفربه : أي بالدهر، يعني حصل منه مراده ، ونال المال والجاه ، صار في كدّ وعناء من حراسة ذلك ، وطلب الزيادة عليه ، والاشتغال به ومن حرم ذلك واستولت عليه الحاجة والفاقة فتعبه وعناه أعظم .

من نصب نفسه للناس إماما : فليبدأ بتعليم نفسه أي أقامها وكفى بهذا الكلام وأعظا للائمة والعلماء .

---

١ ـــ العقيان : الذهب الخالص .

٢ـــ لدغه : لسعه .

وقول ضرّار أرخى الليل سدوله : أي أرسل واسبل ستوره وهو كناية عن شدّة ظلام الليل.

يتململ تململ السليم : أي يضطرب ويتردد تردد الديغ[١] وأصل يتململ من الملة، وهي لرماد كأنه بمنزلة من يبيت على رماد حارّ فلا يكون على ثبات وقرار، وسمي اللديغ سليما على طريق التفأل أي أنه سيسلم كما سمى المهلكة مفازة أي سيفوز سالكها.

قوله عليه السلام : «يَا دُنْيَا ، إلَيْكِ عَنِّي» :

اي ابعدي عني ولا تتزيني لي فاني لا اغتر بك، وتعلق عني باليك لأنه من أسماء الأفعال، فتعمل عملها.

«أبِي تَعَرَّضْتِ».

تعرض له أي تصدى وانبرى[٢] له، وتعرّض أي تعرّج، أي بسبب اغتراري تصديت، أو أراد أبي تعرّجت يعني اردت ان تميلي بي عن سنن الاستقامة، قاله على طريق الاستبعاد والاستنكار.

«أمْ إلَيَّ تَشَوَّقْتِ» :

أي تطلعت، يقال النساء يتشوّفن من السطوح أي ينظرن ويتطاولن[٣]، وتشوفت الجارية تزّينت أي أتزّينت توسلا إليَّ، وروي بالقاف من الشوق.

لا حان حينك : دعاء عليها، أي لا قرب وقتك.

«طَلَّقْتُكِ ثَلاثاً لاَ رَجْعَةَ فِيهَا» :

هذا عبارة عن المفارقة الحقيقية بالكلية على طريق الاستعارة فان قيل الطلاق يؤذن بتقدم نكاح، قلنا هذه استعارة وفي الاستعارات لا يطلب

١ـ لدغه : لسعه.
٢ـ نبر الرجل : زجرة وانتهره ونبره بلسانه اغتابه ونال منه.
٣ـ تطاول : اشرف.

الأحكام الشرعية ، على أنه قد يقع الطلاق قبل النكاح ، عند قوم من الفقهاء .

وقوله ثلاثا : أي ثلاث تطليقات فيكون انتصابه على المصدر أو ثلاث مرّات ، فيكون منصوبا على الظرف ، والتطليقات الثلاث عند الامامية لا يقع دفعة واحدة ، وإنما يقع بثلاث دفعات ، مع شروط أخر ومن أراد معرفة أحكام الطلاق ، وشروطها وتفاصيلها . فعليه بكتابنا الموسوم بشريعة الشريعة ، وهو تهذيب كتاب المهذب فانها وسائر الأحكام الشرعية مستقصاة مسترفاة فيه على غاية ما يرام من التهذيب والتخليص والترتيب .

آه وآوه : كلمة توّجع والخطب في هذا الفصل وإن كان موّجها إلى الدنيا فانه في الحقيقة نهي للنفس عن التعرّض لها ، والاغترار بها ، وتلك طريقه أنيقة[1] في كلام العرب مشهورة يقولون لا أرينَّك هاهنا والمراد لا تحضر هاهنا فأراك فيه .

أما حديث القضاء والقدر فروي أن السائل لما قال له عليه السلام أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره ، قال عليه السلام : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطنا ولا هبطنا واديا إلا بقضاء وقدر .

فقال السائل : عند الله احتسب عناي ما أرى لي من الأجر شيئا فقال له مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم ، وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرّين ، فقال : فكيف القضاء والقدر ساقانا .

فقال : ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي ، ولم تأت لائمة من الله

١ ـ الانق بالفتح : الفرح والسرور والشيء الانيق : المعجب .

لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيىء ولا المسيىء أولى بالذم من المحسن.

تلك مقالة عباد الأوثان، وجنود الشيطان، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه[١] الأمة ومجوسها إن الله أمر تخييرا ونهى تحذيرا أو كلف يسيرا لم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا، ولم يخلق السموات والأرض، وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

فقال الشيخ: ما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما، فقال: هو الأمر من الله تعالى، والحكم، وتلا قوله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» فنهض الشيخ مسرورا، وهو يقول:

أنت الامام الذي نرجو بطاعته * يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا * جزاك ربك عنا فيه إحسانا

وإنما أوردنا هذه الرواية لأن فيها كشفا وبيانا لما في متن الكتاب وفيها أيضا تفسير القضاء والقدر والسائل إنما وهم لأجل الاشتراك اللفظي وذلك أن القضاء في اللغة قد ورد بمعنى الخلق، والتقدير والاتمام كقوله «وقضهن سبع سموات[٢]» وبمعنى الالزام والايجاب كقوله: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه[٣]». وبمعنى الاعلام والأخبار كقوله «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين[٤]»، والسائل ظنَّ أنه أراد بالقضاء المعنى الأول، أعني الخلق والتقدير.

هو عليه السلام لم يرد ذلك، وإنما أراد ما فعله عليه السلام، من جهاد

١ ـ في ض: وهم قدرية هذه ومجوسها.
٢ ـ فصلت: ١٢.
٣ ـ الاسراء: ٢٣.
٤ ـ الاسراء: ٤.

العدوّ والمسير نحوهم، إنما فعله بأمر الله تعالى وإخباره إياه بذلك على لسان النبي صلى الله عليه وآله، حيث قال: إنك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي، ونحو ذلك من الأخبار المشهورة كما فسره هو عليه السلام وكذا القول في القدر، فانه بمعنى التقدير، والتقدير قد يكون بمعنى الخلق كقوله تعالى: «وقدر فيها أقواتها[1]»، وبمعنى الكتاب كقوله: «قدرناها من الغابرين[2]» وقال الشاعر:

واعلم بـأن ذا الجلال قد قدر * في الصحف الأولى التي كان سطر

فهو عليه السلام أراد بالقدر أن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ، والشيخ ظن أنه أراد أن الله تعالى خلق تلك الأفعال، فغلط من جهة التأويل حين بينه أميرالمؤمنين، بكلام صار أصلا لجميع كتب علماء العدل.

ج ــ القضاء مشترك بين الأمر والحكم، حقيقة وإنما يحمل على أحدهما لقرينة ودلالة، منفصلة وكذا القدر، مشترك بين ما قدّره الله من القضاء وبين ما كلف به. والأول يكون بالاجبار، والثاني بالاختيار، والحتم: الواجب وكذا الحاتم، مكرها وروي بفتح الراء وكسرها وبالفتح بمعنى المصدر.

قوله عليه السلام: «**خُذِ ٱلْحِكْمَةَ أَنَّىٰ كَانَتْ، فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ ٱلْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ ٱلْمُؤْمِنِ**».

وروي فتخلج يقال: تخلج الشيء في صدري أي اضطرب (وتماثل) واختلجه أي جذبه وانتزعه ويكون غير متعدّ والحكمة كالضالة عند المنافق لا تسكن نفسه إلا باظهارها فان الجاهل إذا علم شيئا صار العلم عنده كالنادر

١ ــ فصلت: ١٠.
٢ ــ النمل: ١٧.

يتعجب بنفسه، ويكاد يعجز عن الامساك عنه حتى يظهره فاذا تكلم بالحكمة وسمعها المؤمن ازداد علم المؤمن بها، إلى علمه فيسكن عنده، ثم إذا احتيج إلى علمه بثه ومن أخلاق المؤمن الوقار وعادته الاصطبار.

قوله عليه السلام: **«قِيمَةُ كُلِّ آمْرِىءٍ مَا يُحْسِنُهُ»**.

من أشعار أنوار العقول له عليه السلام:

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

والمعنى أن جميع ما خلقه الله إنما خلقه كاملا على وجه الحكمة وقيمة كل شيء تبع لمقصوده، وإذا كان المقصود من خلق العاقل[1] العمل الصالح، والتقوى من القبائح، ولا سبيل له إليها إلا بالعلم، فكان المقصود معرفته وعلمه فمتى ازداد علمه ازداد قيمته (وقيمة الانسان يظهر بأمرين حسن الثناء في العباد، وحصول الثواب في المعاد، فبمجموعهما يظهر قيمته، ويقضى حقه[1]).

قيل: إن من فاز بالعلم، انتفع بكل ما سمعه وشاهده، ومن كان جاهلا استبصر بكلّ ما سمعه وشاهده، ولذلك قال: البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا[2]، فالخبيث من الأرض وإن طاب بذره، وعذب ماؤه لم ينبت إلا خبيثا والطيب من الأرض فان فسد بذره، وصلح ماؤه لم ينبت إلا طيبا، ولذلك قال تعالى: يسقى بماء واحد[3] ويفضل بعضها على بعض في الأكل[4].

قال في صفة القرآن: «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء[5]»، «والذين لا يؤمنون بالآخرة في آذانهم وقر وهو عليهم عمى[6]»، ومن لم يتخصص

---

١ ــ في ش: خلق العالم.
١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.
٢ ــ الاعراف: ٥٧.
٣ ــ الرعد: ٤.
٤ ــ الرعد: ٤.
٥ ــ فصلت: ٤٤.
٦ ــ فصلت: ٥.

بالعلم والعمل، فليس بانسان ولا قيمة له فان القيمة للانسان بقوله تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم[1]»، ولو توهمنا سلب العقل عن الانسان لما كان إلا بهيمة مرسلة أو صورة ممثلة، ولا انتفاع بالعقل إلا بعد تحصيل العلم.

لذلك نفى الله تعالى العقل عن أقوام لا ينتفعون به ولا إنتفاع بالعلم إلا بعد الاهتداء بالشرع لذلك قال تعالى: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون[2]» فلا قيمة لسرير لا يمكن الجلوس عليه، ولا لطعام لا يمكن التغذي به ولا للباس لا يمكن ستر العورة، ودفع الحرّ والبرد به، ولا لفرس لا يمكن ركوبه وقطع المسافة به، فكذلك لا قيمة لا مرئ لا علم له، ولا هداية.

قال تعالى: «الرحمن. علم القرآن، خلق الانسان علمه البيان» فابتدأ بتعليم القرآن ثم بخلق الانسان ثم بتعليم البيان، ولم يدخل الواو فيما بينهما، وكان الوجه على متعارف الناس أن يقول: خلق الانسان، وعلمه البيان، وعلمه القرآن، فانه إيجاد الانسان مقدم على تعليم البيان، وتعليم البيان مقدم على تعليم القرآن، لكن الله تعالى لما لم يعدّ المخلوق إنسانا ما لم يتخصص بالقرآن (ابتدأ بالقرآن[3]) ثم خلق الانسان.

نبه على أن تعليم القرآن هو الذي جعله إنسانا على الحقيقة، ثم قال علمه البيان، نبه على أنَّ البيان الحقيقي المختص بالانسان يحصل بعد معرفة علم القرآن وترك حرف العطف، وجعل كلّ جملة بدلا مما قبله لا عطفا، والانسان لفظ المدح، فلا يقال للكافر والجاهل إنسان، إلا من طريق التوسع وكونه مستعدا للانسانية التي ذكرناها كما يقال للقطن أنه ثوب مستعدّ أن يتخذ منه الثوب.

---

١ ـ الاسراء: ٧٠.

٢ ـ الذاريات: ٤٦.

٣ ـ ساقط في ض.

قوله عليه السلام : «لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ» .

عبارة عن السفر لأن الراكب يضرب برجله إبط الابل وأراد لو سافرتم وسرتم إليها أي في طلبها ، متعبين الابل وخصّ آباطها لأنها أصول القوائم التي بها يقع السير، وقد يسند الفعل إلى بعض من حصل منه لزيادة اختصاص بذلك البعض ، كما يقال رأته عيني وسمعته أذني وعملته يدي ، وإن كان الفعل حصل من الكل لا من ذلك العضو فكأنه قال لو سرتم وأتعبتم آباط الابل أي أتعبتم الابل ، وخصوصا قوائمها وآباطها .

«لَا يَرْجُونَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ»

لأن كل مرجوّ سواه زائل فان ، وبفناء المرجو يفنى الرجاء المتعلق به .

« لَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ» .

لأن خوف المريض من مرضه ، لا من طبيبه ودوائه .

« لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ»

من تكلم فيما لا يعلم فانه لم يميز في ذاته بين علمه وجهله ، أو أراد أن يلبس على الناس ويبرز عندهم مجهوله في زيّ معلومه ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض ، ومن قال فيما لا يعلم لا أعلم أفاده العلماء حتى علم .

« لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ» .

قيل لبعض من يتعلم على كبر سنه : أما تستحي أن تتعلم على الكبر فقال : إذا لم استحي من الجهل على كبري ، فكيف أستحي من التعلم على كبري ، والعلم شفاء لمرض الجهل ، وطلب الشفاء حسن من الشاب والشيخ .

وبالصبر: أي وأوصيكم بالصبر والصبر من الايمان أي من معالم الايمان وجلاه .

«أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ ، وَفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ» .

أي مدحتني بأكثر مما فيَّ وعظمتني فوق ما ينبغي، وسريرتك في ذلك يخالف علانيتك، وعقيدتك تناقض فعل صورتك، حيث تعتقد نقصاني وتضمر عداوتي، لما ظهر لي بالأمارات فكلا فعليك مخالف للصواب مجانب سنن السداد.

قوله عليه السلام: «**بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَىٰ عَدَداً، وَأَكْثَرُ وَلَداً**».

من سنة الله تعالى أن من قتل مظلوما وقتلت ذريته، ثم يبقى واحد منهم، فانه يملى له ويمد في املائه، حتى ربما ازداد طول إملائه على قرنه، وأهل زمانه، كما فعل ذلك بزين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، فانه خلق من صلبه ذرية طيبة مباركة، ينوب نسله عن نسل كثير من الناس حتى لو بقي المقتولون من أهله لما وفوا في النسل بنسل هذا الواحد، وبقية السيف من أبقاه بأن قتل غيره وتخطاه.

قوله عليه السلام: «**مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ**».

أي من تعود الأخبار بما لا يعلم، كان ذلك سبب هلاكه دينا أو دنيا، ومقاتل الانسان مواضعه التي يقتل باصابتها.

«**رَأْيُ الشَّيْخِ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ**».

كلام له عليه السلام، يتمثل به والمشهد الحضور يعني أن رأي الشيخ يكون صادرا عن عقله وتجاربه، وحضور الشاب ينبىء عن حرصه وهواه وقلة تفكره في العواقب.

فدونكم الآخر: أي خذوه والزموه.

«**أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَىٰ اللِّسَانِ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ**»

لا فساد أعظم لعوام الناس من العلماء الذين يخالف أفعالهم أقوالهم، فان أصحاب الظواهر أكثر ما يعتقدون دون الأقوال، ويتمسكون بأنه لو كان

لما يقوله الوعاظ حقيقة لما كانوا أجرأمنا على اختطاف الحطام[١] واحتقاب[٢] الآثام لابل غرضهم أن نلقيها فيتلقوها ونقيبها[٣] فيبتلعوها، ومثل العالم الذي يخوف الناس الدنيا، ويحذرهم من تبعاتها حتى يخلو عن بعضها.

ثم يرغب هو فيها، ويشاركهم في اقتنائها كمن يضرب الكلب حتى بقى ما أكله، ثم يأخذ فيأكله هو ولا يستبعدن هذا التمثيل فانه من متن الحديث الدنيا جيفة؛ والناس كلابها، ومصداق ما ذكرنا عظم مورد التهديد، في ذلك نحو قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون[٤]».

«إنَّ ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ».

يعني من التفكر اي يضجر.

فابتغوا لها طرائف الحكم: أي مستحدثاتها وطرفها، والطرف الكريم من الفتيان، والانثى طرفة، ويقال للبضاعة الكريمة طرفة، والحكمة إصابة الحق ووضع الشيء في موضعه حتى لا يشوبه رين وأصله الاحكام وهو المنع، ومنه حكمة الدابة لأنها يمنع الدابة من الاعوجاج، ومنه الحاكم لأنه يمنع الظالم، وأراد بالحكمة هاهنا الكلام النافع الذي لا يحتاج في استماعه إلى التفكر.

قوله عليه السلام: **«وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ».**

أي تذاكر الناس أن الفخر الحقيقي في عبادة الله وتعتقد في نفسك ذلك،

---

١ ــ الخطف: استلاب الشيء واخذه بسرعة وحطام الدنيا، وما فيها من مال كثير أو قليل يفنى ولا يبقى.

٢ ــ احتقب الاثم: جمعه كانه احتمله من خلفه.

٣ ــ كذا.

٤ ــ الصف: ٣.

لا على طريق العجب والرياء، والسمعة، وقيل تباهى من البهاء، وهو الأنس أي توانس.

وكيف يقل ما يتقبل: المقبول من الأفعال هو الذي حكم لفاعله بالثواب، ورضوان الله، والمرضي أعم من المقبول، لأن الله يرضى العدل والاحسان من كل كافر، ولا يقبلهما من الكفار، فالمقبول من الأفعال المحكوم لفاعله، باستحقاق الثواب، وإذا حكم بالفوز والثواب، لا يقال إنه قليل.

«إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ ٱللهَ».

لأن من عصى الله فقد عصى محمدا ولا يكون عدو الله وليّ محمد.

واللحمة: القرابة من لا حمت الشيء بالشيء اذا ألصقته به.

قوله عليه السلام: **«سَمِعَ رجلاً مِنْ الحرورية»**.

الحرورية هم الخوارج، سموا بذلك (لأنهم نزلوا بحرورا، وهو موضع بنهروان، وناظرهم أميرالمؤمنين فرجع منهم ألفان، وقيل سماهم[1]) بذلك أميرالمؤمنين والرجل الذي كان يصلي ويتهجد هو عروةبن اذية[2] وكان مبغضا لعلي إلا أنه كان متعبدا فكان كالقابض على الماء.

وتهجد: أي سهر وقد يكون بمعنى نام وهو من الأضداد.

قوله عليه السلام: **«نَوْمٌ عَلَىٰ يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ»**.

يعني مباح صادر من صاحب يقين، خير من عمل له صورة الخير، وهو صادر عن شاكّ في دينه لأن مع الشك في الدين لا يثمر العمل.

قوله عليه السلام: **«اَعْقِلُوا ٱلْخَبَرَ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ»**.

في الانجيل إن ناقل الأخبار من غير رعاية ودراية كأعمى يأخذ دنانير

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

٢ ــ قال ابن حجر في لسان الميزان: عروة بن اذية من رؤوس الخوارج اخو مرداس ابن اذية ضعفه الجوزجاني.

وهو لا يفرق بين زيوفها[١] ونقودها، واشترى سلعة[٢] ثم صبّ ما في كيسه فوجد الناقد أكثره زيوفا فرده. وهو لا يدرى ممّن أخذه وعلى من يرده فبقى بلا نقد ولا سلعة.

قوله عليه السلام: «لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا ٱلْمَاحِلُ».

أي الساعي إلى السلطان، والمحل: المكر والكيد، والسعي، وروي الماجن، وهو الذي لا يبالي بما يقول من هزل وهزاء[٣] ورمقت الشيء: أي نظرت اليه.

وقوله: «اراقدٌ أنتَ أم رامقٌ».

أي أنائم أم يقظان، وقيل: الرامق: الذي يمسك الرمق ويدافع النوم الغالب.

«قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَىٰ مِنْهَاجِ ٱلْمَسِيحِ».

أي قطعوا علايق الدنيا عن أنفسهم، كما فعله عيسى عليه السلام.

العشار: الذي يأخذ الضرائب، والأعشار من السابلة.

والعريف الذي يعرف قومه فيدل عليهم من يظلمهم.

والشرطي: من قولهم: أشرط فلان نفسه لأمر أي أعلمها له، وأعدها، فالشرطي جعل لنفسه علامة يعرف به، ثم يخصص في العرف ممن يأخذ المال على جناية لا مال فيه شرعا (كالزناء فان فيه الحد لا أخذ المال[٤]).

العرطبة: الطنبورة بلغة الروم.

والكوبة: الطبل الصغير المخصر[٥]، عنى بهما صاحب الملاهي.

فلا تعتدوها: أي تتجاوزوها.

---

١ ــ يقال درهم زيف وزئف: اي رديئة.

٢ ــ السلعة: المتاع وما يتاجر به.

٣ ــ الهزل: اللعب وضد الجد والهزاء: الهذيان.

٤ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

٥ ــ المخصر: الدقيق.

ولا تنتهكوها : من انتهاك الحرمة ، وهو تناولها بما لا يحل .

«وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً ، فَلا تَتَكَلَّفُوهَا» .

هذا رد على المجادلين الذين يكلفون أنفسهم معرفة ما لم يكلفهم الله تعالى به وأراد بالسكوت ، أنه لم يذكر ولم يأمر بالبحث عنه ، فلا تتكلفوها أي لا تطلبوا حكمها ، وحقيقتها .

قوله : **«رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ» .**

وذلك لأنه يعلم ما لا يحتاج إليه ، في الدين ، وأهمل ما يحتاج إليه فيه ، أو علم بعض ما يجب عليه علمه ، ولم يعلم بعضا ، فأهلكه الجهل بالبعض ، ولم ينفعه العلم بالبعض الآخر أو فعل القبيح لغلبة شهوته ، ولم يصرفه عن فعله علمه بقبحه فكأنه جاهل قتله جهله لفقد انتفاعه بعلمه ، وقيل أراد به علما يورث العجب والخيلاء وطلب التعظيم من الناس ، قال النبي صلى الله عليه وآله : آفة العلم الخيلاء ، ومن كان هذا حاله فعلمه وبال عليه .

قوله عليه السلام : **«لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هٰذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ الى آخره» .**

النياط : عرق علق به القلب من الوتين ، فاذا انقطع مات صاحبه ، وبضعة أي قطعة من لحم .

وسنح : أي اعترض والأسف : الحزن .

وعاله الخوف : غلبه ومنه عيل صبرى وروي غاله أي أهلكه .

وعضته الفاقة : استعارة لطيفة لتعب الفقر ، وتبعته .

وكظته البطنة : أي أجهدته كثرة الأكل والكظة داء يعتري الانسان من امتلاء الطعام .

اعلم أن مملكة القلب مملكة لها جنود مختلفة ، كما قال تعالى : وما

يعلم جنود ربك إلا هو، وخلق القلب للآخرة، وشأنه طلب السعادة العظمى، ولا يحصل للقلب معرفة الله إلا بمعرفة صنع الله تعالى، وصنعة العالم، ومعرفة عجائب العالم لا يحصل له إلا من طريق الحواس، وقوام الحواس بالقالب والمعرفة صيده، والحواس شبكته، والقالب مركبه.

والقالب مركب من العناصر، وذلك ضعيف بسبب هذا التركيب وفي خطر الهلاك من داخل بسبب الجوع والعطش، ومن خارج بسبب الآفات، واحتاج في دفع ألم الجوع والعطش، إلى عسكرين ظاهر وباطن، فالظاهر الأعضاء، والباطن القوى، فما من شيء إلا والانسان يشبهه من وجه.

فهو كالأركان لما فيه من الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، وكالمعادن لما فيه من العظام والأعصاب، وكالنبات من جهة ما يتغذى وينمو وكالبهيمة من جهة ما يحسّ ويتخيل ويلتذ ويتألم، وكالسبع من جهة ما يجرد[1] ويغضب وكالشيطان من جهة ما يغوي ويضل، وكالملك من جهة ما يعرف الله ويعبده وكاللوح من جهة ما جعله الله مجمع الحكم.

في التورية في بدن الانسان أربعة آلآف حكمة. وفي قلبه مثل ذلك وكالقلم من جهة ما يثبت بكلامه صور الأشياء، في قلوب الناس. كما أن القلم يثبت الأشياء في القرطاس، واللوح، فالانسان بقلبه صار معدن العلم والحكمة، ووجود العقل فيه في ابتداء الأمر كوجود الماء تحت الأرض المحتاج في استقامته[2] الى حفر، ولما خلق الله الانسان على وجه يتحرى[3] ما فيه اللذات واللذات محسوسة، ومعقولة، وطلب اللذات المحسوسة أغلب على الانسان لأنها من توابع الشهوة، ولذلك قال تعالى:

---

١ ــ يجرد: يسلخ والجرد: اخذ الشيء جرفا وعسفا.

٢ ــ في ش: في الاستيفاء منه الى حفر.

٣ ــ التحري: القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول.

كلا بل «تحبون العاجلة وتذرون الآخرة[١]» .

في الانجيل : العقل صديق ممنوع ، والهور عدد متبوع وقد يظهر الانسان في شعار النبات الحميد والذميم ، فيصير إما كالاترج[٢] الذي يطيب حمله ونوره ، وعوده ، وورقه أو كالنخل ، والكرم فيما يولي من النفع ، أو كالكشوف[٣] في عدم الخير وتعدي الشر، او كالحنظل في مرارة المذاق ، وعلى هذا نبه بقوله : كلمة طيبة كشجرة طيبة[٤] .

يظهر تارة في شعار الحيوانات المحمودة ، فيصير كالنحل في كثرة منافعه وقلة مضاره ، وفي حسن سياسته ، كما قال : وأوحى ربك إلى النحل ، أو كالخنزير في الشره ، أو كالذئب في العبث ، أو كالكلب في الحرص ، أو كالنحل في الجمع ، أو كالفارة في السرقة ، أو كالثعلب في المراوغة[٥] أو كالقرد في المحاكاة[٦] ، أو كالحمار في البلادة أو كالثور في الغمارة[٧] .

على هذا النحو من المشابهات دل بقوله تعالى : وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم[٨] ، ويظهر تارة في شعار الشياطين ، فيغوى ويضل وسول الباطل[٩] في صورة الحق ، كما دل تعالى عليه بقوله :

---

١ ـــ القيامة : ٢٠ .

٢ ـــ الاترج : بضم الهمزة وسكون المثناة وضم الراء وتشديد الجيم واحدته ترنجة وهي نافع من انواع السموم وشمه بانواعه في ايام الوباء نافع وحامضه مسكن شهوة النساء وقشره في الثياب يمنع ضرر السوس .

٣ ـــ الكشوف : نبات طفيلي لا جذر له ولا ورق انما له ازهار كروية صغيرة لونه ابيض تلتف ساقه على حاضنه وتشب فيه ، يضر على الاخص بمروج القضب .

٤ ـــ ابراهيم : ٢٤ .

٥ ـــ المراوغة : المكر والخديعة وثعلب رواغ الكثير الخداع والمكر.

٦ ـــ المحاكاة : التبختر.

٧ ـــ الغمارة : الجهل .

٨ ـــ الانعام : ٣٨ .

٩ ـــ في ض : ويستوي الباطل في صورة الحق .

شياطين الجن والانس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا[١]، وإنما يكون إنسانا اذا وضع كل واحدة من هذه الأشياء موضعها حسب ما يقتضيه العقل المستضيء بنور الشرع، وقد ضربوا لذات الانسان، وقواها أمثالا صوروها بها فان تمثيل ما لا يدرك إلا بالعقل متصور للحسن يقرب من الفهم.

فقالوا ذات الانسان يجري مجرى بلد أحكم بناؤه، وشيد بنيانه وحصن سوره، وخطت شوارعه وقسمت محاله، وعمرت بالسكان دوره واجريت أنهاره، وأقيمت أسواقه، واستعملت صناعه، وفيه ملك مدبر وللملك وزير وصاحب بريد، وصاحب أخبار، وخازن، وترجمان، وكاتب، وفي البلد أخيار واشرار.

فصناعها القوى التي يقال لها الجاذبة: والماسكة، والهاضمة، والدافعة والنامية، والغاذية، والملك العقل، ودار ملكه القلب، والدماغ والوزير، القوة المفكرة ومسكنه الدماغ، وصاحب البريد القوة المخيلة وأصحاب الأخبار الحواس الخمس والخازن: القوة الحافظة، والترجمان: النطق، وآلته اللسان، والكاتب: القوة الكاتبة، وآلتها اليد وسكانها: الأخيار والأشرار.

فألاخيار، القوىٰ التي منها: الأخلاق الجميلة، والأشرار القوى التي منها الأخلاق القبيحة، فكما أن الوالي إذا تزكى وساس الناس بسياسة الله تعالى صار ظل الله تعالى في الأرض، وجب على الكافة طاعته، كما قال «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولو الأمر منكم[٢]» كذلك متى كان العقل سايسا. وجبت على سائر القوى طاعته، وكما لا ينفك أشرار العالم من طلب العبث

---

١ ــ الانعام: ١١٢.

٢ ــ النساء: ٥٩.

والفساد، وتعادي الاخبار كما قال تعالى : وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها[١].

كذلك في نفس الانسان قوى ردية من الهواء، والحسد، والشهوة وتطلب الفساد وتعادي العقل والفكر كما أنه يجب للوالي أن يتبع الحق ولا يصغي إلى الأشرار؛ كما قال : واحذرهم أن يفتنوك[٢]، كذلك يجب للعقل أن لا يعتمد على قوى الذميمة، وكما أنه يجب على الوالي أن يسالم أعاديه إذا لم يقو عليهم كما قال تعالى : وإن جنحوا للسلم فاجنح لها[٣]، وأن لا يركن إليهم وإن سالمهم كذلك يجب للعقل أن يسالم الأشرار من قوى النفس[٤] إلى نقض العهد وإظهار المعاداة.

كما قال تعالى : فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين إلى قوله واقعدوا لهم كل مرصد، كذلك حق العقل إذ قوى على قوى النفس أن لا يراجيها وكما أن شياطين الانس والجن يضعف كيدها على من اختص بالايمان واستعاذ بالله ويقوى على من والاها، كما قال إنما سلطانه على الذين يتولونه[٥]، كذلك يضعف كيد الهوى عن العقل، اذا تقوّى بالله واستعاذ به، وقيل مثل الانسان مع قواه مثل مسافر معه، رفقاء في السفر وهو مضطر الى مصاحبتهم حتى ينقضي سفره كما قال الشاعر:

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى ＊ عدوله ما من صداقته بدء

---

١ ـ الانعام : ١٢٣.

٢ ـ المائدة : ٥٩.

٣ ـ الانفال : ٦١.

٤ ـ في ض : من قوى النفس اذا عجز عنها وان لا يركن اليها وكان الوالي اذا احسن بقوة يحتاج أن يعدل الى نقض العهد واظهار المعاداة الخ.

٥ ـ النحل : ١٠٠.

فواحد أمامه كأنه رقيب يحفظه، ولكنه[١] مموه يلفق الباطل تلفيقا فيخلط الكذب بالصدق، وآخر عن يمينه زعر يحميه[٢] عن أعاديه لكن ربما يغويه فيهيج هائجة، فلا يقمعه[٣] النصح كأنه نار في حطب، وآخر عن يساره؛ وهو الذي يأتيه بالمطعم والمشرب لكنه ارعن ملق قذر شبق كأنه خنزير جائع.

من حيلته أن يسلط هذا الزعر على هذه الأرض حتى يزبره[٤] زبرا، وأن يطفىء علو هذا الزعر التائه بخيلاء هذا الأزعر[٥] الملق وأن لا تجنح إلى الباهت[٦] المتحرص حتى يؤتيه موثقا من الله غليظا ثم يصدقه فيما ينهى إليه، فالملق المموّه الباهت كناية عن الوهم، والزعر عن الغضب والملق الازعر عن الشهوة وفي ذلك كلام طويل فأشار أميرالمؤمنين عليه السلام الى تقرير هذا القوى وحفظها على حدّ الاعتدال حتى لا يؤدي الرّجاء إلى ذلّ الطمع، والطمع إلى الحرص، واليأس إلى الأسف، والغضب إلى الغيظ، وغير ذلك من تفاصيل ما ذكرناه.

قوله عليه السلام: «**نَحْنُ النُّمْرُقَةُ ٱلْوُسْطىٰ، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ ٱلْغَالِي**».

النمرقة: الوسادة الصغيرة والطنفسة التي فوق الرحل أيضا عن أبي عبيد يعني نحن ذو النمرقة أي أصحاب المجلس الوسط، والوسط من كل شيء أعدّ له، وفلان وسيط في قومه أي أوسطهم نسبا. وأرفعهم محلا وقال

١ ـ موه عليه الامر او الخبر: زوره عليه وزخرفه ولبسه.
٢ ـ الزعارة سوء الخلق.
٣ ـ قمعه: صرفه عما يريد قمعه: قهره وذلله.
٤ ـ في الحديث فلا عليك ان تزبره: اي تنهره وتغلظ في القول والرد.
٥ ـ في ض: هذا الارعن حتى يزبره.
٦ ـ الباهت: المتحير الباطل وهومن البهت: التحير، وحرص القصار الثوب: اذا شقه.

العرجي :

كأني لم أكن فيهم وسيطا * ولم يك نسبتي في آل عمرو

اي نحن أصحاب الحق والحق وأهله متوسّطون ، والباطل على الطرفين ، فان المبطل امّا مقصر وإما متجاوز كما قال أميرالمؤمنين : لا ترى الجاهل إلا مفرطا أو مفرّطا ، فشبّه الحق بواسطة الأشياء ، فمن حق من تخلف عن أن يبادر إليه فيلحق به ، ومن حق من تجاوزه أن يرجع إليه فيقف عنده ، فلما كان أميرالمؤمنين إمام الحقّ وجب على سائر الناس أن يقفوا عنده .

قوله عليه السلام : «لا يُصَانِعُ ، وَلَا يُضَارِعُ» .

في اصحاح المصانعة : الرشوة وفي المثل من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة ، والضراعة والخشوع والذلّ ، وضارع الفقير الغني : تواضع له لماله ، والمضارعة : المشابهة ، أي لا يقيم أمر الله ولا يقيم به ، إلا من لا يعطي الرشوة لا بطال الحق[1] ولا يتواضع للظلمة لذلك ، وللتقرب إليهم أو لا يشابههم في أفعالهم ، ويحتمل أن يراد بالمصانعة الارتشاء وهو أخذ الرشوة لا إعطاؤها .

«لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ» .

تهافت الجبل سقط قطعة قطعة وتهافت الفراش في النار تساقط .

من أحبنا أهل البيت فليستعدّ للفقر جلبابا .

وروي تجفافا ، الجلباب : الرداء ، وقيل : الملاءة التي يشتمل بها يعني فليعد وقاه مما يورد عليه الفقر والتقلل ورفض الدنيا من الحمل على الجزع وقلة الصبر على شظف العيش[2] وخشونة حال .

---

١ ـــ في ض : لابطال حق .

٢ ـــ الشظف بالتحريك : شدة العيش وضيقه .

قال الامام الوبري : يحتمل هذا الفقر الظاهر، ويحتمل الفقر والفاقة إلى الله تعالى . ومن وطّن نفسه على مودّتنا ، وعزم على مشايعتنا فليوطن نفسه ، وليحدثها باستدامة العبادة لله طول حياته فانه سيرتنا فمن تابعنا فليستنّ بسنتنا ومن سنتنا الفقر والفاقة إلى الله تعالى .

قال أبو عبيد : لم يرد الفقر في الدنيا لأنا نرى فيمن يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغناء والفقر، وإنما أراد به الفقر يوم القيامة ، وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة ، والحثّ على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ، وما يجبره من الثواب والقرب إلى الله تعالى والزلف(١) عنده .

قال ابن قتيبة(٢) : لم يرد إلا الفقر في الدنيا ، والمعنى من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع منها ، وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الناس وأعراضها ، وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف والجلباب ، لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن .

قال : ويشهد بصحة هذا التأويل ما روي عنه عليه السلام إنه رأى قوما على بابه قال : يا قنبر من هؤلاء ، قال : شيعتك ، فقال : ما لي لا أرى فيهم سيماء الشيعة ، قال : وما سيماء الشيعة قال : خمص(٣) البطون من الطوى(٤) يبس الشفاء من الظمأ عمش العيون(٥) من البكاء .

---

١ ـــ الزلف : القرب والتقدم .

٢ ـــ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الباهلي المروزي نسبة الى جده قتيبة بن مسلم أمير خراسان في أيام عبد الملك بن مروان ، وابن قتيبة من الادباء والمؤرخين له كتاب ادب الكاتب والامامة والسياسة وعيون الاخبار مات سنة ٢٧٦ .

٣ ـــ خمص البطون يعني ضامر البطن وانهم اعفة عن اموال الناس فهم ضامرو البطون من أكلها .

٤ ـــ طوى من الجوع فهو طاو : أي خالي البطن جائع لم يأكل .

٥ ـــ عمشت عينه : ضعف بصرها مع سيلان دمعها في أكثر الأوقات .

قال السيد الشريف المرتضى علم الهدى عليّ بن الحسين الموسوي قدس الله روحه والوجهان جميعا حسنان وإن كان قول ابن قتيبة أحسن وأنفع، ويمكن أن يكون في الخبر، وجه ثالث يشهد بصحته اللغة وهو أن أحد وجوه معنى لفظته الفقر أن يجز أنف البعير حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه ثم يلوي عليه حبل يذلل بذلك الصعب، يقال منه فقره يفقره فقرا وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته وأثرت فيه فقد فقرته تفقيرا.

منه سميت الفاقرة وسيف مفقر، فيحتمل أن يكون أراده، ومن أحبنا فيلزم نفسه وليخطمها[1] وليقدها إلى الطاعات ويصرفها عما يميل طباعها إليه من الشهوات، وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد منها، كما يفعل ذلك بالبعير الصعب.

قال: وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر. وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني، ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منها منفردا ولبس (يجب[2]) عليه العلم بمراده بعينه، فان مراده مغيب عنه، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكمال.

«لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ ٱلْعَقْلِ».

أي أنفع وأكثر فائدة وحقيقته أكثر عودا بالنفع إلى صاحبه.

ولا إيمان كالحياء والصبر: أي لا لزم الايمان أي ليس شيء من الأفعال التي يلزم الايمان ويجب ضمها إليه كهذين فعبر عن اللازم بالملزوم والمظاهرة المعاونة.

---

١ ــ الخطام: حبل من ليف او شعر او كتان فيقاد به البعير.

٢ ــ ساقط في ش وض.

قوله عليه السلام : «إِذَا ٱسْتَوْلَى ٱلصَّلَاحُ : الى تمام الكلام» .

معناه أن الكلي في الخير والشر والصلاح والفساد يغلب الجزئي .

وقوله خزية : أي خزي، وفضيحة أي فعل قبيح ، يفتضح به وروي حوبة أي إثم ، قيل وبخط الرضى خربة .

ج ــ فكأنه من المخروب ، وهو المشقوق أو من الخارب وهو سارق البعير أو من الخراب .

وغرر: أي أوقع نفسه في خطر الهلاك حيث وثق بغير موثق .

قوله عليه السلام : «يَفْنَىٰ بِبَقَائِهِ، وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ» .

لما كان بقاء الانسان وصحته يفضيان به إلى الفناء والسقم فكأنهما سبب الفناء والسقم وأراد بقاء الانسان ، وكونه في هذا العالم أمر عارضي له ليس أولى في حقه، وبالنظر إلى ماهيته فان الممكن لو خلى وحقيقته من غير اعتبار المؤثر لكان العدم أولى ، وأول في حقه ، ما هذا حاله فهو في حيز الفناء، وإن كان محكوما عليه بالبقاء لكونه مغمورا بالفناء من جميع الأنحاء .

والاستدراج : الاستنزال إلى الهلاك درجه درجة حتى يتورط[١] فيه ، وذلك أن يزداد الله تعالى على العبد نعمة فيزداد العبد طغيانا وكفرانا بسوء إختياره ، وامهاله فيزداد قربا إلى العقاب ، قال تعالى : «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون[٢]» ، وإذا لم يعاجله بالعقوبة فيتصور أنه مغفول عنه أو مغفور له فيغتر[٣] بذلك .

والاملاء : الامهال والملاءة حين من الدهر وهذا مأخوذ من قوله تعالى :

---

١ ــ ورط : وقع في بلية يعسر المخرج منها .

٢ ــ الاعراف : ١٨٢ .

٣ــ في ض : فيصبر بذلك .

«إنما نملي لهم ليزدادوا إثما[١]» «وأملي لهم إن كيدي متين[٢]» .

محب غال : يعني من اعتقد فيه الالهية أو النبوة .

والقالي : الغالي في العداوة .

وسم ناقع : أي بالغ ، يهوى إليها الغرّ: أي يسقط ويميل إليها الغافل ، من تبعتها ومضرتها .

كان يقال في الجاهلية للمغيرةبن عبد اللهبن عمروبن مخزوم ، ريحانة : قريش ، وقيل سميت القبيلة ريحانة قريش لحظوة نسائها عند رجالها .

كل واعظة : أي كل قصة فعالة أو كلمة أو نفس واعظة .

والجائحة : المهلكة والداهية والمستأصلة .

طوبى : فعل من الطيب ، وروي أنها شجرة في الجنة في دار رسول الله صلى الله عليه وآله يتدلى في دار كلّ مؤمن منها غصن .

وذلّ في نفسه : من الذلة لا من الذل : أي بريء من الكبر والتعزز.

وعزل : يتعدى ولا يتعدى .

ووسعته السنة : ولم تعدها أي كانت مجال السنة المحمدية واسعة . بالنسبة إليه غير ضيقه فهو يكتفي بها ولا يروم التعدي عنها ويقتصر في الشريعة على المنطوق به ، ولا يحكم في المسكوت عنه بالرأي والقياس ، لا على وجهه .

«غَيْرَةُ ٱلْـمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إيمَانٌ» .

لأن المرأة تكره ما أباحه الله تعالى من اشتراك نساء أربع في رجل واحد ، والرجل يكره ما كرهه الله وحرمه من اشتراك الرجل في إمرأة واحدة ، فالمرأة بغيرتها تسخط لما رضيه الله والرجل بغيرته يسخط لما سخط الله تعالى

---

١ ـــ آل عمران : ١٨٨ .

٢ ـــ الاعراف : ١٨٣ .

له والساخط لما رضيه الله راد عليه ومنكر لحسن ما أراده وذلك لا محالة كفر والساخط لما سخط لأجله موافق لرضاه تعالى مصدق لحكمه يحسن ذلك وذلك من جملة الايمان.

قوله عليه السلام: **«ٱلْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ»**.

يعني الدين هو الانقياد للحق والاذعان له، والتسليم هو اليقين أي صادر عنه ولازم فكأنه هو من إشرط تعلقه به، والتصديق هو الاقرار أي إقرار الذهن وحكمه، والاقرار هو الأداء أي مستلزم للأداء، وشديد الشبه بالعلة لأن من تيقن حقية الشيء وإن مصالحه منوطة بفعله ومفاسده مترتبة على تركه كان ذلك مقويا لداعيه إلى فعله غاية التقوية، يعني من حق المسلم الكامل في إسلامه أن يجمع بين علم اليقين، والعمل الخالص ليحطّ رحله في المحل الأرفع ويجاور الرفيق الأعلى.

قوله عليه السلام: **«عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي ٱللهِ، وَهُوَ يَرَىٰ خَلْقَ ٱللهِ»**

دلالة الفعل على الفاعل دلالة الالتزام، ولا يتصور خلق لا من خالق لذلك، قال تعالى: «قل أفي الله شك فاطر السموات والأرض[1]».

النشأة الأولى: إيجاد الانسان من النطفة.

والنشأة الأخرى: اعادته يوم القيامة، والابداع أعجب من الاعادة وقال تعالى حكاية عن منكرى البعث: «من يحيي العظام وهي رميم[2]» ثم قال: «قال يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم[3]» وقال: «ولقد علمتم النشأة الأولى، فلو لا تذكرون[4]» أي فهلا تعتبرون وتستدلون بالأولى على الأخرى.

قوله عليه السلام: **«مَنْ قَصَّرَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱبْتُلِيَ بِالْهَمِّ، وَلَا حَاجَةَ للهِ فِيمَنْ لَيْسَ للهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ»**.

---

١ ـ ابراهيم: ١٠.
٢ ـ يس: ٧٨.
٣ ـ يس: ٧٩.
٤ ـ الواقعة: ٦٢.

يعني من خفف على بدنه ثقل العبادات حمل الله على قلبه وزر الهموم كمن كان مريضا واستبشع الدواء ابتلاه الله بالدواء ولا حاجة لله فيه يعني المضيع لحقوق الله، ساقط القدر عنده، فكنى عن سقوط قدره عنده بأنه لا حاجة له فيه، وهذا من قوله تعالى: «قل ما يعبؤا بكم ربي لو لا دعاؤكم» أي عبادتكم، وقيل: إنه استعارة ومثاله: لا ينفع معالجة الطبيب مريضا لا يطيع الطبيب ولا يهتم بزوال مرضه، فكذلك لا ينفع لطف الله من لا يرحم نفسه.

قوله عليه السلام: «تَوَقَّوُا ٱلْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَتَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ».

عند الأطباء أن الصيف هو جميع الزمان الحار، والشتاء هو جميع الزمان البارد، فيكون زمان الربيع والخريف كل واحد منهما عند الأطباء أقصر من كل واحد من الصيف والشتاء، والربيع معتدل، وهو زمان الأزهار والصيف حار يابس لتحلل الرطوبات فيه من شدة الحرارة ولتخلخل جوهر الهواء ومشاكلته للطبيعة النارية والشتاء بارد رطب لضدّ هذه[1] العلل، والخريف غير معتدل في الرطوبة واليبوسة.

والشمس قد جففت الهواء ولم يحدث بعد من العلل المرطبة، ما يقابل تجفيف العلة المجففة، وليس حاله بقاء الربيع على رطوبة الشتاء كحال بقاء الخريف على يبوسة (الصيف، فان رطوبة الربيع يعتدل بالحر في زمان لا يعتدل منه يبوسة الخريف بالبرد وفي الربيع يكون ما يتخلل أكثر مما يتبخر الهواء الخريفي شديد اليبس مستعد جداً لقبول التسخن والاستحالة إلى مشاكلة النارية بتهيئته إياه لذلك. ولياليه وغدواته باردة).

أما الربيع فهو أقرب الاعتدال في الكيفيتين لأن جوّه لا يقبل من السبب المشاكل للسبب في الخريف ما يقبله جو الخريف من التسخن

---

١ ــ في ض: بارد رطب لهذه العلل.

والتبرد والأبدان لا تحس من برد الربيع ما تحس من برد الخريف، لأن الأبدان في الربيع منتقلة من البرد إلى الحر متعودة للبرد وفي الخريف للضدّ، فلذلك قال أميرالمؤمنين عليه السلام: توقوا البرد في أوله، أي في فصل الخريف وتلقوه في آخره أي في فصل الربيع وهذا غاية في أصول الطب.

قوله: «عِظَمُ ٱلْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ ٱلْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ».

قيل لبعض العارفين، فلان زاهد فقال: عماذا فقيل عن الدنيا، فقال: لدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فما لا تزن عند الله جناح بعوضة كيف يعتبر الزهد عنها، والزهد إنما يكون عن شيء والدنيا عندي لا شيء وجرى عند بعضهم ذكر الجنة فقال: الجار ثم الدار، وقال بعضهم: الدنيا لقمة والشيطان كلب فمن رمى لقمة إلى كلب يدفع بها ضرره كيف يلتفت إلى هذه اللقمة وهذا تصغير المخلوق في عينه.

قوله عليه السلام: «أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ».

الفرط: بالتحريك الذي يتقدم الواردة فيهيىء لهم الأرسان والدلاء ويمدد الحياض ويستقي لهم، وهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع، يقال رجل فرط وقوم فرط، وفي الحديث أنا فرطكم على الحوض أي أولكم قدوما عليه وأفرد لفظ فرط وإن كان خبر عن جمع لوقوعه على الجمع، وأفرد لفظ سابق حملا على لفظ فرط.

المقفرة: الخالية، تجرم عليه: تجنى عليه وادعى الذنب عليه.

الاستهواء: طلب الهوى أي السقوط والهبوط قال تعالى «كالذي استهوته الشياطين في الأرض»[1].

واستعفت الرجل بحاجته: قضيتها.

---

١ ــ الانعام: ٧١.

فمثلت لهم ببلائها ؛ البلاء أي صورت الدنيا لهم بلاء الآخرة بالبلاء الواقع فيها، يعني بلاء الدنيا وسرورها يدلان على ما هو أعظم وأدوم منهما من بلاء الآخرة وشرورها .

لدوا للموت : اللام للعاقبة لا للغرض، كما قال تعالى : «واتخذه آل فرعون، ليكون لهم عدوا وحزنا[١]» أي اتخذوه فآل به الأمر إلى إلى ذلك، أوبقها : أهلكها .

«الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ»: القربان ما يتقرب به إلى الغير، واعلم أن الصلاة مثل شخص وأدائها كالحواس وفرائضها كالأعضاء وروحها الخشوع والخضوع، والمقصود من الصلاة استقامة القلب، وتجديد ذكر الله على سبيل الهيبة والتعظيم، قال تعالى : «وأقم الصلوة لذكري[٢]» ومن كان قلبه حاضرا في وقت التكبير فحسب، كان كالشخص به رمق، فيتفكر من الأذان في نداء القيامة حيث قال يوم يسمعون الصيحة بالحق .

من القيامة في حال الوقوف في حال السؤال حيث قال : وقفوهم أنهم مسؤولون ، ومن التشهد في قوله تعالى : وترى كل أمة جاثية[٣]، ومن الركوع، في قوله تعالى ناكسوا رؤسهم عند ربهم[٤]، ومن فرح عند سماع الأذان ابتهج عند سماع نداء القيامة .

قوله عليه السلام : **«وَالْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ»** .

صورة أعمال الحج مكتوبة في كتب الفقه وأما حقيقته فهي أن الانسان مخلوق على وجه لا يمكنه أن يصل إلى سعادته الا بترك اختياره والاجتناب عن لذاته وسفر الحج على مثال سفر الآخرة . وفي هذا السفر المقصد هو البيت وفي سفر الآخرة المقصد رب البيت، فالوداع عند مفارقة أهله يحكي

---

١ ــ القصص : ٨ .
٢ ــ طه : ١٤ .
٣ ــ الجاثية : ٢٨ .
٤ ــ السجدة : ١٢ .

الوداع في سكرة الموت، وكما أن السفر لا بدّ له من الزاد، بذلك سفر الآخرة لا بد له من زاد التقوى.

كما أن الزاد الذي يتغير ويفسد، لا يصل لسالك طريق البادية كذلك العمل المشوب بالرياء لا يصلح لسفر الآخرة، وعند الركوب يجب أن يتذكر ركوب الجنازة، وعند لباس ثوب الاحرام يتذكر الفقر وعند عقبات البادية يتذكر أهوال القيامة، ويتفكر عند الالتجاء الى الخفر في أنه لا ينجوا من أهوال القيامة إلا بخفارة العمل الصالح وعند التلبية يتذكر جواب ما يسأل عنه يوم القيامة، كمال قال تعالى: وقفوهم إنهم مسؤولون ويوم يدعوكم فيستجيبون بحمده.

كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام إذا احرم اصفر وجهه وارتعدت فرائصه تفكرا فيما ذكرنا وفي أمثال ذلك والوقوف بعرفة يحكي الوقوف بعرصات القيامة، واشتغال كل واحد بنفسه، ومذلة كل أحد وإن كان ملكا مطاعا وكل ملك معه غلمان، وخدم، وحشم فانه ينفرد عند الوقوف بعرفات، ويتفرق خدمه وغلمانه.

قوله عليه السلام: «**وَزَكَاةُ ٱلْبَدَنِ الصِّيَامُ**».

قال تعالى: الصوم لي وانا أجزي به، وذلك لأنَّ الصوم إمساك خاص وهو أمر مستور لا يطلع عليه إلا الله تعالى وهو مكسر للشهوة والشهوة جند من جنود إبليس، وزكاة المال شيء ينقص المال صورة وينميه معنى، فالصوم ينقص القوة البدينة صورة ويزيد المعنى الحقيقي الذي هو قطع مواد الشهوات، الصوم صومان: صوم العوّام وصوم الخواص فصوم العوام حفظ البطن والفرج وصوم الخواص حفظ القلب عما دون الله، وحفظ الأعضاء والجوارح عن معصيته وهذا الصوم هو زكاة البدن.

«**وَجِهَادُ ٱلْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ**».

أي حسن مصاحبتها بعلها، وهي مجاهدة لأن فيها قهر النفس.

«آسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ».

الزكاة والصدقة شكر للنعمة لأن الغني يؤدي زكاة ماله إلى الفقير شكرا لله تعالى أنه أغناه وما أحوجه إلى غيره ومن شكر استحق المزيد قال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم(١).

المؤونة: يهمز ولا يهمز، قال الفراهي(٢) مفعله من الأين وهو التعب والشدة، وقيل مفعله من الأون وهو الخروج والعدل لا يثقل على الانسان والأون الدعة والسكينة والرفق، وقيل هي فعولة من المون يعني امداد(٣) ألطاف الله يتصل بالعبد على موجب ما ربط به من الاشتغال.

«مَا عَالَ مَنِ آقْتَصَدَ».

أي ما افتقر من ترك الاسراف والتقتير(٤) كما قاله تعالى: والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما(٥).

«قِلَّةُ آلْعِيَالِ أَحَدُ آلْيَسَارَيْنِ».

اليسار بأمرين بكثرة المال وقلة الانفاق، فمن قل عياله قلّ إنفاقه ومن قل إنفاقه ما افتقر، وقيل من قل عياله سهل عليه الانفاق، ومن قل عياله كان عيشه هنيئا كما أن المتمول عيشه هنئ وأكثر الفضائح يكون من قلة المال وكثرة العيال نعوذ بالله من ذلك.

---

١ ــ ابراهيم: ٨.

٢ ــ الظاهر انه مسعود بن ابي بكر بن حسين ابو نصر الفراهي السجستاني الاديب اللغوي، صاحب كتاب نصاب الصبيان، وكان معاصرا للشارح الكيذري وتوفي سنة ٦٠٠ كما في معجم المؤلفين، وكتاب النصاب معروف واعتنى بشرحه جمع من الفضلاء.

٣ ــ في ض: مواد الطاف الله تعالى.

٤ ــ التقتير والاقتار: التضييق على الانسان في الرزق، يقال: اقتر الله رزقه: اي ضيقه وقلله.

٥ ــ الفرقان: ٦٧.

«التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ».

قال الامام الوبري: كان العقل قسمان أحدهما المعرفة بالعقلاء الحاضرين، وهو علم المشاهدة وما سواهم تبع لهم، والثاني معرفة عادات العقلاء فيما يأتون ويذرون فموافقتهم في ذلك هو التودد اليهم فمجموع القسمين هو العقل واحدهما نصفه، وقيل إنه ليس على طريق التقدير والتحديد وإنما المراد أن للتودد حظا وافرا ونفعا تاما وهذا مشهور في مذاهب العرب.

يقول: من عرف طريقا فكأنما سلك نصفه: والمراد أن معرفة الطريق ينفع في سلوكه نفعا كاملا، وقال شريح القاضي أصبحت ونصف الناس عليَّ غضبان أراد بعض الناس لأن في الناس من لا يحتاج إلى القاضي فلا يرضى عنه ولا يغضب عليه.

قوله: «مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أجره».

قيل لأن ذلك من شدة الجزع وذلك إنما يكون من ترك الرضا بقضاء الله وذلك يحبط الثواب لا محالة لأن الرضاء بقضاء الله ركن من أركان الايمان، وقيل إن من جزع، ولم يصبر على المصيبة لم يكن له ثواب، وإن كان له عوض، فيحبط أجره الذي هو الثواب دون العوض.

«كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهش مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا وَالظَّمَأُ».

ع ـ هو من يمسك من الطعام والشراب، والنكاح ولا يمسك عن المعاصي، والفواحش، قلت: هو من لا يأتي بجميع شرائط الصوم على وجه المأمور به فلا يستحق به ثوابا وخص الظمأ دون الجوع، لأنه أغلب على العرب[1] بسبب حرارة الهواء وغير ذلك؛ وأراد بالقائم المصلي.

«حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ».

---

١ ـ في ض: لانه اغلب عن العرب من الجوع بسبب.

العاقل اذا جرى على قضايا عقله، يقال، له: الكيس، ومن كان كذلك لا يفعل ما يصير وبالا عليه؛ من المباحات، وللنوم حالة عجيبة وللاكياس ألطاف في الرؤيا، كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله الرؤيا الصالحة للرجل الصالح، وقيل إن الاكياس يثابون على النوم، والأكل، لأنهم ينامون ويأكلون ليتقووا بهما على الطاعة فاذاهم في عين الطاعة.

«سُوسُوا إيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ».

أي استديموا من الله تعالى التوفيق للثبات على سنن الاستقامة بايصال النفع على عبيده ويجوز أن يريد احفظوا ثواب ايمانكم يعني أن الايمان اذا قارنه الصدقة الواجبة كان ثوابه أعظم وأوقر مما إذا لم يقارنه فحرض عليه السلام على اقتناص تلك الزيادة من الثواب بالزكاة.

« ٱدْفَعُوا أَمْوَاجَ ٱلْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ».

قيل من البلاء بلاء مقدر قدره الله تعالى وجه إن دعاء العبد ربه دفع عنه وإن ترك الدعاء أصابه.

«قول كميل[1] إلى آخره».

اخرجني إلى الجبان: الجبان والجبانة: الصحراء أصحر: برز إلى الصحراء.

والصعداء: تنفس بصعده المتلهف والحزين.

العالم الرباني: هو ربّ العلم الذي يعمل بما يعلم، وأصله من الربّ كأنه يربي المتعلمين بصغار العلوم، قبل كبارها وزيدت الألف والنون للمبالغة في النسب كما في الحباني عن الأزهري؛ وقيل هو الذي يربي العلم

---

١ ــ كميل بن زياد النخعي من كبار اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وهو الراوي الدعاء المشهور بدعاء كميل الذي يقرأ في ليالي الجمعة، وكان عامل امير المؤمنين على هيت وصاحب سره عليه السلام وحقائقه ومكاشفاته فهو كامل مكمل قتله الحجاج سنة ٨٣ وله تسعون سنة.

أي يقوم باصلاحه وإتمامه عن ثعلب .

وقيل هو العالم بالحلال والحرام عن أبي عبيد ، وقيل هو منسوب الى الرب على غير قياس ، وهو الله تعالى ، وقيل عنى بالعالم الرباني من حصل من العلوم ما يدعوه من الدنيا إلى الآخرة ، ومن الحرص الى القناعة ومن الغفلة إلى التقوى : وبالمتعلم من يتعلم لذلك قال الامام الوبري يعني أن كل واحد من العالم المتعلم : انما يفوز ويباين .

الهمج الرعاع اذا جمع وصفين فالعالم انما يفلح اذا جمع بين العلم والعمل والمتعلم اذا جمع الى التعلم القصد لسبيل نجاته ، فاذا كان العالم غير عامل والمتعلم غير قاصد لسبيل النجاة فهما من جملة الرعاع .

الهمج : جمع همجة وهي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير، وأعينها ، ويقال للحمقى من الناس قال الراجز.

قد هلكت جارتنا من الهمج .

قيل أي من سوء التدبير في المعاش والرعاع الاحداث والطغام .

والعلم يزكو على الانفاق : لأن الهداية إلى الدين والابانة للناس عن تفاصيل العلوم يفتح لصاحبه أبواب العلم ويسهل عليه الوقوف على الأدلة ، والوصول إلى العلوم المتفرقة ، وربما يذكره ما نسي من الدلائل والمعلومات .

هاء : للتنبيه ، علما جما : أي كثيرا ، واللقن : السريع الفهم عنى به من يطلب العلم للدنيا .

والمستظهر بنعم الله : المعاند المجادل ، وبالمنقاد لحملة الحق : المقلد الذي يقبل قولا بلا حجة إما لغفلته وركونه إلى الدنيا وإما لضعف عزيمته وفيالة[1] رأيه .

---

١ ــ قال رأيه : ما اصاب الحق وما استبان له .

لا بصيرة له في أحنائه : أي لا علم له بفحواه ومضمونه .

والمنهوم بالشيء : المولع به عنى به من استغرق في اللذات الخسيسة وارتسمت فيه الأمور الشهوانية .

والسلس : السهل ، والمغرم : الحريص .

قوله عليه السلام : «**بلى لَا تَخْلُو ٱلْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلّٰهِ بِحُجَّةٍ ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً ، وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً**» .

«**لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ ٱللهِ وَبَيِّنَاتُهُ**» .

هذا تصريح بما ذهب[١] الامامية من وجوب الامامة في كل زمان ما دام التكليف باقيا وأن الامام حجة الله على خلقه ، ويجب وجوده على مقتضى حكمته ، وأنه إما أن يكون ظاهرا معروفا ، فيما بين الناس : كالذين سبقوا بالاحسان ووصلوا إلى المحلّ الأعلى من الجنان ، وإما أن يكون خائفا مستورا لكثرة الأعداء وقلة الخلص من الأولياء ، كالحجة المنتظر ابن الحسن عليهما السلام لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرّسل .

وكم ذا : كأنه استطالة لمدة غيبة صاحب الأمر، واستبطاء لظهور دولته ، وتبرّم من امتداد دولة أعدائه أو هو استقلال لعدد أئمة الدين وعدد أنصارهم ، فانّ أهل الحقّ في كل حين وأوان ، قليلون من حيث الظاهر ، وإن كانوا في المعنى كثيرين ، وضمن ، هجم بهم : معنى اطلعهم فلذلك عدّاه بعلى .

إستوعر الشيء : وجده وعرا[٢] وعدّه صعبا ، والمترف : المتنعم البطر[٣] .

---

١ ــ في ش : بمذهب الامامية .

٢ ــ جبل وعر : اي غليظ حزن يصعب الصعود اليه .

٣ ــ البطر : الطغيان عند النعمة .

« صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَىٰ» .

أي أنهم ما التفتوا إلى غير الحق وأماطوا[١] القذى عن طريقهم واظبوا على الذكر والفكر، ومن واظب على ذكر مذكور أنس به ومن أنس بشيء غفل عمّا دونه ولما كان هذا وصفا لأئمة الدين بعده واتباعهم من موّحدي فقراء آخر الزمان لذلك قال .

«آهِ آهِ شَوْقاً إِلَىٰ رُؤْيَتِهِمْ» .

وقال بعض أهل العصر: في وصف هؤلاء المعصومين : ومن نسج على منوالهم واقتدى بحسن سيرتهم وفعالهم هجم بهم فرائق[٢] التوفيق على حافة الحقيقة فلذلك صاروا بطاريق[٣] الطريقة قلوا عددا وخطرا عند الأغنياء وعلوا رتبة على محل الجوزاء باشر صفاه روحهم[٤] وقلوبهم روح اليقين فقنعوا بذلك واستراحوا من سبال[٥] المماذقين فهم فهموا قول الشارع إنك تدان كما تدين فلذلك أضحوا وميادين سباقهم الذين لا يطلعون أحدا منهم على سربال[٦]، ولا يتقمصون من كيسان سربال دأبهم خشوع وخضوع وغذاؤهم جوع ويقرع أولئك أولئك وما أدراك ما أولئك .

قوله عليه السلام : «اَلْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ» .

---

١ ــ اماطة الاذى عن الطريق : أي تنحيته وفي حديث العقبة مط عنا ياسعد : أي أبعد ؛ وفي ض : واماطوا الاذى عن طريقهم .

٢ ــ الفرائق هنا بمعنى الطرائق .

٣ ــ البطاريق جمع بطريق : الأمير والقائد باللغة الرومية قال الشاعر :

قد رتب الناس كل في مراتبهم ... فمرزبان وبطريق وطرخان

٤ ــ في ض : باشر صفاء قلوبهم روح اليقين .

٥ ــ السبال جمع السبلة بالتحريك : الشارب ، والمماذقة : عدم الاخلاص في الود والمحبة .

٦ ــ السربال في الأول بمعنى الدرع وفي الثاني بمعنى القميص .

أي مستور، المقصد الأصلي من الانسان هو العقل، ونتائجه من سائر العلوم والطريق للانسان إلى معرفته منتهى عقل المرء، ومبلغ علمه هو كلامه، ولذلك قيل تكلموا تعرفوا، وفي المثل المرء بأصغريه أي بلسانه وقلبه والأصل هو القلب واللسان طريق إليه.

«هَلَكَ آمْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ»: من لم يعرف له أنه ممكن الوجود محتاج الغير لا يعرف خالقه، فيهلك بجهله، من يجب عليه عرفانه، ومن لم يعرف أنه عبد وله مولى يجب عليه طاعته، لم يأت بطاعته مولاه، فيهلك، (ومن لم يعرف أنه عبد ذليل معقود بناصيته سمة الذلّ لم يقر بالذلّ بل يتقمص لباس الكبرياء فينازع الله في ردائه فيهلك[١]) ومن لم يعرف ما محله فيما بين الناس، وهو وضيع فيما بينهم أم رفيع فيرفع فوق قدره ويعدو طوره[٢] ويأتي بما ليس له يقتل أو يستخفّ به وذلك نوع هلاك.

قوله: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو آلْآخِرَةَ بِغَيْرِ آلْعَمَلِ وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ».

أي يؤخّرها بسبب طول الأمل، وروي يرجى من الترجية أي يدافعها، ومن أخّر التوبة فهو إمّا لشهوة مستولية عليه بحيث لا يمكنه الاعراض عنها، فيصير غافلا عن أمر الآخرة، ويكون الحجاب بينه وبين التوبة الشهوة، وإما لأن يرى أمر الدنيا نقدا وأمر الآخرة نسيئة فيختار النقد على النسيئة وإما أن يكون دائما على عزم التوبة، ولكن يؤخّرها ويقضي كلّ شهوة يعرض لها، ويقول: أفعل هذه الكبيرة وأقضي هذه الشهوة ثم أتوب.

هذا هو الذي أشار إليه أميرالمؤمنين يعني يؤخّر التوبة ويأمل طول حياته، حتى يتوب في آخر امره، فيجمع بين الدنيا وسعادة الآخرة، ومن حقّ ذلك المقصر أن يتفكر ويعرف أنه يؤخّر التوبة إلى الزمان المستقبل،

١ ـ بين الهلالين ساقط في ش.

٢ ـ تعدى طوره: أي جاوز حده.

وليس له حكم على ذلك الزّمان بل ربما ينقطع عمره دون ذلك الزمان، وما حاجتك إلى التوبة غدا، واستغناؤك عنها في يومك وإن عسرت عليك التوبة في يومك بسبب استيلاء شهواتك عليك.

فيعسر أيضا عليك غدا فانّ شهواتك ملازمة لك في يومك وغدك، ولم يخلق الله تعالى يوما من الأيام يسهل فيه على التائب توبته والاعراض عن الأمور الشهوانية، مثال ذلك رجل كلفه السلطان قلع شجرة، فقال: أصلها راسخ وأنا لا أقوى على قلعها، فأصبر إلى السنة القابلة فيقال له يا ضعيف اليقين في السنة القابلة يزداد ضعفك، ويزداد رسوخ الشجرة، فكذلك رسوخ شجرة الشهوة كلّ يوم يزداد، وقوة الانسان على قلعها يضعف.

قوله عليه السلام: «وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ».

أي عملا مثل عملهم لأنه لا يفعل فعل غيره فحذف الموصوف، وأقام الصفة مقامه ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

«تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَىٰ مَا يَظُنُّ».

أي يظنّ أنه يبقى في الدنيا ويتمتع بها وأنّ الله يعفو عنه مع ذنوبه.

ولا يغلبها على ما يستيقن: من الموت، وعقوبة الله تعالى والوعد والوعيد، والحساب، والصراط.

أسلف المعصية: قدّمها، وسوّف التوبة: أخرها قائلا سوف أتوب.

وإن عرته محنة إنفرج عن شرائط الملة: أي إن أصابته بلوى اعترض على الله ولم يرض بقضائه والاعتراض على الله بالقلب واللسان خروج عن شرائط الملة الحنيفية، وفي الانجيل من أصابته مصيبة في ماله ونفسه، وولده واستقبلها بصبر جميل لا أحاسبه يوم القيامة، وإذا بكى وحزن لا يفوته صواب الصابرين، ولكن إذا اشتكى واعترض على الله واتهمه كان كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام.

فهو بالقول مدلّ ومن العمل مقلّ : أي كلّ وثوقه بالقول متى ما أمر بشيء يقول أفعل ولا يفعل إلا القليل .

ينافس فيما يفنى : أي يرغب في الدنيا الفانية .

ويسامح فيما يبقى : أي يتساهل في الدار الآخرة التي هي الحيوان ولا تفنى بل تبقى أبدا .

يرى الغنم : أي إعطاء الحقوق الواجبة عليه الموصلة له إلى الثواب الذي لا غنيمة فوقه مغرما .

والغرم : أي فوت ذلك الثواب مغنما : بسبب انتفاعه بهذا التافه الحقير أياما قلائل .

ولا يبادر الفوت : أي لا يسارع إلى اعداد زاد المعاد ، قبل فوات وقته ، مداهن : أي خائن .

يستوفي ولا يوفي : أي لا يأخذ حقّ نفسه من غيره ولا يعطي حق غيره من نفسه .

يخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه .

قيل : أي يتقي للناس في طاعة الله فيضيعها ، ويطلب رضا الناس ولا يتقي عقاب الله فيقيم العدل والدين بين عباده .

ج : أي يخشى إيذاء الخلق ، فلا يؤذيهم خوفا من رئيسهم المهيب ، وهو غير الله ، ولا يخاف عقاب الله في حق خلقه ، بل يظلمهم ، والأقرب أن يقال أي يخشى الخلق فيما لا يتعلق برضى الله ، فيفعله خوفا من الخلق غير معتمد بغضب الله ولا يخشى الله فيما يفعله رعاية لجنبة الخلق وإن كان مما لا يرضاه الله بل ينهى عنه ويأباه فيكون الحاصل أنه يختار رضى الناس على رضا الله .

اعلم أن ملازمة الجادّة أصعب على الساري من الزيغ[١] عن المحجة وإصابة الهدف أعسر على الرّامي من الصدوف[٢]، والأبواب الداعية (إلى الشر أيسر ولو جاء من الأبواب الداعية[٣]) إلى الخير، والمال وإن كان نفسه مرغوبا فيه فمتىٰ أصابه الفاجر صار سببا للشر العظيم، والعلم إذا اقتناه من خلقه فاسد ودينه ضعيف، صار سببا لاغواء الخلائق وكما أن كلّ فرس ضاهاه[٤] الحمار في خصائص أفعاله لم يكن كاملا، كذا الانسان متى شارك الحيوانات الأخر في أن يحرز سعيه لاصابة اللذات لم يكن محمودا.

بل المحمود من الناس هو الذي صرفه همته إلى تحصيل الغرض الانسي من سعيه على أبلغ كماله، واتصال العبد برضوان الله على أربع مراتب.

أولها: رتبة المتقين وهي من علائق الخوف.

وثانيها: رتبة المحسنين وهي من علائق الرجاء.

وثالثها: رتبة الأبرار وهي من علائق الأحبة.

ورابعها: رتبة الصالحين وهي من علائق الاخلاص، والاستقامة صورة لكل واحد من هذه المراتب، وإذا سعد العبد برضوان مولاه فصارت دنياه آخرته وفقره غناه، ونومه يقظة وقد يحصل العفة من الانسان، ومن غير أن يكون عفيفا إمّا بعدم البصيرة بلذة شيء ما، وإما لميل هواه بالقوة إلى شيء ما وإما لفرط الامتلاء من الاصابة شيء ما وإما لأنه خامد[٥] الشهوة أصلا ورأسا.

١ـ زاغ عن الطريق: اذا عدل عنه، والمحبة، وسط الطريق سميت بذلك لأنها تقصد الحج: القصد.

٢ـ الصدف بفتحتين وضمتين: كل بناء عظيم مرتفع تشبيها بصدف الجبل وهو ما قابلك من جانبه.

٣ـ بين الهلالين ساقط في ش، وفي ض: الداعية الى الجنة والحال.

٤ـ المضاهاة: المشابهة.

٥ـ في ض: اما لانه جامد الشهوة.

قد يعمل أعمال الشجعان من غير أن يكون شجاعا إما للرغبة كالمستبصر في دينه وإما للغضب والتعصب وإما للعادة، ومن اختار من الأخلاق والأطراف أعني طرف الغلو وطرف النقصان دون الأوسط كان كما قال أميرالمؤمنين : ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى إلى آخر كلامه .

قوله عليه السلام : **«وَمَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ»** .

أي ما فنى يشبه ما لم يوجد .

الراضي بفعل قوم كالداخل معهم فيه : الرّضا أظهر شيء في الموافقة ، وهو من الأفعال المختصة بالقلب ، فكان أوكد من العمل ، ومن يعمل بالمعصية فله إثم العمل به ، وإثم الرّضا به (ومن يرضى) بمعصية غيره ، فقد رضى بصدورها من ذلك الغير فلذلك كان الرّاضى بها كمرتكبها .

قوله عليه السلام : **«آعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا»** .

الذّمة : الحرمة ، والعقد ، والأمان ، يعني عليكم بمراعاة العقود ، والعهود بين الناس ما حافظوا عليها ، كقوله : الوفاء لأهل الوفاء وفاء عند الله ، والغدر لأهل الغدر وفاء عند الله ، ومن لم يحافظ على عهدك فلا عهد له عليك ، ولا يجب عليك الوفاء بعهده ، وإذا كان كذلك فالوفاء لعهد الله أولى .

«عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ» .

أشار إلى قوله تعالى : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[١]» ، يعني أنّ معرفة الله ورسوله الأئمة المنصوص عليهم ، من فرض الأعيان لا يسع المكلف ترك شيء من ذلك ، ولا عذر له في الامتناع من تحصيله لأن ذلك من حقيقة الايمان ، ولا يقبل شيء بدونه .

«مَنْ مَلَكَ آسْتَأْثَرَ» .

---

١ ــ النساء : ٤٩ .

أي اختار لنفسه حق غيره ورجّح جنبته على جنبة[١] من عداه.

«مَنِ ٱسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ».

أي انفرد، وذلك لأنه إن عنّ له من الصواب وجه، فربما يخفى عليه وجوه، ورأيه لا يفي بكلّ الوجوه إلا بعد التأمل التامّ: والبحث المستقصي، وربما لا ينتج له ذلك بالبحث أيضا، فاذا شاور غيره وكان أقرب إلى الاطلاع على وجوه الصلاح والفساد ونتائج الجموع لا محالة أكثر من نتائج الأفراد.

قوله عليه السلام: «ٱلْفَقْرُ ٱلْمَوْتُ ٱلْأَكْبَرُ».

الموت: انقطاع الحياة والفقر انقطاع مادّة الحيوة، وهذا أشد لأنّ الميت إنما يتألم مرة واحدة، والفقير يتألم كل لحظة.

«ٱلْإِعْجَابُ يَمْنَعُ ٱلإِزْدِيَادَ».

لأنّ المعجب يعتقد أنه كمل، فلا يطلب الزيادة لأن الزيادة بعد الكمال، محال.

اضاء الصبح لذي عينين.

من أمثال العرب تبين الصبح عند[٢] العرب أول النهار يضرب لأمر ينكشف، ويظهر كالصبح اذا تبين أبصره كل أحد.

قوله عليه السلام: «تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التوبة».

نظيره في المثل ترك الذنب أيسر من الاعتذار.

«كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ».

في المثل ربّ أكله تمنع أكلات، يضرب فيمن يختار درة منقودة ليصير محروما عن درة موعودة، ولمن يأكل طعاما يمرض منه، ويمتنع مدة من

١ ـ في ض: ورجح جنايته على جنية من عداه.

٢ ـ في ض: تبين الصبح لذى عينين والصبح.

الطعام، قاله الحارث بن[1] كلدة الطبيب لبعض الملوك، وقيل قاله عامر بن الظرب[2] لأتباعه.

«مَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ ٱلْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ ٱلْخَطَإِ».

الخطأ يمد ويقصر هذا هو الأصل في معرفة الصحيح من الفاسد إذا احتمل المتنازع فيه، وجوها حائرة مختلفة، فانما يظهر الصحيح منها والفاسد بالقسمة، ثم يبطل ما يحتمله من الأقسام بالصبر والامتحان، فيبقى الواحد منها صحيحا ويظهر أن ما دونه فاسد، وقال قوم: اجزاء الانفصال، إذا كانت متناهية فاذا ابطلت واستثنيت البعض بقي البعض صحيحا وظهر فساد البعض الآخر وفي مواضع الغلط بيان ذلك مذكور.

اذا هبت أمرا فقع فيه: نظمه بعض أهل العصر.

اذا ما هبت أمرا فقع فيه * فقد ما قيل خيبته توفيه

في أبيات بعده وقال بعض العلماء: كل بلاء في الدنيا فتوقعه أعظم من الوقوع فيه، وكل بلاء في العقبى فوقوعه على أضعاف. كان متوقعا منه.

«آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ».

قريب من قوله تعالى: لن تنالوا البر حتى تنفقوا[3].

«مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ».

أي من أظهر جميع ما يعتقده من الحقّ ودعا الناس إلى جميع ما علم من الصواب جملة وتفصيلا فانه لا يسلم عن الناس، وعن قريب يهلك لشدة معاداتهم إياه فهذا كقوله: من أبدى صفحته للحقّ هلك عند جهلة الناس،

---

١ ــ الحرب بن الحرث بن كلدة وهو المشهور بالطب لانه سافر الى فارس وتعلم هناك الطب واشتهر فيه ونال به مالا وادرك الاسلام وهو من المؤلفة قلوبهم وكان من اشراف قومه.

٢ ــ عامر بن الظرب من رؤساء العرب وكذا أبوه الظرب بن عمرو أيضا كان سيد قومه.

٣ ــ آل عمران: ٩٣.

وقيل: للحق أي بمجادلة الحق أي من جادل الحق جهارا فهو هالك، وصفحة الوجه جانبه وإبداؤها كناية عن الخصومة علانية.

«فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَىٰ حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ».

أي بالمشورة غلبت مخاصمهم، والمشيرون الذين لهم حق المشورة والاشارة، والخوض في ذلك: وكبار الصحابة وجمهور بني هاشم. ما حضروا السقيفة، وإنما حاضروا نفر قليلون، خاطب عتيق بن عثمان وعنى بقوله: غيرك: نفسه.

قوله: بهذا يتعلق بفعل محذوف أي كيف ملكت بهذا الأمر أي كيف يحتجّ بهذا، وكيف حال أو مصدر للفعل المقدر، والواو في والمشيرون للحال.

تنتصل: يرتمى وروي تبادره.

والشرق، الاغتصاص[١] بالماء.

والمنون: المنية، وهو من المن، وهو القطع سميت بذلك لأنها يقطع المدة[٢] وينقص العدة، ونحن أعوان المنون كل نفس يتنفس به الانسان يقربه إلى منيته، فكأن أنفاسه خطواته إلى موته، وقيل: يعني نحن نتعرض لأسبابها المهلكة فيعيننا على أنفسنا بالتعرض[٣] لها.

قالت الأطباء: أسباب الموت كثيرة، وبعضها يحصل بواسط الانسان من العوارض النفسانية، وغير ذلك وأسباب فناء الانسان أكثر من أسباب فناء بعض النبات.

---

١ ــ غصصت بالماء اغص: اذا شرقت به.

٢ ــ المدة: غاية الحياة وفي الحديث المؤذن يغفر له مدى صوته يعني فيبلغ الغاية في المغفرة اذا بلغ الغاية في الصوت.

٣ــ في ض: بالتعريض لها.

ونصب الحتوف : أي غرض الهلكات ترمينا بسهام المصائب .

قوله عليه السلام : «إنّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإقْبالاً وَإدْبَاراً» .

قد تميل القلوب إلى أشياء يقتضيها العقل والشرع ، ولها إقبال على بعض الأشياء المحمودة وأدبار عنها إلى أشياء تجرى مجراها ، كأن تملّ الى الصلاة وتميل إلى الذكر، وتملّ الذكر وتميل إلى التفكر فان القلب اذا أكره عمي أي أدركه العجز البشري .

لم يذهب من مالك ما وعظك : أي كأنه لم يذهب ولم يزل من المال ما أثمر الوعظ وما وفنى ما بقيت ثمراته .

المهن : الحرفة والصناعة ، والمهنة والامتهان : الابتذال .

أتى بجان ومعه غوغا : أي أتى بصاحب جناية مع جماعة من عوام الناس وطغامهم[١] .

إنَّ الأجل جنة حصينة : أي من علم الله تعالى أن في تأخير إماتته إلى وقت معين لطفا له ، ولغيره من المكلفين فانه لا يميته ولا يخلي بينه وبين من يريد قتله ، بل يفعل ألطافا ينزجر بها القاتل عن قتله ، لئلا يبطل ألطاف المكافين ، كان أجله ترس يتحصن هو به الاود : العوج .

قوله عليه السلام : «لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي ٱلْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ الى آخر الكلام» .

يعني أنك إن أردت بالاحسان ، ابتغاء وجه الله ، فالله يحب المحسنين وحسبك محبة الله ، وإن أردت بذلك ثناء الشاكرين فان كفر نعمتك المنعم عليه فقد شكر نعمتك غيره وكفى بذلك شاهد اثناء من لم يشاهد البرامكة[٢]

---

١ ــ في حديث علي عليه السلام : ياطغام الاحلام : اي من لا عقل له ولا معرفة وقيل : هم أوغاد الناس وأرذالهم .

٢ ــ برمك كجعفر جد يحيى بن خالد البرمكي وكان برمك مجوسيا وهو الذي قدم الى الرصافة ومعه ابنه خالد

←

ولم يصل اليه منهم نعمة وصنف أخبار البرامكة وما أثر الأسخياء من لم يفز من نعمهم بشيء سوى الأحاديث فان ضيع المنعم عليه احسانك إليه فالناس لا يضيعون والله تعالى لا يضيعه.

«كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إلاَّ وِعَاءَ ٱلْعِلْمِ، فَإنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ».

من أثبت وعاء العلم جسما قال: لا يضيق المحل عن الاعواض، ومن أثبته غير جسم قال: المحل غير جسماني وغير منقسم وإسناد الضيق والسعة إلى محل العلم الذي هو القلب مجاز وبالجملة فالانسان يجد من نفسه وفي قلبه شبه إنشراح وإنبساط عند عثوره[1]، وعلى ما كان يرومه[2] من غامض العلم وغيره ويجده على العكس من ذلك من الانقباض والانحصار إذا لم يطلع على ما كان يتوخاه[3] وأما معرفة كيفية ذلك وتفاصيله، فمن عجائب علم النفس وغرائب العلوم، ولا يهتدي إلى ذلك إلا من أمدَّ بامداد أنوار العلوم الالهية.

«إذا لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ».

أي تكلف الحلم، أو شك: أي قرب.

قلّ من تشبه بقوم إلا أو شك أن يكون منهم.

لأن التكلف يصير عادة والعادة تصير شبه الطبيعة.

وكان قد تعلم في جبال كشمير، وكان خالد بن برمك يكنى ابا العون وابا العباس وقد حدث عن عبد الحميد الكاتب وعنه ابنه يحيى.

كان خالد احد العشرين الذين اختارهم شيعة بني العباس لاقامة دعوتهم قال برمك لابنه خالد يابني ان الامر صائر الى بني العباس فان قدرت ان يكون لك في ذلك اثر تنال به دنيا ودينا فافعل فحفظ خالد ذلك عنه وعمل عليه واولاده يسمون البرامكة واخبارهم مشهورة مدونة في الكتب.

١ ــ العثور: الاطلاع على الشيء والاجتناب عن الخطاء.

٢ ــ يرومه: أي يقصده ويطلبه.

٣ ــ توخي الأمر: تعمده وتطلبه دون سواه.

العلم : أعمّ من الفهم فان فهم الشيء علمه ، على وجه والعلم يحققهُ على جميع الوجوه .

قوله عليه السلام : «لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَىٰ وَلَدِهَا» .

شمس الفرس شماسا : منع ظهره من الركوب ، وناقة ضروس سيئة الخلق يعضّ حالبها لئلا يحلبها ، فيبقى لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها على الولد ، وهذا إشارة إلى عهد القائم من ولده ، وظهور دولته وارتفاع أمره أعادنا الله في دولته وأعاذنا[1] من سخطته وجعلنا من أعوانه وأنصاره ، والمقتفين لكرائم آثاره بمعنه وسعة فضله .

«شَمَّرَ تَجْرِيداً ، وَجَدَّ تُشْمِيراً» .

أي يخفف من الأثقال التي تبطىء المسافر إلى الآخرة وتثبطه ، ورفعها من البين لتجريد النفس عن علائق الدنيا ، وبالغ في هذا التشمير .

«وَكَمَّشَ فِي مَهَلٍ» .

أي أعجل تهيئة أمره في مدة إمهاله ، كيلا[2] يفوته الوقت .

«وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ» .

أي سارع في إعداد الزاد محترزا عن مظانّ الخوف ، أو بادر مبادرة ، صادرة عن خوف .

«وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ ٱلْمَوْئِلِ» .

الكرة الرجعة والموئل : الملجأ ، والوأل : أللجاء أي تأمل في رجعته في وقت الالتجاء ، أو مقام الالتجاء .

والمغبة : العاقبة .

---

١ ـــ في ض : واعاذنا الله من سخطه .

١ ـــ في ض : لئلا يفوته الوقت .

«الحُلْمُ فدامُ السّفيهِ».

يعنى أنّ الحليم إذا حلم عن سفه السفيه، ولم يقابله بمثله، كان ذلك مانعا للسفيه عن السفه، فكأنه فدام[١] يشد على فيه فمنعه من الكلام بالسفه لذلك، قال تعالى: «وأعرض عن الجاهلين[٢]».

خاطر: أي أشرف على الهلاك.

الصبر يناضل الحدثان: أي هو كمن يقاتل حوادث الزمن في الرمي ويذبّ عن صاحبه ما ينفذ به إليه.

«عُجْبُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ».

لأن موجب العقل ومقتضاه الازدياد من الفضائل والمناقب، والمآثر وموجب العجب الاقتصار على ما هو عليه، فالعجب يصرف عن الازدياد، فكان عدوّا للعقل.

«أَغْضِ عَلَىٰ ٱلْقَذَى وَٱلْأَلَمِ تَرْضَ أبداً».

أي لا تطلب غاية الكمال في الأمور الدنياوية ولا انتظام أحوالك كلها فيها، ولا أن يجري الناس كلهم على وفق إرادتك، فانّ ذلك من (حيث) عادة الدنيا وأهليها بعيدة (بل) مستحيلة، فاذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.

«مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ».

أي من سامح الناس سامحوه وازداد بتلك المسامحة ماله وجاهه، ومن رفق بالناس ولاطفهم، ولان جانبه كثر أعوانه منهم، ومن طاب خلقه وحسنت سجيته ترشح ذلك إلى ظاهره فحسن ظاهره كباطنه، وعلانيته كسريرته، «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا

---

١ ــ الفدام: ما يشد على فم الابريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه.

٢ ــ الاعراف: ١٩٩.

نكدا[١]» وأصل كثف أي غلظ .

«آلْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ» .

لان الخلاف يهيج القوة الغضبية ، فلا يفوز صاحب الخلاف باصابة الرأي وقيل معناه : لا رأي لمن لا يطاع ، يعني من كان غير[٢] مطاع فوجود رأيه وعدمه سواء .

«مَنْ نَالَ آسْتَطَالَ» .

أي من نال شيئا من حطام الدنيا وغيره يطاول على من ليس له ذلك .

«فِي تَقَلُّبِ آلْأَحْوَالِ ، عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ» .

يعني يعرف فضائل الغني إذا افتقر، ورذائل الفقير إذا استغنى . فان في الأكثر إذا استغنى الفقير تبدّلت أخلاقه وإذا افتقر الغني تغيرت أحواله وخصاله ، ويعرف طباعهم أهي كريمة أي محمودة أم لئيمة مذمومة بتغير أحوال الدنيا .

«حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ آلْمَوَدَّةِ» .

يعني من حق الصديق أن يحب لصديقه كل خير فاذا حسد كانت صداقته ، ناقصة .

«أَكْثَرُ مَصَارِعِ آلْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الطمع» .

ما أصدق أميرالمؤمنين وما أبصره بحقائق الأشياء فان أكثر اقدام العقول تزلّ في مواطن الطمع ، والطمع يمنع العقل عن الاستيلاء والتملك ، وكم من طامع خالف قضايا عقله ، حين طمع هذا في العقلاء وأما في غير العقلاء ، فلو لم يطمع العصفور في الحية لما وقع في الفخ[٣]، وفي قوله :

---

١ ــ الاعراف : ٥٨ .

٢ ــ في ش : من كان مطاعا .

٣ ــ الفخ : آلة يصاد بها .

تحت بروق المطامع سرّ لطيف لأن البرق نور لا يقتبس منه فكذلك الطمع رجاء فاسد، من قضايا الوهم، ولا اعتبار به، ولا فوز معه، بالمقصود.

«لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْقَضَاءُ عَلَىٰ الثِّقَةِ بِالظَّنِّ».

أي من كان موثوقا به أمينا عندك، فظننت به ظنَّ سوء وحكمت بذلك عليه فقد ظلمته، فان بعض الظنَّ إثم.

«مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ ٱلْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمّا يَعْلَمُ».

يعني تغافله عن معائب الناس، فلا تسمعها، وعن هفواتهم في حقه فلا يتتبعها.

«مَنْ كَسَاهُ ٱلْحَيَاءُ ثَوْبَهُ، لَمْ يَرَ النّاسُ عَيْبَهُ».

لأن حياه يخفى عيوبه عن أعين الناس لأن العيب إن مما يتعلق باللسان، وسقطاته، فالحيـي قليل الكلام، إفيقلّ ذلك منه، وإن كان مما يتعلق بالأفعال فحياؤه يمنعه من الاقدام على الحرام والآثام فيخفى ذلك منه ولا يظهر، وإن كان مما يتعلق بالنسبة والخلقة، فحياؤه يمنعه من التصدي للقدح في اعرض غيره وإثارة[1] معايبه، فلا يقابله غيره بمثله.

« بِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ ٱلْمُوَاصِلُونَ».

أي من جعل الانصاف من عادته رغب الناس في صداقته.

« بِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ».

أي من أنعم على غيره وتواضع فتواضعه له نعمة أخرى له على المنعم عليه، وذلك هو كمال الافضال، ويحتمل أن يراد أن من تواضع لله تعالى فشكر على نعمه عنده، استحق مزيد النعم وكما لها، والمناوي: المعادي.

«ٱلْعَجَبُ لِغَفْلَةِ ٱلْحُسَّادِ، عَنْ سَلَامَةِ ٱلْأَجْسَادِ»!

---

١ ـــ الا ثارة : الانتشار.

يعني أن صحة الأجساد وسلامتها، من طريق أمن السرب نعمة ليست وراءها نعمة، فالعجب أن الحساد يحسدون فيما دونها رتبة من النعم، ولا يحسدونها فيها أي أن (الحاسد إذا رأى على غيره نعمة حسده عليها فكيف لا يحسد على عافية الناس وهي أعظم النعم وقيل أن[١]) الحساد غافلون عن أن سلامة أجسادهم وأنفسهم من همّ الحسد أعود عليهم وأنفع لهم من أن يتعبوها بالحسد.

«الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ».

أي قد قيده ذلّ الطمع فهو أسير في يده.

«الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ».

إقرار اللسان، وعمل الجوارح وإن لم يكونا من حقيقة الايمان وماهيته التي هي التصديق القلبي، إلا أنهما لشدة تعلقهما به وفرط ملازمتهما له، وتأكد ورود الأمر بضمهما إليها جعلا في حكم الجزء منه لا تحديدا بل تحريصا على تحليته بهما، وتطويق[٢] عاطله بفوائق دررهما.

«مَنْ أَصْبَحَ عَلَىٰ الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطاً».

أي على فوت ما يتمناه من الدنيا، ويهواه.

«مَنْ تَوَاضَعَ غَنِيّاً لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ».

الدين هو الطاعة ومحل الطاعة إما القلب، وإما اللسان، وإما سائر الجوارح، فمن تواضع غنيا بشخصه وأطراه وحياه بلسانه لأجل غناه فقد صار شخصه ولسانه طائعين، منقادين له، وكان من حقهما أن لا ينقاد أو لا يطيعا إلا الله تعالى (أو من يأمر هو بطاعته، وبقي قلبه، وهو أحد الثلاثة فقد ذهب ثلثا الطاعة، في حق غير الله تعالى) وبقي الثلث له ولم يرد بذلك ذهاب

---

١ ــ بين الهلالين في ش.

٢ ــ طوقه الطوق: البسه اياه والطوق: حلي للعنق يحيط به، والعطل: العنق وفوائق الدرر: خيارها.

الايمان .

والحباطة : على ما تتخيله المعتزلة ، ومن نسج على منوالهم لقيام الدليل القاطع ، على بطلان التحابط ، وقيل إن تعظيم الغني لغناه ينبيء عن حب الدنيا وحبّ الدنيا رأس كل خطيئة ، وذكر الثلثين استعارة للأكثر.

لهج قلبه بكذا أولع به وحرص عليه .

والتاط : التصق وهمّ لا يغبه : أي لا يأتيه ولا يعتريه[١] وقتادون وقت بل يلازمه .

قوله عليه السلام : «**ٱلْعَدْلُ : ٱلْإِنْصَافُ ، وَٱلْإِحْسَانُ : التَّفَضُّلُ**» .

أراد بالانصاف الواجب وبالتفضل ، المندوب إليه .

الزهؤ: التكبر ولا يبنى الفعل منه إلا المفعول به فرقت : أي خافت .

قوله عليه السلام : «**لَدُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ**» .

عراق : بضم العين جمع عرق وهو عظم أخذ عنه اللحم قال ابن السكيت : ولم يجيء شيء من الجمع على فعال إلا أحرف منها توأم ، ورباب وظؤار وفوار ورخال وعراق في جمع توأم وربى وظئر[٢] وفرير ورخل وعرق .

والجذام : فساد شكل يعرض للأعضاء بسبب خلط محترق خبيث ينبث[٣] في البدن ، وبهذا الخلط إذا كثر ورم الأعضاء أوّلا ثم قرحها وهذا مرض خبيث عسر العلاج ، ولا شيء أخبث من عظم خنزير بلا لحم في يد

---

١ ــ اعتراه : اذا قصده يطلب منه رفده وصلته .

٢ ــ الظأر : ان تعطف الناقة على غير ولدها ، والربى : التي تربى في البيت من الغنم لاجل اللبن وقيل هي الشاة القريبة العهد بالولادة وجمعها رباب بالضم ، والرخل : الانثى من اولاد الضأن .

٣ ــ ينبث يخرج ، والنبيثة : تراب يخرج من بئر او نهر .

نصراني مستحل للخنزير مجذوم ويد المجذوم خبيثة متقرحة وهو أخس أعضاء المعلولين أخبر عليه السلام عن خساسة الدنيا وخساسة من قنع بها .

قوله عليه السلام : «إنَّ قَوْماً عَبَدُوا ٱللهَ رَغْبَةً الى آخره» .

العبادة : غاية الشكر، ويجب على أصول النعم ، فمن صلى وصام ونحو ذلك لله تعالى لوجوب ذلك له ، فهو عبادة وإن فعل ذلك طمعا في الجنة ، وخوفا من النار ، فليس ذلك بعبادة ، ومن تناول الدواء لدفع المرض والألم فهو خسيس الهمة ، ومن تناوله لحفظ الصحة ، فهو رفيع الهمة .

التوانى : التقصير، والواشي : الساعي ، والنمام .

«ٱلْحَجَرُ ٱلْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْن عَلَىٰ خَرَابِهَا» .

كقول النبي صلى الله عليه وآله : اتقوا الحرام في البنيان فانه أساس الخراب .

«إذَا ٱزْدَحَمَ ٱلْجَوَابُ ، خَفِيَ الصَّوَابُ» .

من تفكر في الطرق المسلوكة ، ولم يميز في ذهنه ما ينتج المطلوب ويفكر فيما يلائم الجواب ، وما لا يلائم خفي عليه الصواب ، فاذا ركب على وجه التركيب أو حلل على وجه التحليل ، فاز بالصواب ، وإن كثر القياسات فربما يخفى عليه الصواب بسبب التكثير، وازدحم أي كثر.

«إذَا كَثُرَتِ ٱلْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ» .

يعني أن الفقر يثمر الحرص ، والحرص يثمر الشهوة ، فيزداد الرغبة ، فيما ليس عنده ، وقيل الممنوع متبوع ، والانسان حريص على ما منع ، منه ، فمن قدر على شيء واستولى عليه قلت شهوته ، المتعلقة بذلك الشيء ، وتعلقت شهوته بما ليس له ، وإن كان ما عنده أحسن وأزين مما عند غيره والمرء شواق الى ما لم ينل ، الشادر: النادر.

«أفْضَلُ ٱلأَعْمَالِ مَا أكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ» .

قال الامام الوبري : هو في الفرائض والواجبات خاصة ، دون النوافل لأنه مندوب عند تثاقل نفسه إلى الاقتصار على الفرائض ، وقيل الانسان يحب الدعة والخفض والكسالة كما قيل إن البطالة والكسل أحلى مذاقا من عسل ، فمن سلط عقله على هواه ، فقد أكره نفسه على العمل الصالح ، وكان ذلك من أفضل الاعمال .

قوله عليه السلام : «عَرَفْتُ ٱللهَ بِفَسْخِ ٱلْعَزَائِمِ ، وَحَلِّ ٱلْعُقُودِ» .

ذلك لأن العازم يجد في نفسه الفسخ ويعلم أنه ليس من فعله ، فلا بدَّ من فاسخ ، ولا فاعل يتصرف في ضمير الغير. إلا القادر الذات ، وهو الله تعالى .

قوله عليه السلام : «وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ» .

لأن الأقارب إذا تواصلوا زادت أعدادهم ، وإذا تخاصموا وتحاسدوا تقاتلوا ، وإذا تقاتلوا ، نقصت أعدادهم .

«وَتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ» .

لأن اللائط مضيع لمادة الانسان قطعا ، ومفسد للبذر ، فكأنه قاتل النفس التي حرم الله إلا بالحقّ لأن من أفسد البذر كان كمن أفسد الزرع .

والحقن : الحبس والردع : الزجر والاستظهار : المعاونة .

قوله عليه السلام : «مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَخَلَقَ ٱللهُ لَهُ مِنْ ذلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً» .

قال الامام الوبري : هذا يحتمل معنيين .

أحدهما أن الله تعالى يقدر عند ذلك لطفا له ينقذه من المهلكة وأراد بالخلق التقدير ، والكناية في ام الكتاب .

والثاني أنه تعالى يخلق عند ذلك ملكا يدعو له بالخير ، والمعونة من الله تعالى ، ويكون له عونا عند المهالك بأمر الله ، فيحرسه بسببه ، وقيل انه

استعارة، والمراد من أعان أخاه المسلم عند اضطراره، دفع الله عند البلاء عند اضطراره، وقيل إن من وقع موقع البدل أي خلق الله له بدل ذلك السرور ملكا ذا لطف يخلصه من البلايا قال الشاعر:

فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على الطهيان

بدل ماء زمزم.

قوله عليه السلام: «آلْوَفَاءُ لِأَهْلِ آلْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ آللهِ، وَآلْغَدْرُ بِأَهْلِ آلْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ آللهِ».

هذا مأخوذ من قول الله تعالى: «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين[1]» وذلك في يهود بني قينقاع، وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبينهم عهد. فعزم اليهود على نقض العهد وأخبر الله تعالى رسوله بذلك وأمره بمجازاة نقض عهدهم، ومحاربتهم فحاربهم وأزعجهم[2] كما ذكر في التفاسير.

قوله عليه السلام: «ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ».

اليعسوب في الأصل هو أمير النحل، ثم قيل للسيد يعسوب قومه، وسمى رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام يعسوب المؤمنين لأنه قال: مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيبا، ولا تضع إلا طيبا، فكان التشبيه صائبا من الطرفين، وضرب النحلة بذنبها: لسعها بحمتها[3] أي ظهر مقتدى الحق وأظهر نكايته في عداه.

والقزع: قطع السحاب وأضافها إلى الخريف لأن السحاب يكون بلا ماء، فيكون أسرع، قيل وهذا الحديث في شأن الحجة الغائب من آل محمد

---

١ ــ الانفال: ٥٨.

٢ ــ ازعجه: اقامه ولا يدعه يستقر.

٣ ــ الحمة بالتخفيف: السم وقد يشدد.

صلى الله عليه وآله : وفي ظهوره ، وقيامه أي اذا ظهر وأظهر علاماته ووجه صولته إلى عداته[١] أسرع اليه أصحابه ، وانصاره كاجتماع قطع السحاب الخريفي ، ويجوز أن يكون ضرب من الضرب ، بمعنى السير ويكون الذنب كناية عن الخول[٢] والخدم والعدة والأسلحة أي سار الأمير في أمر الدين بخدمه ، وحشمه ، وعدّته وأسلحته فيكون الباء كالتي في قولهم خرج زيد بسلاحه ، وفي المعنى الأول يكون كالتي من قولك ضربت بسيفه .

«هٰذَا ٱلْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ» .

قيل : كان الاشارة إلى صعصةبن صوحان[٣]، وكان من خيار شيعة علي عليه السلام : ومن خطبائهم ، والشحشح الماهر الماضي في الكلام ، من قولهم : قطاة شحشح : سريعة حادة ، وناقة شحشح والشحشح : سرعة الطيران وامرأة شحشاح كأنها رجل في قوتها وحدها ، وهذا كله من معنى الشح لا من لفظه ، على مذهب البصريين ، وهو الامساك المفرط والتشدد الفاحش .

ألا ترى إلى قولهم للبخيل : شحشاح ، ومشحشح ، وروي أنه رأى واحد يخطب فقال : ما هذا الخطيب الشحشح ، فعلى الرواية الأولى هذا ابتداء ، والخطيب نعت له ، أو عطف بيان والشحشح ، خبر المبتدأ ؛ ويجوز أن يكون هو الخبر والشحشح نعته أو خبر بعد خبر .

---

١ ــ العدى : الغرباء .

٢ ــ الخول : حشم الرجل واتباعه ويقع على العبد والامة .

٣ ــ صعصعة بن صوحان عظيم القدر من اصحاب امير المؤمنين : روي عن الصادق عليه السلام انه قال كان مع امير المؤمنين مىن يعرف حقه الاصعصعة ، وشهد معه الجمل هو واخوه زيد وسيحان وكان الراية يوم الجمل بيده فقيل فاخذها زيد وقيل فاخذها صعصعة .

شهد ايضا الصفين وكان اميرا على بعض الصف، وكان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يره ، وكان سيدا فصيحا خطيبا دينا قال الشعبي : كنت اتعلم منه الخطب ، قال ابن سعد كان ثمة قليل الحديث وتوفي بالكوفة في خلافة معاوية .

على الرواية الأخرى ما استفهامية، وهي مبتدأ وهذا خبره والخطيب نعت له أو عطف بيان، قيل: والشحشح الغيور والشجاع أيضا والخطيب اذا كان فيه هذان الوصفان كان كلامه أنجع ووعظه أنفع روي أن عليا عليه السلام وكّل أخاه عقيلا بالخصومة، ثم وكّل بعده عبد الله بن جعفر وكان لا يحضر الخصومة، ويقول إن لها لقحما، وإن الشيطان يحضرها أي مهالك وشدائد.

وقحم الطريق: ما صعب منه وشق على سالكه قال جرير[١].

قد خربت مصروا الضحاك إنهم * قوم إذا حاربوا في حربهم قحم

وقحم في الأمور رمى بنفسه فيها من غير رؤية.

قوله عليه السلام: «إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ».

وروي نص الحقاق فالعصبة أولى: نصّ كل شيء منتهاه، من نصصت الدابة اذا استخرجت أقصى ماعندها من السير، يعني إذا بلغن الغاية التي عقلن فيها وعرفن حقائق الأمور أو قدرن فيها على الحقاق وهي الخصام اقترحوا فيهن[١]، فقال بعض الأولياء: أنا أحق بها وبعضهم أنا أحق، ويجوز أن يريد إذا بلغن نهاية الصغار أي الوقت الذي ينتهي فيه صغرهن ويدخلن في الكبر استعارة لهن اسم الحقاق من الابل.

قيل: هو من الحق بالكسر، وهو ما كان من الابل ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرابعة، والانثى حقه، سمي بذلك لاستحقاقه أن يحمل عليه وأن ينتفع به، والجمع حقاق، وجمع الحقاق حقق ككتاب، وكتب وربما جمع

١ـ جرير بن عطية الخطفي من بني كلب بن يربوع وام جرير ام قيس بنت معبد، كان جرير من فحول شعراء الاسلام ويشبه من شعراء الجاهلية بالاعشى. وكان من احسن الناس تشبيها، وكان من اشد الناس هجا، ومع حسن تشبيعه عفيفا بينه وبين الفرزدق الشاعر المعروف ومنافرات ومهاجاة.

٢ ـ الاقتراح هنا بمعنى الاجتباء والاختيار.

على حقائق مثل أفال وأفائل والعصبة واحدة العصب. والأعصاب وهي أطناب المفاصل، وعصبة الرجل بنوه، وقرابته لأبيه سموا بذلك لأنهم عصبوا به اي أحاطوا به.

فالأب طرف والابن طرف، والعمّ جانب والأخ جانب والجمع العصبات، يعني إذا بلغ النساء منتهى بلوغ الغاية وكان لهن إخوة وأخوات أو أعمام مع عدم الآباء، فأن يجعلن أمر تزويجهن إليهم أولى من أن يزوجن أنفسهن، وان كان ذلك أيضا جائزاً.

قيل: هذا مبني على مسألة، وهي أن الأم أن يأخذ الولد اذا كان انثى إلى سبع سنين، ما لم يتزوج وإن كان الأب قد مات كانت الأم أحق بها، من كل أحد الى سبع سنين أن تبلغ أي اذا بلغت المرأة حد البلوغ فالجد من الأب والعم أولى من الأم أن يأخذها وتكون عنده.

قوله عليه السلام: «إِنَّ ٱلْإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي ٱلْقَلْبِ، كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْإِيمَانُ ٱزْدَادَتِ اللُّمْظَةُ».

(اللمظة هي كالنكتة من البياض من الفرس الألمظ، وهو الذي يشرب في بياض عن أبي عبيدة ومنها قيل[1]) اللمظة: الشيء اليسير من السمن تأخذه باصبعك شبه ما يظهر في قلب المؤمن المحقق من نور اليقين وثلج الطمأنينة بسبب النظر المقضي إليه المزيل لظلم الشبه بالنكتة من البياض، وكلما ازداد المرء تفكرا وفي مظان النظر، ولو جاء عند ترادف الأدلة، وتضاعف الحجج ازداد نور البصيرة في قلبه استقرارا حتى ولى الريب عن مستقر يقينه إدبارا.

قد قيل: من الجائز أن يظهر الله تعالى: في قلب المؤمن نقطة بيضاء

---

١ ـــ بين الهلالين ساقط في ب.

وكلما ازداد المؤمن علما ويقينا وطمأنينة يزداد ذلك النور لما يعلم في الاخبار بذلك من مصالح المكلفين وألطافهم، ولمظة: حال أو تمييز وعلى هذا لما كانت اللمظة لازما الوجود للايمان سمي اللزوم باسم اللازم لفرط التلازم.

قوله عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ، يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ، لِمَا مَضَى، إِذَا قَبَضَهُ».

هو الذي لست من قضائه على يقين، وكذلك كل شيء لا تستيقنه قال الشماخ[1].

كلا يومي طوالة وصل أروى * ظنون آن مطرح الظنون

ومعنى الخبر إذا كان لك مثلا عشرون دينارا على زيد دينا، وقد أخذها منك ووضعها على هيئتها، من غير تصرف فيها منه، وأنت تظن أن استرددتها منه ردّها إليك، فاذا مضى عليها أحد عشر شهرا قمريا، واستهل هلال الشهر الثاني عشر فقد وجب زكوتها عليك. وإن كانت مبالغ كثيرة؛ ومضى عليها سنون كثيرة على ذلك فانه يجب عليك الزكاة فيها لكل سنة كان نصاب ذلك تاما فيها، ومعنى قول الاعشى: إن العاقل لا يجعل حكم البئر التي لا ماء فيها ولا يمطر حولها بحكم نهر الفرات المعروف.

والصوب: المطر، واللجب، السحاب الذي له صياح من الرعد والبرق.

والياء في الفراتي: للتأكيد كما في دوار ودواري أو أراد كالنهر المأخوذ من الفرات فنسبه إليه لأنه بعضه.

وطما: ارتفع والبوصى ضرب من سفر البحر وهو معرب.

---

١ ـ الشماخ بن حليف وابن المختار وابن العلا وابن ضرار و بن ابي شداد شعراء، والمشهور منهم هو الخامس اسمه معقل وكنيته ابو سعيد والبيت في تاج العروس (طول).

والماهر: الملاح الحاذق والصحيح أن الماهر، هو السايح.

اعذبوا عن النساء: أي امتنعوا من ذكرهنّ فانه يكسركم عن الغرور تثبطا قال عبيد بن الابرص[١].

وتبدلوا اليعبوب بعد أبيهم * صنما فقروا يا جديل وأعذبوا

وبات الفرس عذوبا اذا امتنع من الأكل والشرب ومنه العذاب لأنه نكال يمنع[٢] الجاني من مثل ما جنى.

قوله عليه السلام: «كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ».

الياسر: اللاعب، بالقداح الفالج: الفائز يقال فلج على أصحابه وفلجهم.

قوله عليه السلام: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ».

أي اشتد الحرب ومنه موت أحمر، وهو مأخوذ من لون السبع كأنه سبع إذا هوى إلى الانسان اتقينا به أي استقبلنا به العدو.

قوله عليه السلام: «حتى أتى النَخَيْلَة».

هي موضع بظاهر الكوفة على أميال منها.

قوله عليه السلام: «مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ».

يعني عناي من عصيانكم اكثر من عناي من عدوانهم، ولو لا عصيانكم لما ابتليت بعدوانهم وروي تكفوني بحذف النون للتخفيف.

والرعايا: جمع رعية والرعاة: جمع راع والحيف: الظلم وحيف الوالي

---

١ ــ عبيد بن الابرص بن عوف الاسدي كان شاعرا جاهليا قديما من المعمرين وشهد مقتل ابي امرىء القيس قتله المنذر بن ماء السماء في يوم بؤسه ويقال انه لقيه وله اكثر من ثلاثمائة سنة فسأله أي قتلة تختار قال عبيد: اسقني من الراح حتى اثمل ثم افصدني الاكحل: ففعل ذلك به ولطخ بدمه الغريين وفي ض: عبد الله بن الابرص.

٢ ــ النكال: العقوبة التي تنكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء.

على الرعية حملهم على ما يكرهون بذل الأموال والأرواح بغير الحق وحيف الرعية على الوالي جنايتهم وعصيانهم .

والوزع : الكف والدفع ، والوازع : الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وقال الحسن : لابد للناس من وازع أي سلطان يكفهم ويردعهم عن الشر وذكر ابن جرير في تاريخه أن أميرالمؤمنين خيم بالنخيلة وخرج بالناس ؛ فلما أمسوا انصرف الناس إلى بيوتهم ، وبقي أميرالمؤمنين بالنخيلة مع أولاده وخواصه فانصرف أميرالمؤمنين ضرورة الى الكوفة .

الحرث[١] ابن حوط وبخط الرضي بالخاء المعجمة مضمومة ذكر صاحب المنهاج يا حار أراد يا حارث فرخم وبقاه على أصله ولو ضم الراء جاز .

قوله عليه السلام : «نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ» .

أي نظرت إلى ظواهر أعمال الناكثين من أصحاب الجمل المتمسكين ببعض شرائط الاسلام فاغتررت بذلك وظننت أنهم على شيء ، وهم دونك في المنزلة ، حيث بغوا على إمام الحق وأنت معه ، وإن لم تكن على يقين ولم تنظر إلى من هو فوقك من الامام المنصوص المفترض طاعته من الله تعالى ، والمعتصمين بحبله والمتمسكين بعروة[٢] الوثقى .

حتى تعرف بالنظر المفضى إلى الحق أن الباغي على خليفة الله في أرضه والساعي في إطفاء نوره كافر بالله العظيم ، وبما أنزل من الذكر الحكيم على رسوله وأن ولايته محك العالمين ومحنة للخلائق أجمعين .

---

١ ــ الحرث الاعور الهمداني من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام وخواصه ، وهو الذي كان يكتب خطب علي سلام الله عليه كما صرح به الكليني في الكافي في باب جوامع التوحيد ، وله اخبار وروايات مذكورة في كتب الحديث والرجال والسيرة .

٢ ــ في ض : والمتمسكين بعروته الوثقى .

قال صاحب المعارج: يعني اقتديت بمن هو دونك في الرتبة عند الله وما اقتديت بمن هو فوقك أي اقتديت بأهل الشام وما اقتديت بصحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار حين بايعوني، والمطابق لسؤال السائل ما ذكرت.

قوله عليه السلام: «سعدبن مالك».

عنى به سعدبن أبي وقاص، فانه لما قتل عثمان اشترى أغناما وانتقل إلى البادية وكان يتعيش بتلك الأغنام حتى قضى نحبه ولم يشهد بيعة عليّ وأما عبد اللهبن عمر فالتجأ إلى أخته حفصة زوجة النبي بعد ما بايع[1] أميرالمؤمنين ولكنه ما خرج معه إلى حرب الجمل وقال: أعجزتني العبادة عن الفروسية والمحاربة فلست مغ عليّ ولا مع أعدائه ولا احتياج له إلى نصرتي وأنا رجل ضعيف متعبد.

«صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ ٱلْأَسَدِ».

كلام في غاية المتانة فان من ركب الأسد لا يخلو إما أن يلقيه الأسد ويرديه، وإما أن يلقيه ويفترسه، وصاحب السلطان إما أن يوقعه السلطان في مهلكة لا ينجو منها بسبب نظام ملكه، وإما أن يهلكه السلطان ومع ذلك فالناس يحسدونه بسبب جاهه وماله وهو في خطر عظيم.

«أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ».

عقب الانسان ولده، وولد ولده، وهو مأخوذ من قوله تعالى «وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا[2]» فان كلام الحكماء إذا كان صوابا كان دواء، يعني كان حكمه شفاء لمرض الجهل.

---

١ ــ الظاهر من الروايات انه لم يبايع أمير المؤمنين عليه السلام وانما قعد في بيته واعتزل عن الناس.

٢ ــ النساء: ٩.

«إِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً».

أي يضل به الناس ويقعون به في الشبهات بحسن اعتقادهم فيه، وتأثير كلامهم في نفوسهم، ولذلك قيل زلة العالِم زلة العالَم.

فان الكلام كالشارد.

أي كالناقة النافرة ينفقها يجدها ويظفر بها.

«أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا».

هذا من الأمثال، أي لا تطلعه على جميع أسرارك فانه ربما يعود بغيضك فيؤذيك بافشاء سرك، ولا شيء أحسن من الاعتدال في الحبّ والبغض وغيرهما وكذا ما بعده وهذا مأخوذ من قوله تعالى: «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة[١]».

والهون: السكينة والوقار وهو مصدر بمعنى إسم الفاعل، وقع موقع الحال، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي بغضا هونا أي معتدلا سهلا، وما للابهام.

قوله عليه السلام: **«وَيَأْمَنُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ»**.

أي لا يخاف على نفسه فقره في آخرته فلا يقدم زادا.

قوله عليه السلام: «مِنْ عرضِ الناس».

أي من العامة وإنما قطعه لأنه سرق من حرز من الغنيمة ولم يكن له نصيب فيها، وإن كان له نصيب في الغنيمة ينظر في المسروق فان كان وفق نصيبه فلا قطع عليه، وإن كان أكثر من حقه وكان الزيادة دون النصاب، فكمثل، وإن كان ربع دينار، فصاعدا أو ما قيمته، فعليه القطع.

لو قد استوت قدماي من هذه المداحض.

---

١ ـ الممتحنة: ٧.

أي المزالق أي لو انتظم لي الأمر، واستقام لبدّلت أحكاما حكم بها من كان قبلي ، وأحداثا أحدثوها لا على وفق ما ارتضيته .

قوله عليه السلام : «مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ» .

يعني اللوح المحفوظ الذي يذكر بالكتابة عليه ، ما يكون حكمة وصوابا ، وهو ذو ذكر محكم ، متقن ، فحذف المضاف ، وقوله تعالى : «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم[١]» اتفق أكثر المفسرين على أن المراد به اللوح المحفوظ ، وفي تفسير الثعلبي اللوح المحفوظ معلق من العرش ، وهو من درة بيضاء . يعني ما كتب الله لعبد ، وقدّر له في اللوح المحفوظ[٢] .

لا ينافي هذا ما روي من أن صلة الرحم تزيد في العمر، وغير ذلك من الأخبار الواردة في تزايد الرزق والعمر، واندفاع المكاره عند بعض القربات ، وحلول البلايا عند بعض المحظورات ، لأن[٣] ما ثبته على اللوح المحفوظ علام الغيوب ، قسمان : مطلق ومشروط .

فما كان على الاطلاق فهو حتم لا تغير ولا تبدل وما كان مشروطا نحو أن يثبت فيه، أن فلانا إن وصل رحمه، فانه يعيش ضعف ما يعيش إن قطعه ، فانه يقع حسب ما أثبته تعالى ، لما علم فيه من الصلاح وفي الأخبار به من اللطف ، وقد قال تعالى : «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب[٤]» .

قوله عليه السلام : «رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ» .

---

١ ــ آل عمران : ٥٨ .

٢ ــ في ض هنا زيادة وهي : فان ضعف العبد وقلّتْ حيلته لا يمنعه عن ذلك وطلبه وحيلته لا يزيده على ما قدر في اللوح المحفوظ ولا ينافي الخ .

٣ ــ في ض : لأن ما تثبته على اللوح المحفوظ .

٤ ــ الرعد : ٣٩ .

في كتاب الغريبين: الاستدراج الأخذ على عسرة، وسنستدرجهم أي نمهلهم، ثم نأخذهم، كما يرقى الراقي الدرجة فيتدرج قليلا.

« رُبَّ مُبْتَلَى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَىٰ».

أي صنع ذلك البلاء به، وفعل لأجله ولاستعقابه، نفعا عظيما له فهو له لا عليه، أي ربما يكون نعمة المرء سببا لارتكابه المعاصي بواسطتها، فيكون نعمته وبالا عليه، وربما يكون البلاء سببا لوصول النعماء إليه لا ستقباله إياه بالصبر والشكر وكثيرا ما ينتهي العبد عن المعاصي بسبب شدة الفقر ومن العصمة أن لا يقدر[١].

«لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا».

أي لا تتركوا العمل بما تعلمون: فتكونوا في عدم الانتفاع بالعلم بمنزلة الجاهل.

مورد: روي بضم الميم وفتحه.

شرق بالماء: غص به، وتنافس في كذا: رغب فيه.

قوله عليه السلام: أللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي: أي المضيئة الباصرة من العيون استعار عليه من الرياء وحب الثناء والناس أخياف[٢]، فبعضهم يبتهج بالمدح، ويغتم بالذمّ، وتحبّب وتكافيء[٣] وهو من أشرار الناس، وبعضهم يفرح بالمدح ويغتم بالذم ولكن لا يظهر الاغتمام ولكنه في قلبه يحب مادحه. ويبغض غائبه وهذا درجة الصلحاء والأخيار، وبعضهم لا يفرح بالمدح ولا يغتم بالذم، ولا يحزن به، ولا يلتفت إلى المادح.

---

١ ـ في ش: ومن المعصية ان لا يقدر.

٢ ـ الاخياف: المختلفون يقال: هم اخوة اخياف: اي امهم واحدة والاباء شتى.

٣ ـ تكافأ القوم: تساووا.

لأن قلبه مشغول بالله غير ملتفت إلى مدح الناس وذمّهم وهذه درجة العباد والزّهاد، وبعضهم يبغض المادح ويحبّ العاتب (لأنه يستفيد من العاتب فوائد منها: أنه يسمع منه عيبه فينفر من عيبه ويجتهد في إصلاح نفسه.

منها أن العاتب[١]) أهدى إلى من عابه من حسناته ودعاه إلى ما فيه صلاح نفسه، ولا ينقطع علائق الدنيا عن قلب من يغير بالمدح، ومن عمل طاعة ليمدحه الناس على طاعته فانه متقرب إلى الناس لا إلى الله وهذا باب من أبواب الشرك لذلك قال أميرالمؤمنين.

تقربا إلى عبادك وتباعدا من مرضاتك.

قوله عليه السلام: «**فِي غُبْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ**».

أي بقايا ليلة سوداء، وتكشر: أي تبسم، وابتسام الليل عن النهار كابتسام الشفة عن الثنايا.

إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها: أي إذا كان للاكثار من النوافل مما يكل[٢] المرء ويمله أو يضعفه حتى إذا انتهى إلى الفرض يخل ببعض شرائطه، فينبغي أن يقصر من النوافل، لتمكنه من الا تيان[٣] بالفرض كاملاً، ويتدرج أن يشرع في الطوال من النوافل بحيث يفوت وقت الفرض، ونظائر ذلك، وقيل الامتناع من الرياء فرض فاذا كان تكثير النوافل يؤدي إلى الرياء يجب الامتناع منه.

قال فضيل بن عياض[٤]: كان الناس في الزمن الماضي لا يراؤن بما

١ ــ بين الهلالين ساقط في ض.

٢ ــ الكل بالفتح: الثقل من كل ما يتكلف.

٣ ــ في ض: ليمكنه الاتيان بالفرض.

٤ ــ فضيل بن عياض أبوعلي الابيوردي الخراساني الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة، سكن مكة روى عن ←

يعملون من الطاعات، والآن يراؤن بما لا يعملون، وفي الأثر إن الله تعالى إذا صلى عبد من عباده رياء، أو عمل طاعة رياء، يقول للملائكة: انظروا إلى عبدي الذي يستهزىء بي، واعلم أنّ النوافل وضعت تلافيا للخلل الواقع في الفرائض وجبرا لانكسارها، فما دام الجبر سببا للكسر فالأولى أن لا يكون.

قوله عليه السلام: «ليس الرؤية كالمعاينة مع الأبصار».

عنى بالرؤية العلم، أي لا يوجب لادراك العلم، لا محالة إنما الذي يوجبه هو التفكر وأراد به العلم الاستدلالي، دون المشاهد، فكأنه قال: ليس العالم من أدرك المحسوس إنما العالم من علم ليس بمحسوس.

فقد تكذب العيون أهلها: يعني الغلط في المناظر، فقد يرى الشيء من بعيد أصغر ومن قريب أعظم، ويرى الكواكب في الأفق أعظم وفي وسط السماء اصغر، وجرم الكوكب لا يزيد ولا ينقص في فلكه، ويرى ساكن السفينة متحرّكا والسفينة ساكنة، ويرى الخشب والحديد في الماء معوّجا وهو مستقيم ولذلك نظائر.

ولا يغش العقل من استنصحه: عنى به البرهان العقليّ.

جاهلكم مزداد مسوّف: أي مزداد من المعصية مسوّف للتوبة.

«قَطَعَ ٱلعِلْمُ عُذْرَ ٱلمُتَعَلِّلِينَ».

يعني أنّ العالم أقطع عذرا في التقصير، وإن كان الجاهل غير معذور.

قوله عليه السلام: «مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ طُوبَىٰ لَهُ إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ

أبي عبد الله عليه السلام، وكان في ابتداء امره شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد ونسا وكان سبب توبته انه عشق جارية فبينا يرتقي الجدران اليها سمع تاليا يتلو:

الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله، فقال يارب قد آن فرجع، وصار من كبار السادات وحكي ان الرشيد قال له يوما: ما ازهدك قال له الفضيل أنت أزهد مني قال: وكيف ذلك قال: لاني ازهد في الدنيا وانت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية له أخبار وقصص مات سنة ١٨٧.

الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ».

أي منح الدنيا تستعقب المحن وسرّاها لا يفارق الضراء، وخبأ: أي ستر ولم يزد ذلك في سبيل الله.

قوله عليه السلام: «طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلا تَسْلُكُوهُ».

قال الامام الوبري: معنى القدر هاهنا: ما لا نهاية له من معلومات الله تعالى فانه لا طريق لنا إليه، ولا إلى مقدوراته، وقال غيره: القدر ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ وما دللنا على تفصيله ولي لنا أن نتكلفه ويقال: اللوح المحفوظ القدر، والكتاب القدر، كأن كل شيء قدره كتبه[1]، وسئل ابن عباس عن القدر، فقال: هو تقدير الأشياء كلها أوّل مرّة ثم قضاها وفصلها.

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: الناس في القدر على ثلاث منازل، من جعل للعباد في الأمر مشية، فقد ضادّ الله ومن أضاف إلى الله تعالى شيئا هو منزه عنه، فقد افترى على الله كذبا، ورجل قال: إن رحمت فبفضل الله، وإن عذبت، فعدل الله فذاك الذي سلم له دينه ودنياه جميعا.

قوله عليه السلام: «إِذَا أَرْذَلَ ٱللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ ٱلْعِلْمَ».

هذا دليل على أن الجهالة في الرذالة ولا شرف لمن لا علم له.

قوله عليه السلام: «كَانَ لِي فِيمَا مَضَىٰ أَخٌ فِي ٱللهِ».

وجدت على حاشية بعض النسخ أنه أراد عثمان بن مظعون[2] وفي

---

١ ــ في ش: كان كل شيء بقدرة الله.

٢ ــ عثمان بن مظعون القرشي الجمحي يكنى أبا السائب، اسلم اول الاسلام: وهاجر الى الحبشة هو وابنه السائب مع جماعة من المسلمين، فبلغهم ان قريشا قد اسلمت فعادوا ثم هاجر عثمان الى المدينة وشهد بدرا وكان من اشد الناس اجتهادا في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل و يتجنب الشهوات، وهو اول رجل مات بالمدينة من المهاجرين توفي سنة اثنين من الهجرة.

المعارج عنى به أبا ذرّ الغفاري .

ج‍ـ هذا الفصل في أدب ابن[١] المقفع منسوب إلى الحسن بن علي عليه السلام .

بدّ القائلين : غليهم وفاقهم .

ونقع غليل السائلين : سكن حرارة قلوبهم ، وأزال الريب من صدورهم ، بزلال علمه الذي يجدي ثلج[٢] الصدر .

«كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً» .

أي كان ذليلا عند نفسه متواضعا لم يشن[٣] كبرياء ونخوة أو كان مختل الحال كثير العيال ، قال ابن السكيت : الضعف كثرة العيال .

فان جاء الجد : أي الأمر الذي ينبغي فيه أن يجدّ ويشمر عن ساق الجهد ، لمحاربة الأقران ، ومنازلة الشجعان ، فهو على قوة الأسد وهيئة الأفعى ووصف الليث بالغادى لأنه اذا غدا كان جائعا فصولته أشد ، وروي عاد من العدوان أي بالغ في الظلم .

والصل : الحية التي لا ينفع فيها الرقية[٤] والحية اذا اضيفت إلى الوادي كان أخبث وأشد تأثيرا شبهه بهما لكونه غالبا على العدوّ مرة بالسنان وأخرى باللسان .

«لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ قَاضِياً» .

---

١ ـ عبد الله بن المقفع الفارسي المشهور الماهر في صنعة الانشاء والادب ، كان مجوسيا اسلم على يد عيسى بن علي عم المنصور، وهو الذي عرب كليلة ودمنة وصنف الدرة اليتيمة في طاعة الملوك ، وله خبر مع ابي عبد الله الصادق عليه السلام رواه الصدوق في التوحيد ، وقتل سنة ١٤٣ بأمر المنصور.

٢ ـ ثلج الصدر ارتاحت وأطمأنت والحداء سوق الابل بالغناء ، يعني يكون علمه موجبا لرفع الريب والشكوك واطمينان القلب وراحة الصدور.

٣ ـ شنأ الرجل : ابغضه مع عداوة وسوء خلق وشيء الشيء : اخرجه .

٤ ـ الرقية : العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الافات .

أي لا يحتج ببينة إلا خبث[1] ينفع، فيكون قاضيا وروي.
«لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَىٰ مَا لا يَجِدُ ٱلْعُذْرَ فِيهِ».

أي لا يلومه وإن لم يعلم عذرا لأنه يجوز أن يكون له عذر، وهو لا يعلمه.

بدهه: فجئه نظر أيهما أقرب: مبتدأ وخبره ومحله نصب بنظر.

قوله عليه السلام: «لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ ٱللهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أن لا يُعْصَىٰ شُكْراً لِنِعَمِهِ».

(قال الامام الوبري: معناه أن النعم توجب الشكر، وتعظم المعصية سواء كان منها عقاب أو لافان حق النعمة وحكمها مراعاة الشكر وتعظيم حق موليها سواء أعقب الشكر في المستأنف[2]) زيادة أو لا، واذا كان هذا حكما لازما فمن حقه أن يتبع النعم ولا يضاع.

فلذلك يجب علينا شكر المنعم، وتعظيمه حقا لسالف إحسانه وإن أمنا الضرر من جهته عند التقصير وآيسنا من إفضاله في المستقبل، كذلك في حق الله تعالى إلا أن المشقة (في الشكر توجب الثواب في المستقبل، ولو لا المشقة[3]) لكان حكمه ما ذكرنا وقيل لو لم يتناول الدواء لأجل زوال المرض لوجب أن تناول لحفظ الصحة.

قوله عليه السلام: «في التعزيةِ ٱسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذٰلِكَ الرَّحِمُ».

قال قوم: الانسان يبقى بنوعه يعنى يبقى نوع الانسانية بالتوالد والتناسل، وما قدر الله تعالى الانسان واحد بقاء من ابتداء الدنيا الى

---

١ ــ الخبث هنا بمعنى الخصال الردئية والافعال المذمومة يعني ليس له حجة لا افعاله الخبيثة وفي ض: حيث ينفع.
٢ ــ في ض هنا حذف واسقاط.
٣ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

انتهائها، فالوالد يتصور بقاه، من بقاء ولده وبقاه محبوب، فبقاء ولده الذي هو بقاه، من طريق بقاء النوع أيضا محبوب، فالوالد يجزع على ولده اكثر مما يجزع على غيره لأنه يجزع فوات بقاء شخصه لأنه فناء جزء منه لأن ببقاء الولد يبقى نوع الانسان.

أو صبرت جرى عليك القدر: وأنت مأجور الصبر، ثبات باعث الدين، عند مقابلة باعث الشهوة، وثواب الصبر يبقى ما لا نهاية له، والجزع لا تمد أوقاته وتبقى تبعاته.

والازر: الاثم والثقل، واصل مأزور موزور، فهمز للازدواج بينه وبين مأجور: كما في الحديث النبوي، ارجعن مأزورات غير مأجورات.

قوله عليه السلام: «سَرَّكَ: يعني ولدك حين ولد سرك».

وهو بلاء وفتنة: كما قال تعالى: إنما أموالكم واولادكم فتنة[1].

وحزنك: حين مات وهو ثواب ورحمة: في قوله تعالى: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب[2].

وأنه قبلك وبعدك لجلل: أي صغير هين قال امرؤ القيس لما قتل أبوه: ألا كل شيء سواه جلل، والجلل يقال للأمر العظيم أيضا. وهو من الأضداد ومن أبيات أنوار العقول في مرثيته للنبي:

إني أجل ثرى حللت به * عن أن أرى بسواه مكتنيا

ومن أبيات الحماسة:

لقد جرّ نفعا فقد نالك إننا * أمنا على كل الرزيا من الجزع

قوله عليه السلام: «لَا تَصْحَبِ ٱلْمَائِقَ».

الموق حمق في غبارة والأحمق: لا يتصور نقصانه، بل يتخيل نفسه

١ ــ التغابن: ١٥.

٢ ــ الزمر: ١٠.

كاملة ، ويودّ أن يكون مثله ، وقال بعض الحكماء : الأحمق يتخيل مضار في صور منافعه ، وعلى هذا يكون جماهير الناس حمقى ، لأنهم يتخيلون الدنيا ، وزخارفها وهي مضارهم في صورة منافعهم .

قوله عليه السلام : «**سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب**» .

ع ــ قد مسح المهندسون الأرض فقدروها أربعة وعشرين ألف ميل ، وقدروا قطرها سبعة آلاف وستمائة وستين ميلا ، وقالوا : عظم الشمس مثل جميع الأرض مائة وستة وستون مرّة ، وربع وثمن ، وقطرها اثنان وأربعون ألف ميل ، وبعدها من الأرض أربعة آلاف ألف وعشرة آلاف ميل ونصف .

أما سيرها فانها يقطع الفلك في ثلاثمائة يوم ، وخمسة وستين يوما وربع يوم ، وليلة الردف من يركب خلف الراكب في كل شيء تبع شيئا فهو ردفه .

رسولك ترجمان عقلك : أي إذا أرسلت إلى غيرك رسولا فليكن كيسا فطنا فانه دلالة على كمال عقلك .

قوله عليه السلام : «**آلْمِسْكِينَ رَسُولُ آللهِ**» .

يعني أن الفقير رسول من الله ، وأرسله إليك ليأخذ منك ما استقرضه هو ، لأنَّ الله تعالى أمر باعطائه على سبيل الاستقراض جلّ وعلا حيث قال : وأقرضوا الله قرضا حسنا(١) ، وأضاف الأخذ إلى نفسه حيث قال : «يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات(٢)» ، ومنع الرسول ومنع المرسل ، واستقراضه تعالى من عبده ما ملكه لعبد آخر مع غناه عن الكل وقدرته على ما لا نهاية له غاية في الألطاف للمعطي ليردّ أضعاف ذلك عليه أحوج ما يكون إليه ، وفي الخبر هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه .

---

١ ــ المزمل : ٢٠ .

٢ ــ التوبة : ١٠٤ .

«مَا زَنَىٰ غَيُورٌ قَطُّ».

لأنه لا يرضى لغيره ما لا يرضى لنفسه.

«يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَىٰ الثُّكْلِ، وَلَا يَنَامُ عَلَىٰ الْحَرَبِ».

أي سلب المال، وهذا اشارة إلى شدة شغف الناس بالمال وولوعهم بجمعه وحراسته، وتفضيلهم إياه على الأولاد والأعزة والأقارب وقيل إن الرجل إذا قتل فقد قتل واحد، وإذا سلب ماله فقد قتل عياله وأهله، قاله تعالى: «والفتنة أشد من القتل[1]».

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لطلحة والزبير: يوما إنكما لتحاربان عليا وأنتما ظالمان وكان أنس حاضرا فلما كان يوم الجمل قال عليه السلام لأنس ذكر طلحة والزبير ما سمعت رسول الله يقول لهما في حقي وفي حربهما لي فمنعه أنس عن ذلك وهو قوله.

فلوى عنه: أي أميل وصرف عنه، وقال: أنا ناسٍ لذلك، فدعا عليه السلام عليه بالبرص ففعل.

وقوله بيضاء: تفسير للضمير في بها وانتصابه بفعل مضمر أي أعني بيضاء.

«إنَّ لِلْقُلُوبِ إقْبَالاً وَإدْبَاراً».

أي انبساطا ونشاطا إلى الطاعات، وانقباضا وإعراضا عنها، فينبغي أن يزداد من النوافل عند انبساطها، ويقتصر على الفرض عند انقباضها، ولا يكدر ولا يجهد حدّا فانّ المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

قوله عليه السلام: «نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ».

عنى به الأمور الماضية وأخبارها.

---

٢ ــ البقرة: ١٩١.

وخبر ما بعدكم: يعني أمور الآخرة.

وحكم ما بينكم: من الشرعيات.

قوله عليه السلام: «رُدُّوا ٱلْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ».

كقوله تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه[1]»، وكقول الحماسي:

«وداووا بالجنونِ مِنْ الجنونِ».

وهذا في الشرع يحسن بشرط ترك الاعتداء، والمجازاة على السواء وهو مثله، والمراد انتقم ممن ظلمك اقتداء بقول الله تعالى: «فمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل».

ألق دواتك: أي أصلح مدادها، والجلفة: سنان القلم كأنه من جلف أي قشر لأنه يبري.

والقرمطة في الخط مقاربة السطور وفي المشي مقاربة الخطو وقرمط بين الحروف ضم بعضها إلى بعض.

وصباحة الخط: حسنة مستعارة من صباحة الوجه.

«أَنَا يَعْسُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ».

أي أميرهم ومقتداهم، أتقدّمهم في أمور الدين كما يتقدم اليعسوب النحل، وآمرهم بالخير والصلاح، وأنهاهم عن الشر والفساد، فلا يصدر مني ومنهم إلا الآثار المرضية كالنحل لا يأكل إلا طيبا ولا يضع إلا طيبا وأؤدّب جناتهم بحيث يردعهم من معاودة القبائح، كاليعسوب يخرج من مأواه ما وقع على نجاسة من النحل ويضربه وربما يقتله.

قوله عليه السلام: «إِنَّمَا ٱخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ».

---

١ ــ البقرة: ١٩٤.

أي اختلفنا فيما صدر عنه أي في تفسير كلماته ولم نختلف في نبوته ورسالته، وقيل أراد اختلفنا فيمن يقوم بحفظ أمره وما اختلفنا في أمره وصحة ذلك قوله عليه السلام.

أعانني على نفسه: أي قصر في حقه فكان عونا لي على نفسه، فغلبته وقيل: يعني تصوّر في نفسه وتوّهم أنه مغلوب وإن كان أميرالمؤمنين غالب وذلك لما علم من شدة مجاهدتي وقلة إبقائي على أعداء الدين وما خصني الله به من إمداد التأييد ومواذ النصرة والتسديد.

مدهشة: أي مدعاة إلى الدّهش وهو الحيرة، فان قيل: كيف أمر بالاستعاذة من الفقر، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا وأحشرني في زمرة المساكين، قلنا: المسكين من له كفاف وبلغة[١] فلا يحتاج إلى المخلوقين في الأغلب ولا ينظر إليه بعين الازدراء، والفقير من لا شيء له واشتدت فاقته، ولذلك ورد في الخبر كاد الفقر أن يكون كفرا.

سأله عن معضلة: أي عن مسألة، سل تفقها لا تعنتا: أي سل للتعلم لا لطلب الزلة[٢]، والعنت: الاثم أي لا لتكلف ما يوقع في الاثم.

قوله عليه السلام: «وقد أشار عليه السلام في شيء لم يوافق رأيه».

ع‍ـ أشار عليه عبد اللهبن العباس حين انصرف من مكة حاجّا وكان أمير الموسم[٣] من جهة عثمانبن عفان، فلما انصرف بايع الناس عليا عليه السلام، فبايعه عبد اللهبن العباس وقال لأميرالمؤمنين هذا أمر قد وقع وأنا لا آمن غوايل[٤] الناس، فاكتب لابن طلحة كتاب ولاية البصرة، ولابن الزبير

---

١ ــ البلغة: ما يكفي من العيش.

٢ ــ الزلة: الخطأ والذنب، وزل يزل مزلة: اذا زلق وسقط.

٣ ــ يعني موسم الحج.

٤ ــ الغوائل: المهالك، الشر والفساد والفتنة.

ولاية الكوفة وأكرمهما وطيب قلب طلحة والزبير.

كذلك واكتب إلى معاوية واذكر القرابة والصلة، وفوض إليه ولاية الشام حتى يبايعك، وجرى على سنتك، وطاعة الله فاتركه على حاله وإن خالفك فادعه إلى المدينة واجعل بدله آخر حتى يسكن الدهماء[1] ولا يموج بحار الفتنة فقال أميرالمؤمنين: معاذ الله أن أفسد ديني بدنيا غيري ولك يابن عباس أن تشير عليّ إلى آخره.

قوله عليه السلام: «**مرّ بالشبّاميين**».

الشبام حيٌّ من العرب بكسر الشين وبخط الرضي، بفتحها والشبام كبة تعرض في فم الجدي لئلا يرتضع وروي حارث بن شر حبيل[2] قوله عليه السلام.

«**فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي**».

عنى به خدمة الرعية للوالي وذلك احتراز عن حب الجاه باستخدام الغير.

بؤسا لكم: أي شدة وانتصابه بفعل مضمر أي قدّر الله لكم، ذلك وقضى والزم.

فسحت: وسعت، والاظهار: التغليب.

فاقتحمت بهم النار: ادخلتهموها.

قوله عليه السلام: «**في محمد بن أبي بكر[3] إنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ**».

١ـ الدهم: العدد الكثير والفتنة المظلمة.

٢ـ لم نجد له ذكرا في كتب الرجال.

٣ـ محمد بن ابي بكر جليل القدر عظيم المنزلة عند أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وكان من خواصه ولد في حجة الوداع وامه اسماء بنت عميس، قدم مصر اميرأعليها من قبل علي بن ابي طالب وجمع له صلاتها وخراجها فدخل في رمضان سنة ٣٧.

←

أي على قتله قدر سرورهم به أي بقتله، إلا أنهم: إلا هاهنا بمعنى لكن أو سوى، ومحمد هذا كان ربيب أميرالمؤمنين، وقد تزوج أميرالمؤمنين بامّه ومحمد طفل فربّاه أميرالمؤمنين.

قوله: «ٱلْعُمْرُ ٱلَّذِي أَعْذَرَ ٱللهُ فِيهِ إِلَىٰ ٱبْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً».

وذلك لأن صاحب الستين، قد جاوز عقبه الصبى والشباب، والكهولة، وهو في سنّ الشيخوخة، وما بعد ذلك الأرذل العمر.

«مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ ٱلْإِثْمُ بِهِ»: لأنه مغلوب نفسه وهواه الذي هو أعدى عدوّه، وكيف يكون ظافرا من هو في يد أعدى عداته أسير، ومن استولى عليه الهوى لا يظفر بأحد لأن من لا يظفر بنفسه كيف يظفر بغيره، ولو ظفر صورة لكان ظفره في الحقيقة هزيمة، ثم إن ظفره بالاثم إذا كان يؤدّيه إلى ضرر عظيم فانه لا يكون ظفرا بل ضرر.

السلطان وزعة الله: أراد بالسلطان الجنس، وقيل: هو كالمصدر والمراد به هاهنا الجمع.

يشنأ السمعة: أي يبغض أن يسمع بما عمله لله تعالى.

ضنين بخلته: أي بخيل باظهار فقره وفاقته، وروي بخلته بضم الخاء أي صداقته أي لا يضيع حقها.

والعريكة: الطبيعة، وفلان لين العريكة إذا كان سلسا.

وأصلب من الصلد: أي أشد من الحجر الصلب.

قوله عليه السلام: ٱلعِلْمُ عِلْمَانِ: «مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ، وَلَا يَنْفَعُ ٱلْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلْمَطْبُوعُ».

→ قال ابن عبد البر: كان علي يثني عليه ويفضله لأنه كانت له عبادة واجتهاد وكان على رجالته يوم صفين قتله معاوية بن خديج؛ قال ابن حبان: قيل: ان عمرو ابن العاص قتله بعد ان اسره؛ وله اخبار وروايات مع أمير المؤمنين عليه السلام.

لأن من لا قوة لخاطره، ولا تصرف لذهنه، ما نفعه ما سمع من العلوم، والحفظ لائق بالصبيان لأن[١] أذهانهم، وخواطرهم ناقصة، وإنما الاعتبار بالأذهان والخواطر للكاملين.

وقيل مطبوع ومسموع: أي عقلي وشرعي، ولا ينفع العلم بالشرعيات، إذا لم يكن العلم بالأصول من التوحيد، والعدل، وقيل: هما العلم الضروري الذي يحصل ببداية العقول، والعلم الضروري الذي يكون بالاختيار

والسرائر مبلوة: أي مختبرة.

مدخولون: ذو دخل وعيب.

منقوصون: ذو نقيصة.

ومجيبهم متكلف: أي يأتي في الجواب بكلام غير صادق[٢] عن إيقان وإتقان لقلة بضاعته في العلم أو يجتهد في الاتيان بما ينكر[٣] به الخصم أو يرضى به سواء كان حقا أو باطلا.

وتنكأه: تقشره[٤] وتدميه، يستحيله: أي يحيله كاستجاب بمعنى أجاب.

بوزره: أي نهض بثقله وباء: لا يستعمل إلا في الشر.

والأسف: أشد الحزن وأسف عليه غضب.

واللاهف: المتحسر، وأكثر ما يقال هو أسف والآسف اشباع لازدواج لاهف أو لغة.

«مَنْ كَابَدَ ٱلْأُمُورَ عَطِبَ».

---

١ ــ في ض: الذين اذهانهم.

٢ ــ في ض: غير صادق عن ايقان.

٣ ــ في ض: بما يندفع بي الخصم.

٤ ــ القاشرة: التي تعالج وجهها او وجه غيرها بالغمرة ليصفو لونها.

أي من قاسى شدائد الأمور هلك .

قوله عليه السلام : «وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خطأه» .

لأنه لا يقدر على أن يضبط الكثير، وهو على صيانة القليل من الخطأ أقدر، كالراعي فانه على حراسة القليل من الأغنام ورعايتها أقدر وإن كثرت ربما عاثت[١] فيها الذئاب وتخطفتها ، ورعت في غير حد الراعي وقال بعض الحكماء : كلام قليل مصون عن الخطأ خير من كثير مشوب بالخطأ كما أن الذهب القليل المصون ، من الغش ، أنفع من الكثير المغشوش ، ومن الأمثال من أكثر أهجر، والمكثار[٢] كحاطب .

قوله عليه السلام : «لِيَهْنِئْكَ ٱلْفَارِسُ» .

إنما نهى عليه السلام عن ذلك لأنه كان من تهاني الجاهلية .

وبلغ أشده : أي عاش طويلا وقيل الاشدّ إلى أربعين سنة .

وبناء فخم : أي عظيم .

«أَطْلَعَتِ ٱلْوَرِقُ رُؤُوسَهَا» .

استعارة مليحة عن اظهار الغنى .

ذات يده : أي حاله من الغنى ، والفقر .

والاستدراج : الأخذ على الغرة[٣] .

المعرج على الدنيا : العاطف عليها المائل إليها .

لا يروعه : لا يخوفه .

صريف الأنياب : صوت الأسنان ، وذلك استعارة لصعوبة نوائب الدهر

---

١ ــ عاث يعيث : اذا بذره وافسده واصل العيث : الفساد .

٢ ــ المكثار : كثير الكلام وهو الذي يتكلم بما لا يعني ، والحاطب : الذي يخلط في كلامه لأن حاطب الليل لا يبصر ما يجمع في حبله فيخلط بين الجيد والرديء ، وفي ض : كحاطب الليل .

٣ــ في ض : الاخذ على القدرة .

من صريف ناب البعير الهايج .

قوله عليه السلام : «**عرضت آية عاداتها**» :

والرواية الصحيحة ضراوة ، وضرى بالشيء : تعوذ .

قوله عليه السلام : «**إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَىٰ ٱللهِ حَاجَةٌ فَٱبْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**» .

قيل : مثاله سؤال الرعية عن الأمير بواسطة الوزير والنبي صلى الله عليه وآله يشفع إذا صلى المصلي عليه في قضاء حاجته .

الخرق : البله والحمق ، وفي الأصل ضد الرفق .

والأناة : السكون .

«**ٱلْعِلْمُ يَهْتِفُ بِٱلْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ٱرْتَحَلَ عَنْهُ**» .

يعني إذا علم الانسان أن له في الأمر الفلاني نفعا ، وصلاحا إذا فعله ولم يفعله (قط) فانه لا نفع له في ذلك ، ويكون علمه وجهله في فقد الانتفاع سواء ، وكذلك من علم صنعة ، ولم يأت بها قط فانه ينسى تفاصيل ذلك بمرور السنين والأعوام ، حتى إنه ربما يصير بحيث لا يمكنه فعلها بعد ، خصوصا في الأعمال الدقيقة .

«**مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِىءٌ**» .

الحطام : ما تكسر من اليبس ، شبه مال الدنيا بحقارته ، والموبىء : الذي يأتي بالوباء وهو مرض عام .

«**فَلْعَتُهَا أَحْظَىٰ مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا**» .

أي الارتحال عنها أحدى[1] وأنفع من السكون فيها .

وبلغتها أزكى من ثروتها : أي ما يتبلغ به ، ويكتفى منها انمى وأظهر

---

١ ـــ الحدى : راحة الصدور واطمينان القلب ، وفي ض : اجدى وانفع .

من كثرة مالها .

واستشعر الشغف بها : أي جعل الولوع بالدنيا ، والحرص عليها شعاره وأضمر ذلك .

قوله عليه السلام : «أَشْجَاناً ، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَىٰ سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ» .

من غرائب البلاغة ، وسويداء القلب حبته .

والكظم : مجرى النفس .

والأبهران : عرقان متصلان بالقلب .

إن قيل أثرى ، قيل أكدى : أي لا تصفوا له الدنيا بل يختلط همه بسروره ، وغناه بفقره .

يبلسون : يقنطون ، زيادة لعباده : أي ذويا[1] وذبالهم .

وحياشه لهم : أي جمعا وسوقا .

السهمة : النصيب ، وخفض الدعة : مثل كرى النوم .

قوله عليه السلام : «وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ» .

قيل لشيخ كان يتعلم على الكبر: أما تستحي أن تتعلم على الكبر فقال أنا لا أستحي من الجهل على الكبر، فكيف أستحي من العلم على الكبر.

«وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ ٱلْيَقِينُ» .

أي أنار وأضاء ، أو أخرج النور مجازا .

قوله عليه السلام : «فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِيءَ» .

أي من المؤاخذة في العاجل والآجل .

ولن يسبقك إلى رزقك طالب .

ج— أي لن يأخذ رزقك وإن اجتهد فيه غالب على وجه الحلال

---

١ — كذا وفي ض : ذو دآء .

وبالاستحقاق، وإنما يمكنه أن يأخذ على وجه الغضب والظلم.

قوله عليه السلام: «وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ، قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ» من أشعار أنوار العقول له عليه السلام.

رب معافى شكا بعلته * ومشتك ما ينام في سهره
وآمن في عشاء ليلته * دبّ إليه البلاء في صحره

الكلام في وثاقك: بخط الرضي بكسر الواو وهو لغة، والوثاق الحبل.

يرم معاشه: يصلحه.

«رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ».

أنفذ بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هو أنفذ، وبالفتح مجرور الموضع نعت لقول، وفتح لامتناع الصرف، ويروى أشدّ والمعنى ربّ قول يقوله الانسان، ويكون ضرره لديه أشد من حملة عدوّ يصول عليه، أو ربّ قول يسمعه من غيره، من قذف أو هجر، يكون أشد عليه من صولة عدو يصول عليه، فيكون في المعنى ضرر القول عايدا إلى القائل، وفي الثاني إلى المفعول له وكلا المعنيين ذكرهما ابن آدم الهروي وهذا كلام يتمثل به.

المنية، ولا الدنية: أي احتمل الموت واختره، ولا يحتمل ما يشينك[١] ويسمك بسمة الخساسة.

والتقلل ولا التوسل: أي الزم القليل من الرزق، واختره واقنع به ولا يتوسل إلى الأغنياء لتنال بما عندهم ببذل عرضك ومن أشعار أنوار العقول له عليه السلام.

واستر غناك وكن لفقرك صاينا * يضنى حشاك وأنت لا تبديه
فالحر يبخل جسمه اعدامه * وكأنه من نفسه يخفيه

---

١ ـــ الشين: العيب والخسيس: الدنيء والرذل، وفي ض: ويمسك بسمة الخشاشة.

«مَنْ لَمْ يُغْطَ قَاعِداً لَمْ يُغْطَ قَائِماً».

أي من لم يرزق بالطلب السهل فلا ينفعه التشدد حث على الاجمال في الطلب وترك الاقبال عليه بكل الوجوه.

الغائلة: الحقد.

من أومأ إلى متفاوت خذلته الحيل: أي أن الفايت لا يستدرك، وأراد من دبر في إصلاح أمر مختلف (لا يساعده التدابير أو أراد أن المختلف[1]) فيه لا يمكن الاستدلال به، والبناء عليه.

وأما كلمة التمجيد: فقد فسرها الصادق عليه السلام على وجه آخر فقال: لا حول على ترك المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات إلا بالله.

قوله عليه السلام: «ٱلْقَلْبُ مُصْحَفُ ٱلْبَصَرِ».

إشارة إلى القوة الحافظة التي للانسان وكون البصر جاسوسا يؤدى إليها ما يراه ليتنزع العقل من المبصرات والمحسوسات، ما يجردها عن المواد وعلائق المواد ويصيرها ملائمه له.

قوله عليه السلام: «لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَىٰ مَنْ أَنْطَقَكَ».

ذرب اللسان حدته، أي لا تتفاصح عند من علمك الفصاحة ولا تكن كمعلمة امها البضاع، وكمن قيل في حقه.

أعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتدَّ ساعده رماني

والأغمار، الغافلون.

قوله عليه السلام: «للأشعث إنْ صَبَرْتَ صَبْرَ ٱلْأَكَارِمِ».

نظمه بعض الشعراء فقال:

وقال علي في التعازى لأشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم

---

١ ــ بين الهلالين ساقط في ش.

اتصبر للبلوى عزاء وحسبة ❊ فتوجر أم تسلو سلوّ البهائم

وقيل إن البيت الأخير لأميرالمؤمنين عليه السلام وبعده :

خلقنا رجالا للتجلد والأسى ❊ وتلك الغواني للبكا والمآتم

قوله عليه السلام : «بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ» .

بين يلحقه ألف الاشباع إذا إضيف الى الجمل ، حلوا جملة من مبتدأ وخبره مجرورة المحلّ بالاضافة ، وإذا مرفوع المحلّ بالابتداء ، وبين خبر له مقدم ، والتقدير وقت صياح سائقهم بين أوقات حلولهم ، والخبر في الحقيقة هو ما يتعلق به بين لأنه ظرف والظرف لابد له من فعل أو شبهه لأنه مفعول فيه والمفعول يقتضي الفعل لا محالة ، والتقدير الحقيقي وقت الصياح ثبت أو كان ، أو ثابت ، أو كائن بين أوقات الحلول .

قوله عليه السلام : «إِنَّ ٱلِاسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ ٱلْعِلِّيِّينَ» .

أي منزله أعلى منازل سكان الجنان ، أو منزلة الذين علوا رتبة في العبادة والطاعة : على من عداهم ، ولا شك أن من أتى بالشرائط التي ذكرها أميرالمؤمنين عليه السلام ، ثم استغفر ، إن لم يفق الكل وبين منزلة فقد شاركهم في منازلهم .

قوله عليه السلام : «تَلْقَىٰ ٱللهَ أَمْلَسَ» .

أي نقي الصحيفة ، من المظالم ، والأوزار ، والأملس[١] نقيض الدبر في المثل هان على الأملس ما لاقى الدبر وفي المثل أيضا ملسى لا عهدة[٢] أي قد انملس ، من الأمر لا له ولا عليه .

الحلم عشيرة : أي قائم مقامهم في دفع الأذى .

---

١ ـ الاملس : اختلاط الظلام في وقت العشاء .

٢ ـ قال الازهري : يقال في البيع ملسى لا عهدة وقيل الملسى ان يبيع الرجل الشيء ولا يضمن عهدته .

«مِسْكِينٌ ٱبْنُ آدَمَ» .

ابن مبتدأ ومسكين خبر مقدم عليه ، وقد يحذف تنوين مسكين تخفيفا ، كما يحذف من قل هل الله أحد ، الله[١] .

والشرقة : الغصة[٢] .

طمح البصر إلى ، الشيء : ارتفع .

والهباب والهبيب[٣] : نبيب التيس للسفاد ، وصوته عند هيجانه .

قوله عليه السلام : «فليلا مس امرأته» .

وروي فليلمس ، وذلك لأنه يدفع عن نفسه الشهوة التي هي من دواعي الشيطان ، ومن لم ينكح ، فالغالب عليه أن لا يحفظ نظره عن الحرام ، وقلبه من الوسوسة ، لذلك قال .

إن أبصار هذا الفحول طوامح .

كافرا : حال من الضمير في قاتله ، رويدا ، أي أمهلوا وارفقوا .

إنما هو سبّ بسبّ : أي إنما جزاء هذا الساب عندي ، ومن حيث المصلحة سب بدل سبه أو عفو عن ذنبه .

«كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ سَبِيلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ» .

إسناد الايضاح إلى العقل من باب إسناد الفعل إلى الآلة ..

فمهما تركتموه منهما : مهما أصله ما ما قلبت الألف الأولى هاء لتحسين اللفظ ، وماء الاولى شرطية والثانية صلة مؤكدة . وقيل : إنّ مه بمعنى اكفف ، وما شرطية وما مبتدأ والجملة يعده خبره ؛ والضمير في تركتموه عايد إلى ما إما على التقدير الأولى ، فالى الأولى التي هي مه ، وإما

١ــ في ض : كما حذف في قل هو الله احد الله الصمد .

٢ــ غصصت بالماء اغص غصصا : اذا شرقت به او وقف في حلقك فلم تسغه .

٣ــ النبيب : صوت التيس عند السفاد .

على التقدير الثاني فالى الثانية .

قوله عليه السلام : «كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ» .

إن أراد بالخير: نفع الغير، فالمعنى إن لم تعطوا الفقير حقه ، ولم تحسنوا إليه يعطه غيركم : ويحرز الأجر فيه دونكم . أو يغنيه لله من فضله وأن أراد بالخير العموم ، فالمعنى إن لم تأتوا بالطاعات ، على وجوهها فضله عبيد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

كذا في الشر إن لقيت من يستأهل الاساءةإليه فأعرض ، وخله والأيام ، وشرار الأنام ، فانه يستوفي حقه منهما وإلا فالله من ورائه محيط .

العيد : اليوم الذي يعود فيه الفرح والسرور وأصله الواو قلب الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمع بالياء أيضا للزومها في الواحد وللفرق بينه وبين أعواد الخشب ولكل امة أعياد ، (فأعياد النصارى الميلاد ، والقلنداس والذبح وعيد السمع ، والشبار، ومرجورس وميلاد هوحنا ومرطوما وصوم ماره ، مريم ، والتجلي وفطر ماره مريم وآخر التجلي ، ومقتل يوحنا وعيد الصليب والسباسب والسعانين .

للهنود أعياد كثيرة أولها زاتر وآخرها أوداد[١]) ولليهود عشية الاجتماع ، ويوم الاجتماع أعني اجتماع الشمس والقمر عيد لهم . وينفخ الامام في الشبور[٢] ويحمدون الله على سلامة ذلك الشهر، وعيد العنصرة يوم واحد في التوراة .

عيد أهل الشام والعنانية يومان ، وهو يوم كلم الله بني إسرائيل من طور، ويوم أمر موسى بالصعود إلى الجبل ، والمكث فيه كما قال تعالى«وواعدنا موسى ثلثين ليلة وأتممناها بعشر[٣]» ، وعيد صوماريا ، وعيد مطلى .

---

١ ـــ في بين الهلالين خلط وحذف في ض .

٢ ـــ الشبور معرب شيبور بالباء الفارسي وهو البوق بالعربية ، يزمر فيه وينفخ .

٣ ـــ الاعراف : ١٤٢ .

عند المسلمين يوم الفطر ويوم الأضحى ، ويوم الثامن عشر من ذيحجة عند طايفة منهم ، وهو أكبر الأعياد عند هؤلاء .

قوله عليه السلام : «إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً» .

يقال صفقت له بالبيع ، والبيعة صفقا أي ضربت يدي على يده ، وقد ربحت صفقتك للشري ، وصفقة رابحة وصفقة خاسرة وهو هاهنا مستعار ، والمراد أسوء الناس حالا .

ظاهر الدنيا : لذاتها المخدجة(١) ، وباطنها : ما يندرج تحت تلك اللذات من البلوى والمحن ، ويتعقبها من التبعات والمؤاخذات(٢) على الاستمرار الاعداء ، ما سالم الناس من الاقبال بكل الوجوه على الدنيا الدنية والاشتغال عما بعد المنية ، والاكتفاء بالجهل من العلم وبالبطالة من العمل وبالدنيا من الآخرة .

وسلم ما عادى الناس : على عكس ذلك .

بهم علم الكتاب : أي كانوا حملة كتاب الله وحفظته لا حفظة صورته فحسب .

بل حفظة صورته وحقيقته والمعربين عن حقائق تأويله ، ودقائق تفسيره وبه علموا أي بالقرآن عرّف أولياء الله حيث نبه على صفاتهم (ودلّ على نزاهتهم ونقاء ذواتهم(٣)) .

وبهم قام الكتاب : أي صارت أحكام الكتاب بسببهم مأخوذا بها معمولا عليها فظلت أعمدة الدين القيم بهم قائمة وآثاره فيما بين الخلائق ظاهرة دائمة ، وبه قاموا بأوامر الكتاب ونواهيه ، وبنشر جميع ذلك على

١ ـــ خدجت الناقة : اذا القت ولدها قبل اوانه وان كان تام الخلق ، والخداع النقصان .

٢ ـــ في ض : من التبعات والمؤاخذة على الاستمرار .

٣ ـــ بين الهلالين ساقط في ش .

أهاليه لا يرجون إلا رضا الله وثوابه، ولا يخافون إلا سخطه وعقابه.

«آخْبُرْ تَقْلِهِ».

يقال قلاه يقليه قلي وقلاء بالفتح ومقلية وقلية يقلاه: أبغضه والهاء مزيدة للسكت ما من أحد إلا وهو مسخوط الفعل عند الخبرة، واللفظ لفظ الأمر، والمعنى الخبر كقوله تعالى: فليمدد له الرحمن مدا، أي مدّ الرحمن مدّا وهو كلام يتمثل به في ذم الناس وسوء معاشرتهم.

قال العميد أبوبكر القهستاني: لو لا أن لاعتراض على السلف من الجهالة والسرف، لقلت القلى ثم الخبر حتى لا يكون مضيعا وقته واضعا في غير موضعه مقته، قلت هذا إنما أفاد لو كان للبغضة: قيل: الخبرة وجه لكن ذلك مما لا يرتضيه العقل والشرع، وقيل الكريم صديق كل أحد، إلا من أذاه واللئيم عدوّ كل أحد، إلا من أعطاه.

«آلْوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ».

هي جمع مضمار وقد سبق تفسيره، وهو موضع التضمير أو وقته وتضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت.

«مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ آلْيَوْمِ».

ما للتعجب يعني من نام فاته الوقت بالنوم فلا يمكنه فعل ما كان عزم عليه.

خلة رايعة: أي خصلة تروعك بحسنها وهذا قريب من قولهم: أطلبوا الخير عند حسان الوجوه.

ذعذعتها الحقوق: أي فرقتها.

قوله عليه السلام: «مَا مَزَحَ آمْرُؤٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً».

لأن المزاح يذهب بمهابة المرء، وينظر إلى صاحبه بعين الازدراء، والعقل يقضي بصيانة العرض عن المزاح، فبقدر ما عرض المازح عرضة

للمهانة لمزحه لم ينتفع بعقله ، فكأنّ القدر المانع منه من العقل ، غير حاصل له ، لفقد أثره ، وقد روي عنه عليه السلام أنه قال : من مزح استخف به ، ومج العقل مجاز مستعار من مج الماء .

«مَا لِإبْنِ آدَمَ وَٱلْفَخْرِ» .

إذا نصبت ، فالواو بمعنى مع كمال قال مالك وزيدا ، وإن جررت فللعطف والنصب هو الوجه .

قوله عليه السلام : «ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرُ بَعْدَ ٱلْعَرْضِ عَلَىٰ ٱللهِ» .

يحتمل أن يريد أن ارزاق العباد إنما قسمها الملائكة المتولون لذلك ، بعد عرضهم ذلك على الله تعالى ، وحكمه بصحة تلك القسمة ، وصلاحها وإن ذلك مما لا يزاد ولا ينقص ، فلا فائدة في جدّ الطلب في اتعابه النفس كما قال عليه السلام : فان الرزق مقسوم ، وكدّ المرء لا ينفع .

يحتمل أن يريد أن الغنى الحقيقي المعتد به ، هو ما يحصل في الآخرة بعد العرض على الله في موقف الحساب ، وكذلك الفقر، ولا اعتداد بغنى الدنيا وفقرها ، فان الفقير في الدنيا اذا عرض على الله تعالى في الآخرة وفاز برضوان الله ظهر أنه قد كان غنيا برحمة الله ، ورب فقير في صورته وقلبه مشتاق إلى الغنى ، فله ذل الفقراء في الدنيا وعقوبة الأغنياء في الآخرة .

قوله: «إِنَّ ٱلْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ ٱلْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا»

الجلبة : خيل تجمع للسباق من كل أوب لا تخرج من إصطبل واحد ، والعرب عند المسابقة ينصب قصبا في آخر الميدان ، حتى يأخذه السابق فلا يمكن النزاع في السبق ، أي لم يجر كل واحد منهم فرسه بين الخيول المجموعة للسبق يعني لم يكن كلامهم على طريقة واحدة ، بل لكل منهم أسلوب خاص في النظم والمعنى .

قال صاحب المنهاج : الحلبة : الميدان أي لم يجروا الأفراس في ميدان

واحد وعهدة هذه النقل عليه، وسمي امرؤ القيس الضليل لأنهماكه[١] في شرب الخمر وإقدامه على أمور النساء وتهتكه، وقال الحاكم أبو عبد الله[٢] الحافظ في تاريخ نيسابور أنه سمي ضليلا لأنه تنصر في آخر عمره.

ج– سمى ضليلا لأنه ضل عن أمر عظيم وهو ملك أبيه بسبب قيله[٣] للشعر، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله في حق إمرؤ القيس هو أشعرهم وقائدهم إلى النار، وقيل: إن العباس بن عبدالمطلب سأل عمر بن الخطاب عن الشعراء، فقال إمرؤ القيس سابقهم خسف[٤] لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر، وقال الفرزدق: كان الشعر جزورا فنحر فأخذ سنامها إمرؤ القيس، وأخذ طرفة[٥] بأطايب لحمها وأخذ لبيد[٦] بأمعائها وأكبادها، وبقيت عظامها وأورثها فاقتسمناها نحن.

قيل: أشعر العرب امرؤ القيس حين ركب والأعشى[٧] حين رغب،

---

١ – انهمك في الأمر: جد فيه ولج.

٢ – أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ المعروف بالحاكم النيشابوري كان واسع العلم امام الحفاظ والمحدثين جاب البلاد وسمع من جماعة كثيرة يقرب من الفي شيخ وكان اعلام عصره يقدمونه على أنفسهم، له آثار مشهورة منها المستدرك وتاريخ نيسابور وفضائل فاطمة ومناقب الرضا توفي سنة ٤٠٥.

٣ – كذا.

٤ – خسف البئر؛ حفرها في صخر فنبعت بماء لا ينقطع، وخسف الشيء خرقه فانخرق.

٥ – طرفة بن العبد بن سفيان، كان في حسب من قومه جريئا على هجائهم وهجاء غيرهم وكانت اخته عند عبد عمرو وكان سيد أهل زمانه، وكان احدث الشعراء سنا واقلهم عمرا واجودهم، قتل وهو ابن عشرين سنة وكان ينادم عمرو بن هند قتله الربيع بن حوثرة في البحرين.

٦ – لبيد بن ربيعة من مالك العامري يكنى أبا عقيل وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم وادرك لبيد الاسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد بني كلاب فاسلموا ورجعوا الى بلادهم، ثم قدم لبيد الكوفة فاقام بها الى ان مات في خلافة معاوية وله ١٥٧ سنة.

٧ – ميمون بن قيس الاعشى وكان أعمى ويكنى ابا بصير وكان جاهليا قديما وادرك الاسلام في آخر عمره ورحل الى النبي صلى الله عليه وآله ليسلم، فقيل له انه يحرم الخمر والزنا فقال: اتمتع منهما سنة ثم اسلم، فمات قبل ذلك بقرية باليمامة.

والنابغة[1] حين رهب، وقيل للبيدبن أبي ربيعة من أشعر الناس، فقال الملك الضليل، فقيل: ثم من فقال الفتى القتيل، عنى به طرفة فقيل ثم من فقال: أبو عقيل عنى به نفسه.

قوله عليه السلام: «أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا».

اللماظة: ما يبقى في الفم من الطعام، عنى بها زخارف الدنيا فانها شبه اللماظة لا اعتداد بها للعارفين.

«لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ».

من قوله تعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

قوله عليه السلام: «أَنْ لا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ».

أي لا تقول ما لا تعلم، فمن قال: ما علم فقد ساوى قوله علمه ومن قال: ما لا يعلم ففي قوله فضل عن علمه.

«أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ».

إشارة إلى آداب النطق، وترك معائب الناس.

قوله عليه السلام: «رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ».

يعني يتخيل أن مدح الناس في حقه صدق، وأن الكمال الانساني لازم له فصار مفتونا بالثناء والمدح: والمادح إن كان كاذبا فمدحه استهزاء ومن مدحك بما ليس فيك يوشك أن يذمك بما ليس فيك، وإن كان صادقا؛ فمن حق العاقل أن يبتهج بما فيه من الكمال، لا بقول المادح إذ لا اثر لقوله في ذلك، وقد سبق أن حبّ الثناء من المهلكات.

١ـ زياد بن معاوية النابغة الذبياني يكنى أبا امامة، وكان النابغة احسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام واجزلهم بيتا، كان شعره كلاما ليس فيه تكلف ونبغ بالشعر بعد ما احتنك وهلك قبل ان يهتز وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيرا وقال الاخطل عند عبد الملك والشعبي هو أشعر مني.

«الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا».

أي ليحصل فيها، ومنها زاد الآخرة.

«لَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا».

أي ليكون نفسها هي المقصودة لمن فيها، فيقتصرون على جمعها ومنعها ويعزمون على الاقامة فيها ولا يخطرون السفر الذي خلقوا لأجلها ببال وسميت دنيا لدنوها ودنوّ من فيها من الزوال والانتقال، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب(١).

قوله عليه السلام: «إنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً».

أي مهلة أو مرادا ومختلفا يعنى أنهم ما داموا على الألفة، واتفاق الكلمة كان لملكهم نظام فاذا وقع الاختلاف فيهم، غلبهم أضعف الناس وأخسهم قدرا وكنى عن الأراذل بالضباع.

الغلو: الحوار إذا(٢) قلى أي نظم الغناء الكفاية.

بأيديهم السياط، أي الطوال البالغة حدّ ما يتوقع منها في السخاء والشجاعة.

وألسنتهم السلاط: أي الفصاح.

قوله عليه السلام: «ٱلْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ».

وتمام الحديث فاذا نامت العينان استطلق الوكاء، الوكاء: ما يشد به رأس القربة، والسه: الاست، محذوف العين من سته فالنوم الغالب على السمع والبصر ينقض الوضوء سواء كان مضطجعا أو قاعدا او متكيا أو متمكنا على الارض.

جران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره والضرب بالجران كناية

---

١ ــ النحل: ٧٧.

٢ ــ الحوار: ولد الناقة قبل ان يفصل عنها وفلي الصبي والمهر، اذا فطمه وعزله عن امه.

عن الثبوت والاستقرار.

زمن عضوض: أي يعضّ فيه كقولهم ليله قائم ونهاره صائم، ولذلك نبه بقوله.

يعض فيه الموسر على ما في يديه: أي يغلب الامساك على الطباع حتى يصير ما في أيدي الأغنياء للفقراء بمنزلة الشيء المعضوض عليه المأكول في اليأس عنه.

ينهدّ اي ينهض، ويقوم بالأمر.

والاطراح: المبالغة في المدح حتى يقع في الكذب عنى به من نسبه إلى الالهية والنبوة تعالى الله وانبياؤه عما يقول الجاهلون الظالمون علوا كبيرا.

قوله عليه السلام: «**التَّوْحِيدُ أنْ لا تَتَوَهَّمَهُ**».

أن لا تتصوره في وهمك فان كلّ ما يقع الوهم عليك، فالله بخلافه.

والعدل ان لا تتهمه: يعني باسناد القبائح اليه.

والحكم: الحكمة، قال النبي صلى الله عليه وآله: الصمت حكم وقليل فاعله.

وذلل السحاب: مستعارة من الدابة الذلول وكذا صعابها، وهي السحاب التي فيها الرعد والبرق والصاعقة، والذلل بخلافها.

والعسف: ظلم يتعلق بالأبدان كالضرب[1].

والحيف: ظلم يتعلق بالمال.

قوله عليه السلام: «**مَا أخَذَ ٱللهُ عَلَىٰ أهْلِ ٱلْجَهْلِ أنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّىٰ أخَذَ عَلَىٰ أهْلِ ٱلْعِلْمِ أنْ يُعَلِّمُوا**».

قيل إن الأمور المعقولة التي يتوصل إلى اكتسابها بحصول الحد الأوسط

---

١ ــ في ض: كالضرب والقتل.

بعد الجهل بها إنما يتوصل إليها بالقياس وهذا الحدّ الأوسط قد يحصل ضربين من الحصول، فتارة يحصل بالحدس، والحدس فعل الذهن يستنبط بذاته الحدّ الأوسط، والذكاء قوة الحدس، وتارة يحصل بالتعليم ويتأدّى التعليم الى الحدس، فان الأشياء ينتهي لا محالة إلى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس[١].

ثم ادبها إلى المتعلمين فجائز أن يقع للانسان بنفسه الحدس، وأن ينعقد في ذهنه القياس بلا مفيد، وهذا يتفاوت بالكم والكيف اما في الكم فلأنّ بعض الناس يكون أكثر عددِ حدس للحدود[٢] الوسطى وأما بالكيف فلأن بعض الناس يكون أسرع زمان حدس، ولأن هذا التفاوت ليس منحصرا في حدّ بل يقبل الزيادة والنقصان دائما وينتهي في طرف النقصان إلى من لا حدس له البتة.

فيجب أن ينتهى أيضا في طرف الزيادة إلى من له حدس في أسرع وقت وأقصره، فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس لشدة الصفا[٣] إلى أن يستعمل حدسا في كل شيء فيرتسم فيه الصور إما دفعة وإما قريبا من دفعة ارتساما لا تقليديا، فان التقليد يأتي في الأمور التي إنما يعرف بأسبابها ليست يقينية عقلية، فيجب لمثله أن يعلم غيره ولمن دونه في الرتبة أن يتعلم.

قال الامام الوبري: فريضة العلم ينقسم إلى عقليّ وشرعيّ وكلاهما ينقسم إلى فرض عين وكفاية، فأما العقلي فلا بدّ من منبه على الأدلة فكما وجب على الجاهل أن يعلم بعقله ما يحتاج إليه يجب أيضا على العلماء أن

---

١ ــ هنا آخر النسخة في ش.

٢ ــ في ض: للمحدود الوسطى.

٣ ــ في ض: بشدة الصفا.

ينبهوا بألسنتهم وتصانيفهم ولذلك كثر في هذه الأمة من العلماء من هذا الجنس الدرس والتصانيف، وصنوف المذاكرات وغير ذلك .

أما المسموعات ففيه فرض عين وكفاية وكلى القسمين في السمع يحتاج فيهما إلى هاد ومبين وواصف للمذاهب، ودلالاتها، وعلم الشرع لا طريق له إلا السمع، فالمفيد في العقليات يكون منبها لا معلما، ويجوز أن يقال في مفيد العقليات، علمه كذا إذا وصف المعلوم والدليل، فأما الواصف للشرع وأدلته، فانه يقال علمه كذا وعرفه كذا وهداه، فهذه الأسماء حقيقة فيه ومن قال حكما باجتهاد فقوله، دليل وهداية وبيان وتعريف .

أما المعلم على الاطلاق فيقال لمن حرفته تعليم الصبيان والمؤدب من حرفته تأديبهم، ولا يجوز إطلاق اسم المعلم على علماء الاسلام لأنه شنيع غير مشهور، وإذا وجب تحصيل العلم على العقلاء من الوجهين المذكورين، ولا بدّ في كلي القسمين من منبه أو مبلغ للسمعيات أو صاحب للفتاوى في نوازل الشرع وجب على العلماء التعريف وعلى غيرهم المعرفة .

إذا وجب التنبيه في العقليات والبيان والبلوغ في الشرعيات، جمع الله حمل ذلك في القرآن العظيم، فانطوى على بيان العقل والشرع تقريرا بهذا الأصل، فقال تعالى : «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء[1]» إلى غير ذلك من الآيات فلذلك قال عليه السلام .

ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا .

ولما وجب التنبيه في العقليات والبيان والبلاغ في الشرعيات أودع الله تعالى جملا من العقل وتفاصيله وجملا من الشرع وبعض تفاصيله القرآن

---

١ ــ النحل : ٨٩ .

العظيم، كما قال: «ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين[١]».

هذا أوان أن يختم الكتاب وقد قضينا منه الوطر[٢] المقصود، وبلغنا الغرض المنشود ووفينا بما وعدنا وشرطنا، وما وجدنا تلعة[٣] في التحقيق إلا علونا ولا واديا في التدقيق إلا هبطنا، جعل الله تعالى جزاء ما أصابنا من الكدّ والوكد[٤]، وبذل الوسع والجهد في تنقيحه وتهذيبه وترتيبه، وتشذيبه[٥] وجمع ما انتشر من أطرافه ومبانيه وضبط ما شرد[٦] من ألفاظه ومعانيه، الفوز برضاه والجنة والتوقي من سخطه يبلغ جنة لأنه[٧] ذو الحول والمنة وولي الطول والمنة، ووافق الفراغ من تصنيفه في أواخر الشهر المبارك شعبان سنة ست وسبعين وخمسمائة[٨].

* * *

تم حدائق الحقائق في فسر دقائق افصح الخلائق بعون الخالق والرازق في أواخر شهر الله المبارك رمضان عظم الله بركته على الانسان على أنملة أضعف عباد الله محمدبن أبي الحسين بن محمد القصار سنة خمس وأربعين وستمائة.

---

١ ــ الانعام: ٥٩.

٢ ــ الوطر: الحاجة والبغية.

٣ ــ التلاع: مسايل الماء من علو الى اسفل والتلعة ما ارتفع من الأرض.

٤ ــ الوكد: السعي والجهد.

٥ ــ التشذيب: القطع والتفريق.

٦ ــ شرد البعير: اذا نفر وذهب في الارض.

٧ ــ في ض: من سخطه باسبغ جنة انه ذوالحول وولي المنة.

٨ ــ في ض: وافق الفراغ من تصنيفه الامام العالم الكامل المتبحر الفاضل قطب الدين نصر الاسلام مفتخر العلماء مرجع الأفاضل محمد بن الحسين الكيذري البيهقي تغمده الله برضوانه في أواخر الشهر الشريف شعبان سنة ست وسبعين وخمسمائة ٥٧٦.



انتشارات عطارد